بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة علمية فصلية محكمة
تصدرها جامعة إب
الجمهورية اليمنية

هيئة التحرير

أ.د / أحمد محمد شجاع الدين	رئيـــس الجامـــعة	**رئيس التحريـــــر**
أ.د / أحمد يحيى الجوفي	نائب رئيس الجامعة	**نائـب رئيس التحريـر**

هيئة استشـــــارية

أ.د/ محمد سامي السيد صقر أ.د/ عبد الشـافي صديـق محمد
أ.د/ مهـدي صـــالح هجـــــرس

د/ فوزي علي صويلح	مدير عام البحث العلمي	**مدير التحريـر**
عيسى محمد الشعري	مدير إدارة الإصـدارات	**سكرتير التحرير**

الاشتراك السنوي (يشمل أجور البريد)

- **داخل اليمن**
  - **للأفـــراد** : 800 **ريال** .
  - **للمؤسسات** : 1200 **ريال**
- **خارج اليمن** :
  - **للأفـــراد** : 10 **دولارات** .
  - **للمؤسسات** : 20 **دولاراً** .

الناشـــر
الإدارة العامة للبحث العلمي - جامعة إب
ص . ب (70270) – الجمهورية اليمنية
فاكس (9674407552+)
البريد الإلكتروني : magltalbaheth@gmail.com

© 2009 الإدارة العامة للبحث العلمي ...
جميع الحقوق محفوظة ، فلا يسمح بإعادة طباعة هذه المادة أو النقل منها أو تخزينها ، سواء كان ذلك عن طريق النسخ أو التصوير أو التسجيل أو غيره وبأية وسيلة كانت إلا بأذن خطي من الناشـــر

الافتتـــاحية

بقلم أ.د/ أحمد محمد شجاع الدين
رئيس جامعة إب - رئيس التحرير

تصدر جامعة إب العدد التاسع عشر من مجلتها الباحث الجامعي المحكمة ونحن في نهاية عام 2008م بهذا الإصدار نستطيع القول أن هيئة التحرير تمكنت خلال السنوات المنصرفة من المحافظة على انتظام صدور المجلة وهذا مما يعزز من دور ألجامعه في الدولة والمجتمع وارتباطها بقضايا الوطن وتطوره بصدور هذا العدد من المجلة واليمن تواجه العديد من التحديات على مختلف جوانب الحياة وبصفة خاصة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والتعليمية والصحية والثقافية بسبب الأزمة الاقتصادية العالمية التي أثرت على مختلف جوانب الحياة بحكم ارتباط الاقتصاد وازدهاره بمختلف توجهات الدولة في تحقيق التنمية الشاملة.

إن هذه التحديات التي تواجه اليمن لا تعني بأي حال من الأحوال كما قد يحلو للبعض أن المجال أمام الدولة للاستمرار في التغيير نحو الأفضل بحياة الناس وتحقيق التنمية الشاملة بشكل متعاظم أصبح محدوداً في التغيير من أجل البناء والتطور لوطن 22 مايو 1990م. إن المجالات متعددة لدى الدولة من أجل التغيير وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أنها لا تواجه متاعب اقتصادية في الوقت الحاضر ولكن هذا الوضع الاقتصادي يفرض على جميع المسئولين في أجهزة الدولة المختلفة التماسك الداخلي أكثر من أي وقت مضى من أجل مواجهة هذه الأزمة الاقتصادية

من دون شك أن الاقتصاد اليمني يعاني العديد من الصعوبات منذ عدة سنوات ولم يكن منذ بداية الأزمة العالمية للاقتصاد إذ أبرزت ما تعانيه اليمن من متاعب اقتصادية ولكن الملاحظ أن العجز في الميزان التجاري كبير من جراء الاستهلاك المتزايد سنوياً من السلع المستوردة من مختلف دول العالم بسبب النمو السكاني السنوي. إن القيادة السياسية مدركة هذا الوضع تمام الإدراك وتعمل جاهدة على معالجته بحدود الإمكانيات المتوفرة لديها. ولهذا أقدمت الدولة في ظل هذه الأزمة الاقتصادية العالمية التي تأثرت بها كل دول العالم ومنها اليمن على ترشيد النفقات وخفض الميزانية التشغيلية في كل الوزارات والمصالح والهيئات والجامعات مع الإبقاء على الأساسيات التي لها صلة بحياة موظفي الدولة وكذلك بالتنمية.

على الرغم من هذه الإجراءات التي أقدمت عليها الدولة من أجل معالجة الوضع الاقتصادي في البلد تأثرت بهذه الإجراءات مختلف الوزارات والمصالح والهيئات في الدولة إلا أن جامعة إب أبت إلا أن تحافظ على استمرار إصدار مجلة الباحث الجامعي وكذلك صحيفتها الشهرية رسالة الجامعة بحسب ما توفر لديها من إمكانيات متاحة إيماناً منها بأن الاستمرار بالقيام بمهامها العلمية ومنها المحافظة على استمرار صدور مطبوعاتها حتى تتمكن من التحليل بعمق للمتغيرات في الوطن وهي ذات الصلة بالتحولات المتسارعة التي تطبع عالمنا المعاصر ومنها الوقوف على الوضع

الاقتصادي وأسباب الأزمة الاقتصادية العالمية التي أصبحت تهدد الملايين بالتوقف عن العمل والإنتاج وهذا سيؤدي إلى تدني مستوى الحياة المعيشية للناس بشكل عام.

بهذا التوجه الصادق من قبل الجامعة ستتمكن من تحقيق ما تتطلع إليه ويتمثل هذا التوجه بوجود مخرجات جيدة ومتميزة بالكفاءات المتنوعة للإسهام بفعالية تنمية المجتمع في سبيل إحداث التغيير في البناء والتطور وبناء المستقبل المنشود.

احتوى العدد التاسع عشر من المجلة على العديد من الدراسات والأبحاث ذات الصلة بالدراسات الإسلامية وفي الأدب وفي مهام المكتبات أما الطلاب والمثقفين وغيرهم وكذلك في الجانب التربوي ، والعمارة التقليدية في مدينة إب ودور مصر في مناصرة الثورة اليمنية وغير ذلك من المواضيع الهامة التي تقرر نشرها في هذا العدد من المجلة. من الصعب التعرض لأهم ما ورد في كل دراسة تقرر نشرها في هذا العدد بل تم الاقتصار على بعض الدارسات التي تمت الموافقة على نشرها من قبل هيئة التحرير بعد إجازتها من قبل المحكمين للنشر في هذا العدد ولكنه ذات الصلة بالمتغيرات والمستجدات في الوقت الحاضر. لم يكن هذا الأمر للتقليل من الجهود التي بذلت في إعداد الدراسات من قبل بقية الزملاء ولكن المساحة المحددة لنا لإعداد الافتتاحية للمجلة لا تسمح لنا باستعراض أهم ما ورد في كل دراسة تقرر نشرها في هذا العدد.

من الدراسات التي نشرت في هذا العدد عن النماذج الإحصائية في تصحيح التوزيع العمري للسكان وإن نشر مثل هذه الدراسات ذات الصلة بالمسألة السكانية وعلاقة النمو السكاني السنوي بالموارد الاقتصادية المتاحة في المجلة تعتبر ذات أهمية في مجال التخطيط لتحقيق التنمية الشاملة التي يتطلع إليها جميع أبناء البلد وذلك على أسس واضحة. إن تصحيح التوزيع العمري للسكان وفي كل فئة عمرية يتصلبا التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت الذي أجري في ديسمبر 2004م يعتبر ذات أهمية باعتبار توزيع الفئات العمرية تلفها العديد من الأخطاء في تعداد العام نفسه للسكان يتم تنفيذه من قبل الدولة وسواءً كانت أخطاء معتمدة قد يمكن التحيز من قبل بعض من قبل رب الأسرة أو من يدلي با المعلومات لرقم معين أو تفضيل بعض الأعمار عند الإدلاء بالمعلومات للعدادين أو الإدلاء بالأرقام الزوجية أو الصفر. قد يمكن أن يتساءل المرء لماذا يتم هذا من قبل الذين يدلون بهذه المعلومات؟ نستطيع القول أن البعض عندما يدلي بهذه المعلومات المتحيزة من أجل تحقيق مزايا أدبية أو التجنب من التزامات معينة إزاء الدولة أو الآخرين. هذا الأمر يحدث عند إجراء أي تعداد سكاني تنفذها الدولة وكذلك أي تنفيذ تعداد سكاني. والمهم أن يقف

الباحثون على معرفة حجم الأخطاء ومعرفة طرق معالجتها إحصائيا من أجل التخفيف من آثارها على المخططين لمسار التنمية.

من المواضيع التي تم إقرار نشرها من قبل هيئة التحرير في هذا العدد من المجلة انتشار ظاهرة الرسوب التي يعاني منها الوسط التربوي ليس في جامعة إب وإنما في مختلف مراحل التعليم بالجمهورية اليمنية، أو إن هذه أصبحت المشكلة تأخذ أبعاداً متعددة اقتصادياً واجتماعياً وتعليمياً ونفسياً. وتنامي هذه الظاهرة بهذه الصورة أمر يترتب عليه الكثير من السلبيات إذ تقلق الدولة والمجتمع وتهدر الأموال الطائلة التي تخصصها الدولة على التعليم من ميزانيتها ولابد من مواجهتها والعمل على التخفيف من حدوثها حتى لا تصبح هذه الظاهرة كابوساً يرعب الطالب بأي مرحلة من مراحل التعليم وخاصة بالجامعة إذ يشعر بالضعف والهوان أمام التحديات التي يواجهها يومياً في حياته مما يؤثر على قدراته في سبيل مواجهتها وحينئذ يكون الإحباط أواليأس قد تسبب في أزمة نفسية لديه يصعب معالجتها.

تحاول الدراسة الوقوف على الأسباب لهذه الظاهرة التي تتفشى من سنة إلى أخرى وتقترح الوسائل التي تساعد القائمين على العملية التربوية في التغلب على هذه الظاهرة والحد من انتشارها التي تتسع من سنة إلى أخرى.

من الدراسات أيضاَ التي تم نشرها في هذا العدد مدى تأثير انخفاض أسعار البترول العالمية على الاقتصاد الأردني . من دون شك أن اليمن متأثرة بدرجة كبيرة بانخفاض الأسعار للبترول وتأثيره على مختلف جوانب الحياة ونشر هذه الدراسة في مجلة الجامعة سيكون لها فائدة لكي نستفيد من تجارب الآخرين في معالجة مثل هذه الظواهر الاقتصادية وأثرها على مسار التنمية وعلى حياة الناس المعيشية.

تركز الدراسة على بيان الكيفية التي أثرت بها أسعار البترول العالمية على الاقتصاد الأردني وعمد الباحث إلى قياس أثر التغيرات السعرية على بعض المتغيرات الاقتصادية الكلية كما حاول إلى قياس الكيفية التي تمر بها التغيرات السعرية للبترول على المستهلك النهائي لبعض المشتقات البترولية في المملكة الأردنية الهاشمية مثل: البنزين و الديزل وكيفية مواجهتها. إن هذه الدراسة قد تشكل للحكومة الأردنية واليمنية بحكم التشابه في الوضع الاقتصادي دليلاً إرشادياً للوقوف على أثر التغيرات في الأسعار الدولية على البترول وعلى الاقتصاد بشكل عام وعلى متطلبات التنمية.

إن نشر هذه الدراسة في مجلة الجامعة يعطي المتخصصين حافزاً قوياً في مجال الاقتصاد لإعداد الدراسات الجادة عن تأثير انخفاض البترول على برامج التنمية وتسيير شئون الدولة اليومية في مختلف أجهزتها وكذلك رؤية الدولة لمعالجة هذه الأزمة من حيث تحديد مدى شجاعة الإجراءات التي تتبعها بمعنى هل تسير في الاتجاه الصحيح هذه الرؤية أو المعالجة التي اتخذتها الدولة أم أنها تعالج الأمر بنوع من الارتجالية أو ردود الفعل.

أتمنى لأعضاء هيئة التدريس بجامعة إب أن يتجهوا بإعداد أبحاثهم نحو المتغيرات المتسارعة في الواقع سواءً كانت هذه المتغيرات تخدم التنمية و تسهم تحسين مستوى المعيشة للمواطنين أم أن هناك عقبات وصعوبات تواجهها الدولة لتحقيق ما تتطلع إليه وخاصة في ظل وجود الأزمة الاقتصادية العالمية.أملي أن يكونوا أكثر اقتداراً على تشخيص الواقع من خلال الدراسات الميدانية لمختلف الظواهر حتى تتمكن الدولة من الوقوف على أبعاد المشاكل التي تحدث يومياً والأسباب الدافعة لها والاستفادة من التوصيات والنتائج التي تتوصل إليها الأبحاث والدراسات العلمية الجادة.

المحـــتويات

م	اسم البحث	الباحث	رقم الصفحات
1	الإســرائيليات المحكية في القرآن الكريم دراسة تحليلية للمقالات الإسرائيلية التي حكاها القرآن وكذبها	د/ يحيى محمد عامر راشد	1- 32
2	الفهـــارس الحـــديثية دراسة وصفية تحليلية	د/ سمير محمد عبيد	33-56
3	دلالة بعض أسماء المواضع والبلدان اليمنية	د / عبد الله محمد سعيد عبد الله	57-70
4	في حضرة الشعر والشهادة تلقي الزبيري في كتابات البردوني و المقالح النقدية	أ . د/ علي حـــداد	71-98
5	التناص مع الشخصية التراثية في شعر البردوني	د/علاء الدين إبراهيم المعاضيدي	99-122
6	الإمام النورسي و وحدة الأمة الإسلامية " قراءة تاريخية"	د/ ليث سعود جاسم د/ إيمان محمد عباس	123 -140
7	بلاغة الخـروج عن مقتضى ظاهر الفصل أو الوصل في التعبير القرآني دراسة تحليلية	أ/ خالد محمد علي عون المشرقي	141-172
8	أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني على كل من التحصيل، و الاحتفاظ بالتعلم في مادة العلوم لدى طلبة الصف الثامن من المرحلة الأساسية بمديرية النادرة - محافظة إب	د/ محمد فائز محمد عادل	173-200
9	أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته لدى طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا (دراسة استطلاعية)	د/ عبد العزيز مهيوب الوحش	201-234
10	النماذج الإحصائية في تصحيح التوزيع العمري لسكان اليمن	د / عبد الحكيم المنصوب	235-246
11	دور مصـــر في الثورة اليمنية 1962-1967م دراسة تاريخية	د/ عبد الوهاب آدم العقاب	247-262
12	استخدام مخطط السبب – الأثر في تحليل أسباب ارتفاع نسبة الرسوب في الجامعة	فواز أحمد أحمد النظاري	263-290
13	العمارة التقليدية في مدينة إب القديمة وتلاؤمها مع البيئة المحيطة	د/ محمد أحمد حسن الحدأ	291-308
14	تأثير أسعار البترول على النمو الاقتصادي في الأردن	د/ إياد عبد الفتاح النسور	309-329

قواعد وإجراءات النشر

ترحب مجلة الباحث الجامعي بنشر البحوث المتميزة ، الجديدة والمبتكرة في أي حقل من حقول المعرفة ذات الصلة بالعلوم الإنسانية والتطبيقية وتقبل البحوث باللغتين العربية والإنجليزية ، على أن يلتزم الباحثون بالشروط والقواعد الآتية :

أولاً : يقدم البحث إلى المجلة مطبوعاً على جهاز الحاسوب ، حجم الخط (13) ببرنامج Microsoft word 2007 وبحجم 17 × 24 سم ، ولا يزيد عن ثلاثين صفحة بواقع (7500) كلمة ، على أن ترسل ثلاث نسخ ورقية من البحث ونسخة على قرص CD .

ثانياً : يرفق مع البحث ملخص باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية مع ترجمة عنوان البحث على ألا تزيد كلمات الملخص عن 150 كلمة وتكتب بعده الكلمات الدالة للبحث (key words) وكذلك إرفاق السيرة الذاتية للباحث وعنوانه ورتبته العلمية والوظائف التي يتقلدها إن وجدت .

ثالثاً : يعد البحث المقدم إلى المجلة مقبولاً للنشر إذا توافرت فيه الشروط الآتية :

1) اعتماد الأصول العلمية والقواعد المنهجية في إعداد البحث العلمي من حيث تحديد مشكلة البحث وأهدافه وأهميته وأدواته والمنهج العلمي المتبع في معالجة المشكلة ، ولا يمكن قبول البحث بدون هذه الأصول .

2) إتباع الطرق العلمية الصحيحة في توثيق المصادر والمراجع والهوامش والجداول والأشكال على النحو الآتي :

أ. يشار إلى المصادر في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين صغيرين إلى الأعلى هكذا : [1] ، [2] وتبرز بالتفصيل في قائمة الهوامش بآخر البحث .

ب. إعداد قائمة بالمصادر والمراجع مرتبة ترتيباً هجائياً بحسب اسم الشهرة سواء كان الكتاب أم اسم صاحبه .

ج. تدرج الجداول والأشكال على التوالي حسب ورودها في المتن ، تزود بعناوين على أن يشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه في متن البحث وتوضع بأوراق منفصلة آخر البحث .

رابعاً : تحال البحوث المقدمة إلى المجلة إلى أساتذة مختصين من ذوي الدرجات العليا (أستاذ ، أستاذ مشارك) للتحكيم العلمي على نحو سري .

خامساً : البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها ، تعاد إلى أصحابها للأخذ بالملاحظات ، ثم تعاد مرة أخرى إلى المحكمين للنظر في مدى التزام الباحث بإجراء التعديلات اللازمة وإقراره للنشر .

سادساً : البحوث تعبر عن أراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة .

سابعاً : يدفع الباحث أجور تحكيم البحث المقدم إلى المجلة بواقع (6000) ستة آلاف ريال للباحثين وأعضاء هيئة التدريس من الجامعات والمؤسسات البحثية اليمنية ، ومبلغ (4000) أربعة آلاف ريال للباحثين وأعضاء هيئة التدريس العاملين في جامعة إب كما يدفع الباحث من خارج الجمهورية اليمنية مبلغ 50 دولاراً أمريكياً أو مبلغ (10000)عشرة آلاف ريال يمني ، وهذه الرسوم لمواجهة أجور التحكيم والمراسلات .

ثامناً : المجلة غير ملزمة بإعادة البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر ، وكذلك الرسوم المدفوعة .

تاسعاً : تحتفظ هيئة تحرير المجلة بحقها في عدم نشر أي بحث دون إبداء الأسباب وتعد قراراتها نهائية ، كما تنتقل جميع حقوق الملكية المتعلقة بالبحث إلى الإدارة العامة للبحث العلمي في جامعة إب .

تاسعاً : ترسل البحوث على العنوان الآتي :

الجمهورية اليمنية - جامعة إب – ص.ب (70270) – مجلة الباحث الجامعي

أو على البريد الإلكتروني للمجلة magltalbaheth@gmail.com

الإســـرائيليات المحكية في القرآن الكريم

دراسة تحليلية للمقالات الإسرائيلية التي حكاها القرآن وكذبها

د/ يحيى محمد عامر راشد
أستاذ التفسير والعقيدة الإسلامية المشارك – جامعة إب

الملخص :

لقد استهدف البحث عبر المنهج التحليلي التأصيل لهمجية الفكر الإسرائيلي وخرافيته، وإثبات ذلك من خلال استعراض المقالات الإسرائيلية التي حكاها الله عنهم في القرآن وكذبها وذلك على سبيل المثال لا الحصر. فقد كانت في جملتها بمثابة أدلة قطعية على همجية وخرافية الفكر الإسرائيلي، ابتداءً بمقالاتهم المتعلقة بالتطاول على الله والإساءة إليه وسوء الأدب معه، ومن ذلك وصفه بالبخل والفقر وغيرهما، مروراً بمقالات التأليه لعزير وعيسى - عليه السلام - والاعتقاد بأنهم أبناء الله وأن نسبهم يتصل عنصرياً بالذات الإلهية، واستباحة الأخر استباحة شاملة لما له ودينه وعرضه وأرضه..الخ، وربط الهداية باليهودية والنصرانية واعتبار ما سواهما أدياناً باطلة، مع الزعم بأن إبراهيم ومن بعده من أنبيائهم – عليهم السلام – كانوا من أتباعهما، وانتهاءً بالادعاء أن الجنة حق لهم لا يدخلها سواهم، وأن ذنوبهم مغفورة ، وأنهم لا يدخلون النار إلا أياماً معدودة، مهما ارتكبوا من الجرائم، ومهما اقترفوا من الآثام، لأن الله - كما يزعمون - قد وعدهم بذلك.

مقدمـة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد فقد ذكر القرآن الكريم كثيراً من أقوال اليهود والنصارى الكاذبة على سبيل الحكاية، ورد عليها وكذبها. والهدف من ذلك فيما يبدو ليس – فقط – التعريف بطبيعة الشخصية الإسرائيلية وفضحها والتشهير بها والتشنيع عليها، ولا التحذير من الوقوع فيما وقعت فيه، ولكن بالإضافة إلى ذلك فإن ذكرها يقع في إطار منهج سلوكي وتربوي عام رسمه الله للمسلمين وأمرهم بانتهاجه وفيه الموقف من الفكر الإسرائيلي على سبيل التحذير من الانزلاق الى هوَّة تصديقه، وهاوية الركون إليه فإنه مبني على الخرافة، ومؤسس على الزعم الباطل، وقائم على الادعاء الكاذب، في إشارة إلى أن شأنه في ذلك شأن هذه المقالات التي حكاها الله عنهم في القرآن على سبيل المثال ليقاس عليها غيرها، ويرد إليها بقيتها تأصيلاً لهمجية هذا الفكر وخرافيته ولا واقعيته.

وقد كان هذا هو موقف السلف الصالح من الإسرائيليات(خ)..وهو ما أكده الرسول ﷺ بقوله:" لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم وقولوا: أمنا بالله وما أنزل إلينا "(ب) الآية. وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب فقال: "أمتهوكون(ت) فيها يا ابن

الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية. لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني "[يز].

وقبل الشروع في استعراض هذه المقالات التي حكاها القرآن عن اليهود والنصارى لابد من التعريف بموضوع البحث المركب من كلمتي (الإسرائيليات، والمحكية) ليكون مدخلاً تصورياً للبحث.

فالمقصود بالإسرائيليات: ما حكاه القرآن من أقوال اليهود والنصارى وإن كان لفظه يدل على حصره فيما قاله اليهود إلا أنه قد تُوُسّعَ في استعماله حتى صار يطلق على الروايات التي تروى عن اليهود والنصارى في تفسير القرآن، وذلك من باب التغليب لما روي عن اليهود لكثرته على ما روي عن النصارى لقلته[سم].

وكذلك الحال في مقالاتهم التي حكاها القرآن، فما حكاه منها عن اليهود أكثر مما حكاه منها عن النصارى.

والمقصود بالمحكية: الأقوال التي حكاها الله عن اليهود والنصارى في القرآن. والمحكيٌّ في القرآن بصفة عامة: هو "كلام العباد حكاه الله بمعناه لا بلفظه، فالعبارة القرآنية هي كلام الله والمعاني هي معاني كلام من حكاه عنه "[شم]، وبهذا يتضح أن المقصود (بالإسرائيليات المحكية في القرآن) كمركب وصفي: مجموع المقالات اليهودية والنصرانية التي حكاها القرآن وكذبها، والتي سوف نستعرضها في بحثنا هذا إنشاء الله تعالى.

المبحث الأول

إسرائيليات في التطاول على الله

فقد حكى الله عن اليهود مقالتين[لم] من هذه المقالات الإسرائيلية التي تتعلق بالتطاول على الله والقحة وسوء الأدب معه سبحانه وتعالى وذلك على سبيل المثال مؤصلاً بذلك لثقافة التطاول على الله لدى اليهود التي عرفوا بها بين الأمم والشعوب وتعج بها كتبهم المقدسة وغير المقدسة.

المقالة الأولى . قولهم : (يد الله مغلولة) أي أن الله بخيل.

وقد حكى الله هذه المقالة الإسرائيلية عن اليهود في قوله:﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[□].

فهذه هي المقالة الإسرائيلية التي وصفوا الله فيها بالبخل، مقالة القبح والفحش والزور والبهتان: (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ). إنه تعبيرٌ حسَّي عن البخل وتصويرٌ مادي له وكناية عنه[□] يزيد من بشاعة هذه المقالة وقبحها، حيث لم يكتفوا بوصف الله بالبخل وصفاً مجرداً؛ بل عمدوا إلى تصويره بأقبح صورة وأبشع تصوير بمن قيدت يده إلى عنقه فلا "يقدر أن يبسطها بعطاء ولا بذل معروف" [لخ] تجسيداً لصفة البخل التي وصفوا الله بها وترسيخاً لها في ذهن المخاطب وعقله ومبالغةً في التعريف بذلك البخل الذي وصفوا الله به ونسبوه إليه ومدى قبحه وبشاعته وتمكنه منه سبحانه وتعالى، وكأنهم يريدون أن يقولوا: إن الله – سبحانه وتعالى – بخيل بخلاً لا مثيل له. وهذا يدل على حقيقة إرادتهم وصدق رغبتهم وشدة حرصهم على إلصاق هذه الصفة بالله سبحانه وتعالى.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة:

وقد رد الله على هذه المقالة وكذبها عقب ذكرها مباشرة فقال:﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾(خ خ) وهو تكذيب فعليٌّ أتى في أربع صور متوالية، كل صورة منها أقوى في دلالتها على التكذيب من التي قبلها بشكل متصاعد وبطريقة دلالية مزدوجة في النفي والإثبات، نفي البخل عن الله وإثباته لليهود، ونفي الكرم عنهم وإثباته لله.

الصورة الأولى: (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ).

وهي القضاء على اليهود بالبخل وطبعهم به وختمهم بخاتمه ، أي : " خلق الشح في قلوبهم والقبض في أيديهم " (ير خ) كما قال الألوسي، وقال الواحدي : "جعلوا بخلاء وألزموا البخل" (تر خ) ويقوي هذا المعنى كما يقول الشوكاني : " أن البخل قد لزم اليهود لزوم الظل للشمس فلا ترى يهودياً وإن كان ماله في غاية الكثرة إلا وهو من أبخل خلق الله " (ير خ).

فهذا "ما وقع لهم" (سم خ)، وصار حالهم وما زال وسيضل، وذلك على قاعدة (الجزاء من جنس العمل) وهو حقيقة واقعية قضى الله بها على اليهود، وقررها القرآن بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾(شم خ) والنقير: الحفرة في ظهر النواة(لم خ)، وهو كناية عن شدة البخل.

الصورة الثانية:(وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا)، وهي الطرد والإبعاد من رحمة الله.

وهي أقوى في تكذيب تلك المقالة من الصورة الأولى:(غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ)، فإن إبعاد أصحاب تلك المقالة وطردهم من رحمة الله أقوى - بلاشك - في تكذيبها من القضاء على أصحابها بالبخل وطبعهم به وإن كانتا سواءً من حيث إنهما عقوبتان عاقب الله بهما اليهود على مقالتهم تلك.

الصورة الثالثة: (بل يداه مبسوطتان)، وهي بسط اليدين المنافي لغلهما، وهذه الصورة أبلغ وأقوى في تكذيب تلك المقالة من الصورة التي قبلها:(ولعنوا بما قالوا)، فإن التكذيب في هذه الصورة منطوق به في شكل صورة مغايرة لصورة المقالة، أما في الصورة التي قبلها فإن التكذيب مفهوم منها.

ومما لا شك فيه أن المنطوق أقوى دلالةً من المفهوم كما هو مقرر في أصول الفقه وقواعد الاستنباط(□ خ).

ويزيد من تكذيب تلك المقالة في هذه الصورة تثنية اليد فيها في مقابل ورودها مفردة في المقالة، وذلك كما يقول النسفي: "ليكون رفض قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء [لله] ونفي البخل عنه، فغاية ما يبذله السخي أن يعطي بيديه"(□ خ).

الصورة الرابعة: (يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)، وهي الإنفاق المنافي للإمساك والبخل، وهي أقوى في تكذيب تلك المقالة من التي قبلها: (بل يداه مبسوطتان).

فالأولى مصورة لطبيعة سخاء الله وعطائه المكذبة لمقالة وصفه بالبخل، والثانية مصرحة بسخائه وإنفاقه المكذب لتلك المقالة.

فالأولى مكنية عن التكذيب المفهوم من التكنية عن السخاء والعطاء في قوله: (بل يداه مبسوطتان).

والثانية مصرحة بالتكذيب المفهوم من التصريح بالإنفاق والسخاء في قوله: (ينفق كيف يشاء).

وما هو صريح في التكذيب أقوى - بلا شك – مما هو كناية عنه.

وهناك الكثير من الآيات التي تكذب هذه المقالة، وتؤكد سعة إنفاق الله وكرمه مثل قوله تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(إبراهيم: 34).

المقالة الثانية. قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

وقد حكى الله هذه المقالة الإسرائيلية عن اليهود أيضاً في قوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ...﴾(آل عمران: 181).

هذه هي المقالة الإسرائيلية التي وصفوا الله فيها بالفقر: (إن الله فقير ونحن أغنياء). إنها مقالة السوء والقبح والافتراء والبهتان، والمتأمل فيها يجد وراءها إرادة غريبة ورغبة عجيبة وإصراراً قوياً وحرصاً شديداً على إثبات هذه الصفة وإلصاقها به – سبحانه وتعالى - ويبدو ذلك من ناحيتين:

الأولى: من ناحية تأكيد هذه المقالة بـ (إنَّ)، وذلك لغاية يرجون بلوغها، وهدف يرومون تحقيقه وهو حمل الناس على تصديقهم فيما ذهبوا إليه من الافتراء على الله والإساءة إليه حيث لم يكتفوا بقصر هذا الافتراء والقحة وسوء الأدب مع الله وثقافة التطاول عليه والإساءة إليه على أنفسهم؛ بل راحوا يدعون غيرهم إلى اعتقادها والتصديق بها، وذلك من خلال تأكيد تلك المقالة، لأن الخبر لا يلقى مؤكداً إلا إذا كان المخاطب متردداً في الحكم أو منكراً له(عبد الرحمن حبنكة الميداني، 1979، ص 353). وفي هذا إشارة إلى رغبتهم في نشر هذه الثقافة وتعميمها على الأخرين، وهذا بدوره يدل على مدى رغبتهم وإصرارهم على إلصاق هذه الصفة بالله سبحانه وتعالى.

الثانية: من ناحية وصف أنفسهم بالغنى في مقابل وصف الله بالفقر على شكل مقارنة ومفاضلة مؤكدين بهذه المفاضلة فقر الله وغناهم، وذلك في إشارة إلى أنهم أفضل من الله، مما يزيد هذه المقالة الإسرائيلية قبحاً وبشاعة تجاوزت حدود البدهيات العقلية والمسلمات المنطقية المتعارف عليها بين جميع أبناء البشرية، وذلك في الموقف من الإله وإن كان صنماً لا يضر ولا ينفع، موقف التنزيه، والتقديس والإعظام والإجلال المجمع عليه في كل الأديان.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة.

ولهذا لم يرد الله عليها بالنفي وإثبات العكس كما فعل في المقالة السابقة (وصف الله بالبخل)، حيث قال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، وإنما رد عليها بطريقة أخرى تتناسب مع بشاعة مقام المنادَّة، وشناعة مقال المحادَّة المفهومين من تلك المفاضلة، رد عليها بتوعد أصحابها بالعذاب، وهو رد في غاية البلاغة والفصاحة والإبانة، فقد تضمن دحضاً لافترائهم، وتوضيحاً لمدى قبحه وبشاعته، وتبييناً للجزاء الذي يستحقه أصحابه، نافياً بذلك ما وصفوه به من الفقر، وما وصفوا به أنفسهم من الغنى، ومثبتاً الحول والطول له وحده، فقال عقب ذكره لتلك المقالة مباشرة: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾(آل عمران: 181).

فهذا هو الرد على تلك الفرية (ذوقوا عذاب الحريق)، فقد تضمن على قصر عبارته وقلة كلماته كل ما ذكرنا من معانٍ ودلالات. فالتوعد بالعذاب ليس فقط دليلاً على افترائهم وإنما أيضاً على قبح تلك الفرية وشناعتها وبشاعتها، وبالتالي على تنزه الله عنها واتصافه بنقيضها.

وهناك الكثير من الآيات التي تؤكد غنى الله وفقر من سواه، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥ ب).

التطاول على الله لدى اليهود عقيدة وثقافة:

إن إرادة التطاول على الله ورغبة التجرؤ عليه ومشيئة الإساءة إليه التي انطوت عليها تلك المقالات، ووقفت وراءها وكشفتها طبيعة سياق الآيات التي وردت بها على النحو الذي أوضحناه لتدل على أن تلك المقالات التي قالها اليهود ليست مجرد مقالات عابرة زلت بها لسان أحدهم من غير قصد ولا إرادة، وإنما هي مقالات تمثل عقيدة أمة، وثقافة شعب استظهرها أحد أبنائها(٣٠ ب) المتشبعين بها عن سابق علم واعتقاد وقصدٍ وإصرار، ولهذا نسبها الله إليهم جميعاً فقال: (وقالت اليهود...) كما في المقالة الأولى، وقال في المقالة الثانية: (لقد سمع الله قول الذين قالوا...) بصيغة الجمع، ويدل على ذلك أمران: عدم إنكارهم له، ورضاهم به كما يقول أبو السعود عن المقالة الأولى (يد الله مغلولة) : "وحيث لم ينكر عليه الأخرون ورضوا به نسبت تلك (الفرية) العظيمة إلى الكل" (٢٨ ب)، ويقول الألوسي: "ولا يبعد من قوم قالوا لموسى - عليه السلام - (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة)، وعبدوا العجل أن يعتقدوا اتصاف الله بالبخل ويقولوا ما قالوا، وقال أبو القاسم البلخي: يجوز أن يكون اليهود قالوا قولاً، واعتقدوا مذهباً يؤدي معناه إلى أن الله عز شأنه يبخل..." (١٢ ب).

وكما يقول ابن عاشور عن المقالة الثانية (إن الله فقير ونحن أغنياء) مسبباً نسبة (قتل الأنبياء) إلى اليهود الذين قالوا هذه المقالة والذي يفيده عطف (قتل الأنبياء) على (ما قالوا) في قوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ ...﴾، مع أنهم لم يقتلوهم وإنما قتلهم أسلافهم: " ليدل على أن هذه شنشنة(١ ب) قديمة فيهم، وهي الاجتراء على الله ورسله"(١ ب)، ويقول الطبري معللاً ذلك "كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الأنبياء وكانوا منهم وعلى منهاجهم من استحلال ذلك واستجازته، فأضاف جل ثناؤه فعل ما فعله من كانوا على منهاجه وطريقته إلى جميعهم إذ كانوا أهل ملة واحدة ونحلة واحدة وبالرضى من جميعهم فعل ما فعل فاعلُ ذلك منهم" (٤ ت).

وبهذا يتضح أن التطاول على الله والتجرؤ عليه والإساءة إليه عقيدة يعتقدها اليهود، ودين يدينون به وثقافة ينتمون إليها. فالإله عند اليهود وفي كتبهم المقدسة على صورة الإنسان(٤ ت)، يصاب بالحمى وتصعد من رجليه(١٥ ت)، ويبكي وتهطل دموعه في البحر(٥ ت)، ويصارع يعقوب ويُصرع، ويحارب ويهزم(١٥ ت)، ويتصرف ويندم، ويحزن ويتأسف(٣٠ ت). وهو وحش ضارٍ(٢٨ ت)، يسكن في الضباب(١٢ ت) والأعاصير(١ ت)، وفي جبل صهيون وأورشليم(١ ت)، ويركب ويطير وينزل على أجنحة الريح(٤ ب)، وينام ويستيقظ(٤ ب).

وهو خداع غشاش يضل الناس ويقسي قلوبهم(بر بر)، ويضحك ويقهقه(بر بر)، ويرقص مع حواء(بر بر)، ويلعب مع ملك الأسماك(سم بر)، ولوع بالخمر(شم بر)،أكول نهوم(لم بر).

وغير ذلك مما تشمئز منه نفوس الموحدين، ويندى له الجبين، وتقشعر منه جلود المؤمنين.

المبحث الثاني

إسرائيليات في عزير وعيسى

فقد حكى الله فيهما مقالتين إسرائيليتين ،إحداهما عن اليهود في عزير والأخرى عن النصارى في عيسى -عليه السلام-، وكلتاهما تنصبان في التطاول على الله والتجرؤ عليه والإساءة إليه.

المقالة الأولى . قول اليهود: (عزير ابن الله).

وقد حكى الله هذه المقالة عن اليهود في قوله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ...﴾(□ بر).

فهذه هي المقالة الإسرائيلية التي قالها اليهود في عزير، وصار عزير بها ابناً لله وندّاً له ومعبوداً من دونه(□ بر)، ثم صارت عقيدة يهودية.

وبغض النظر عن الأسباب التي تقف وراء هذه المقالة على اختلاف الروايات التي أوردها المفسرون(لخ سم)، وعلاوة على أنها تجرؤ على الله وإساءة إليه فإنها تعد تعبيراً فاضحاً عن الروح العنصرية والنزعة الفوقية وغريزة التعالي التي تنطوي عليها نفوس اليهود، ويحسون بها تجاه الأخر، ويعتقدونها فيه، ويمارسونها ضده سراً وعلانية.

لقد أرادوا بهذه المقالة أن يقولوا للناس: لسنا مثلكم؛ بل نحن فوقكم وأفضل منكم، وهذا ما كان بالفعل.

فقد كانت هذه المقالة بمثابة المقدمة لذلك، وصارت فيما بعد عقيدة صدع بها اليهود وصاغوها في كثير من أقوالهم التي تحتويها كتبهم المقدسة وغير المقدسة. وقد ذكر القرآن - على سبيل المثال - بعضاً من هذه المقالات العنصرية التي تولدت عن هذه المقالة وترتبت عليها مثل قولهم:﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾(لخ سم) أي أن عنصرهم إلهي وليس إنسانياً، وأن نسبهم يتصل بالذات الإلهية، وأن ما سواهم من نسل البغال والحمير وبمثابة الكلاب والحيوانات، وإنما جعلوا في صورة بني آدم ليكونوا لائقين بخدمة اليهود(بر سم)، كما سنبين ذلك في المبحث التالي إن شاء الله.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة.

وقد رد الله على هذه المقالة وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة فقال:﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(بر سم).

فقد أشارت الآية إلى تكذيب تلك المقالة من عدة وجوه:

الأول: من حيث بيان مدى قبح هذه المقالة ودرجة إساءتها إلى الله.

فقد بينت الآية أن هذه المقالة الإسرائيلية قد توغلت في الإساءة إلى الله إلى حد بعيد، وبلغت في القبح درجة

أبعد، وذلك من خلال الإشارة إليها باسم الإشارة (ذلك) في قوله: (ذلك قولهم) فإن اللام فيه للبعد كما هو معلوم عند النحاة وغيرهم أي: أنها تدل على بعد المشار إليه سواء كان بعد مكان أو بعد مكانة، والمشار إليه هنا في الآية: المقالة (عزير ابن الله) والمقصود ببعدها الذي تدل عليه اللام: بعدها في درجة الإساءة إلى الله والتجرؤ عليه ، يقول أبو السعود: "(ذلك) إشارة إلى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار إليه في الشناعة والفظاعة" (برسم). في إشارة إلى كذب هذه المقالة.

الثاني: من حيث تفريغ المقالة من معناها التركيبي. المفهوم من قوله تعالى: ﴿ ذلك قولهم﴾ حيث اعتبر تلك المقالة المشار إليها مجرد قولٍ لا معنى له ولا فائدة، وإن كان القول يطلق - عند النحاة – "على ما هو مفيد من الكلام وغير مفيد.." (سمسم). إلا أنه هنا يتعين عدم فائدته للأسباب التالية:

1 - لوقوعه في سياق الذم والرد على تلك المقالة وتكذيبها، ولا يتحقق ذلك إلا بحمله على عدم فائدته على التعيين.

2 - لإسناده إلى الأفواه حيث قال: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، فإن ذكر الأفواه بعد القول ليس لبيان اختصاص الأفواه بالأقوال، بمعنى أن القول لا يكون إلا بالأفواه فإن ذلك معلوم(شمسم)، ولا داعي لذكره ولا فائدة منه، فدل ذلك على أن المعنى المقصود من ذكر الأفواه بعد القول إنما هو بيان عدم فائدة ذلك القول وأنه يقف عند حدود الفم ولا يتجاوزه إلى خارجه، إذ لا مصداقية له في الخارج شأنه في ذلك شأن الألفاظ والحروف المهملة التي تتردد في الفم ولا معنى لها في الخارج (لهسم).

3 - لتواتر القرائن الحالية والمقالية الداحضة لتلك المقالة والدالة على كذبها.

الثالث: من حيث عدم واقعيتها.

وهذا أيضاً مما يفيده ذكر الأفواه بعد القول في قوله: ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، فإن "المراد أنه قول لا يعدو الوجود في اللسان وليس له ما يحققه في الواقع، وهذا كناية عن كونه كاذباً"(□سم)، "وقال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه وتعالى لم يذكر قولاً مقروناً بذكر الأفواه والألسن إلا وكان قولاً زوراً لقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾(□سم)، وقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلا كَذِباً﴾(لخشم)، وقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾(لخشم)(برشم).

الرابع: من حيث خلفيتها الثقافية، وتبعيتها الدينية للكفار. والذي يشير إليها قوله تعالى: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾، فإن المضاهاة هي المشابهة كما يقول ابن عباس، والموافقة كما فسرها الحسن(ترشم)، والمحاكاة كما أشار إليها الطبري (يرشم).

ومعنى ﴿يضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ "أي يشابهون في قولهم هذا قول من تقدم من كفرتهم، أي إنما قالوه اتباعاً لهم" قاله أبو إسحاق(سمشم)، وقال الطبري : "معنى ذلك : يحاكون بقولهم أهل الأوثان

الذين قالوا: (اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) بنات الله" (شمشم)، وفي هذا إشارة إلى الخلفية الثقافية للمقالة، والتبعية الدينية للكفار يوحي بها الفعل (يضاهئون) فإن فيه دلالةً على أن فاعل المضاهاة هم القائلون وليس القول، حيث نسب المضاهاة إليهم ولم ينسبها إلى القول فقال (يضاهئون)، ولم يقل (يضاهئ) وهذا يدل على أن المضاهاة مقصودة لذاتها، وأنها ناشئة عن خلفية ثقافية وعلم مسبق بمقالة الكفار التي قلدوها، وعلى تأثرهم بها وانتهاجهم لها، ومتابعة أصحابها عليها. وليست زلة لسانية عابرة، وفي هذا تكذيب صريح لتلك المقالة.

الخامسة: من حيث معاقبة أصحابها.

فقد عاقب الله أصحاب هذه المقالة بالإبعاد والطرد من رحمته، وهذا ما يشير إليه قوله في أخر الآية: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، فإن المقصود بالقتل هنا (اللعن) قال ابن عباس: " قاتلهم الله لعنهم الله" (لهشم)، واللعن: الطرد من رحمة الله، وفي هذا أبلغ ردٍ على كذب تلك المقالة، فإن معاقبة أصحابها على هذا النحو لا يدل – فقط - على كذبها وإنما أيضاً على قبحها وبشاعتها.

بالإضافة إلى قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ...﴾ (□شم)الآية.

ففيه دلالة على أن عزيراً كان عبداً من عباد الله الصالحين، وليس ابناً لله، ولو كان ابناً لله ما مات لأن الله حي لا يموت، والابن من جنس أبيه.

المقالة الثانية. قول النصارى : (المسيح ابن الله).

وقد حكى الله هذه المقالة عن النصارى في قوله: ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾(□شم).

فهذه هي المقالة الإسرائيلية التي قالها النصارى في عيسى بن مريم، وصار بها عيسىﷺ ابناً لله وناداً له ومعبوداً من دونه(خ لم)، ثم صارت عقيدة للنصارى حتى يومنا هذا.

وهي تلتقي مع المقالة السابقة في بعدها العنصري، فإن كلتا المقالتين تعكسان روح العنصرية لدى الفريقين.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة.

وقد رد الله على هذه المقالة والتي قبلها ، وكذبهما على الفور عقب ذكرهما مباشرةً في الآية نفسها فقال : ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (خ لم)

فهذا هو الرد على كلتا المقالتين: مقالة اليهود (عزير ابن الله)، ومقالة النصارى (المسيح ابن الله)، وقد سبق استعراضه في مقالة اليهود في عزير بما يغني عن إعادته هنا.

ووحدة الرد هذا على المقالتين يوحي بوحدة موضوعهما، وهما كذلك بالفعل، فإن كلتا المقالتين تتعلقان بموضوع واحد هو (البنوة لله)، وهذا يعني أنه لا فرق بينهما من حيث الموضوع، ولكن الفرق يبدو من حيث الدافع والباعث، فإنه إذا جاز الالتباس على النصارى في (عدم بنوة عيسى لله)، حيث ولد لأم من غير أب فلا يجوز الالتباس على اليهود في (عدم بنوة عزير لله) فقد ولد من أب وأم وعاش بينهم حيث حتى

صار من علمائهم وأحبارهم، ثم لسبب ما[﴿ ﴾]، وبعد أن بلغ من العمر عتيا صيروه ابناً لله!!

وهذا يؤكد ما قلناه من أن الدافع لتلك المقالة التي قالها اليهود في عزير ليس الالتباس وإنما هو تبرير روح العنصرية والتعالي التي تنطوي عليها نفوسهم، ويحسون بها تجاه الآخرين إذ لا مبرر لذلك إلا أن يكون نسبهم متصلاً بالله، ولهذا قالوا: (عزير ابن الله)، فأوصلوا نسبهم بالله من طريقه، فبرروا بذلك عنصريتهم وقالوا: (نحن أبناء الله وأحباؤه وأولياؤه وشعبه المختار).

ولشناعة هاتين المقالتين، فقد أفاض القرآن في تكذيبهما والرد عليها باعتبار وحدتهما الموضوعية في كثير من الآيات من ذلك.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[﴿ ﴾].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً﴾[﴿ ﴾].

وقوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾[﴿ ﴾].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾[﴿ ﴾].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً . تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً .أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً . وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً.إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ وغير ذلك من الآيات التي يطول تتبعها.

المبحث الثالث

إسـرائيليـات في العنصريـة

فقد حكى الله فيها مقالة إسرائيلية مشتركة عن اليهود والنصارى، وهي قولهم: (نحن أبناء الله وأحباؤه). وقد حكى الله هذه المقالة في قوله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[﴿ ﴾].

فهذه هي المقالة الإسرائيلية العنصرية التي اشترك فيها اليهود والنصارى واجتمعوا عليها كما اجتمعوا واشتركوا في المقالة التي قبلها، مقالة (بنوة عزير وعيسى لله).

واجتماعهم هذا واشتراكهم في هاتين المقالتين يدل على أمرين:

الأول: وحدة العقيدة والطبيعة لكلا الفريقين.

أي وحدة العقيدة الشركية، والطبيعة العنصرية لليهود والنصارى.

الثاني: الوحدة الموضوعية لكلتا المقالتين.

فإن كلتيهما تصبان في موضوعٍ واحد هو (البنوة لله) ، بنوة (عزير وعيسى) كما في المقالة الأولى، وبنوة (اليهود والنصارى) كما في المقالة الثانية.

فالأولى هي الوسيلة، والثانية هي الغاية.

الأولى كانت بمثابة التبرير والتأصيل لعقيدتهم العنصرية التي أعربوا عنها في هذه المقالة، فقالوا: (نحن أبناء

الله وأحباؤه). وقولهم هذا استظهارٌ استفزازي للعنصرية واستعراض لها في أعلا درجاتها وأبشع صورها حكاه الله على سبيل المثال لا الحصر تأصيلاً للعقيدة العنصرية عند اليهود وبياناً للمدى الذي وصلت إليه، وإلا فكتبهم المقدسة(□ ب) وغيرها مليئة بالصور والمقالات العنصرية التي يندى لها جبين الإنسانية، وتشمئز منها النفوس الحية، وتمجها الطبائع البشرية، وتنفر منها الفطر السوية، من ذلك: قول الله لهم كما يزعمون: " أنا قلت: إنكم ألهة وبنو العلي كلكم" (□ ب). وقول الرباني مناشيم: "أنتم يا أبناء إسرائيل رجال، أما الأغيار [غير اليهود] فلا يمتون إلى الرجولة بنسب. نفوسكم متسلسلة من روح الله، أما نفوسهم فمنحدرة من الروح النجس" (□خ).

وفي التلمود : "إن نفوس اليهود منعم عليها بأن تكون جزءً من الله، فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه" (□خ). وفي سفر التثنية : "ولما كان الله قد حل فيهم، فهم شعب مقدس أفضل من جميع الشعوب، لأنك شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار إلهك لتكون شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض" (□ير). ويقول بولس حنا مسعد، يقول التلمود: "إن اليهود أحب إلى الله من الملائكة، فالذي يصفع اليهودي كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء، ولو لا اليهود لا متنعت البركة عن الأرض، وأنقطع المطر وانحجبت الشمس".

وأقبح مما ذكر تعليم التلمود الآتي:

"إن مدافن غير اليهود تثلج صدور أبناء إسرائيل، لأن اليهود وحدهم هم بشر، أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات".

إن غير اليهود كلاب عند اليهود حسب تعليم التلمود المستند إلى الآية السادسة عشر من الفصل الثاني عشر، من سفر الخروج، فقد جاء فيها: " أن الأعياد المقدسة وضعت لإسرائيل وليس للأغراب الكلاب".

والرباني موسى بن نشمان ردد هذه الفكرة قائلاً: " لكم وليس للنجسين، لكم وليس للكلاب وضعت أعياد مقدسة". ويقول (وابر بانيل): "الشعب المختار وحده يستحق الحياة الأبدية، أما الشعوب الباقية فمماثلة للحمير" (□ير).

وغير ذلك مما يثير الاشمئزاز ويبعث على الغثيان، وما هذا إلا غيض من فيض.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة.

فبالإضافة إلى الرد السابق في نفي البنوة لله مطلقاً الذي استعرضناه في المقالة السابقة، فقد رد الله على هذه المقالة وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة فقال: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (□ير).

فالآية قد تضمنت تكذيب هذه المقالة بطريقتين: الأولى: التكذيب بطريقة التلميح من خلال الاستفهام التقريري الذي يتعارض مضمونه مع دعوى (بنوتهم لله)، وذلك في قوله تعالى: ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ ؟، فإن مضمون هذا الاستفهام هو إقرار اليهود والنصارى بأن الله يعذبهم بذنوبهم، فكيف يكونون أبناءه

وأحباءه ؟! فإن هذا يتعارض مع دعوى أنهم أبناء الله وأحباؤه " لأن الابن من جنس أبيه، لا يصدر عنه ما يستحيل على الأب وهم يذنبون، والحبيب لا يعذب حبيبه وهم يعذبون، فهذا يدل على أنهم كاذبون في هذه الدعوى"(سمـ).

الثانية: بطريقة التصريح. بنفي بنوتهم لله المستفاد من معنى الإضراب في (بل)(شمـ)، وبالتصريح بأنهم بشر كغيرهم من الخلق، في إشارة إلى أنهم ليسوا أبناء الله، وأنهم كاذبون في هذه الدعوى، وذلك في قوله تعالى: (بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء). وبهذا التصريح تكون هذه المقالة العنصرية قد نسفت من أساسها وسقطت على أم رأسها وانقطعت أنفاسها. بالإضافة إلى الآيات السابقة التي أوردناها في أخر المقالة الثانية في المبحث الثاني في نفي (البنوة لله)(لهـ).

المبحث الرابع

إسرائيليات في الموقف من الأخر

فقد حكى الله عن اليهود والنصارى مقالة مشتركة من مقالاتهم التي تتعلق بمبدأ التعايش مع الآخر ومنهج التعامل معه والموقف منه، وهي قولهم : (ليس علينا في الأميين سبيل). أي لا إثم علينا فيما نفعله بالآخرين ولا مؤاخذة.

وقد حكاها الله عنهم في قوله: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾(□□)

والمقصود (بأهل الكتاب): اليهود والنصارى، فهو لفظ مشترك يتناولهما ويطلق عليهما، ويدل على ذلك ما روي عن عكرمة في تفسير الآية أنه قال: " المأمونون على الكثير[وهو القنطار] النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة، والخائنون في القليل [وهو الدينار] اليهود إذا الغالب عليهم الخيانة"(□□).

والمقصود بالأميين هنا: العرب(خـ)، وبقوله سبيل: أي عتاب وذم(خـ)، وحرج(يرـ)، وإثم(يرـ)، ومؤاخذة(يرـ).

فهذه هي المقالة الإسرائيلية التي أجملت موقف اليهود والنصارى من الأخر بكل مكوناته، ولخصت منهجهم في التعامل معه: (ليس علينا الأميين سبيل).

إنه موقف استباحة ومنهج استحلال شامل لكل ما يملكه الأخر من مقومات ومكونات إنسانية وثقافية واقتصادية وجغرافية واجتماعية وأخلاقية. يقول سيد قطب رحمة الله: "هذه بالذات صفة يهود، فهم الذين يقولون هذا القول، ويجعلون للأخلاق مقاييس متعددة، فالأمانة بين اليهودي واليهودي، أما غير اليهودي، ويسمونهم (الأميين)، وكانوا يعنون بهم العرب، فلا حرج على اليهودي في أكل أموالهم وغشهم وخداعهم والتدليس عليهم واستغلالهم بلا تحرجٍ من وسيلة خسيسة ولا فعل ذميم. ومن العجب أن يزعموا أن إلههم ودينهم أمرهم بهذا وهم يعلمون أن هذا كذب وأن الله لا يأمر بالفحشاء، ولا يبيح لجماعة من الناس أن يأكلوا أموال جماعة من الناس سحتاً وبهتاناً، ولا يرعوا معهم عهداً ولا ذمة، وأن

ينالوا منهم بلا تحرج ولا تذمم، ولكنها يهود التي اتخذت من عداوة البشرية والحقد عليها ديناً وديدنًا "(سم)، وهذه نتيجة طبيعية لتلك العقيدة العنصرية، فماذا ينتظر المجتمع الإنساني، وماذا يتوقع من شعب يعتقد أفراده أنهم أبناء الله لا يمتون للإنسانية بصلة، ولا تربطهم بهم رابطة، فهم – كما يزعمون - من عنصر إلهي علوي، وغيرهم من عنصر إنساني ؛ بل حيواني سفلي؟

لا شيء ينتظر منهم غير ذلك، فقد "روي أنهم قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه وجميع ما في الأرض ملك لأبينا وأولاد السيد يتصرفون في ملك أبيهم، وقيل إنهم قالوا: المال لنا وظلمنا فيه العرب، وقيل إنهم قالوا: إن الله أباح لنا مال من خالفنا ديننا وادعوا أن ذلك في التوراة " (شم). هذه الاستباحة عقيدة دينية وهوية ثقافية. إن هذه الاستباحة الشاملة للأخر ليست سلوكاً شاذاً أو موقفاً عارضاً لفرد من الأفراد أو جماعة من الجماعات أو جيل من الأجيال في عصر من العصور أو مرحلة من المراحل ؛ بل هي دين تدين به اليهود والنصارى وتأمر به كتبهم المقدسة ويحث عليه رجال الدين، وتتربى عليه الأجيال المتعاقبة، وتتميز به هويتهم الثقافية.

- فهذا عزرا يخاطبه إلههم قائلاً : "اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك، تحطمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزف تكسرهم" (لم).
- وتصرح التوراة بإعطائهم الحق في تملك ثروات البشر وهدم دولهم فتقول: "أما أنتم فتدعون كهنة الرب، تسمون خدّام إلهنا، تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتأمرون" (□□).
- ويقول التلمود: "إن الله أعطى اليهود كل قوة على خيرات الأمم ودمائهم... سيغضب الله على أبناء نوح [ما سوى اليهود]، ويسلم جميع ممتلكاتهم الى اليهود" (□□).
- وفي سفر يشوع يأمرهم إلههم بحرق المدن بأهلها بالنار، فيقول: "ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار، وكقول الرب تفعلون. أنظروا فقد أوصيتكم... وأحرقوا المدينة بالنار... واضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت" (خ خ خ).
- وفي سفر التثنية يعتبر حرق الأخر وإبادته بالنار إبادة كاملة (قربة) يشترطها إلههم لنزول رحمته بهم وعطائه لهم وزوال غضبه عنهم فيقول: " فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحمها [أي تبيدها] بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها، وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك. فتكون تلاّ إلى الأبد لا تبنى بعد... لكي يرجع الرب عن حمو غضبه، ويعطيك رحمة، يرحمك ويكثرك كما حلف لأبائك" (خ خ خ).
- وفي سفر التثنية أيضاً الربا حرام لا يجوز لليهودي أن يأخذه ولكن من يهودي مثله، أما الأجنبي فلا يقرض إلا بالربا حيث يقول: " لا تفرض أخاك برباً في فضة أو طعام أو شيء أخر مما يقرض بالربا ؛ بل الأجنبي إياه تقرض بالربا، وأخاك لا تقرضه بالربا" (بر خ خ).

- وفي التوراة الزنا محرم، ولكن مع اليهودية، أما مع امرأة أجنبية فمباح "قال موسى: لا تشته امرأة قريبك، ومن يرتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يستحق الموت" (تث ٢٢ خ).
- غير أن التلمود يحلله مع الأغراب، فيقول: "إن الزنا الذي يعنيه موسى هنا هو الذي يتم بين يهودي ويهودية، أما مضاجعة يهودي لغير يهودية فليس هو المعنى قطعاً" (تث ٢٢ خ)(سه ٤ خ).

ولهذا نرى اليهود والنصارى عبر التاريخ ضالعين في هذه الاستباحة الشاملة للأخر، وهذا ليس تحاملاً عليهم لا مبرر له؛ بل هو واقع نعيشه نحن العرب والمسلمين ومعنا الإنسانية عامة، ونحترق بنيرانه كل يوم في شتى بلداننا: في العراق، وفلسطين وهما الشاهد القديم الجديد على هذه الاستباحة (اليهو نصرانية، والصهيوصليبية)، وإحدى الصور التطبيقية الحية لها، بالإضافة إلى الصومال والسودان وأفغانستان.. وغيرها.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة.

وقد رد الله على هذه المقالة الاستباحية وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة، وبلفظ الكذب صراحة فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. بَلَى...﴾ (شه ٤ خ).

فهذا تكذيب صريح لهذه المقالة الهمجية يؤكده ما روي عن سعيد بن جبير أنه قال: لما قال أهل الكتاب: (ليس علينا في الأميين سبيل) قال النبي ﷺ: "كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر" (لم ٤ خ).

وقد أكد الله هذا التكذيب الصريح لهذه المقالة بأمرين:

الأول: بقوله: (وهم يعلمون)، فقوله هذا عقب قوله: (ويقولون على الله الكذب) زيادة في تأكيد كذب هذه المقالة، فإنه يدل على تعمدهم لذلك الكذب لسبق علمهم به، فقد كذبوا مع علمهم المسبق بأنهم كاذبون، وفي هذا إشارة أيضاً إلى بجاحة هذه الفرية ووقاحة أصحابها.

الثاني: بقوله: (بلى)، فإنه "إضراب إبطالي" (□ ٤ خ) لما قبله وهو قولهم: (ليس علينا في الأميين سبيل)، و "إيجاب لما نفوه، والمعنى: بلى عليهم في الأميين سبيل" (□ ٤ خ).

وهناك كثير من الآيات التي تكذب هذه المقالة سواء كانت خطاباً خاصّاً بهم أم خطاباً عامّاً، فمن الأول. قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ (م ٥ خ).

وقوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً . وَأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (ن ٤ خ).

ومن الثاني. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ (ز ٤ خ).

وقوله تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (ز ٤ خ).

وقوله تعالى ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ (ز ٤ خ).

بالإضافة إلى أن كل الشرائع السماوية والإنسانية بما فيها الإسلام تجمع على تكذيب هذه المقالة الشنيعة، وتحرم استباحة حقوق الإنسان أيّاً كان بغض النظر عن جنسه ولونه ودينه.

المبحث الخامس

إسرائيليات في اليهودية والنصرنية

فقد حكى الله فيهما مقالتين إسرائيليتين مشتركتين عن اليهود والنصارى:

المقالة الأولى: في قصر الهداية عليهما. أي على اليهودية والنصرانية حيث قالوا مخاطبين محمداً ﷺ وأصحابه(سمـ خ خ): (كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا).

وقد حكى الله هذه المقالة في قوله: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾(شمـ خ خ).

وقولهم هذا "ليس مقولاً لكلهم أو لأي طائفة كانت من الطائفتين؛ بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنياً عن التصريح به، أي قالت اليهود: كونوا هوداً وقالت النصارى: كونوا نصارى..." (لـ خ خ)، لأن (أو) " للتنويع والمعنى: مقالتهم أحد هذين القولين: قالت اليهود كونوا هوداً، وقالت النصارى كونوا نصارى"(□ خ خ)، "فدعت كل فرقة إلى ما هي عليه" (□ خ خ).

ولوحدة الملتين(خ بر خ) وهدف المقالتين(خ بر خ) جمع الله بينهما واعتبرهما كالمقالة الواحدة، إذا صحت إحداهما صحت الآخرى، وإذا تحققت التبعية لأحد الفريقين تحققت للفريق الأخر فقال: (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا).

فهذه هي المقالة الإسرائيلية المشتركة التي ادعت اليهود والنصارى فيها "أن الهداية بيدها والخير مقصورٌ عليها" (بر بر خ)، والتي بها " حصروا الهدى في اليهودية والنصرانية، أي كل فريق حصر الهدى في دينه. ووجه الحصر حاصل من جزم (تهتدوا) في جواب الأمر فإنه على تقدير شرط، فيفيد مفهوم الشرط أن من لم يكن يهودياً لا يراه اليهود مهتدياً، ومن لم يكن نصرانياً لا يراه النصارى مهتديا"(تر بر خ).

وفي هذا القصر والحصر للهداية : على اليهودية والنصرانية تصريحٌ بأن ما سوى اليهود والنصارى على باطل وفي ظلال(بر بر خ)، وهذا كما يقول أبو السعود: "فنٌّ أخر من فنون كفرهم وهو إضلالهم لغيرهم إثر ضلالهم في أنفسهم" (سمـ بر خ)، ونوع من أنواع الإرهاب الفكري(شمـ بر خ) الذي ما فتئوا يمارسونه قديماً وحديثاً ضد الأخر ضمن حرب شاملة تشنها (اليهونصرانية) و(الصهيوصليبية) على الإسلام والمسلمين بهدف الصد عن الإسلام والتصدي له وإيقاف زحفه المتنامي في العالم الذي يشهد إقبالاً متزايداً على الإسلام وتزايداً مطرداً في أعداد الداخلين فيه، تؤكده الدراسات والإحصائيات التي ترصد حركة الإسلام في العالم(لـ بر خ)، كما يهدف إلى صرف المسلمين عن دينهم بتشكيكهم فيه، ونزع ثقتهم به من خلال الشبهات والتشويهات، " فقد كانت [أي اليهود] تقف بالمرصاد لكل دعوة جديدة... ثم اتجهت العداوة اليهودية الصليبية المشتركة بكل عنفها وضراوتها إلى لإسلام، فقامت أوربا الصليبية - تغذيها الصهيونية وتنفخ فيها وتؤازرها - تستعمر العالم الإسلامي وتخضعه لنفوذها وتحاول اقتلاع الإسلام من جذوره:

بالتبشير، وبتشويه صورة الإسلام في نفوس المسلمين تارة، وإفساد الأخلاق تارة أخرى، وأخرى بتربية جيل من العبيد النافرين من الإسلام تسلمه مقاليد السلطة في البلاد الإسلامية ليقوموا بدلاً منها بالقضاء على الإسلام"(□ بر خ). وهذا ما يفعلونه اليوم بكل وحشية وهمجية وحقدٍ وكراهية تحت شعار العولعمة، وذريعة الحرب على الإرهاب وهي حرب تشنها (الصهيوصليبية) من أجل عولمة الثقافة (اليهونصرانية) وجعلها ثقافة العالم ودينه، والقضاء على ما سواها من الثقافات والأديان الأخرى، وهو ما صرح به الحاخام الإسرائيلي في حفل أقيم بمناسبة وضع الحجر الأساسي لأكبر محفل ماسوني في العالم في فلسطين، حيث قال مخاطباً اليهود: "إننا جميعاً نعمل من أجل هدف واحد، هو العودة بكل الشعوب إلى أول دين محترم أنزله الله على هذه الأرض وما عدا ذلك فهي أديان باطلة..." (□ بر خ) وهذا ما يؤكده قوله تعالى :﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(خ تر خ)،وقوله تعالى: ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾(خ تر خ).

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة:

وقد رد الله على هذه المقالة الإسرائيلية وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة فقال:﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فإن آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فإنَمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾(بر تر خ).

فالآيات قد أمعنت في تكذيب هذه المقالة الزائفة الخادعة لما فيها من التجني على الحق والحقيقة، والإساءة إلى الإنسان من حيث تعمد تضليله وغوايته، وأثبتت زيفها وكذبها من عدة وجوه:

الوجه الأول: نفي الهداية المزعومة لليهودية والنصرانية الذي يفيده معنى الإضراب في (بل) وذلك لسببين سبب الله بهما هذا الإضراب:

أحدهما. أنهما أي اليهودية والنصرانية مخالفتان لملة إبراهيم الحنيفية التي أمروا باتباعها .

ثانيهما. أنهما نحلتان شركيتان.

والهداية إنما تكون في دين التوحيد دين إبراهيم الذي دعت إليه كل الأنبياء(تر تر خ)، ولهذا دُعُوا مرة أخرى على لسان محمد ﷺ إلى العودة من جديد إلى دين إبراهيم وجميع الأنبياء حتى محمد ﷺ وترك ما هم عليه من الشرك والضلال فقال : ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(بر تر خ).

الوجه الثاني: تلقينهم دين الهداية الأوحد، دين كل الأنبياء المغاير لما هم عليه من اليهودية والنصرانية كما أرادواهم تلقين المؤمنين هداية دينهم المزعومة وذلك من باب المحاكاة لهم في منطقهم والمسايرة لهم في أسلوبهم والرد عليهم بطريقتهم، فقال: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(سم تر خ)، وذلك في مقابل قولهم: (كونوا

هوداً أو نصارى تهتدوا)، فإنه على معنى: قولوا إنا يهود أو نصارى تهتدوا.

الوجه الثالث: حصر الهداية في الإسلام ونفيها عن غيره حيث بين لهم – مؤكداً كذب تلك المقالة - أن السبيل الوحيد إلى الهداية هو الإيمان بالله ورسله وما أنزل عليهم جميعاً بما فهيم خاتمهم محمد ﷺ من غير تفريق بين أحد منهم إن هم أرادوا الهداية، وكانوا من طلابها والحريصين عليها، وإلا فإنهم كذبة وزعمة وأدعياء وأعداء ومحاربون للإسلام والمسلمين ومخالفون لهم، فقال: ﴿فإن آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فإنَمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾(شه تر خ).

المقالة الثانية: في تبعية إبراهيم وجميع أنبيائهم - عليهم السلام - لهما. أي لليهودية والنصرانية، حيث قالوا: (إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى).

وقد حكى الله هذه المقالة في قوله: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾(لم تر خ).

فهذه هي المقالة الإسرائيلية المشتركة التي زعم فيها اليهود أن إبراهيم ومن بعده من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام كانوا يهوداً، وزعم النصارى أنهم كانوا نصارى، وفيها ما في المقالة السابقة من الكذب وتزييف الحقائق ومخادعة الناس وتضليلهم، ومحاربة أديانهم، فإن كلتا المقالتين تتعلقان بالترويج لليهودية والنصرانية والدعاية للقبول بهما والإقبال عليهما.

- ففي المقالة الأولى كانت وسيلتهم إلى ذلك (الهداية)، حيث حصروها وقصروها عليهما.
- وفي هذه المقالة كان إبراهيم ومن بعده من أنبيائهم – عليهم السلام – هم الوسيلة إلى ذلك ، حيث عدوهم من أتباعهما.

وهنا يتساءل المرء مستغرباً، لماذا هذا التنازع بين اليهود والنصارى في إثبات صحة دينهم: مرة بقصر كل فريق الهداية على دينه، ومرة أخرى بادعاء كل فريق أن إبراهيم ومن بعده من الأنبياء – عليهم السلام - كانوا من أتباع دينه. بينما الحقيقة أنهم جميعاً على باطل، وهذا ما قاله بعضهم لبعض، وتبادلوا الاتهام به، وسجله القرآن وحكاه الله عنهم في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾(□ تر خ).؟! والجواب:

أولاً: لعلمهم اليقيني المسبق بأنهم على باطل كما دلت على ذلك الآية الأنفة الذكر التي حكاها الله عنهم، ولهذا أخذوا يبحثون عن رموز ومعان من رموز الحق ومعانيه ينسبونها إلى مللهم، ويخفون وراءها باطلهم كعادة أهل الباطل في كل زمان وفي كل مكان، وهذا – بالفعل - ما كان منهم وحكاه الله عنهم في قوله: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(□ تر خ)، وقوله: ﴿ وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(لح تر خ).

ثانياً: لتحقيق جملة من الأهداف منها:

1 -إبهام الآخرين بصدق أديانهم وصحتها. فليس هناك من وسيلة لتحقيق هذا الهدف أفضل من نسبتها إلى إبراهيم ومن بعده من الأنبياء، والزعم بأنها كانت دينهم جميعاً.

2 -الترويج للقبول بها والإقبال عليها وإقناع الآخرين باعتناقها، فإن مجرد ذكر إبراهيم ومن بعده من الأنبياء كأتباع لها يكفي – كما يظنون – لتحقيق هذا الهدف.

3 -محاربة الإسلام وصد الناس عنه وقطع الطريق عليهم للوصول إليه، وحرمانهم من التعرف عليه لعلمهم المسبق بأنه الدين الحق دين إبراهيم وجميع الأنبياء، الدين الذي ارتضاه الله للناس وبعث به محمداً ﷺ، وذلك خوفاً على أديانهم من الانكماش والانحسار والتلاشي والاندثار أمام انتشار الإسلام وزحفه المتنامي، والذي يزداد مع مرور الوقت انتشاراً ويزداد الناس عليه إقبالاً.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة:

وقد رد الله على هذه المقالة وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة، فقال: ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(خ بر خ).

فقوله : (أأنتم أعلم أم الله) "فيه تقريع وتوبيخ" (بر بر خ)يدل عليه الاستفهام، ويفيد تكذيب تلك المقالة وإنكارها، إذ كيف يقولون: إن إبراهيم ومن بعده من الأنبياء كانوا يهوداً أو نصارى(تر بر خ)، فإن هذا

-علاوة على أنه تعالم على الله - إخبار بالباطل يتعارض مع إخبار الله وعلمه إذ الأصل في علم الإنسان أن يكون تبعاً لعلم الله ومستمداً منه وراجعاً إليه، كما قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(بر بر خ)، وكما قالت الملائكة:﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(سه بر خ)، وقال يوسف -عليه السلام- :﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾(شه بر خ).

ثم يؤكد الله سبحانه وتعالى بطلان زعمهم هذا وكذبه بأنهم كانوا على علم بأن إبراهيم ومن بعده من الأنبياء – عليهم السلام - كانوا مسلمين ولم يكونوا يهوداً ولا نصارى، ولكنهم كتموا ذلك، كما قال الحسن البصري: "كانوا يقرأون في كتاب الله الذي أتاهم إن الدين الإسلام، وإن محمداً رسول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا براء من اليهودية والنصرانية، فشهدوا لله بذلك وأقروا على أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك"(لم بر خ)، فعده الله أعظم أنواع الظلم، وعد أصحابه أعظم الناس ظلماً فقال :﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾، أي لا أحد أظلم منه.

ولشناعة هذا السلوك وبشاعته وخسته ودناءته توعدهم الله بالعقاب فقال: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ أي أنه يعلم عملكم هذا وسوف يجازيكم عليه، في إشارة إلى كذب تلك المقالة.

وهناك الكثير من الآيات التي تثبت تبعية إبراهيم وجميع الأنبياء للإسلام، وتنفي عنهم التبعية المزعومة لليهودية والنصرانية، من ذلك: قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(□ بر خ). ففي هذه الآية ينفي الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم التبعية لليهودية والنصرانية، ويثبت له التبعية للإسلام، وتتسع مساحة هاتين الدائرتين، دائرة النفي، ودائرة الإثبات في

سورة البقرة لتشمل إسماعيل وإسحاق ويعقوب إلى جانب إبراهيم عند قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(□ بر خ). ثم تزداد مساحة الدائرتين اتساعاً في نفس السورة لتشمل إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى وجميع الأنبياء عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(خسم خ).

فالإسلام ملة إبراهيم ومن بعده ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ﴾(خسم خ) دين الحق والرشد والهداية، أما اليهودية والنصرانية فدين الشرك والضلال والغواية(برسم خ).

المبحث السادس

إسرائيليات في اليوم الأخر

فقد حكى الله فيه ثلاث مقالات، إحداها مشتركة عن اليهود والنصارى، والأخريتان عن اليهود:

المقالة الأولى. قول اليهود:(سيغفر لنا).

أي أن ذنوبهم مغفورة مهما كانت كما يعتقدون(برسم خ).

وقد حكى الله عنهم هذه المقالة في قوله : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾(برسم خ).

فالمقصود بالخلف: اليهود، وبالكتاب التوراة ، ويدل على ذلك سياق الآية فقد وردت في سياق الحديث عن اليهود(سمسم خ).

فهذه هي المقالة الإسرائيلية التي زعم فيها اليهود أن ذنوبهم مغفورة وإن بلغت عنان السماء: (سيغفر لنا).

إن قولهم هذا يعد إحدى تداعيات العنصرية، وتصب في الموقف من الأخر الذي تولد عنها كما سبق الحديث عنهما(شمسم خ).

فإن العنصرية حملتهم على الاعتقاد بأن ذنوبهم مغفورة، لأنهم ماداموا أبناء الله وأحباءه فإن الله لا يملك إلا أن يغفر لهم وأن يسامحهم على ما كان منهم مهما ارتكبوا من المعاصي، ومهما اقترفوا من الآثام وإن أصروا على ذلك ولم يتوبوا كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وان يأتيهم عرض مثله يأخذوه﴾، لأن " شأن الحبيب أن لا يعذب حبيبه"(لبسم خ)، وهذا الاعتقاد بدوره حملهم على التمادي والاستمرار في استباحة الأخر استباحة شاملة على النحو الذي أوضحناه(□سم خ)، والذي نشاهده يومياً على مسرح الحياة(□سم خ).

أضف إلى ذلك أنه يعكس حالة اليأس والقنوط من المغفرة والفوز بالآخرة التي أصابتهم نتيجة لهذه الاستباحة، والتي أخبرنا الله بها في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ

يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾(لخشه لخ)، أي: قد يئسوا "من ثواب الأخرة ونعيمها(لخشه لخ)"، فهم " لا يؤمنون بها ولا يرجونها"(برشه لخ).

إن هذا اليأس هو الذي حملهم على قولهم هذا : (سيغفر لنا) وغيره من الأقاويل التي أخذوا يعللون بها أنفسهم(ترشه لخ) كنوع من العلاج النفسي لهذه الحالة النفسية المدمرة التي تستبد بهم، وتقض مضاجعهم، وتحرمهم من لذة العيش ومتعة الحياة، وتقطع أملهم في النجاة، وذلك لئلا يحرموا - على الأقل – من التمتع في هذه الحياة مع يقينهم أن لاخلاق لهم في الآخرة.

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة.

وقد رد الله على هذه المقالة وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة فقال :﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾(برشه لخ).

"أي أخذ عليهم العهد في التوراة ألا يقولوا على الله الباطل وهي تمني المغفرة مع الإصرار، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار"(سمشه لخ).

فتقريرهم بأخذ العهد عليهم في التوراة بألا يقولوا على الله إلا الحق على سبيل التوبيخ والإنكار الذي يفيده الاستفهام في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ ...﴾ بعد قولهم (سيغفر لنا) يفيد أن قولهم هذا قول على الله بالباطل، ويدل على كذب هذه المقالة وافترائها على الله إذ " ليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار"(شمشه لخ)، وإنما فيها " أن من ارتكب ذنباً عظيماً فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة"(لمشه لخ).

ولهذا جاء الإسلام مؤكداً أن المغفرة هبة من الله مرتبطة بمشيئته، وليست واجبة عليه:﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (□شه لخ)، كما قال عيسى عليه السلام:﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (□شه لخ).

هذا بعد الترك والإقلاع والندم وطلب المغفرة كشرط لحصولها قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ (لخ لم لخ)، وقال تعالى:﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾(لخ لم لخ)، وقال تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم"(بر لم لخ).

وكذلك التوبة، فإنما يتوب الله على من تاب إليه قال تعالى:﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حكيماً﴾(تر لم لخ)، أما المصرون على الذنوب غير التائبين من قريب قبل بلوغ الروح الحلقوم فلا توبة لهم قال تعالى:﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾(بر لم لخ). ولهذا أمر الله بالتوبة فقال : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(سم لم لخ)، وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾(شه لم لخ).

هذا بالإضافة إلى كم الآيات التي تدل على المؤاخذة بالذنوب والمعاقبة على المعاصي، والتي سبق استعراض بعضها في المبحث الرابع في معرض الرد على المقالة المعبرة عن موقف اليهود والنصارى من الأخر ومبدأ التعايش معه والتي تنفي ادعاءهم مغفرة ذنوبهم وعدم مؤاخذتهم عليها، وتثبت العكس(لم لم خ)، وفي العودة غنى عن الإعادة.

المقالة الثانية: في قصر دخول الجنة على اليهود والنصارى، حيث قالوا : (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى). وقد حكى الله عنهم هذه المقالة في قوله:﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾(□ لم خ). وقولهم هذا ليس مقولاً لهم كلهم ولا لأي فريق منهم؛ بل كل فريق زعم ذلك الزعم على سبيل الاختصاص، أي: كل فريق اختص نفسه به دون الآخر فـ "قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فلف بين هذين القولين وجعلا مقولاً واحداً، اختصاراً وثقة بفهم السامع أن ليس المقصد أن كل واحد من الفريقين يقول هذه القول المردد، وللعلم بتضليل كل واحد منهما صاحبه(□ لم خ)؛ بل المقصود تقسيم القول المذكور بالنسبة إليهم، فكلمة (أو) كما في مغني اللبيب(لخ□ خ) للتفصيل والتقسيم لا للترديد"(لخ□ خ).

فهذه هي المقالة الإسرائيلية المشتركة التي زعم فيها كل من اليهود والنصارى على حدة أن الجنة حق لهم لا يدخلها سواهم.

وفي هذا القصر لدخول الجنة على اليهود والنصارى دلالتان:

الأولى: تكريس تلك الروح العنصرية التي تستحوذ عليهم وتسيطر على حياتهم والتي شاهدناها في مقالات سابقة، وتبرز هنا في هذه المقالة في شكل أنانية مفرطة، تنعكس - بلا شك – على الأخر كراهية وعدوانية مطلقة فتستأثر بالخير وتمنعه عن الغير قال تعالى:﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(بر□ خ).

فاليهود والنصارى معروفون سلوكياً بين شعوب العالم بأنهم "أنانيون طماعون يريدون أن يجعلوا كل النعم موقوفة عليهم، وكل الخير محتكراً فيهم، حتى الجنة التي أعدها لعباده المؤمنين المتقين لم تسلم من [أنانيتهم] واحتكارهم، لقد جعلوها وقفاً [عليهم] ومنعوا الآخرين منها، وحرموهم دخولها"(بر□ خ)، وقالوا:(لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المدى الذي وصلت إليه تلك العنصرية ومدى تحكمها فيهم وتمكنها منهم، حيث صارت شرطاً لدخول الجنة وقاعدة لاستحقاقها، فلا يدخلها إلا من كان يهودياً أو نصرانياً وإن كان من أشقى الأشقياء، أما من كان عنصره غير يهودي وغير نصراني فلن يدخلها وإن كان من أتقى الأتقياء.

الثانية: أنه يعد صورة من صور الإرهاب الفكري وطريقة من طرق محاربة الأديان والثقافات التي تمارسها (اليهونصرانية) ضد الأخر، وتتمثل في التهديد بسوء الخاتمة والمصير أو بدخول النار لمن لم يعتنق اليهودية أو النصرانية، وذلك بهدف تقويض ما سواهما من الأديان والثقافات الأخرى، لأن قولهم:(لن يدخل الجنة

إلا من كان هوداً أو نصارى) يوحي بصحة أديانهم وبطلان الأديان الأخرى، وهذا من شأنه أن يزعزع إيمان أتباع تلك الأديان بأديانهم، وأن ينزع ثقتهم بها، وأن يحملهم في نهاية المطاف - كما يظنون - على مفارقة أديانهم وترك ثقافتهم واعتناق اليهودية أو النصرانية وإحلالها محلها، وهو ما تعمل له (اليهونصرانية)، و(الصهيوصليبية)، وتسعى إلى تحقيقه ليل نهار تحت شعارات مختلفة(بر خ).

رد القرآن وتكذيبه لهذه لمقالة.

وقد رد الله على هذه المقالة وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة فقال: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(سم خ).

فقد تضمنت الآيتان تكذيب هذه المقالة من عدة وجوه:

الأول: تكذيبها من ناحية اعتبارها مجرد أماني وأحلام " يتمنونها على الله بغير حق ولا حجة ولا برهان ولا يقين علمٍ بصحة ما يدعون، ولكن بادعاء الأباطيل وأماني النفوس الكاذبة"(شم خ)، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فتحداهم أن يقيموا الدليل والبرهان على مصداقيتها، إذ الدليل منعدم والبرهان ممتنع، فدل ذلك على كذب هذه المقالة.

الثاني: تكذيبها من ناحية إثبات ما تضمنته من نفي دخول غير اليهود والنصارى الجنة وهو ما يفيده معنى الإضراب في (بلى) (بم خ) الذي عقب الله به على تلك المقالة فقال: (بلى) أي بلى سيدخلها غيركم.

الثالث: تكذيبها من ناحية تقرير قاعدة استحقاق دخول الجنة على أساس العمل الصالح، وليس على أساس الانتماء العنصري كما زعموا، فقد أخذ الله سبحانه وتعالى يبين قاعدة الاستحقاق الشرعية الإلهية العادلة لدخول الجنة على أثر ذلك الادعاء مبيناً كذبه، وموضحاً زيفه، ومثبتاً فساده وبطلانه، فقال: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(□□ خ).وبهذا يقرر الله سبحانه وتعالى "قاعدة من قواعد التصور الإسلامي في ترتيب الجزاء على العمل بلا محاباة لأمة ولا لطائفة ولا لفرد. إنما هو الإسلام والإحسان، لا الاسم والعنوان"(□□ خ).

وما أكثر الآيات التي تؤكد هذه القاعدة في استحقاق دخول الجنة، وتثبت معيارية العمل الصالح لاستحقاقها، وتكشف زيف تلك المقالة وكذبها، من ذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾(نح خ).

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(زخ خ).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾(بر خ).

وغير ذلك من الآيات التي يطول تتبعها.

المقالة الثالثة. قول اليهود: (لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة).

أي أنهم غير مخلدين ولا ماكثين فيها مدة طويلة مهما ارتكبوا من الجرائم ومهما اقترفوا من الآثام وإن كانت مما تخلد صاحبها في النار أو البقاء فيها مدة طويلة.

وقد حكى الله عنهم هذه المقالة في موضعين من القرآن:

الأول: في سورة البقرة في قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾(ترجمة خ).

الثاني: في سورة آل عمران في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(يرجمة خ).

فهذه هي المقالة الإسرائيلية التي زعم فيها اليهود أنهم لا يعذبون في النار إلا أياماً معدودات أو مدة قصيرة لا تتجاوز (سبعة أيام أو أربعين يوماً) على اختلاف الروايات(سمجمة خ)، ثم يخرجون بعدها إلى الجنة كما يعتقدون. والحقيقة أن هذا الزعم أمنية أخرى من أماني اليهود "التي لا تستقيم مع عدل الله، ولا تتفق مع سنته، ولا تتمشى مع التصور الصحيح للعمل والجزاء... أن يحسبوا أنهم ناجون من العذاب مهما فعلوا، وأن النار لن تسمهم إلا أياماً معدودات يخرجون بعدها إلى النعيم... علام يعتمدون في هذه الأمنية؟ علام يحددون الوقت كأنهم مستوثقون؟ وكأنها معاهدة محدودة الأجل معلومة الميثاق؟ لا شيء إلا الأماني التي يلجأ إلها المنحرفون عن العقيدة الصحيحة، حيث يطول بهم الأمد، وينقطع ما بينهم وبين حقيقة دينهم، فلا يبقى لهم منه إلا اسمه وشكله، دون موضوعه وحقيقته ويظنون أن هذا يكفيهم للنجاة من العذاب بحكم ما يعلنونه بألسنتهم من أنهم على دين الله "(شمجمة خ)، (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة).

إن هذا الاعتقاد الأمنياتي يصب في دائرة تداعيات تلك العقيدة العنصرية(لمجمة خ): (نحن أبناء الله وأحباؤه) .. هذه العقيدة التي بنى عليها اليهود والنصارى جميع تصوراتهم عن الله والإنسان والكون والحياة كما رأينا ذلك في مقالاتهم السابقة المتعلقة بالتطاول على الله والموقف من الأخر وغيرها..فالعنصرية هي التي حملتهم على قولهم هذا كما حملتهم على القول بغفران ذنوبهم وبدخول الجنة دون سواهم، وغير ذلك من الأقاويل التي تتعارض مع العقل السليم والمنطق القويم. كما يعكس في الوقت ذاته الحالة النفسية لأصحاب هذه المقالات، حالة اليأس من النجاة، واليقين بالهلاك التي ألجأتهم إلى مثل هذه الأقاويل والمعتقدات كنوع من العلاج النفسي لنفسية حطمها اليأس من دخول الجنة، ودمرها اليقين بدخول النار الذي يشير إليه قوله تعالى ، وهو الأعلم بنفوسهم ونفسياتهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾(□□ خ) (□□ خ).

رد القرآن وتكذيبه لهذه المقالة: وقدر رد الله على هذه المقالة وكذبها على الفور عقب ذكرها مباشرة، فقال في الموضع الأول: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ . بَلَى

مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(خ خ بر).

وقال في الموضع الثاني : ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(خ خ بر).

أما في الموضع الأول، فقد ورد التكذيب فيه لتلك المقالة من عدة وجوه:

الأول: تكذيبها من حيث نفي أن يكون قولهم ذلك وعداً وعدهم الله به، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾ في إشارة إلى أن زعمهم ذلك من الأمور التي يختص الله بها علماً وقدرة وإرادة، فلا يمكن معرفته ولا الاطلاع على حقيقته إلا عن طريق إخبار الله به إما على سبيل الوعد كما هو الحال هنا، وإما على سبيل العلم(بر خ بر)، حيث قال بعد ذلك ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾. أما الإخبار به على سبيل الوعد – كما يزعمون - فلم يحصل منه وعد بذلك، وهذا ما يدل عليه الاستفهام في قوله: (أتخذتم) ، فإنه "للإنكار وهو متوجه إلى زعمهم أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة فكأنه - سبحانه - يقول لهم إن قولكم هذا يحتمل أمرين لا ثالث لهما: إما اتخاذ عهد عند الله به، وإما القول عليه - سبحانه – بدون علم، وما دام قد ثبت أن اتخاذ العهد لم يحصل، إذاً أنتم - يا معشر اليهود - كاذبون فيما تدعون من أن النار لن تمسكم إلا أياماً معدودة "(بر خ بر). قال الفخري الرازي : " قوله تعالى (أتخذتم) ليس باستفهام؛ بل هو إنكار لأنه لا يجوز أن يجعل تعالى حجة رسوله في إبطال قولهم أن يستفهمهم؛ بل المراد التنبيه على طريقة الاستدلال وهي أنه لا سبيل إلى معرفة هذا التقدير إلا بالسمع، فلما لم يوجد الدليل السمعي وجب ألا يجوز الجزم بهذا التقدير" (بر خ بر).

"وإنما ساق القرآن الكريم الرد عليهم في صورة الاستفهام لما فيه من ظهور القصد إلى تقريرهم بأنهم قالوا على الله ما لا يعلمون، إذ هم لا يستطيعون أن يثبتوا أن الله وعدهم بما ادعوه من أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، ولا يوجد عندهم نص صحيح من كتابهم يؤيد مدعاهم. وبذلك تكون الآية الكريمة قد أبطلت مدعاهم إبطالاً يحمل طابع الإنكار والتوبيخ " (سم خ بر).

الثاني: تكذيبها من حيث نفي أن يكون قولهم ذلك عن علم أوحى الله به إلى رسله أو أنزله في كتابه، وهو الطريق الثاني لمعرفة حقيقة ذلك الزعم وصدق تلك المقالة وهو إخبار الله به على سبيل العلم وهو ما يشير إليه قوله تعالى:﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ "أي:أم تقولون على الله شيئاً ليس لكم به علم إذ العلم بمثله لا يكون إلا بوحي منه يبلغه عنه رسله، والقول على الله بغير علم جرأة وافتئات عليه وكفر به.

والمعنى أنه لابد من أحد الأمرين إذ لا واسطة بينهما، إما اتخاذ عهد عند الله وإما القول على الله بغير علم، وإذا كان اتخاذ العهد لم يحصل تعين أنكم تكذبون على الله بجهلكم وغروركم " (شم خ بر).

الثالث: تكذيبها من حيث إثبات ما نفوه من خلودهم في النار أو بقائهم فيها مدة طويلة، وهو ما يفيده معنى الإضراب في (بلى) الذي عقب الله به على مقالتهم تلك فقال: (بلى)، وهو "إبطال لقولهم: لن تسمنا النار إلا أياماً معدودة، وكلمات الجواب تدخل على الكلام السابق لا على ما بعدها، فمعنى (بلى): بل

أنتم تمسكم النار مدة طويلة"(لم خ بر)، و"تمسكم أبداً بدليل قوله : هم فيها خالدون"(□ خ بر).

الرابع: تكذيبها من حيث تقرير قاعدة استحقاق دخول النار على أساس العمل السيئ المفضي إلى ذلك، كما أن قاعدة استحقاق دخول الجنة قائمة على أساس العمل الصالح وليس على أساس الانتماء العنصري كما يزعمون، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. وإن كانوا يهوداً أو نصارى، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(□ خ بر).وإن لم يكونوا يهوداُ أو نصارى. فقوله: (من كسب سيئة... الخ) "سند لما تضمنته (بلى) من إبطال قولهم، أي: ما أنتم إلا ممن كسب سيئة...الخ ومن كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار، فأنتم منهم لا محالة"(خ خ بر). و"هذا حكم الله يقضي به بين عباده : يهوداً كانوا وغير يهود"(خ خ بر). "فالآية الكريمة فيها إبطال لمدعاهم وإثبات لما نفوه على وجه يشملهم ويشمل جميع من يقول قولهم، ويكفر كفرهم"(بر خ بر). أما في الموضع الثاني: فقد صرح الله فيه بتكذيب تلك المقالة فقال: ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: "ما تقولوه على الدين وأدخلوه فيه، فلذلك أتي بفي الدالة على الظرفية المجازية، ومن جملة ما كانوا يفترونه قولهم : (لن تسمنا النار إلا أياما معدودة)، وكانوا أيضاً يزعمون أن الله وعد يعقوب ألا يعذب أبناءة"(تر خ بر)، وهو "من الافتراء الذي كان منشأ غرورهم في دينهم، ومثله لا يعرف بالرأي ولا بالفكر لأنه من أمر عالم الغيب، فلا يعرف إلا بوحي من الله، وليس في الوحي ما يؤيده، ولا يوثق به إلا بعهد منه عز وجل، ولا عهد بهذا.."(بر خ بر). وهناك الكثير من الآيات التي تدل على أن الجزاء مرتب على العمل إن خيراً فخيرُ، وإن شراً فشر. مثل قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾(سم خ بر).

الخلاصـــة : لقد استهدف البحث عبر المنهج التحليلي التأصيل لهمجية الفكر الإسرائيلي وخرافيته، وإثبات ذلك من خلال استعراض المقالات الإسرائيلية التي حكاها الله عنهم في القرآن وكذبها وذلك على سبيل المثال لا الحصر. فقد كانت في جملتها بمثابة أدلة قطعية على همجية وخرافية الفكر الإسرائيلي، ابتداءً بمقالاتهم المتعلقة بالتطاول على الله والإساءة إليه وسوء الأدب معه، بوصفه بالبخل والفقر وغيرهما، ومروراً بمقالات التأليه لعزير وعيسى - عليه السلام - والاعتقاد بأنهم أبناء الله وأن نسبهم يتصل عنصرياً بالذات الإلهية، واستباحة الأخر استباحة شاملة لما له ودينه وعرضه وأرضه..الخ، وربط الهداية باليهودية والنصرانية واعتبار ما سواهما أدياناً باطلة، مع الزعم بأن إبراهيم ومن بعده من أنبيائهم – عليهم السلام – كانوا من أتباعهما، وانتهاءً بالادعاء أن الجنة حق لهم لا يدخلها سواهم، وأن ذنوبهم مغفورة ، وأنهم لا يدخلون النار إلا أياماً معدودة، مهما ارتكبوا من الجرائم، ومهما اقترفوا من الأثام، لأن الله - كما يزعمون - قد وعدهم بذلك.

الهـوامش

(لخ) أنظر: التفسير والمفسرون، للذهبي 169/1 -173.

(بر) أخرجه البخاري في صحيحة من حديث أبي هريرة مرفوعاً برقم (4215) 1630/4،

(تر) التهُّوك: التحير. أ هـ. لسان العرب، لابن منظور، مادة (هوك) 160/15.

(ير) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبدالله، برقم (15195) 387/3.

(سم) أنظر: التفسير والمفسرون للذهبي 166/1 -169، والإسرائيليات والموضوعات في التفسير، لأبي شهبه ص12 -14.

(شم) الإيضاح والبيان في تحقيق عبارات قصص القرآن، لابن الأمير الصنعاني، تحقيق د/ عبدالوهاب الديلمي، ص31.

(لم) المقالة: مصدر قال يقول قولاً وقيلاً وقولة ومقالاً ومقالةً. أ هـ. لسان العرب لابن منظور، مادة (قول) 351/11.

(□) المائدة: 64.

(□) أنظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود 58/3.

(لخ) جامع البيان عن تأويل القرآن للقرطبي 639/4.

(لخ لخ) المائدة: 64.

(بر لخ) روح المعاني 180/6.

(تر لخ) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ص327.

(ير لخ) فتح القدير 84/2.

(سم لخ) تفسير ابن كثير 104/2.

(شم لخ) النساء: 53.

(لم لخ) فتح القدير، للشوكاني 478/1.

(□ لخ) أنظر: علم أصول الفقه، عبدالوهاب خلاف، ص151، 152.

(□ لخ) تفسير النسفي 391/1.

(لخ بر) إبراهيم: 34.

(لخ بر) آل عمران: 181.

(بر بر) أنظر: البلاغة الواضحة، لعلي الجارم، ومصطفى أمين. ص 155، 156.

(تر بر) آل عمران: 181.

(ير بر) فاطر: 15.

(سم بر) هو فنحاص بن عازوراء أحد أحبار اليهود وعلمائهم. ذكره المتقي الهندي في كنزل العمال من حديث عكرمة مولى ابن عباس برقم (4288) 492/2، وابن حجر العسقلاني في العجب العجاب في بيان الأسباب 805/2، وفي الفتح 297/1، والسيوطي في لباب النقول، ص 86، وذكره مغلب المفسرين كالطبري، والقرطبي، والألوسي، وغيرهم.

(شم بر) إرشاد العقل السليم 58/3.

(لم بر) روح المعاني 180/6.

(□ بر) الشنشنة: الطبيعة والخلقة والسجية. أ هـ. لسان العرب، لابن منظور، مادة (شن) 220/7.

(□ بر) التحرير والتنوير 867/1.

(لخ تر) جامع البيان عن تأويل القرآن 536/3.

(لخ تر) سفرا التكوين 1/5.

(بر تر) سفر حبقوق 5/3.

(تر تر) التلمود، ص112.

(ير تر) سفر التكوين 32/ 24 -33.

(سم تر) المرجع السابق 6/6 -8، وارمياه 1/15 -8، وسفر الخروج 10/32 -14.

(شم تر) سفر هوشع 6/13 -9.

(لم تر) سفر العدد 24/11.

(□ تر) سفر ناحوم 3/1، وسفر زكريا 14/9.

(□ تر) يوئيل 21/2 وأشعيا 1/62، 2.

(لخ ير) صموئيل الثاني 22/ 11.

(لخ ير) مزمور 65/78.

(بر ير) أشعيا 17/63، وحزقيال 9/14.

(تر ير) كتاب أيوب 27/2، ويوئيل 15/3.

(ير ير) أيوب 27/12.

(سم ير) كتاب التلمود، ص110.

(شم ير) سفر القضاة 12/9، 13.

(لم ير) سفر التكوين 8/18.

(□ ير) التوبة: 30.

(□ ير) كما روى البخاري عن أبي سعيد الخدري، برقم (4305) " أنه يقال لليهود يوم القيامة ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد عزيراً ابن الله، فيقال كذبتم ...الخ" 1671/4.

(لخسم) أنظر: تفسر الطبري 350/6، وابن كثير 459/2، والقرطبي 107/8، والتحرير والتنوير لابن عاشور 738/1□.وغيرها.

(لخسم) المائدة: 18.

(برسم) الكنز المرصود في قواعد التلمود، د/ أغسطس روهلنج، ترجمة يوسف ظهير الله، ص66 -70.

(ترسم) التوبة: 30.

(يرسم) تفسير أبي السعود 59/4.

(سمسم) القواعد الأساسية للغة العربية، السيد أحمد الهاشمي، ص11، بتصرف.

(شمسم) أنظر: حاشية الصاوي على الجلالين 145/2.

(لهسم) أنظر: تفسير أبي السعود 59/4، والنسفي 86/2، والآلوسي 82/10.

(□سم) التحرير والتنوير لابن عاشور 1838/1.

(□سم) آل عمران: 167.

(لخشم) الكهف: 5.

(لخشم) الفتح: 11.

(برشم) تفسير القرطبي 107/8، وفتح القدير للشوكاني 512/2.

(ترشم) روح المعاني للآلوسي 83/5.

(يرشم) تفسير الطبري 350/6.

(سمشم) لسان العرب، لابن منظور، مادة (ضها) 97/8.

(شمشم) تفسر الطبري 350/6.

(لهشم) تفسير الطبري 350/6، وتفسير ابن كثير 349/2.

(□شم) البقرة: 259.

(□شم) التوبة: 30

(لخ لم) قال تعال: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ التوبة: 31.

(لخ لم)سورة التوبة: 30

(بر لم) ذكرها المفسرون، وقد ذكرت بعض هذه التفاسير في ح (49)، ص6.

(تر لم) الإخلاص: 1 - أخرها.

(ير لم) الجن: 3.

(سم لم) المؤمنون: 19.

(شم لم) الإسراء : 111.

(لم لم) المائدة: 18.

(□ لم) كالعهد القديم، فإنه مقدس لدى اليهود والنصارى على حد سواء. أنظر: الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض. ص569.

(□ لم) مزامير 6/82.

(لخ□) كتاب التلمود، ص140.

(لخ□) المصدر السابق، ص127.

(بر□) 6/7.

(تر□) همجية التعاليم الصهيونية ، ص138 -140.

(ير□) المائدة : 18.

(سم□) فتح القدير، للشوكاني 24/2، بتصرف.

(شم□) فإنها تأتي بمعنى (الإبطال) لما قبلها، وذلك إذا تلتها جملة كما هو الحال في هذه الآية. أنظر: مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب لابن هشام الانصاري 130/1.

(لم□) ص 9.

(□□) آل عمران: 75.

(□□) روح المعاني للآلوسي 202/3، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود 50/2.

(لخ□) مختصر ابن كثير 292/1، وفتح القدر للشوكاني 353/1، وفي ظلال القرآن لسيد قطب 411/1.

(لخ□) روح المعاي للآلوسي 202/3.

(بر□) فتح القدير للشكوكاني 353/1.

(تر□) تفسر الجلالين: المحلي والسيوطي، ص163.

(ير□) تفسير أبي السعود 50/2.

(سم□) في ظلال القرآن 411/1.

(شم□) حاشية الصاوي على الجلالين 163/1.

(لم□) كتاب عزرا، ص126.

(□□) أشعيا 61/ 4 -7.

(□□) التلمود 14/8.

(لخ لخ لخ) يشوع 8/8 -15.

(لخ لخ لخ) التثنية 15/13 -18.

(بر لخ لخ) الإصحاح 23.

(تر لخ لخ) التلمود 64/11.

(ير لخ لخ) التلمود 64/11.

(سم لخ لخ) أنظر: العقيدة اليهودية في فلسطين ونقدها، ص64، 65، والتصور اليهودي للإله بميزان الإسلام، ص76 -78، 106، د/عابد توفيق زين العابدين.

(شم لخ لخ) آل عمران : 75، 76.

(لم لخ لخ) أخرجه الطبري في تفسيره 318/3، وابن أبي حاتم في تفسيره 15/3.

(□ لخ لخ) حاشية الصاوي على الجلالين 163/1، وشرح كلاّ، وبَلى، ونعم، لمكي أبي طالب القيسي، ص71.

(□ لخ لخ) روح المعاني للآلوسي 203/3.

(لخ لخ لخ) المائدة : 32.

(لخ لخ لخ) النساء: 160، 161.

(بر لخ لخ) الزلزلة: 7، 8.

(تر لخ لخ) البقرة: 186.

(ير لخ لخ) غافر: 17.

(سم لخ لخ) أنظر: تفسير الطبري 614/1.

(شم لخ لخ) البقرة: 135.

(لم لخ لخ) تفسير أبي السعود 165/1.

(□ لخ لخ) تفسير البيضاوي، ص409.

(□ لخ لخ) تفسر القرطبي 136/2.

(لخ بر لخ) فقد كانت رسالة عيسى إلى بني إسرائيل امتداداً وتجديداً لرسالة موسى إليهم قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ المائدة: 46. وقال تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ آل عمران: 50.

(لخ بر لخ) فإن هدف كل فريق حصر الهداية في دينه واختصاصه بها.

(بر بر لخ) فتح القدير للشوكاني 128/1.

(تر بر لخ) التحرير والتنوير لابن عاشور 422/1.

(ير بر لخ) المصدر السابق 422/1، والشخصية اليهودية من خلال القرآن، د/ صلاح الخالدي ، ص138.

(سم بر لخ) إرشاد العقل السليم 165/1.

(شم بر لخ) وهناك صور أخرى عرضها علينا القرآن مثل: (العولمة) التي يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ البقرة: 120. وقوله تعالى: ﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ البقرة: 217. ، (التعاليم على الآخرين) الذي يشعر به لفظ (الأميين) في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ آل عمران: 75.

(لم بر لخ) كتلك التي تصدر عن المنظمات والمراكز الإسلامية في العالم كالمؤتمر الإسلامي□وغيره.

(□ بر لخ) جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، ص327.

(□ بر لخ) مقدمة (حكومة العالم الخفية) شيريب سبير يدوفيتش، ترجمة مأمون سعد، تقديم أحمد راتب عرموش، ص13 نقلاً عن مجلة القوات المسلحة بالقاهرة، عدد (421) لسنة 1964م.

(لخ تر لخ) البقرة: 120.

(لخ تر لخ) السورة السابقة: 217.

(بر تر لخ) البقرة: 135 -137.

(تر تر لخ) قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء: 25.

(ير تر لخ) البقرة: 135.

(سم تر لخ) البقرة: 136.

(شم تر لخ) البقرة: 137.

(لم تر لخ) البقرة: 140.

(□ تر لخ) البقرة: 113.

(□ تر لخ) آل عمران: 71.

(لخ ير لخ) البقرة: 42.

(لخ ير لخ) البقرة: 140.

(بر ير لخ) فتح القدير للشوكاني 146/1.

(تر ير لخ) كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران: 67. " وهؤلاء المعطوفون عليه [في مقالتهم من الأنبياء] أتباعه في الدين ورفاقه، فحالهم حاله" روح المعاني للآلوسي 400/1.

(ير ير لخ) العلق: 2 -5.

(سم ير لخ) البقرة: 32.

(شم ير لخ) يوسف: 37.

(لم ير لخ) مختصر ابن كثير للصابوني 134/1.

(□ ير لخ) آل عمران: 67.

(□ ير لخ) البقرة : 133.

(لخسم لخ) البقرة : 135، 136.

(لخسم لخ) آل عمران: 19.

(برسم لخ) العقلية اليهودية، د/ يحيى محمد عامر، ص76، 77، بتصرف.

(ترسم لخ) يقول الآلوسي في قوله تعالى: ﴿ ويقولون سيغفر لنا﴾: "القول بمعنى الاعتقاد" روح المعاني 96/5.

(يرسم لخ) الآعراف: 169.

(سمسم لخ) أنظر تفسير الطبري 104/6، وتفسير القرطبي 273/7.

(شمسم لخ) أنظر المبحث الثالث. ص10، والمبحث الرابع ص12.

(لمسم لخ) حاشية الصاوي على الجلالين 105/2.

(□سم لخ) أنظر المبحث الرابع. ص12.

(□سم لخ) في فلسطين والعراق ولبنان والصومال والسودان وأفغانستان، وغيرها.

(لخشم لخ) الممتحنة: 13.

(لخشم لخ) مختصر ابن كثير ، للصابوني 490/3.

(برشم لخ) فتح القدير للشوكاني 218/5.

(ترشم لخ) كقولهم: ﴿ لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾ البقرة : 111، وقولهم: ﴿لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ البقرة: 80.

(يرشم لخ) الأعراف: 169.

(سمشم لخ) تفسير البغوي. ص 295.

(شمشم لخ) تفسير الجلالين 145/1.

(لمشم لخ) نقلاً عن الكشاف للزمخشري 134/1.

(□شم لخ) آل عمران: 129.

(□شم لخ) المائدة: 118.

(لخ لم لخ) القصص: 16.

(لخ لم لخ) نوح: 10.

(بر لم لخ) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر برقم (2577) 1995/4.

(تر لم لخ) النساء: 17.

(ير لم لخ) السورة السابقة: 18.

(سم لم لخ) النور: 31.

(شم لم لخ) التحريم: 8.

(لم لم لخ) ص 12.

(□ لم لخ) البقرة: 111.

(□ لم لخ) كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ البقرة: 113.

(لخ□ لخ) لابن هشام الانصاري 77/1.

(لخ□ لخ) روح المعاني للآلوسي 358/1.

(بر□ لخ) البقرة: 105.

(تر□ لخ) الشخصية اليهودية من خلال القرآن د/ صلاح الخالدي، ص137، 138، بتصرف.
(ير□ لخ) كالعولمة ومحاربة الإرهاب، ونشر الديمقراطية، وحقوق الإنسان□الخ.
(سم□ لخ) البقرة: 111، 112،
(شم□ لخ) تفسير الطبري 538/1.
(لم□ لخ) أنظر: روح المعاني للآلوسي 360/1.
(□□ لخ) البقرة: 112.
(□□ لخ) في ظلال القرآن سيد قطب 103/1.
(لخ□ لخ) النساء: 124.
(لخ□ لخ) سورة الزخرف: 72.
(بر□ لخ) المائدة: 72.
(تر□ لخ) أية: 80.
(ير□ لخ) أية: 23، 24.
(سم□ لخ) أنظر الأساس في التفسير، سعيد حوى 169/1، وروح المعاني للآلوسي 304/1.
(شم□ لخ) في ظلال القرآن، سيد قطب 85/1.
(لم□ لخ) أنظر: زهرة التفسير، محمد أبو زهرة 285/1.
(□□ لخ) الممتحنة: 13.
(□□ لخ) أنظر ص: 19.
(لخ لخ بر) البقرة: 80، 81.
(لخ لخ بر) آل عمران: 24.
(بر لخ بر) أنظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا 315/1، 316.
(تر لخ بر) التفسير الوسيط للقرآن د/ محمد السيد طنطاوي 241/1.
(ير لخ بر) التفسير الكبير 143/2.
(سم لخ بر) التفسير الوسيط للقرآن الكريم د/ محمد السيد طنطاوي 241/1.
(شم لخ بر) تفسير المنار، محمد رشيد رضا 316/1.
(لم لخ بر) التحرير والتنوير لابن عاشور 580/1.
(□ لخ بر) الكشاف للزمخشري 147/1، 148.
(□ لخ بر) البقرة: 81، 82.
(لخ لخ بر) التحرير والتنوير لابن عاشور 581/1.
(لخ لخ بر) التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم الخطيب 103/1.
(بر لخ بر)التفسير الوسيط للقرآن الكريم د/ محمد السيد طنطاوي 241/1.
(تر لخ بر)التحرير والتنوير لابن عاشور 737/1.
(ير لخ بر) تفسير المنار، محمد رشيد رضا 236/3.
(سم لخ بر) الزلزلة: 7، 8.

المراجع والمصـادر

1 - أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: العجب العجاب في بيان الأسباب، دار ابن الجوزي. العسودية، ط1، 1418هـ - 1997م تحقيق، عبدالكريم محمد الأنيس.
2 - أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: فتح الباري، دار المعرفة. بيروت، د، ط، ت.
3 - أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني: مسند أحمد، مؤسسة الرسالة. بيروت، ط1، 1416هـ - 1984م.

4 - أحمد بن محمد الصاوي: حاشية الصاوي على الجلالين، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام. د، ط، ت.
5 - إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الفكر. بيروت ، ط1، 1400هـ -1980م.
6 - أغسطس روهلنج: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة يوسف ظهير الله، د، ط، ت.
7 - بولس حنا مسعد: همجية التعاليم الصهيونية، د ، ط ، ت.
8 - \الحسين بن سعود البغوي: معالم التنزيل ، دار طيبة للنشر والتوزيع. ط4، 1417هـ -1997م.
9 - سعيد حوى: الأساس في التفسير، دار السلام. القاهرة ، ط6، 1424هـ -2003م.
10 - السيد أحمد الهاشمي: القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العالمية. بيروت ، د، ط، ت.
11 - سيد قطب: في ظلال القرآن ، دار الشروق. بيروت ، ط32، 1423هـ 2003م.
12 - شيريب سبيريد وفيتش: حكومة العالم الخفية، دار النفائس. بيروت، ط1، 1394هـ -1974م.
13 - صلاح عبد الفتاح الخالدي، الدكتور: الشخصية اليهودية من خلال القرآن، دار القلم.دمشق، ط1419،1هـ1998م.
14 - عابد توفيق زين العابدين: التصور اليهودي للإله بميزان الإسلام، دار إقرأ للنشر والتوزيع.صنعاءط1 ، 1412هـ 1992م.
15 - عابد توفيق زين العابدين: العقيد اليهودية في فلسطين، دار إقرأ للنشر والتوزيع. صنعاء، ط1، 1412هـ -1992م.
16 - عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم. بيروت، ط2، 1979.
17 - عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (وأخرون) تفسير القرآن العظيم ، المشهور (بالجلالين)، المكتبة الأفريقية. القاهرة، د، ط ، ت.
18 - عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي: تفسير ابن أبي حاتم، المكتبة العصرية.بيروت د، ت.
19 - عبدالكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي. بيروت ، د ، ت.
20 - عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المعروف (بتفسير النسفي) ، د، ط ، ت.
21 - عبدالله جمال الدين بن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المكتبة العصرية. بيروت، 1416هـ1995.
22 - عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف (بتفسير البيضاوي)، دار الفكر. بيروت، د، ت.
23 - عبدالوهاب خلاف، الدكتور: علم أصول الفقه، دار القلم.الكويت، ط12، 1398هـ -1978م.
24 - علي بن أحمد الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار القلم. بيروت، ط1، 1415هـ، تحقيق، صفوان عدنان داوودي.
25 - علي الجارم (وأخرون): البلاغة الواضحة . الناشر، محمد أمين دمج. د ، ت.
26 - علي المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الكتب العلمية.بيروت، ط1، 1412هـ -1998م.
27 - الكتاب المقدس - العهد القديم، العهد الجديد - جمعية الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط – بيروت ، 1986م.
28 - محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ط1372،1هـ - 1952م.
29 - محمد أحمد مصطفى أبو زهرة: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي. القاهرة، د، ط، ت.
30 - محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني: الإيضاح والبيان في تحقيق عبارات قصص القرآن، مكتبة الإرشاد. صنعاء ط1، 1412هـ - 1992م ، تحقيق ، د/ عبد الوهاب الديلمي.

31 - محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، دار الفكر . بيروت ، 1401هـ - 1981م.
32 - محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري، المسمى (جامع البيان عن تأويل القرآن) مطبعة البابي الحلبي وأولاده. القاهرة ط2، 1373هـ - 1954م.
33 - محمد حسين الذهبي، الدكتور: التفسير المفسرون، مكتبة وهبة. ط3، 1405هـ 1985م.
34 - محمد رشيد رضا: تفسير المنار، دار إحياء التراث العربي. بيروت ، ط1، د، ت.
35 - محمد السيد الطنطاوي ، الدكتور: التفسير الوسيط للقرآن، ط3، 1407هـ 1987م.
36 - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، سحنون للتوزيع والنشر.تونس ، د، ط، ت.
37 - محمد بن علي الشوكاني: فتح القدير، دار الفكر. 1403هـ - 1983م.
38 - محمد علي الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم. بيروت ، ط7، 1402هـ 1981م.
39 - محمد بن عمر بن حسين (فخر الدين الرازي): مفاتيح الغيب، الشهير ب(التفسير الكبير) دار الفكر. بيروت ، 1410هـ - 1995م.
40 - محمد محمد أبو شهبة، الدكتور: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة.القاهرة ، ط4، 1408هـ.
41 - محمد بن محمد بن مصطفى العمادي: إرشاد العقل السليم ، المعروف ، (بتفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي بيروت، د، ط، ت.
42 - محمد بن مكرم بن علي بن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي. بيروت ، ط1، 1408هـ 1988م.
43 - محمود بن عبد الله بن محمود الألوسي: روح المعاني، دار الفكر. بيروت، 1408هـ -1987م.
44 - محمود بن عمر بن محمد الزمخشري: الكشاف، مكتبة العميكان.الرياض، ط1418،1ه -1998م
45 - مسلم بن الحاج القشيري: صحيح مسلم، دار الحديث. القاهرة، ط1، 1412هـ -1991م.
46 - مكي بن أبي طالب القيسي: شرح كلاّ وبلى ونعم والوقف على كل واحدة منهن في كتاب الله، دار المأمون للتراث. دمشق، ط1، 1398هـ - 1978، تحقيق ، د/ أحمد حسن فرحات.
47 - يحيى محمد عامر راشد، الدكتور: العقلية اليهودية في القرآن، رسالة دكتوراه، جامعة إب الجمهورية اليمنية، لم تطبع بعد.

الفهـــــارس الحـــديثية
دراسة وصفية تحليلية

د . ســمير محمد عبـيد
أستاذ الحديث المشارك ، كلية الآداب ، جامعة البحرين

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فموضـوع هـذا البحـث هـو الفهـارس الحديثيـة، وهدفـه خدمـة السـنة، والتعريـف بجهـود المسـلمين في فهرستها، والتعريف بطرق وضوابط وضع واستعمال فهارس السنة.

منهج الدراسـة يقـوم علـى تتبـع واسـتقراء مـا ورد بشـأن الفهرسـة عنـد المسـلمين، مـع التأكيـد علـى فهرسـة الحديث، ثم استنباط قواعد الفهرسة الحديثية وضوابطها، تمهيداً للعمل بها عند وضـع الفهـارس لما سيحقق من كتب السنة، أو لما طبع ولم يفهرس منها، أو لما فُهرس فهرسة سيئة.

خطة البحث مقسمة إلى مقدمة، وثلاثة فصول، وتفصيلها على النحو الآتي:

المقدمة: تتناول أهمية الفهرسة وفوائدها، وحاجة علم الحديث إليها، وجهود المعاصرين في تأصيلها.

المبحث الأول: عنوانه: (**الفهرسة وتاريخها عند المسلمين**). وفيه تعريف الفهـرس لغـة واصـطلاحاً، وبيـان تـاريخ الفهرسـة عنـد المسـلمين، وجهـودهم في ابتكارهـا وتطويرهـا، والـدور الكـبير للحاسـوب في خدمـة الحديث، وأنه لا يستغنى به عن الفهرسة الحديثية.

المبحث الثاني: عنوانه: (**تصنيف الفهارس الحديثية**). ويفضل تصنيفها من حيث عـدد الكتـب إلى فهـارس جامعة وأخرى مفردة وبيان خصائص كل نوع؛ ومن حيث تعلقها بالسند والمتن إلى الآتي:

1 -**فهارس الأسانيد:** وتشمل فهرس الرواة من الصـحابة، وفهـرس رواة المراسـيل، وفهـرس أصـحاب الآثـار، وفهـرس شـيوخ المصـنف، وفهـرس الـرواة، وفهـرس الجـرح والتعـديل، وفهـرس تفـردات الرواة، وترتب كلها على أسماء الرواة لتشابها.

2 -**فهارس المتـون:** وتشـمل فهـرس الآيـات القرآنيـة، وفهـرس الأطـراف، وفهـرس الأمثـال والحكـم، وفهـرس غريـب الحـديث، وفهـرس الأعـلام، وفهـرس الأمـاكن والبلـدان، وفهـرس القبائـل والشعوب، وفهرس الكتب، وفهرس الأشعار، والفهرس الفقهي، وترتب هـذه الفهـارس بأسـاليب متعددة لتنوعها.

يدرس كل فهرس على حدة لبيان فائدته، وكيفية ترتيبه، والكتب التي تحتاج إليه، ومـا ينبغـي مراعاتـه عند وضعه واستعماله، وعلاقته بالفهارس الأخرى؛ وذلك كله بحسب حاجة كل فهرس.

المبحث الثالث: وعنوانه: (**عيوب الفهارس ونقائصها**). وفيه بيان العيوب والأخطاء والنقائص العامة لما وضع من فهارس، وأسباب تلك العيوب والأخطاء، وكيفية تلافيها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

للفهارس دور كبير لما في البحث بها من سهولة وسرعة، ولما توفره من وقت وجهد[1]، وبها يتأكد الباحث من وجود معلومة ما في كتاب معين، ويعرف مواضع ومرات ورودها فيه بجهد قليل في وقت وجيز، وفي كثير من الأحيان تكون المعلومات المتعلقة بشخص أو علم أو موضوع أو عدة أشياء يجمعها وصف عام مفرقة في الكتاب، والفهرس يجمع هذه المواضع ويسهل الوصول إليها، ويمكن الباحث من تتبع معلومات معينة في كتاب أو في عدة كتب، لجمع مادة موضوع معين، وتصنيفها، لإعداد بحث علمي أو كتاب أو مقال أو محاضرة أو درس أو خطبة، ومن فوائد الفهارس أنها تعطي صورة مختصرة ومتكاملة لمحتويات الكتاب، والمعلومات التي يشتمل عليها، من خلال الاطلاع السريع على فهارسه، من دون حاجة إلى قراءة الكتاب كله. وعلم الحديث من أكثر العلوم احتياجاً للفهارس، لتعدد مناهج التصنيف فيه، وكثير من كتبه لم ترتب على الأبواب الفقهية، وبعضها - كمعاجم الشيوخ - لا يستطيع الباحث الوصول إلى مراده منها إلا بالفهارس، وإلا اضطر إلى قراءة الكتاب من أوله إلى آخره، وكثير من طرق تخريج الأحاديث والآثار تعتمد على الفهارس اعتماداً جزئياً أو كلياً، لذا فالفهارس: (عمل جليل لا يدرك خطره وفائدته إلا من ابتلي بالعناء في البحث والمراجعة، وعجز أو وصل إلى ما يريد البحث عنه)[2].

ومن ثم فإن معرفة أنواع فهارس الحديث، ومميزاتها وعيوبها، واقتناء أكبر عدد منها، وحسن التعامل معها، والاستفادة منها، وإعداد ما يلزم منها، من الأمور المهمة لكل من يريد دراسة السنة.

كتب بعض العلماء عن أصول الفهرسة، كالشيخ أحمد محمد شاكر[3]، وألف الدكتور يوسف المرعشلي كتاب: (علم فهرسة الحديث). وأكثره تعريف بالفهارس التي أعدت لكتب السنة، والجانب التأصيلي للفهرسة فيه قليل[4]، وهناك كتب لم أطلع عليها منها: (الفهارس ومكانتها عند المحدثين). لسعد المرصفي[5]، و(فهارس أوائل الحديث وأطرافه). لناصر السويدان[6]، ويبدو من اسمه أنه مخصص لفهارس الأطراف، وبعد البحث لم أصل إلى دراسة تجمع ما تفرق من صفات فهارس الحديث المتنوعة مع الحاجة إليها، وعليه فإن إعداد دراسة دقيقة متخصصة عن هذه الفهارس أمر مهم لسد الفراغ في هذا الجانب، لما توفره هذه الدراسة من معلومات وصفية تحليلية نقدية تقويمية لأنواع فهارس الحديث، تمهيداً لتطويرها وربطها بالتخصصات المعنية بفهرسة وتكشيف العلوم.

المبحث الأول
الفهرسة وتاريخها عند المسلمين

تعريف الفهرس لغة واصطلاحاً:

الفهرس في اللغة الكتاب الذي تجمع فيه الكتب[7]. قال الزبيدي: (الفِهْرِس بالكسر، قال الليث: هو الكتاب الذي تجمع فيه الكتب. قال: وليس بعربي محض، ولكنه معرب. وقال غيره: هو معرب فِهْرِسْت. وقد اشتقوا منه الفعل، فقالوا: فَهْرَس كتابه فَهْرَسة. وجمع الفهرسة فهارس)[8]. ومنهم من يرى أن التاء المفتوحة فيه للتأنيث، ويقفون عليها بالهاء، والصواب أنها أصلية فارسية، وورد في تفسير الفهرس أنه جملة العدد للكتب، أو هو كتاب ودفتر تذكر فيه الأعمال، ويكون في الديوان، وقد يكتب فيه أسماء الأشياء أو إجمال الأشياء، لتعديد أسمائها وحصرها مطلقاً على الترتيب[9].

كلمة (فِهْرِس) على وزن (فِعْلِل)، ووزنها معروف في اللغة، وجاءت عليه كلمات مثل (زِبْرِج)، وهي الزينة من وشي أو جوهر أو ذهب أو زينة سلاح[10]، وزيادة التاء فيها ليست فصيحة، بل هي خطأ، إذ لا يوجد في اللغة اسم على وزن (فعللت)[11]، والكلمة معربة من الفارسية[12]، ومعناها لا يعرف في الجاهلية، ولم يكن للعرب كتاب، فضلاً عن كتاب تجمع فيه كتب، والألفاظ والمباني تتبع المعاني، فيوجد المعنى في الذهن أولاً، ثم تأتي بعد ذلك الكلمة التي تعبر عنه، ومادة هذا الجذر ومشتقاته ضيقة، لا يوجد في المعاجم الواسعة منها أكثر مما ذكره الزبيدي[13]، وهذا دليل على ندرة استعمال الكلمة عند العرب، كما لا توجد للكلمة شواهد من أشعار العرب وأمثالهم وحكمهم .

اشتهر كتاب الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد، المشهور بابن النديم، المتوفى سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة[14]، وجمع في كتابه كثيراً من أسماء الكتب، وجعله فهرساً لكتب جميع الأمم، من العرب والعجم، في أصناف العلوم كلها، وترجم لمصنفيها إلى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة[15].

أما المعنى الاصطلاحي للفهرس عند المعاصرين فهو: (لحق يوضع أول الكتاب أو في آخره يذكر فيه ما اشتمل عليه الكتاب من الموضوعات والأعلام والفصول والأبواب، مرتبة بنظام معين)[16]. وهذا تعريف ليس بمانع، وليس من شرط الفهرس أن يوضع في أول الكتاب، ولا في آخره، وقد يكون منفصلاً مستقلاً ؛ وليس من شرطه أن يكون لكتاب واحد، لأنه قد يعد لعدة كتب ؛ وليس من شرطه أن يكون للموضوعات أو الأعلام أو الأبواب والفصول فقط، لأنه قد يكون لمعلومات أخرى في الكتاب، وعليه فلعل الأولى أن يعرف بأنه: (ترتيب معلومات معينة، تربط بينها صفة مشتركة، بنظام معين، في كتاب أو في عدة كتب، وتوضع في أول الكتاب، أو في آخره، أو منفصلة عنه) .

تاريخ الفهرسة عند المسلمين:

ظهرت الكتب المرتبة على الموضوعات في القرن الثاني، كمغازي موسى بن عقبة، وسير ابن إسحاق، وجامع معمر بن راشد والموطأ، وكانت الكتب الأولى قليلة صغيرة الحجم، يجمع كل عالم ما تيسر له من حديث أهل بلده، وعلى الرغم من أن الرحلة في طلب الحديث قد وجدت منذ عهد الصحابة والتابعين، إلا

أنها كانت للسؤال عن حديث واحد، أو مسألة معينة، ولم تكن واسعة[17]، ولم تكن الحاجة كبيرة للترتيب الدقيق الكامل للمعلومات داخل الكتاب، فضلاً عن الفهارس المفردة.

باتساع الرحلة في طلب العلم في نهاية القرن الثاني، وبداية الثالث، تعدد طرق وأسانيد الحديث الواحد بتعدد رواياته، ظهرت مصنفات واسعة تجمع مرويات بلدان متعددة، ولا تكتفي بروايات إقليم واحد، فاحتاج العلماء إلى ترتيب المعلومات وتنظيمها، ومن هنا بدأت الفهرسة عند المسلمين.

والأساس الذي تقوم عليه الفهرسة هو ترتيب الحروف على نظام معين، وعرفت الأمم ذلك منذ أزمنة بعيدة، والترتيب الأبجدي وهو: (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ). اشتقوا اسمه من كلمته الأولى، واختلفوا في أول من استعمل هذه الحروف على أقوال منها: أن أول من كتب به إسماعيل عليه السلام، وقيل حرب بن أمية بن عبد شمس، وتعلمه من أهل الحيرة، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار[18]، وقيل أخذه العرب من الفينيقيين الذين عاشوا في الشام وحكموه قبل الإسلام، وزاد العرب فيه الكلمتين الأخيرتين، واستعمل في حساب الجُمَّل[19]، وهو الحساب الذي يجعل في مقابل كل حرف عدد من الحساب، ويستعمل حديثاً في ترقيم مقدمات الكتب.

ابتكر المسلمون ترتيبين للحروف: أولهما الترتيب الهجائي، المسمى بترتيب حروف المعجم، أو الترتيب الألفبائي، ويسمى ترتيب: (أ، ب، ت، ث). ويخطئ من يسميه الترتيب الأبجدي، لأن الأبجدي هو سابقه، وسبب وضع الترتيب الهجائي أنه لما كثر التحريف والتصحيف بكثرة الأعاجم، أمر الحجاج بن يوسف بوضع علامات تميز الحروف المتشابهة عن بعضها، لأن الحروف كانت ترسم بلا نقط، فتولى المهمة نصر بن عاصم الليثي المتوفى سنة تسع وثمانين للهجرة[20]، فنقطها ورتبها، ووضع الحروف المتشابهة قرب بعضها، وقدم المهمل على المعجم، إلا في الحاء والنون، وقدم الأقل نقطاً على الأكثر نقطاً، وعليه سارت كتب التراجم والفهارس كلها، وأكثر معاجم اللغة[21].

أما الترتيب الثاني فهو ترتيب الحروف على مخارجها، وابتكره الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى سنة سبعين ومائة[22]، لما أراد ترتيب كتاب العين، وهو أول معجم لغوي عرفه العالم، في حين ظهر أول معجم لاتيني في أوربا في القرن الثالث عشر الميلادي أو بعده، وظهرت أول مجموعة هجائية إنجليزية في القرن السابع عشر الميلادي، ولم تكن معجماً بالمعنى المعروف، بل كانت مجموعة كلمات دراسية صعبة، ومع ذلك يظن كثيرون أن علم المعاجم والفهرسة غربي، ومن الغرب أخذته الأمم الأخرى[23]، أما أول ترتيب هجائي للموسوعات فلم يظهر في أوربا إلا سنة (1700م)[24].

على ترتيب الخليل قامت مدرسته في المعاجم، إلا أن أكثر المعاجم لم تأخذ به، كما لم يرتب عليه شيء من الفهارس، ولا كتب التراجم لصعوبته، لكنه يدرس في فن التجويد، وظهور المعاجم على يد الخليل هو الخطوة التي مهدت فعلياً لظهور الفهارس، لأن المعاجم تعتمد ترتيب الحروف لترتيب جذور اللغة،

والفهارس تعتمد على ترتيب الحروف في ترتيب المعلومات.

ثم خطا العلماء خطوة كبرى في ابتكار الفهرسة بترتيب الأعلام على حروف المعجم، وأول من فعله البخاري في صحيحه في: (باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم)[25].ورتب فيه أسماء من شهد بدراً من الصحابة، وهو أول من استعمل كلمة (المعجم) بالمعنى الاصطلاحي، أما أول كتاب أطلق عليه المعجم، فهو معجم شيوخ أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، المتوفى سنة تسع وثلاثمائة[26]، وأخطأ بعض العلماء فجعلوا هذا الكتاب معجماً للصحابة[27]، وهو معجم لشيوخه، معروف عند أهل الحديث، بدأه بالمحمدين، ثم رتب سائره على حروف المعجم، وجعل لكل حرف باباً، ولم يعقد له مقدمة يبين فيها منهجه، وترتيب الأسماء فيه ليس بكامل الدقة، كما هو شأن كتب ذلك العصر[28]، ثم انتشر الاسم بين أهل الحديث، وعنهم أخذه أهل اللغة، واشتهر عندهم أكثر[29]، أما كتاب العين فإنه وإن كان قد ظهر قبل صحيح البخاري، إلا أنه لم يسم بالمعجم مع أنه مختلف في نسبته إلى الخليل[30].

ثم توسع البخاري في استعمال هذا المنهج، وسار على ترتيب حروف المعجم في بعض كتبه مثل: (الضعفاء الصغير) و(التاريخ الكبير)، وكان العلماء قبله يرتبون الرواة على الطبقات والوفيات، أو على البلدان، كما فعل محمد بن سعد في الطبقات الكبرى، وخليفة بن خياط في طبقاته، وعليه فكتب البخاري هي أول ما رتب على حروف المعجم[31]، أما المسانيد التي ظهرت في أوائل القرن الثالث فإنها لم ترتب أسماء الصحابة على حروف المعجم، بل على الفضل والسبق في الإسلام، أو على القبائل أو البلاد، أو تجمع بين عدة مناهج، كمسند الإمام أحمد، ولما كانت تجمع أحاديث كل صحابي على حدة فهي تعد نوعاً من الفهرسة[32].

ولما كان منهج البخاري غريباً في عصره فقد قال: (أخذ إسحاق بن راهويه كتاب التاريخ الذي صنفته، فأدخله على عبد الله بن طاهر، فقال: أيها الأمير! ألا أريك سحراً)[33]. وعبر عنه بالسحر لجودة ترتيبه، ومخالفته للمعهود، وقول إسحاق هذا يدل على غرابة ذلك المنهج، ثم اعتمده العلماء، وعليه سارت أكثر كتب الرجال والتراجم، حتى بلغ غايته في العصور المتأخرة كما في (تهذيب الكمال) و(تهذيب التهذيب) و(تقريب التهذيب).

أما ترتيب طائفة معينة من رجال الإسناد، كما تفعل الفهارس المتخصصة فقد عرف العلماء فكرته من عصور بعيدة، ففهرس الرواة من الصحابة يبنى على فكرة جمع أحاديث كل صحابي على حدة في موضع واحد، وهي فكرة المسانيد نفسها، لكنها لم ترتب الأسماء على حروف المعجم، ثم رتبت فيما بعد على حروف المعجم في معاجم الصحابة في القرن الرابع، كما في (المعجم الكبير) لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى سنة ستين وثلاثمائة[34]، ثم كثرت معاجم الصحابة، والكتب المصنفة في تراجمهم، حتى

استقر ذلك الترتيب على يد أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري، المتوفى سنة ثلاثين وستمائة، في كتابه: (أسد الغابة في معرفة الصحابة)[35].

أما جمع أحاديث كل صحابي في موضع واحد من كتب لم ترتب أحاديثها على أسماء الصحابة، فهذا أيضاً عرفه العلماء عندما ألفوا كتب الأطراف، وسموها بذلك لأنهم يكتفون فيها بطرف الحديث الدال على بقيته، ومنها: (الإشراف بمعرفة الأطراف)[36]. لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ابن عساكر الدمشقي)، المتوفى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة[37]، و(تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف). لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، المتوفى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة[38].

وأما فهرس رواة المراسيل، فإن علماء الحديث ألفوا كتباً في المراسيل، ككتاب (المراسيل) لأبي داود، لكنه ليس بمرتب على الرواة، ويوجد فهرس لرواة المراسيل في آواخر كتب الأطراف[39].

وقد عرف العلماء قديماً فهرس شيوخ المصنف، وألفوا فيه معاجم الشيوخ، وأولها معجم أبي يعلى، ومنها: (المعجم الأوسط) و(المعجم الصغير) للطبراني، ورتب فيهما أسماء شيوخه على الحروف، وذكر لكل واحد منهم حديثاً أو أكثر، وعليه فالمعاجم فهرس حقيقي لشيوخ المصنف.

اعتنى العلماء بفهارس المتون وغريب الحديث، وبدأ ترتيبه على الحروف إبراهيم بن إسحاق الحربي، المتوفى سنة خمس وثمانين ومائتين[40]؛ ورتبه على المسانيد، ثم رتب أحاديث كل صحابي حسب ما فيها من غريب على الحروف، أما أول من رتب كتابه كله على الحروف فهو أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، المتوفى سنة إحدى وأربعمائة[41]، وبلغ ترتيب الغريب غايته على يد المبارك بن محمد (ابن الأثير الجزري)، المتوفى سنة ست وستمائة، في: (النهاية في غريب الحديث والأثر)[42].

أما فهرس الأطراف فيظن كثير من الباحثين أن السيوطي هو الذي ابتكره، حيث رتب أحاديث بعض كتبه مثل: (الجامع الصغير) و(الجامع الكبير) على الحروف بحسب أوائلها، مع إبقاء الزوائد[43]، لكن سبقه إلى فكرته أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي، المتوفى سنة سبع وخمسمائة، وله (أطراف الكتب الستة). و(أطراف الأفراد للدارقطني). ورتبه على حروف المعجم[44].

إن ترتيب أطراف النصوص على حروف المعجم لم يقتصر على أهل الحديث، بل فعله أحمد بن محمد الميداني، المتوفى سنة ثماني عشرة وخمسمائة[45]، في مجمع الأمثال، وجعل أبوابه بعددها، وفصل منهجه في مقدمته، ولم يعتد بالحروف الزائدة، وقال: (وجعلت الكتاب على نظام حروف المعجم في أوائلها، ليسهل طريق الطلب على متناولها)[46]، إلا أن ترتيبه ليس بكامل الدقة، وهو معاصر لأبي الفضل بن طاهر، ولعل أحدهما استفاد فكرة الترتيب هذه من صاحبه، أو من مؤلف سبقهما إليها، ولا يبعد أن يكون السيوطي قد أخذ الفكرة من أحدهما، أو من كليهما، لأنه معروف بسعة الاطلاع على كتب الأولين، ثم أتقن هذا الترتيب وجوده، وتبعه العلماء في بعض مؤلفاتهم، حتى صار ذلك المنهج طابعاً لأكثر كتب

الأحاديث المشتهرة، لسهولة الكشف به عنها، وهذا يدل على أن اطلاع الباحث على علوم أخرى في غير تخصصه تفيده في تطوير مناهج البحث والتأليف في مجاله، وتعين على ابتكار طرق جديدة نافعة في تخصصه.

أما فهرس الفقه فقد عرف أصله قديماً، وأكثر الكتب الأولى مرتبة فقهياً، كجامع معمر والموطأ، أما الترتيب الفقهي لكتب غير مرتبة فقد رتب أبو الحسن علي بن بلبان الفارسي، المتوفى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، كتاب التقاسيم والأنواع لابن حبان، وسماه (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان)[47]، كما أن كتب الزوائد رتبت أحاديثها فقهياً، وعليه فهي نوع من الفهارس[48].

أما الفهرسة الحديثة المتنوعة لكتاب أو لعدة كتب فبدأت على يد المستشرقين عندما طبعوا بعض كتب المسلمين[49]، وإنما لم تظهر هذه الفهارس عند المسلمين قديماً لأن الكتب مخطوطة، وعليه فلن تتطابق صفحات النسخ قط، ومن ثم فلا حاجة إلى الفهارس، ولا فائدة منها.

بظهور الطباعة أمكن طبع آلاف النسخ، ووضع فهارس يستفيد منها آلاف الباحثين، ولما كانت بداية الطباعة في أوربا فمن المعقول أن تبدأ الفهرسة الحديثة عندهم، ثم تنتقل إلى غيرهم، وليس هذا على إطلاقه، لأن بعض الفهارس الحديثة بدأت في بلاد الإسلام بعد ظهور الطباعة، ومنهم أخذتها أوربا، فالشيخ مصطفى بن علي بن محمد بيومي المصري[50] وضع فهارس غريب لبعض كتب السنة المشهورة المطبوعة، وتبعه المستشرقون، فوضعوا المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي[51]، واشتهر بين الناس، حتى ظنوا أن المستشرقين هم الذين ابتكروا هذا النوع من الفهارس.

الحاسوب والفهرسة الحديثية

انتشرت أجهزة الحاسوب انتشاراً كبيراً بين الناس في هذا العصر، واستفاد منها الأفراد والمؤسسات المختلفة استفادة قصوى في حفظ المعلومات ومعالجتها واسترجاعها بسرعة وسهولة بالغة، وأصبح التواصل الفوري مع الجهات البعيدة في الدولة وفي خارجها أمراً ميسوراً، وصار من الممكن الحصول على معلومات وأبحاث ومقالا ت وكتب لا يمكن أن توجد كلها في مكتبة خاصة، ولا عامة، وانتشرت برامج الحاسوب وأشرطته التي تحمل آلاف الكتب، وتيسر التعامل معها، وبات الحاسوب جهازاً لا غنى عنه لكل باحث يستطيع امتلاكه. بظهور الحاسوب صار إعداد الفهارس ميسراً، ولا يحتاج الباحث إلى قصاصات الأوراق وترتيبها ليعد فهرساً، ويستطيع إدخال ما شاء من معلومات في الموضع المراد من النص، ويقدم ويؤخر ما شاء من كلمة أو جملة أو سطر أو فقرة أو صفحة، ويصلح الأخطاء من غير جهد يذكر.

أما في مجال الحديث خاصة فما زالت تتوالى كثير من الموسوعات الآلية من مراكز وجهات بحثية عديدة، وهي تجمع بين عدد كبير من كتب السنة المتنوعة مع آليات بحث متعددة، تعين على الوصول إلى المراد بسرعة فائقة، ويمكن البحث عن المراد في كتاب أو في عدة كتب في آن واحد، بواسطة كلمة أو جملة من النص المراد، سواء أكان المراد حديثاً، أم علماً، أم غيره.

هذه البرامج الآلية - على عظم فائدتها -لا يستغنى بها عن معرفة أصول الفهرسة الحديثية، كما أن

الآلة الحاسبة لا يصح الاستغناء بها عن معرفة قواعد الحساب، وذلك لعدة أسباب منها الآتي:

1 - جهود الفهرسة جهود علمية تاريخية تبين عظمة أعمال سلف الأمة، وينبغي أن تعلمها أجيال الأمة في الحاضر والمستقبل، حتى لا تفقد علاقتها الحميمة بأصولها العريقة نتيجة لانبهارها بالأجهزة الحديثة.

2 - من الناس من لا يستطيع امتلاك الحاسوب، أو لا يحسن التعامل معه، وعندها لا بد له من الاعتماد على الفهارس العادية، إلى أن يتيسر له امتلاكه، ويحسن التعامل معه.

3 - ليس كل الكتب قد وضعت على البرامج الآلية، ولا بد من استعمال الفهارس في التعامل مع هذا النوع من الكتب.

4 - الكتب المصورة في البرامج الآلية لا تذكر في الغالب معلومات النشر الخاصة بها كاملة، كالمحقق والطابع والناشر ومكان النشر وتاريخه ورقم الطبعة ونحوها، وهذا يقتضي الرجوع إلى الأصول المطبوعة عند الحاجة إلى التوثيق.

5 - الباحث الذي يؤلف كتاباً، أو يحقق مخطوطاً لا بد له من معرفة قواعد الفهرسة حتى تأتي فهارسه منضبطة بالأصول العلمية للفهرسة الحديثية، والحاسوب مهما بلغت دقته في الفهرسة الآلية إلا أنه لا يفكر ولا يتصرف في المواضع التي تحتاج إلى تصرف الباحث.

6 - كمال الاستفادة وحسن التعامل مع برامج الحاسوب لا يتحقق إلا لمن يعرف قواعد الفهرسة الحديثية معرفة جيدة، لتكون كلا المعرفتين مكملة للأخرى، وإلا كان البحث بواسطة الحاسوب قاصراً على أساليب قليلة، وقد يكون غيرها أحسن وأفضل منها.

المبحث الثاني
تصنيف الفهارس الحديثية

من المهم لدراسة كل موضوع أن يقسم إلى أجزاء ليسهل بحث كل مسألة على حدة في داخل الإطار العام للموضوع، وفهارس الحديث لا تخرج عن هذه القاعدة، وهي من حيث عدد الكتب التي تفهرسها تقسم إلى: فهارس مفردة، وفهارس جامعة؛ ومن حيث تعلقها بالإسناد أو المتن تقسم إلى: فهارس أسانيد، وفهارس متون.

الفهرس الجامع والفهارس المفردة

الفهرس الجامع هو الذي يوضع لعدة كتب مختلفة، لا لكتاب واحد، ومن خصائصه أنه غالباً ما يوضع لصفة واحدة من صفات الإسناد أو المتن، ككتب الأطراف، وهي فهارس مسانيد ومراسيل، وكموسوعة أطراف الحديث النبوي، وهي للأطراف، وكالمعجم المفهرس، وهو للغريب، ثم ألحقت به فهارس للأسماء الجغرافية والأعلام، وفهرس لأسماء السور والآيات، وتغلب على الفهرس الجامع الضخامة، لأنه يفهرس عدة كتب، وهذا النوع من الفهارس قليل، لأنه يحتاج إلى جهد ووقت طويلين، ومن عيوبه أن ضخامته تؤدي إلى بطء الوصول إلى المراد فيه، خاصة في المواد الواسعة.

أما الفهارس المفردة فتوضع لكتاب واحد، وهي كثيرة العدد، صغيرة الحجم، سهلة الإعداد، قليلة المادة، وتمتاز بسرعة الوصول إلى المراد فيها، وتكون في الغالب متنوعة، وتشمل عدة صفات في الإسناد والمتن، وقد يوضع بعضها لصفة واحدة فقط، كفهرس الأطراف.

فهارس الأسانيد وفهارس المتون

لما كان كل حديث وأثر يتكون من سند ومتن، ولكل واحد منهما صفاته وخصائصه، فمن الأفضل أن تقسم فهارس الحديث إلى فهارس أسانيد، وفهارس متون، وتندرج تحت كل قسم منها عدة أنواع، تفصيلها على النحو الآتي:

فهارس الأسانيد: للأسانيد أهمية كبيرة في علم الحديث، وبها يحكم على المتون، مما يستدعي إعداد فهارس مناسبة لها لكل كتب السنة، ولما كانت صفات الرواة متعددة فيفضل أن تتعدد فهارس الأسانيد بتعدد تلك الصفات، حتى تدرس كل صفة على حدة، وعليه فمن فهارس الأسانيد المهمة الآتي:

1 -فهرس الرواة من الصحابة.
2 -فهرس رواة المراسيل.
3 -فهرس أصحاب الآثار.
4 -فهرس شيوخ المصنف.
5 -فهرس الرواة.
6 -فهرس الجرح والتعديل.
7 -فهرس تفردات الرواة.

ولما كانت هذه الفهارس ترجع كلها إلى ترتيب أسماء الرواة ليسهل الوصول إلى الاسم المراد بسرعة ودقة، فإنها ترتب كلها على حروف المعجم، ومن المفهرسين من يخلط الكنى بالأسماء، والأولى والمتسق مع المنهج المستقر عند أهل الحديث أن يبدأ بأسماء الرجال ثم كناهم ثم الأبناء ثم المبهمين ثم النساء، على النسق نفسه، ولا تجرد الأسماء والكنى من الزوائد[52]، ويوضع أمام كل راوٍ أرقام الأحاديث التي ورد فيها، فإن لم تكن الأحاديث مرقمة ذكر الجزء والصفحة، وقليل من المفهرسين من يفصل في مرويات المكثرين، فيقسم مرويات كل راوٍ على أسماء من روى عنه، مرتبة على النسق السابق، فالمكثر من الصحابة تقسم أحاديثه على من رواها عنه من التابعين، وإن كان التابعي مكثراً قسمت مروياته على أسماء من روى عنه من أتباع التابعين، وكذلك يفعل فيمن بعدهم، وسارت على ذلك بعض الفهارس الحديثة[53]، وهذا عمل جيد، يسهل البحث داخل مرويات المكثرين. يمكن تفصيل القول في هذه الفهارس على النحو الآتي:

1- فهرس الرواة من الصحابة:

هو فهرس يبين مواضع أحاديث كل صحابي في الكتاب، ومن فوائده أن يعرف إن كانت توجد للصحابي رواية في الكتاب؟ وعدد مروياته فيه، ويفيد في سرعة الوصول إلى أحاديث المقلين، وفي تتبع

وجمع أحاديث الصحابي بسرعة ويسر لمن يريد جمع مسنده وتخريجه، كما يفيد في معرفة من روى عن الصحابي من التابعين ، وهل هو مكثر عنه أم مقل؟ وفي إثبات صحبة غير المشهور من الصحابة إذا صرح بسماع أو تحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في إسناد صحيح إليه.

وهذا الفهرس مهم لكتب السنة إلا لمعاجم الصحابة والمسانيد الصغيرة، أما المسانيد الكبيرة، كمسند الإمام أحمد فتحتاج إليه، لكثرة الصحابة فيها، ولأن أسماءهم لم ترتب على الحروف، كما أن بعض أحاديث الصحابي قد تقع في مسند غيره، وقد لا يذكر حديثه في موضعه من مسنده الأصلي، وربما ظن الباحث أن ذلك الحديث لا يوجد في الكتاب، وهو فيه[54]، وقد تتكرر ترجمة مسانيد بعض المقلين في أكثر من موضع. قد يرد الحديث من رواية صحابيين أو أكثر: إما باشتراكهم في روايته كله، وإما أن ينسب إلى كل واحد جزء من أول متنه أو وسطه أو آخره، ويجب عندها أن يوضع في مسند كل واحد منهم[55]، لأن مسند أحدهم ليس بأولى من مسند الآخر.

قد يذكر اسم الصحابي مجرداً عن اسم أبيه مثل: (عبد الله). وعلى المفهرس أن يعرف أي العبادلة هو، وقد يسمى الأب لكن يشترك فيه أكثر من واحد مثل: عبد الله بن زيد بن عاصم، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه صاحب الأذان[56]، وقد يسمى الأب مرة، ويكنى أخرى، مثل سعد بن مالك بن أهيب، وهو سعد أبي وقاص[57]؛ وقد ينسب الصحابي إلى أمه، مثل عبد الله ابن بحينة، وهي أمه، وأبوه مالك بن القشب[58]، وقد ينسب إلى غير أبيه، مثل المقداد بن الأسود، والأسود ليس بأبيه، واسم أبيه عمرو[59]، وإذا لم يعرف المفهرس ذلك فرق مسند الصحابي في الموضعين.

من يعرف اسمه واسم أبيه ممن له كنية أو نسبة أو لقب أو نسب إلى أمه أو إلى غير أبيه أو نحو ذلك، تفهرس أحاديثه في موضع اسمه واسم أبيه الحقيقي، ويشار في المواضع الأخرى إلى الموضع الأصل، فأبو أمامة الباهلي تفهرس أحاديثه عند: (صدي بن عجلان)[60]، ثم تكتب كنيته في موضعها، ويكتب اسمه أمامها، إشارة إلى أنه قد فهرست أحاديثه عند الاسم، وعندما يأتي عبد الله بن بحينة يكتب أمامه عبد الله بن مالك إشارة إلى أن أحاديثه ستفهرس هناك، وعندما يأتي المقداد بن الأسود يكتب أمامه المقداد بن عمرو، وتفهرس أحاديثه في الموضع اللاحق، وذلك كله سواء أتقدم الاسم الحقيقي كما في الكنى، أم تأخر، وهو المنهج الذي سارت عليه كتب الرجال، مثل: (هذيب التهذيب) و(تقريب التهذيب)، وهو مستمد من الآية: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[61].

أما الأسانيد التي لا يذكر فيها اسم الصحابي، كرواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وهو معاوية بن حيدة القشيري[62]، أو ورواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وهو عبد الله بن عمرو بن العاص[63]؛ أو رواية عباد بن تميم عن عمه، وهو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني[64]، وأمثالها، فالماهر يحفظها، ولا يحتاج إلى الرجوع إلى كتب الرجال، وغيره لا بد أن يرجع إليها لتحديد المراد.

2- فهرس رواة المراسيل:

هو فهرس يبين مواضع مراسيل كل تابعي في الكتاب، ويفيد في معرفة من يكثر الإرسال، ومن يقل منه، وفي سرعة الوصول إلى مراسيل المقلين، وفي تيسير جمع مراسيل أحد التابعين لدراستها، أو لمعرفة أسباب الإرسال، وللتمييز بين مراسيل كبار التابعين وصغارهم، ولمعرفة هل يرسل عن الثقات فقط، أم عن غيرهم أيضاً؟ وهل يرسل عمن أدركهم، أم يرسل عن غيرهم كذلك؟

هذا فهرس مهم للكتب التي تكثر فيها المراسيل، كمسند الشافعي والأم، ومصنف عبد الرزاق ومصنف ابن أبي شيبة، وسنن سعيد بن منصور، والسنن الكبرى للبيهقي، وكتب التفسير بالمأثور، أما الكتب المسندة، كالكتب الستة والمسانيد، فمراسيلها نادرة، ولا تأتي فيها إلا بالتبع، أو لسبب، كبيان علة، أو للاختلاف في رواية، ومع قلتها فإنه يحسن فهرستها، كما فعلوا في كتب الأطراف.

قد يدمج هذا الفهرس مع فهرس الرواة من الصحابة، ويسمى: (فهرس الرواة)[65]، ولا مانع منه في الكتب التي لا تحتاج إلى فهرس منفصل لقلة مراسيلها، كالكتب الصغيرة، أو التي تقل فيها المرويات، ككتب الفقه، أما الكتب التي تكثر فيها المراسيل، فالأولى فصله عن غيره من الفهارس.

3- فهرس أصحاب الآثار:

هو فهرس يبين مواضع أقوال وفتاوى السلف في الكتاب مرتبة على أسمائهم، ويفيد في سرعة الوصول إلى الأثر إذا عرف راويه، خاصة المقل، ويفيد في تتبع آثار السلف لمعرفة مذاهبهم ومناهجهم في التفسير والفقه والعقيدة، أو لدراسة آثار أحدهم، وعناية العلماء بتجريد الآثار قديم، وقد ألف ابن حجر: (الوقوف على ما في صحيح مسلم من الموقوف). حيث جرد فيه آثار صحيح مسلم.

4- فهرس شيوخ المصنف:

هذا فهرس يبين مواضع روايات كل شيخ من شيوخ المصنف في كتاب من كتبه، أو في بعضها، أو فيها كلها، ويفيد في سرعة الوصول إلى حديث المقل منهم، ويفيد في معرفة شيوخ المصنف، وعددهم وعدد مرويات كل واحد منهم، لمعرفة المقل من المكثر منهم، ويفيد في معرفة أسلوب تحمل المصنف عن كل شيخ من شيوخه، وهل هو بسماع أم إجازة، أم مناولة، أم مكاتبة، أم غير ذلك؟ وفي معرفة حال كل شيخ، بتتبع روايته، وفي معرفة وقت سماع المؤلف من كل شيخ، إذا صرح بذلك في الأسانيد، أو وجدت قرينة تدل عليه، ويفيد في ترجمتهم بعد ترتيب أسمائهم، وفي الكشف عن حقيقة من يشتبه اسمه منهم، من خلال تتبع روايته، لأن المصنف قد يورد الاسم مختصراً مرة، وكاملاً مرة أخرى، وقد يورده بكنيته أو لقبه حيناً، وباسمه حيناً آخر.

وهذا الفهرس تحتاج إليه كتب القرن الرابع وما بعده أكثر من غيرها، لأن الذين عاشوا قبل ذلك تراجمهم وأحوالهم معروفة في التواريخ وكتب الجرح والتعديل، كتواريخ ابن معين والفسوي والبخاري، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم، وكتب تراجم رواة الكتب الستة.

وعليه فمن أهم الكتب التي تحتاج إلى هذا الفهرس مصنفات ابن حبان والطبراني والدارقطني والحاكم

وأبي نعيم والخطيب وابن عبد البر ونحوهم، لشدة الاحتياج إلى معرفة درجات الأحاديث التي وردت في كتبهم، لكثرة عزو العلماء إليها، وللحاجة إلى معرفة أحوال شيوخهم، لعدم وجود تراجمهم في كتب الرجال السابق ذكرها لتأخرهم، وقد أعدت فهارس لبعض هذه الكتب(66).

5- فهرس الرواة:

وهو يبين مواضع روايات كل راو في الكتاب، ما لم يكن لبعض الرواة صفة خاصة تقتضي تجريد أحاديثهم في فهارس مستقلة، كأصحاب الفهارس الأربعة السابقة، فهؤلاء إن جرد لكل صنف منهم فهرس مستقل فلا يدخلون بعده في فهرس الرواة إلا لضرورة، كرواية صحابي عن صحابي، فإنها توضع في فهرس الرواة، أما أحاديثه المرفوعة مباشرة فتوضع في فهرس الرواة من الصحابة، وكذلك التابعي الذي له مراسيل وأحاديث يرويها عن غيره، فمراسيله تجعل في فهرس المراسيل، وما رواه عن غيره يوضع في فهرس الرواة، وإن كان المصنف يروي عن أحد شيوخه مباشرة، وبواسطة في أخرى، فما رواه مباشرة يوضع في فهرس شيوخه، وما رواه بواسطة يوضع في فهرس الرواة.

يفيد هذا الفهرس في معرفة من له رواية في الكتاب، وشرط صاحبه فيه، ومدى تشدده في انتقاء الرواة، وفي معرفة عدد ومواضع مرويات كل واحد منهم، وفي سرعة الوصول إلى أحاديث المقلين، وفي تيسير تتبع أحاديث أحد الرواة، للحكم عليه وعلى رواياته، وفي معرفة شيوخ وتلاميذ الراوي، وأساليب روايته، ورواية تلاميذه عنه، ومعرفة السماع والإجازة والتدليس في روايته ونحوها.

فهرس الرواة تحتاج إليه كل كتب السنة، ومع ذلك يهمله المفهرسون، لصعوبة إعداده وكثرة الرواة، خاصة في الكتب الواسعة وكتب المتأخرين، لطول الإسناد، لذا يستوعب عدة صفحات(67).

يمكن تلافي طول هذا الفهرس بترك فهرسة أحاديث المكثرين جداً من الرواة كالزهري، لأن أحوالهم معروفة، وتركز الفهرسة على المقلين، ويمكن عندها أن يسمى: (فهرس المقلين من الرواة).

6- فهرس الجرح والتعديل :

قد يرد الجرح والتعديل في الإسناد، أو بعد الحديث لسبب ما، كتصحيح رواية أو تضعيفها، أو للترجيح بين روايتين متعارضتين، وهذا الفهرس يبين تلك المواضع في كتاب معين، أو في عدة كتب.

من فوائد هذا الفهرس معرفة حال الراوي، ودرجة أحاديثه وعللها، خاصة من لا توجد له ترجمة في الكتب المعروفة، أو كانت المعلومات عنه قليلة، وبجمع أقوال المصنف، ومقارنتها مع أقوال غيره، يعرف منهجه في الجرح والتعديل، تشدداً وتساهلاً واعتدالاً، وتعرف معاني مصطلحاته، وما يريده منها صاحبها، حتى لا تحاكم مصطلحاته بمعاني غيره، فيقع الخطأ في فهم المراد منها، ويمكن بهذه الفهارس أن يجمع كتاب حافل في الجرح والتعديل لكثير من علماء الحديث، بحيث يشتمل على أقوالهم المنثورة في كتبهم، وإن لم يكن لكل واحد منهم مصنف خاص في الجرح والتعديل.

وهذا الفهرس مهم للكتب التي يكثر فيها الجرح والتعديل، كمصنفات الترمذي والنسائي والدارقطني

والبيهقي، وكتب العلل ومختلف الحديث ومشكله، ولا يعني ذلك أن غيرها لا تحتاج إليه، ويستحسن في هذا الفهرس أن يكون جامعاً لكتب المصنف كلها، وليس لكتاب واحد منها، إلا بقدر ما يكون فهرس الكتاب الواحد ممهداً للفهرس الجامع، لإظهار وحدة منهج الجرح والتعديل عند العالم الواحد ولو اختلفت كتبه، ولتسهيل الأمر على من يريد دراسة أحكامه على الرواة، ولتلافي الفهارس البالغة الصغر في الكتب الصغيرة.

7- فهرس تفردات الرواة:

هو فهرس يبين مواضع الأحاديث التي تفرد بها كل راو في كتاب ما، كما ذكرها صاحب الكتاب، ويفيد في حصر الأحاديث التي تفرد بها كل راو في موضع واحد، ليسهل الحكم بها عليه بالاستقراء، وليعرف هل تفردات الراوي خاصة ببعض شيوخه دون بعض، أم أنه يكثر التفرد عن الجميع، وهذا الفهرس يفيد في معرفة أسباب تلك التفردات. وهذا فهرس نادر، لا يوضع إلا لكتاب مخصص للأفراد والغرائب، أو أكثر فيه من ذكرها، كالمعجم الأوسط للطبراني[68]، والمعجم الصغير له، والأفراد للدارقطني ومسند البزار وكتب العلل.

فهارس المتون

المتون هي الغاية من الحديث، ولأجل الحكم عليها تدرس الأسانيد، ولا بد لها من فهارس متعددة بتعدد صفات المتون، لتسهيل دراستها، ومن تلك الفهارس المهمة الآتي:

1 - فهرس الآيات القرآنية.
2 - فهرس الأطراف.
3 - فهرس الأمثال والحكم.
4 - فهرس غريب الحديث.
5 - فهرس الأعلام.
6 - فهرس الأماكن والبلدان.
7 - فهرس القبائل والشعوب.
8 - فهرس الكتب.
9 - فهرس الأشعار.
10 - الفهرس الفقهي.

فهارس المتون تختلف عن فهارس الأسانيد في الترتيب، لأنها متنوعة ولها خصوصية، ويرتب كل نوع منها بما يناسبه، ففهرس الآيات القرآنية يرتب على المصحف، لأنه أيسر في الوصول إلى المراد، وفهارس الأطراف والأمثال والحكم ترتب على أوائلها، لأن الغرض هو ترتيب النصوص، وليس ترتيب المفردات التي فيها، وفهرس الغريب يرتب على حروف المعجم، مع تجريد الكلمة من الزوائد، لأنه أشبه بالمعجم

اللغوي، وفهارس الأعلام والأسماء الجغرافية والقبائل والكتب ترتب على الحروف، ولا تحذف الزوائد لأنها أعلام، وهي أشبه فهارس المتون بفهارس الأسانيد، وفهرس الأشعار يرتب على القوافي، لأنه الأيسر في الوصول إلى البيت في الفهرس وفي الدواوين، والفهرس الفقهي على الموضوعات، لأنه المراد منه، وتفصيل القول في هذه الفهارس على النحو الآتي:

1- فهرس الآيات القرآنية: هو فهرس يبين مواضع الآيات في الكتاب وفي المصحف، بحسب ترتيبها فيه، ويكتب فيه اسم السورة ورقمها، ثم نص الآية ورقمها، ثم مواضع ورودها في الكتاب، برقم الحديث، أو بالجزء والصفحة، ولما كانت الآيات التي ترد في الأحاديث قليلة فعادة ما يكون هذا الفهرس صغيراً، إلا أذا أعد لعدة كتب، كما هو الحال في المعجم المفهرس[69].

هذا الفهرس سهل الإعداد والترتيب لصغره، وهو مهم لكتب السنة كلها، ما عدا كتب التفسير بالمأثور وأسباب النزول، لأنها مرتبة على المصحف، ويفيد في سرعة الوصول إلى الحديث المشتمل على آية، وإعانة الباحث في التفسير وعلوم القرآن، وأحكامه وفضائل سوره وآياته، وما يتعلق به.

2- فهرس الأطراف: ترتب فيه أوائل الأحاديث على الحروف، ثم يبين موضع كل حديث في الكتاب، سواء أكانت اللفظة الأولى في الحديث اسماً أم فعلاً أم حرفاً، ولا تجرد الكلمات من زوائدها، ولا ترد إلى أصولها. هذا الفهرس مهم لكتب السنة، إلا ما رتب منها على الأطراف، كالجامع الصغير، وبعض كتب الأحاديث المشتهرة، ويفيد في سرعة الوصول إلى الحديث بطرفه، وفي تيسير جمع الأحاديث المتعلقة ببعض الموضوعات إذا كانت تبدأ بألفاظ معينة، كأحاديث الشمائل التي تبدأ بكلمة (كان)، وأحاديث المناهي التي تبدأ بكلمة (نهى)، إلا أن فائدة هذا الفهرس تكاد تكون معدومة في أحاديث السنن الفعلية والتقريرية والمرفوعات حكماً، إذ لا تفهرس فيه إلا بعضها، كالشمائل والمناهي.

هذا الفهرس هو الأكثر انتشاراً لسهولة إعداده، وقد طبعت فيه موسوعة ضخمة هي: (موسوعة أطراف الحديث النبوي)، وهي من أوسع وأنفع كتب التخريج المساعدة[70].

عند استعمال هذا الفهرس يجب الانتباه إلى أن الحديث الواحد قد تتعدد أطرافه بتعدد الألفاظ التي يبدأ بها، لأن الأحاديث تروى بالمعنى كثيراً، لذا يبحث عن الحديث فيها في عدة مواضع، بحسب أطرافه المحتملة كلها، فحديث: (إنما الأعمال بالنيات) له عدة أطراف منها: (إنما الأعمال بالنية، والأعمال بالنيات، والأعمال بالنية، والعمل بالنية)[71]، ولا بد أن تكون للباحث بصيرة، وسعة معرفة بالألفاظ التي يمكن أن يبدأ بها الحديث، فإن كان يبدأ باسم يمكن أن يزاد قبله (إن، وإنما). ثم يبحث عنه في تلك المواضع المحتملة، وإن كان أوله: (لن، أو لم) فيمكن أن يزاد قبلها (إن) المضافة إلى ضمير ينسجم مع سياق الحديث فيصير أوله (إنه لم، أو إنكم لن، أو إنك لم) ونحوها.

3- فهرس الأمثال والحكم: هذا فهرس يبين مواضع الأمثال والحكم في الكتاب، وهو صغير، لأن

الأمثال قليلة في المتون، لذا قل من يضعه، ومن فوائده الدلالة على مواضع الحديث المشتمل على حكمة أو مثل، وتيسير جمع الحكم والأمثال من الأحاديث، لدراسة ما يتعلق بها من أحكام شرعية، أو فوائد لغوية وأدبية. إعداد هذا الفهرس ليس بيسير، لأنه يتطلب معرفة أمثال العرب وحكمهم وأدبهم، والاطلاع على الكتب المؤلفة في الأمثال، كمجمع الأمثال للميداني، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري، وغيرها، كما أن المثل قد يأتي مدرجاً في الكلام، غير منفصل عنه، وقد لا يشار إليه على أنه مثل، فيصعب تمييزه لمن لم يكن له سابق علم به، وربما فاتت فهرسته لأجل ذلك.

4- فهرس غريب الحديث: منهج ترتيب غريب الحديث على حروف المعجم بعد تجريد الكلمة من الزوائد قديم، وقد أتقنه العلماء، وألفوا فيه كتباً كثيرة، وفهرس غريب الحديث يقوم على هذا الترتيب، ويفيد في سرعة الوصول إلى الحديث المشتمل على غريب، وفي تيسير جمع الأحاديث المتعلقة بموضوع ما من خلال المفردات المتعلقة به، فجمع أحاديث الخاتم وأحكامه يرجع فيها إلى مادة: (ختم) من المعجم المفهرس[72]، وغيره من فهارس الغريب.

وهذا الفهرس تحتاج إليه كتب السنة كلها، خاصة الواسعة منها، إلا أنه لم يوضع إلا لقليل منها، لسعته وصعوبة إعداده، لأنه يفهرس مفردات أحاديث الكتاب كلها، وهي كثيرة، وينتج عن الطول عيب آخر هو صعوبة الوصول إلى المراد في المواد الواسعة، لكثرة استعمالها في النصوص، فمادة (صلو) ومشتقاتها قد استغرقت أكثر من سبعين صفحة في المعجم المفهرس[73].

يمكن التخلص من عيوب هذا الفهرس بترك فهرسة المواد الواسعة، والاقتصار في الفهرسة على المواد النادرة، فلا يفهرس من ألفاظ كل حديث إلا أكثرها ندرة وغرابة، ويكتفى من كل حديث بعدد قليل من ألفاظه، بحسب الحاجة، وبحسب طول الحديث، وتترك سائر كلماته الكثيرة التداول، فحديث: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[74]. تفهرس منه كلمة (لسانه) فقط لأنها كافية في الدلالة على الحديث، وهي قليلة الدوران على الألسنة، مقارنة مع بقية كلمات الحديث التي يفضل أن تترك فهرستها، لكثرة دورانها على الألسنة، والأحاديث الطوال كحديث الإفك، وحديث جبريل، وحديث الثلاثة الذي خلفوا يكفي أن تفهرس كلماتها النادرة فقط، لأنه لا فائدة تذكر من فهرسة مفرداتها الكثيرة التداول، بل تؤدي إلى تضخيم الفهرس بلا كبير فائدة. وقد يستنكر ترك فهرسة كلمات موجودة في الحديث إلا أنه ليس من المهم فهرسة كل معلومة في الكتاب، وإنما المهم هو فهرسة ما يكفي في الإرشاد إلى مواضع الرواية المطلوبة، وإذا أمكن الوصول إلى المعلومة بأيسر طريقة، فإنه يكتفى بها عن غيرها مما لا يفيد من الطرق، ثم إن الكلمات الكثيرة الدوران على الألسنة لا تستعمل أصلاً عند البحث عن الحديث، بل تهمل، وإنما يبحث عن الحديث بكلماته النادرة والغريبة، تيسيراً للبحث، واختصاراً لزمنه وجهده، وإذا كانت الكلمات الدائرة على الألسنة تجهد واضع الفهرس، وتضخم الفهرس بما يؤدي إلى بطء البحث فيه، ثم هي مع ذلك لا

تستعمل عند البحث عن الأحاديث بذلك الفهرس، فما الداعي لفهرستها إذن؟

ولا بد لمعد هذا الفهرس أن يكون عالماً بالعربية وغريبها وصرفها، مع الاطلاع الواسع على غريب الحديث، وقراءة كل كلمة بتمهل، تجنباً للخطأ، ويجب ذلك على محققي المخطوطات أيضاً، وقد ورد في مصنف عبد الرزاق في حديث عبد الله بن عمرو أنه قال: (سئل رسول الله ﷺ عن الفرعة فقال: حق، وإن تتركه حتى يكون شغرفياً ابن مخاض أو ابن لبون، فتحمل عليه في سبيل الله، أو تعطيه أرملة، خير من أن تذبحه، يلصق لحمه بوبره، وتكفأ إناءك وتوله ناقتك)[75]. هكذا كتبت كلمة (شغرفياً)، وذكر المحقق أنها في سنن أبي داود (شغرباً). ومال إلى تخطئتها، مع أنها أقرب إلى الصواب مما أثبته، وقد ورد الحديث من طريقين عن عبد الرزاق في المسند، ورسمت فيها الكلمة مثل رسم سنن أبي داود، وكلها خطأ، ولا وجود لها في معاجم العربية، والكلمة الصحيحة (شغزباً) بالزاي، لا بالراء، وكذلك وردت في كتب الغريب ومعاجم اللغة، وتعني الذي اشتد لحمه وغلظ، على أن الكتب خطأت هذه الكلمة أيضاً، وبينت أنها تصحيف، والصواب (زخزباً)[76]، وسقوط نقطة الزاي أو الغين من المسند وسنن أبي داود قد يكون من الطابع، ومهما يكن سبب الخطأ فإنه يجب تصحيحه في الطباعة، اعتماداً على ما في كتب الغريب ومعاجم اللغة، لأنها لم تختلف في ضبط هذه الكلمة، مع إثبات ما في المخطوطات، والإشارة إلى الخطأ الذي فيها في هوامش التحقيق. يلاحظ في البحث بالفهرس أنه كلما كانت الكلمة التي يبحث بها أكثر غرابة، وأقل دوراناً على الألسنة، كان الوصول إلى الحديث أسهل وأسرع، والعكس صحيح، لذا يفضل البحث عن الحديث بأشد كلماته غرابة وندرة، ويبحث عنه بأكثر من كلمة، لأن الحديث يروى بالمعنى، وقد تبدل لفظة بأخرى مرادفة، والبحث بالمترادفات مفيد جداً هنا، كما أن اختصار الحديث وتقطيعه في بعض الكتب يقتضي أن يتم البحث بعدة كلمات، في أول المتن ووسطه وآخره، أو في كل جملة من جمله.

5- فهرس الأعلام: يبين هذا الفهرس مواضع الأعلام التي في متون أحاديث الكتاب، لا الأعلام التي في الأسانيد، والعلم يشمل كل ما له اسم خاص من شخص أو قبيلة أو شعب أو ملة أو مَلَك أو جني أو وثن أو سيف أو حيوان أو نحوها[77]، وقد يستحق نوع خاص من الأعلام أن يفرد له فهرس مستقل إذا وجدت كلماته بكثرة في المتون كفهرس القبائل والشعوب، وهذا أمر يتفاوت من كتاب لآخر.

هذا الفهرس تحتاج إليه جميع كتب السنة لكثرة الأعلام فيها، ولما ألحق هذا الفهرس بالمعجم المفهرس جاءت صفحاته بالمئات[78]، وهو فهرس يفيد في سرعة الوصول إلى الحديث المشتمل على اسم علم، كما يفيد في جمع الأحاديث المتعلقة بعلم معين، لدراسته ولمعرفة ما ورد بشأنه في السنة.

6- فهرس الأماكن والبلدان: يسمى هذا الفهرس بعدة أسماء، كفهرس المواضع والبقاع، أو فهرس الأسماء الجغرافية، ويبين مواضع هذه الأماكن في الكتاب، ما لم تكن نادرة فتدمج في فهرس الأعلام، وأسماء المواضع تفهرس كلها، سواء أكانت لموضع صغير أم كبير، مسكون أم غير مسكون، وسواء أكانت

اسم إقليم أم مدينة أم قرية أم حصناً أم بئراً أم ماءً أم نهراً أم بحيرة أم بحراً أم جبلاً أم سهلاً أم حرة أم بستاناً أم مقبرة أم بناءً كالكعبة، أم غيرها من المواضع[79]. هذا الفهرس تحتاج إليه كتب السنة كلها، خاصة ما كان منها كبير الحجم، ويفيد في تخريج الحديث المشتمل على اسم موضع، وفي جمع ودراسة الأحاديث المتعلقة بموضع معين.

7- **فهرس القبائل والشعوب:** هو فهرس يبين مواضع القبائل والشعوب والأمم الواردة في الكتاب، ويفيد في سرعة الوصول إلى المتن المشتمل على اسم تلك القبيلة أو الشعب، وفي إعانة من يريد جمع الأحاديث المتعلقة بقبيلة أو شعب، وأسماء القبائل والشعوب قليلة في المتون، لذا فهو فهرس نادر الوجود، وكثيراً ما يدمج في فهرس الأعلام، ولم يعد مستقلاً إلا لقليل من الكتب[80]، والدمج يصلح في فهرسة الكتب الصغيرة، أما الكتب الواسعة فيفضل أن يعد لها هذا الفهرس مستقلاً لئلا يتضخم فهرس الأعلام.

8- **فهرس الكتب:** جرى العرف بتقسيم المصنفات المرتبة فقهياً إلى كتب، والكتب إلى أبواب، وهذا الفهرس يبين مواضع الكتب في المصنفات الواسعة ذات الكتب الكثيرة، بعد ترتيبها على حروف الهجاء، ليتم الوصول إلى الكتاب المراد بسرعة، وعليه فهو ليس للأحاديث المفردة، وإنما لمجموعاتها الكبيرة.

وهذا فهرس سهل الإعداد، وصغير، يأتي في صفحة أو صفحتين، وتحتاج إليه الكتب المرتبة فقهياً، وهو مفيد في الكتب الواسعة كمصنف عبد الرزاق، ومصنف ابن أبي شيبة، والكتب الستة، والسنن الكبرى للنسائي، والسنن الكبرى للبيهقي، وقد أعد هذا الفهرس لبعض هذه الكتب[81]، وهو فهرس عظيم الفائدة، خاصة للمبتدئ في الحديث، الذي لم يتعود على ممارسة البحث في كتب السنة، ولم يحفظ مواضع الكتب وترتيبها في كل مصنف، والباحث الحصيف يعد هذا الفهرس لكل كتاب في مكتبته الخاصة، لأن إعداده لا يكلف كبير جهد ولا وقت، وبعض الباحثين يكتب الفهرس الخاص بكل مجلد من مجلدات الكتاب في ورقة صغيرة يلصقها على قاعدة كل مجلد.

9- **فهرس الأشعار:** هو فهرس يبين مواضع الشعر في الكتاب، وترتب فيه القوافي على حروف المعجم، ويفيد في سرعة الوصول إلى الحديث المشتمل على شعر، وييسر جمع الشعر الوارد في الحديث، لدراسته ومعرفة أحكام الشعر في السنة، أو لدراسته من الناحية اللغوية، وهذا الفهرس صغير، لقلة الشعر في الأحاديث، ولذا قل من يعتني به[82]، لكنه مهم، خاصة للكتب الواسعة كالمعجم الكبير والمسند، ولو تتبعه متتبع في الكتب الستة والموطأ والمسند لما كان ذلك عسيراً، ولكان فيه فائدة عظيمة للباحثين.

10- **الفهرس الفقهي:** يرتب هذا الفهرس الأحاديث الواردة في كتاب ما ترتيباً فقهياً على الكتب والأبواب، وقد يرتب على حروف المعجم بأسماء الموضوعات، كما في: (مفتاح كنوز السنة). ويفيد في سرعة الوصول إلى الحديث إذا عرف بابه الفقهي، ويعين من يريد جمع وتخريج أحاديث متعلقة بمسألة فقهية، أو موضوع معين، وهو فهرس مهم للكتب غير المرتبة فقهياً، كالمسانيد ومعاجم الصحابة ومعاجم

الشيوخ وكتب الرجال.

المبحث الثالث
عيوب الفهارس ونقائصها

لا بد أن يقع في الفهارس نقص أو خطأ مثل أي جهد بشري، ومنشأ ذلك يكون من الكتاب الذي وضع له الفهرس، أو من تعدد طبعاته، أو ممن وضع فهارسه.

أما خطأ الكتاب فقد يكون من الناسخ أو من الطابع، والباحث العالم باللغة، المتخصص في المجال الذي يفهرس له لا يفوته من أخطاء الكتب إلا النادر، بل يفطن لها ويصلحها، فيخلو منها عمله، وغيره قد لا يتنبه، فيحدث الخطأ في الفهرسة تبعاً لخطأ الكتاب، وإذا وثق الباحث في واضع الفهرس وقع في الخطأ بالتبع، ومن ذلك حديث واثلة بن الأسقع قال: (كنت في أهل الصفة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرص، فكسره في القصعة، ووضع فيها ماء سخناً، ثم صنع فيها ودكاً، ثم سغسغها، ثم لبقها ثم صعنبها[83]، ثم قال: اذهب فأتني بعشرة أنت عاشرهم. فجئت بهم، فقال: كلوا من أسفلها، ولا تأكلوا من أعلاها، فإن البركة تنزل من أعلاها. فأكلوا منها حتى شبعوا)[84].

كلمة (سغسغها) ضبطتها كتب الغريب ومعاجم اللغة بالغين في الموضعين[85]، لكنها في المطبوع من المسند بالفاء في الموضعين، ولعلها من خطأ الطباعة، وهكذا فهرست خطأ في المعجم المفهرس، فشرحها وفسرها بعض الفضلاء خطأ، ثقة بما في المطبوع من المسند والمعجم المفهرس[86].

أما تعدد الطبعات فإن الفهرس الموضوع لطبعة معينة لا يستفيد منه إلا من يمتلكها، ولا يصلح لغيرها، لاختلاف الأجزاء والصفحات، إلا أن ترقيم الأحاديث والاعتماد عليها في الفهرسة سيقلل من المشكلة، لأن أرقام الأحاديث لا تختلف كثيراً باختلاف الطبعات، وإذا لم يجد الباحث بغيته في الرقم نفسه فسيجدها فوقه أو تحته بقليل، وبذلك تعم فائدة الفهرس الواحد لطبعات متعددة.

أما الأخطاء التي ترجع إلى واضع الفهرس نفسه فمنها الآتي:

1 - **إهمال فهرس مهم كان يستحسن وضعه** ضمن فهارس الكتاب، كإهمال فهرس رواة الأحاديث والآثار في كثير من فهارس كتب السنة.

2 - **سقوط بعض المعلومات المهمة**: كأن يوضع فهرس للرواة من الصحابة، فيسقط بعضهم منه مع وجود روايات لهم في الكتاب، ففهرس صحيح مسلم سقط منه رافع بن عمرو الغفاري، ورقم حديثه (1067)، وهشام بن عامر، ورقم حديثه (2946)، وأبو حبة الأنصاري، ورقم حديثه (1639)، وهو جزء من متن، ومن حقه أن يفهرس[87]، وقد يوجد الصحابي في الفهرس، وتسقط بعض أحاديثه، ففي فهارس صحيح مسلم سقط الحديث (713) من مسند أبي أسيد، والحديث (347) من مسند أبي أيوب، والحديث (2318) من مسند أبي بكر الصديق[88]، رضي الله عنهم أجمعين، ومثلت بهذا الفهرس لاشتهاره وتداوله بين أهل العلم، وشهرة واضعه، وجهوده العظيمة في خدمة السنة، وتحقيق وطباعة وفهرسة كتبها، للدلالة على أن الأخطاء قلما يخلو منها فهرس، لذا لا يصح الاعتماد الكامل على نوع واحد منها، لأن خطأ فهرس قد يصححه

فهرس آخر، وهذه الأحاديث التي سقطت من فهرس الرواة يمكن الوصول إليها بفهارس الغريب، أو بالمعجم المفهرس، أو بأطرافها في فهارس الأطراف.

3 - **التفريق بين معلومات يجب الدمج بينها في الفهرس**: ففي فهرس الرواة من الصحابة قد يرد أحدهم باسمه مرة، وبكنيته مرة، أو يرد اسمه بصيغتين مختلفتين، مثل سعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، فيظنه المفهرس شخصين، فيفرق أحاديثه في موضعين[89]، وهذا يقع عندما يكون المفهرس غير متخصص في المجال الذي يفهرس له.

4 - **دمج معلومات كان يجب تفريقها في الفهرس**: وهو على عكس ما سبق، فقد يتشابه اسمان لشخصين مختلفين، فيظنهما المفهرس واحداً، فيضع ما يتعلق بكليهما في موضع واحد، ومن هذه الأسماء التي تتشابه أوس بن أوس، وأوس بن أبي أوس، وهما صحابيان مختلفان على الأرجح، والثاني منهما يسمى أوس بن حذيفة[90].

الأخطاء النادرة في الفهارس لا يخلو من الوقوع فيها أحد، أما الكثيرة المتعددة التي تقلل من فائدة الفهارس أو تعدمها فترجع إلى جهل واضعها بالعلم الذي يفهرس له، أو لقلة معرفته بالكتاب، أو لعدم تقديره لأنواع الفهارس التي يحتاج إليها الكتاب، أو لعدم التمكن من اللغة، أو للجهل بكيفية ترتيب كل فهرس، وعليه فمن المهم أن يضع فهارس الكتب المهمة والمصادر الأساسية في كل علم أهله، مع العلم بالعربية، وبكيفية الفهرسة، وإلا جاءت الفهارس ضعيفة لا يعتمد عليها، وبعض الأخطاء والعيوب سببها العجلة في إعداد الفهارس وطبعها، وهذا لا يليق بأهل العلم الشرعي.

هوامش البحث:

(1) علم فهرسة الحديث ص 9.
(2) مقدمة سنن الترمذي 43/1.
(3) انظر: مقدمة شرح سنن الترمذي 43/1- 62.
(4) علم فهرسة الحديث ص 9-11 و21-26.
(5) دليل مؤلفات الحديث الشريف 578/2.
(6) المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف 943/3.
(7) كتاب العين ص 757 والقاموس المحيط ص 727.
(8) تاج العروس (مادة فهرس) 348/16.
(9) قصد السبيل 347/2.
(10) انظر: القاموس المحيط ص 244.
(11) فهرس أحاديث المستدرك ص 16.
(12) انظر: مادة (فهرس) في تهذيب اللغة 277/6 والمعجم الوسيط 704/2.
(13) انظر (مادة فهرس) في لسان العرب 3480/5 وتهذيب اللغة 277/6 والقاموس المحيط ص 727.
(14) كشف الظنون 1303/2.
(15) انظر الفهرست ص 19 ومعجم الأدباء 2427/6 ومعجم المؤلفين 122/3.
(16) المعجم الوسيط (مادة فهرس) 704/2.
(17) انظر: الرحلة في طلب الحديث ص 109-120 و127-165.
(18) انظر: الصاحبي في فقه اللغة ص 38-40 والمزهر 257/2-262.

(19) انظر: مقدمة سنن الترمذي 52/1 والمعاجم اللغوية ص 32-42 وفهرس أحاديث المستدرك ص 19.
(20) انظر ترجمته في طبقات النحويين ص 27 ونزهة الألباء ص 14 وتهذيب الكمال 327/7 والبلغة ص 304 وبغية الوعاة 313/2.
(21) انظر: بغية الوعاة 314/2 والمعاجم اللغوية ص 32-51 وفهرس أحاديث المستدرك ص 18 و20 و21.
(22) انظر: مراتب النحويين ص 54 وطبقات النحويين ص 47 ونزهة الألباء ص 45 والبلغة ص 133 وهدية العارفين 350/5.
(23) انظر: المزهر 301/2 ومقدمة سنن الترمذي 45/1-50.
(24) كيف تقرأ كتاباً ص 207.
(25) انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي 379/7 ومقدمة سنن الترمذي 52/1.
(26) انظر: الإرشاد 630/2 وتذكرة الحفاظ 707/2 وطبقات الحفاظ ص 302 والأعلام 171/1.
(27) انظر: كشف الظنون 1736/2 وهدية العارفين 75/5 وأصول التخريج ص 46 وعلم فهرسة الحديث ص 22.
(28) المعجم لأبي يعلى ص 55 و110 و344.
(29) انظر: مقدمة الصحاح ص 38 والمعجم العربي 9/1.
(30) انظر: مراتب النحويين ص 57 ونزهة الألباء ص 46 والبلغة ص 133 والمزهر 69/1.
(31) انظر: مقدمة سنن الترمذي 53/1 وعلم فهرسة الحديث ص 22.
(32) علم فهرسة الحديث ص 22.
(33) هدي الساري ص 507.
(34) انظر: تذكرة الحفاظ 912/3 ووفيات الأعيان 407/2 وطبقات الحفاظ ص 372 وكشف الظنون 1737/2 وهدية العارفين 396/5.
(35) انظر: طبقات الحفاظ ص 495 وكشف الظنون 82/1 ومعجم المؤلفين 523/2.
(36) انظر: مقدمة سنن الترمذي 58/1-59 وأصول التخريج ص 47-48 وعلم فهرسة الحديث ص 9 و23.
(37) انظر: وفيات الأعيان 309/3 وطبقات الحفاظ ص 475 ومعجم المؤلفين 427/2.
(38) انظر: طبقات الحفاظ ص 512 والأعلام 236/8 ومعجم المؤلفين 166/4.
(39) انظر: تحفة الأشراف 123/13 وذخائر المواريث 312/4.
(40) انظر: تذكرة الحفاظ 584/2 وطبقات الحفاظ ص 263 وكشف الظنون 1205/2 وهدية العارفين 4/5.
(41) انظر: وفيات الأعيان 95/1 وكشف الظنون 1206/2 ومعجم المؤلفين 292/1.
(42) انظر: كشف الظنون 1207/2 ومقدمة النهاية في غريب الحديث والأثر 7/1-8 و19 ومعجم المؤلفين 13/3.
(43) انظر: مقدمة سنن الترمذي 59/1 وأصول التخريج ص 47 وفهرس أحاديث المستدرك ص 24 وعلم فهرسة الحديث ص 10 و24.
(44) انظر: طبقات الحفاظ ص 452 وكشف الظنون 106/1 ومقدمة سنن الترمذي ص 59 والأعلام 171/6.
(45) انظر: وفيات الأعيان 148/1 والبلغة ص 82 ومعجم المؤلفين 240/2.
(46) مجمع الأمثال 68/1.
(47) انظر: كشف الظنون 1075/2 وهدية العارفين 718/5 ومعجم المؤلفين 412/2 والأعلام 267/4.
(48) انظر: علم فهرسة الحديث ص 10 و23.
(49) مقدمة سنن الترمذي 44/43/1.
(50) انظر: معجم المؤلفين 873/3.
(51) انظر: فهرس أحاديث المستدرك ص 27.
(52) انظر: تقريب التهذيب ص 77 و617 و686 و743.
(53) انظر: فهارس المعجم الأوسط 207/9-291.
(54) مقدمة مسند الإمام أحمد 8/1-9.
(55) انظر: مقدمة المسند 9/1.
(56) انظر: الاستيعاب 45/3 وتجريد أسماء الصحابة 312/1 والإصابة 312/2.
(57) انظر: الاستيعاب 171/2 وتجريد أسماء الصحابة 318/1 والإصابة 33/2.
(58) انظر: الاستيعاب 106/3 وتجريد أسماء الصحابة 332 والإصابة 364/2.
(59) انظر: الاستيعاب 42/4 وتجريد أسماء الصحابة 92/2 والإصابة 454/3 وتهذيب التهذيب 414/2 و146/4.
(60) الاستيعاب 289/2 وتجريد أسماء الصحابة 264/1 والإصابة 182/2.
(61) الآية 5 من سورة الأحزاب.

(62) انظر: الاستيعاب 470/3 وتهذيب الكمال 382/1 وإكمال تهذيب الكمال 36/10 والإصابة 432/3.

(63) انظر: تهذيب الكمال 422/5 وإكمال تهذيب الكمال 187/10.

(64) انظر: تهذيب الكمال 45/4 وإكمال تهذيب الكمال 164/7 والإصابة 312/2 وتهذيب التهذيب 251/1 و75/2 والتقريب ص 28.

(65) انظر: فهارس مصنف عبد الرزاق 539/11- 692.

(66) انظر: فهارس المعجم الأوسط 309/9.

(67) انظر: فهارس الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان 79/18-276.

(68) انظر: فهارس المعجم الأوسط 309/9.

(69) انظر: المعجم المفهرس 369/8 وفهارس سنن النسائي ص 9 وفهارس سنن ابن ماجه 249/4.

(70) انظر: مقدمة موسوعة أطراف الحديث النبوي 5/1-70.

(71) انظر: صحيح البخاري 15/1(1) وصحيح مسلم 1515/3(1907) وفتح الباري 18/1.

(72) انظر: المعجم المفهرس 8/2-10.

(73) انظر: المصدر نفسه 343/3-415.

(74) الحديث رواه البخاري في كتاب الإيمان 124/1(10) ومسلم في كتاب الإيمان 47/1.

(75) المصنف 339/4(7995) ومن طريقه الإمام أحمد 183/2 و187 وأبو داود 107/3(2842).

(76) انظر: غريب الحديث 474/2 والنهاية في غريب الحديث والأثر 299/2 و483 ولسان العرب 228/4.

(77) انظر: المعجم المفهرس ج 8 ص ل وفهارس سنن ابن ماجه 491/4.

(78) انظر: المعجم المفهرس 1/8-342.

(79) انظر: المجلد الثامن من المصدر نفسه.

(80) انظر: المصدر نفسه 1/8-342.

(81) انظر: فهارس سنن ابن ماجة محمد فؤاد 529/2 وفهارس سنن النسائي ص 353.

(82) انظر: فهارس سنن ابن ماجة 517/4.

(83) سغسغها: أي رواها بالدهن. ولبقها: أي خلطها خلطاً شديداً وقيل جمعها بالمغرفة. وصعنبها: أي رفع رأسها وجعل لها ذروة وضم جوانبها. انظر: غريب الحديث 56/3 والنهاية في غريب الحديث والأثر 371/2 و 32/3 و226/4.

(84) رواه الإمام أحمد في المسند 490/3.

(85) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 371/2 و32/3 و226/4 ولسان العرب 2022/3.

(86) انظر: المسند 490/3 والمعجم المفهرس 473/2 وسلسة الأحاديث الصحيحة 50/5(2030).

(87) انظر: صحيح مسلم 149/1 و 750/2 و2226/4 وفهارس صحيح مسلم ص 226 و296 و348.

(88) انظر: صحيح مسلم 271/1 و494/1 و1854/4 وفهارس صحيح مسلم ص 224 و225.

(89) فهارس مصنف عبد الرزاق 574/11.

(90) انظر: الاستيعاب 208/1 و209 وتجريد أسماء الصحابة 34/1 والإصابة 79/1 و80 و82 وتهذيب التهذيب 193/1.

قائمة المصادر والمراجع

1 - القرآن الكريم.

2 - الإرشاد في معرفة علماء الحديث/ أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1 (1409= 1989م).

3 - الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: على معوض، وعادل عبد الموجود،

دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 (1415= 1995م).
4 - الإصابة في تمييز الصحابة/ أحمد بن علي بن حجر، الكتب خانة الخديوية المصرية، بدون تاريخ.
5 - أصول التخريج ودراسة الأسانيد/ محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط 2(1412=1991م).
6 - الأعلام/ خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 14 (1999م).
7 - إكمال تهذيب الكمال/ مغلطاي بن قليج، تحقيق: عادل محمد، وأسامة إبراهيم، دار الفاروق، القاهرة، ط 1 (1422= 2001م).
8 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة/ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.
9 - البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة/ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد المصري، دار سعد الدين، دمشق، ط 1 (1421= 2000م).
10 - تاج العروس من جواهر القاموس/ محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء التراث العربي، بيروت (1385= 1965م).
11 - تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف/ يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، دار القيمة، الهند، ط 2 (1403= 1983م) .
12 - تجريد أسماء الصحابة/ محمد بن أحمد الذهبي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
13 - تذكرة الحفاظ/ محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
14 - تقريب التهذيب/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار العلم، دمشق، ط 3 (1411= 1991م) .
15 - تهذيب التهذيب/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1 (1416=1996م).
16 - تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1 (1418= 1998م).
17 - تهذيب اللغة/ محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1 (1421= 2001م) .
18 - الجامع الصحيح/ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (طبع مع فتح الباري)، دار الريان للتراث، القاهرة، ط 2 (1407 = 1987م) .
19 - الجامع الصحيح/ الإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط 1 (1412= 1991م) .
20 - دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة القديمة والحديثة/ محيي الدين عطية، وصلاح الدين حنفي، ومحمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط 1 (1416= 1995م).
21 - ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث/ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
22 - الرحلة في طلب الحديث/ الخطيب أحمد بن علي البغدادي، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 (1395= 1975م).
23 - سلسلة الأحاديث الصحيحة/ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1 (1412= 1991م)

24 - السنن/ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
25 - الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها/ أحمد بن فارس، تحقيق: عمر الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط 1 (1414 = 1993م).
26 - طبقات الحفاظ/ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 (1403=1983م).
27 - طبقات النحويين واللغويين/ محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط 2، بدون تاريخ.
28 - علم فهرسة الحديث/ يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط 1 (1406=1986).
29 - غريب الحديث/ أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: حسين محمد شرف، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (1409= 1989م).
30 - فتح الباري بشرح صحيح البخاري/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، القاهرة، ط 2 (1416= 1996م).
31 - فهارس الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3 (1418= 1997م).
32 - فهارس سنن ابن ماجة/ محمد فؤاد عبد الباقي، (طبعت مع سنن ابن ماجة)، دار الفكر، بدون تاريخ.
33 - فهارس سنن ابن ماجة/ محمد مصطفى الأعظمي، شركة الطباعة السعودية، الرياض، ط 2 (1404= 1984م).
34 - فهارس سنن النسائي/ مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، ط 3 (1414= 1994).
35 - فهارس صحيح مسلم/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط 1 (1412= 1991م).
36 - فهارس المعجم الأوسط/ طارق عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ط 1 (1416= 1995م).
37 - فهارس مصنف عبد الرزاق الصنعاني/ دار الكتب السلفية، القاهرة، ط 1 (1409= 1989م).
38 - فهرس أحاديث المستدرك على الصحيحين/ يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط 1 (1406= 1986م).
39 - الفهرست/ محمد بن إسحاق (ابن النديم)، تحقيق: ناهد عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءة، ط 1، 1985.
40 - القاموس المحيط/ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط 2 (1407= 1987م).
41 - قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل/ محمد الأمين بن فضل الله المحبي، تحقيق: عثمان محمود الصيني، مكتبة التوبة، الرياض، ط 1 (1415= 1994م).
42 - كتاب العين/ الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
43 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/ مصطفى بن عبد الله (حاجي خليفة)، دار الفكر، بيروت (1410= 1990م).
44 - كيف تقرأ كتاباً/ مورتيمر آدلر، وتشارلز فان دون، ترجمة طلال الحمصي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط 1 (1416=1995م).
45 - لسان العرب/ محمد بن مكرم (ابن منظور)، تحقيق: عبد الله الكبير مع آخرين، دار المعارف، بلا تاريخ.
46 - مجمع الأمثال/ أحمد بن محمد بن أحمد الميداني، تحقيق: جان عبد الله توما، دار صادر، بيروت، ط 1 (1422= 2002م).
47 - مراتب النحويين واللغويين/ أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة

مصر، القاهرة، ط 2، بدون تاريخ.
48 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها/ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد جاد المولى، وعلى البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، (1425=2004).
49 - المسند/ الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
50 - المعاجم اللغوية بدايتها وتطورها/ د. أميل يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2 (1985م).
51 - المعجم/ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق: حسين أسد، دار المأمون، بيروت، ط 1 (1410 = 1989م)
52 - معجم الأدباء/ ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1 (1993م).
53 - المعجم العربي نشأته وتطوره/ حسين نصار، دار مصر للطباعة، القاهرة، (1408= 1988م).
54 - المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف/ محمد خير رمضان يوسف، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1 (1423= 2003م)
55 - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي/ أ. ي. ونسنك مع آخرين، دار الدعوة، استانبول، دار سحنون، تونس، ط 1 (1988م).
56 - معجم المؤلفين/ عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1 (1414= 1993م).
57 - المعجم الوسيط/ إبراهيم أنيس مع آخرين، المكتبة الإسلامية، تركيا، ط 2، بدون تاريخ.
58 - مقدمة سنن الترمذي/ أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
59 - مقدمة الصحاح للجوهري/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2 (1399= 1979م).
60 - مقدمة المسند/ أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط 1 (1416= 1995م).
61 - مقدمة النهاية في غريب الحديث والأثر/ طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية، بدون تاريخ.
62 - موسوعة أطراف الحديث النبوي/ محمد السعيد بسيوني زغلول، عالم التراث، بيروت، ط 1 (1406= 1986م).
63 - النهاية في غريب الحديث والأثر/ المبارك بن محمد (ابن الأثير الجزري)، تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة، الإسلامية، بدون تاريخ.
64 - نزهة الألباء في طبقات الأدباء/ عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، بلا تاريخ.
65 - هدي الساري مقدمة فتح الباري/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، القاهرة، ط 2 (1407= 1987م).
66 - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين/ إسماعيل البغدادي، دار الفكر، بيروت (1410= 1990م).
67 - وفيات الأعيان/ أحمد بن محمد (ابن خلكان)، دار صادر، بيروت، تحقيق: إحسان عباس (1414=1994م).

دلالة بعض أسماء المواضع والبلدان اليمنية

د . عبد الله محمد سعيد عبد الله
أستاذ اللغة المساعد – كلية الآداب – جامعة تعز

ملخص البحث :

يتلخص هذا البحث في الحديث عن دلالة أسماء بعض البلدان اليمنية وقد اتضح أن اليمنيين اختاروا أسماء بلدانهم بدوافع متعددة ، إما نسبة إلى اسم الجد الذي تنتسب إليه القبيلة ، وإما نسبة إلى الشكل الجغرافي الذي يقع فيه أو يبدو به البلد المسمى ، وإما نسبة إلى مهنة اشتغل بها أهل ذلك البلد ، وتغيب دلالة أغلب أسماء البلدان اليمنية عن أذهان كثير من الناس اليوم ، لكننا نجد أصول هذه الدلالة في بطون المعاجم العربية ، مما يؤكد على أصالتها في العربية الفصحى من ناحية ، وعلى أن اللغة اليمنية القديمة كانت رافداً مهماً من روافد العربية الفصحى من ناحية أخرى ، لأن التسمية بهذه الأسماء قديمة قدم العربية الفصحى نفسها .

مقدمة :

يسمي أهل اليمن بلدانهم بتسميات مختلفة ترجع إما بنسبتها إلى اسم جَدِّ القبيلة ، مثل: حَاشِد ، وبَكيل ، ومِذْحَج ، وهَمْدان ، وآنِس ، وإما بنسبتها إلى الدور الوظيفي الذي قام به سكان منطقة من المناطق في مرحلة من مراحل التاريخ اليمني ، كانت تقوم به هذه المنطقة ، ومن ذلك : الأَشْروح ، الَمَقاطِرَة ، الوَازِعِيّة ، مَوْزَع ، دُبْحَان ، المَقَارِمَة ، وإما بنسبتها إلى طبيعة الشكل الجغرافي التضاريسي الذي يميز المنطقة المسماة ، وهو أكثر ما يسمي به اليمنيون مناطقهم ، ومن ذلك : الأُجَّنة ، الأُجَيْنات ، الجُرَيْبَة، الجَاهِلِي ، البَطِنة ، الحُجَرِية ، والحِجْر ، والحُجْر ، الدِمْنَة ، عَدَن ، العُدَيْن ، الغَيْل ، رَيْمَة ، يَرِيم ، رَيْمَان ، المَسْنَح ، صنعاء ، يَافِع ، مَيْفَعَة ، وإما بنسبة المنطقة إلى ما أنشأ فيها أهلها من معالم ، مثل : العَرّمه ، المصنعة ، المصانع .

ورغم هذا التطابق الدلالي بين الاسم ومسماه في أسماء المواضع والبلدان اليمنية ، لكن أكثر اليمنيين اليوم لم يعودوا يستعملون في حديثهم أغلب أسماء بلدانهم ومشتقاتها في غير التسمية بها إلا في الأقل النادر ، حتى لكأن هذه الأسماء ألفاظ متحجرة وردت إليهم من لغات غريبة ، لم تكن يوماً لغة لآبائهم ، لأنهم في الغالب لم يعودوا يعرفون دلالتها ، بالرغم من وجود الدلالة نفسها ، أو قريباً منها لألفاظ تماثلها في الاشتقاق في العربية الفصحى ، أو في بعض اللهجات اليمنية الحديثة مازالت مستعملة على الألسن أو في مصادر التراث ، وبالرغم من استعمال بعض هذه الألفاظ أو مشتقات قريبة منها في اللهجات اليمنية الحديثة ، إلا أن أغلب اليمنيين لا يلحظون التقارب الدلالي بين دلالة أسماء بلدانهم ودلالة الألفاظ

التي يستعملونها على ألسنتهم .

ودراسة أسماء البلدان والمواضع اليمنية يوحي بأصالة عربية أهل اليمن وفصاحتهم قديماً ، ومشاركتهم في بناء العربية الفصحى لوجود هذه الأسماء أو مشتقات منها في المعاجم العربية ، وأنه لو التفت إليها اللغويون يوم جمعوا اللغة العربية لوجدوا فيها ثروة لغوية عظيمة ، ولكنهم قصروا جمعهم لها على المناطق القريبة من البصرة والكوفة ، أو المناطق القريبة من مكة لعوامل ذكروها ، ليس هنا محل مناقشتها . وإن دراسة هذه الألفاظ اليوم مما يثري العربية الحديثة ثراءً مدهشاً ، ونسوق هنا بعض الأمثلة لتأكيد ماذهبنا إليه راجين يوماً أن نستطيع إخراج معجم البلدان اليمنية ، وسنكتفي بذكر اللفظ والدلالة التي تدور حوله ، دون الإشارة إلى مواضع البقاع التي سميت بهذا اللفظ ، أو مشتقاته لكثرة ما سمي بها من بقاع ، سواء في اليمن أو في باقي أنحاء الجزيرة العربية ، أو في الأماكن التي استوطنها العرب بعد الفتوح الإسلامية ، لأن الغرض من هذا البحث هو تأصيل الدلالات اللغوية لهذه الألفاظ وليس الدراسة الجغرافية لتلك البلدان والمناطق ، ونترك لمن أراد معرفة المواقع الجغرافية العودة إلى كتب معاجم البلدان مثل : معجم البلدان للبلاذري ، أومعجم البلدان لياقوت الحموي ، أو صفة جزيرة العرب للهمداني ، أو مجموع بلدان اليمن وقبائلها للحجري ، أو الخرائط الخاصة باليمن .

وسنكتفي بذكر بعض أسماء البلدان التي وردت في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني ، أو ما اشتهر منها اليوم دون الإشارة إلى مواقعها لكثرة المواقع المسماة بهذه الأسماء .

- الأُجِّنة ، الأُجِّنَات ، الأُجَيْنات

هذه ثلاثة أسماء لثلاثة أماكن في محافظة تعز ، الأول في شَرْعب ، والثاني في قَدَس ، وأشهرها الثالث الذي صار أحد أحياء مدينة تَعِز ، ولا يبعد أن تكون أماكن أخرى مسماة بهذه الأسماء أو بمشتقات قريبة من لفظها .

ويبدو أن (أَجِّنَة) اسم مركب من (أجِّن) + (ت) ، و (أجِّن) بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول، والتاء للتأنيث ، فكان الأصل أن تكتب (أُجِّنَت) ، ثم نقل اللفظ للدلالة الاسمية ، فصارت الكلمة اسماً لأرض تقع في بطن الوادي ، عند سفح الجبل ، لكنها لا تسقى من مسيل الماء في بطن الوادي ، بل تسقى من مصارف خاصة بها تسيل إليها من الجبال فوقها ، فيجتمع فيها الماء ، و(يَأْجَن) لطول مكثه فيها، ويبدو أنه من هنا سميت (أجِّنة) ، ومعنى : أَجِنَ يَأْجَنُ أَجْناً فهو آجِن : الماء يتغير طعمه ولونه ورائحته[1].

وعندما تعامل الناس مع اللفظ على أنه اسم ذهبوا يجعلون التاء مربوطة ، و(الأجنات) جمع مؤنث سالم لـ (أجنة) ، و(الأجينات) تصغير .

وفي مناطق أخرى تقلب (النون) (لاماً) ، فيقال : (أُجّلَة) ، وهو اسم منطقة في خَدير في محافظة تعز ، ويقال في صنعاء وما حولها : (مَأْجِل) . اسم للمكان الذي يجتمع فيه الماء ويأسن ، ثم يكون من أخصب الأراضي الزراعية كما هي الأجنة ، والأجينات .

واللفظ في لغة النقوش اليمنية القديمة باللام فـ (م ء ج ل) بمعنى : البركة [1].

- البَطِنة، بَطِنات، بَطِنان

البَطِنة وادٍ منبسط تحيط به قمم الجبال ، يجتمع فيه الماء من شعاب الجبال حوله ، ويسيل فيه ، وما أكثر ما يستقر الماء في هذه البَطِنات ، فيكثر شجرها ويينع ، ثم يذهب الماء للانحدار نحو واد آخر عند سفوح جبال أخرى مجاورة ، وتكثر التسمية بهذا الاسم في مناطق كثيرة في اليمن ، وإذا اتسع هذا الوادي وتنوعت التضاريس فيه ربما سمي : بُطْنان ، وبَطِنَان ، ولا ندري إن كان بطنان بصيغة المثنى ، أو كانت الألف والنون للمبالغة بسبب اتساعها لأن لهجات اليمن لا تستعمل لفظ المثنى ، بل تدل عليه بلفظ الجمع لأن الجمع فيها مادل على اثنين فأكثر [2] ، ولا يبعد أن تكون الألف والنون فيه للتعريف كما في لغة اليمن القديم [3] ، أما (بطنات) فجمع مؤنث سالم ، ويبدو أن هذا اللفظ للكثرة والمبالغة أيضاً .

والعربية الفصحى تذهب إلى معنى قريب من هذا فالبطن : مسايل الماء في الغلظ واحدها (باطن)[4] ، وبطن الكورة : وسطها[5] . وبُطْنان الجنة : وسطها [6] ، والمعجم الوسيط يجعل المعنى أكثر وضوحاً ، لكن مع لفظ (الباطن) ، فيقول : الباطن في كل شيء داخله ، أو من الأرض : ما أطمأن وانخفض[7] . وفي اللسان : بطنان الأودية المواضع التي يشربن فيها ماء السيل ، فيكرم نباتها[8] . ويبدو أن هذا هو سبب التسمية عند أهل اليمن ، وما أكثر ماسمى العرب مناطق من هذا النوع بالبطن أشهرها بطن عرفة عند وادي عرفة[9] .

- الجاهلي

اسم لأول الوادي – في الغالب – إذا كثر ماؤه وتشابك شجره حتى لكأن الداخل الغريب فيه يسير إلى المجهول ، و (الجاهلي) اسم مكون من اسم الفاعل (جاهل) ، والياء الدالة على الإفراد والتصغير في اللهجات اليمنية الحديثة ، فيقال فيها في مثل هذه الأحوال : دَرسي ، معْلمي : لطالب العلم ، وجُزّاري ، وبُقّالي ، وتُوامي : للواحد منها[10] . وهو هنا للواحد .

وفي العربية الفصحى يقال : ساروا في مجاهل الأرض [1] ، وأرض مجهل : لا يهتدى فيها ، والجمع مجاهل [2] ، والمجهولة من الأرض : ما خلت من الأعلام والجبال [3]. هذا في الصحراء ، أما بين الجبال فالمجاهل : ما كثر شجره ، والتوت أوديته فلا يهتدى فيها .

- حُبَيش ، المحابِشة ، جبل حَبَشي

هذه أسماء مناطق يمنية مشهورة في الوقت الحاضر ، فـ (حُبَيش) في محافظة إب ، و (المحابشة) في محافظة حجة ، و (جبل حبشي) في محافظة تعز . و اليمنيون اليوم لا يعرفون أصل المعنى لهذه الألفاظ ، غير أن لهذه الأسماء علاقة دلالية بلفظ (الحبشة) ، وهي الأرض الأثيوبية المعروفة ، فأرض الحبشة سميت بهذا الاسم لقبائل يمنية هاجرت إليها ، وتحَبّشَت هناك واجتمعت ، فصارت هذه الأرض الحبشة ، والناس أَحْبوشاً وحَبَشة ، والواحد حبشي[4]. فلا يبعد أن يكون اختيار هذه الألفاظ لتسمية هذه المناطق بسبب

تجمع قبائل فيها لا تعود في أصلها إلى جد واحد .

وفي معاجم العربية : حَبَش ، يحبُش حبشاً .. وحَبَّش : جمع ، وتحبّش القوم : تجمعوا ، والأُحبوش والأحبوشة : الجماعة من الناس اختلفت أجناسهم[شم] .

واللهجات اليمنية تفتح همزة صيغة الجمع (أَحْبوش) ، في حين أنها جاءت في المعاجم العربية بضمها (أُحْبوش) ، ويبدو أن هذا الاسم يلفظ بالفتح لأنه تكثر به التسمية بوزن (أَفْعول) بالفتح في أسماء المناطق والقبائل اليمنية ، فيقال : أَعبوس ، أَقدوس ، أَصبور ، أَفيوش ، أَقيوس ، أَمجود ، وهي كلها بفتح الهمزة ، وكون كلمة (أَحابيش) في الفصحى بفتح الهمزة ، وكذا اختفاء استعمال هذا الوزن من العربية الفصحى في جمع التكسير ربما يشير إلى صحة كونه بفتح الهمزة .

- الحُجَرية ، الحُجْر ، الأَحْجور ، الأُحاجِر

الحجرية : اسم لمنطقة من أشهر مناطق اليمن وأوسعها ، وتقع في محافظة تعز ، وباقي الأسماء تنتشر التسمية بها في اليمن ، وخاصة في مناطق تعز ، ولحج ، وحضرموت ، وشبوة ، وحجة .

وأصل الحَجْر في اللغة : ما حَجَرت عليه ، أي منعته من أن يوصل إليه .. وكذلك الحجرة التي ينزلها الناس ، وما حوطوا عليه . وحِجْر الإنسان : حضنه [لم]. ومن هذا المعنى ذهب اليمنيون القدماء يسمون مناطقهم بهذه الأسماء ، فهي مناطق جغرافية منيعة في تضاريسها تحيط بها مرتفعات شاهقة مقفلة من أغلب جهاتها ، وتضيق مخارج وديانها عند نهايتها رغم اتساعها في الداخل ، وتكاد هذه المناطق أن تكون مستديرة .

ويشبهها في العربية الفصحى (الحاجر) : وهي أرض ترتفع جوانبها وينخفض وسطها[]. والمَحْجَر : الحديقة ، ومن العين : ما دار بها ، وما حول القرية[]، ومحاجر : حدائق ، وهي مواضع فيها رعى كثير وماء[ ]، ومحجر العين : ما يبدو من النقاب[ ]. إذن جاء اسم هذه المناطق من استدارتها ومنعتها وارتفاع جوانبها ، وما فيها من رعي وماء .

وأغلب اليمنيين في العصر الحديث لا يدركون هذه الدلالة لأسماء مناطقهم هذه ، رغم أنهم يستعملون ألفاظاً في لهجاتهم مشتقة من الجذر (ح . ج . ر) بالمعاني نفسها ، لكنهم لا يذهبون إلى الربط بين هذه الأسماء وما يستعملونه من ألفاظ في لهجاتهم ، مثل : حَجَر عليه : إذا منعه . والحُجرة : في الدار . وحَجَر على الجرح : إذا رسم حوله دائرة تمنعه ـ في اعتقاد بعضهم ـ من الاتساع . وهذا المعنى الأخير لـ (ح ج ر) قريب من المعنى نفسه في لغة النقوش اليمنية القديمة ، فهو فيها بمعنى : تعويذة ، وحِمَى [ ]. ومعنى (حمى) يقترب بشكل أو بآخر من معنى (الحجرية ، والحجر ، والأحاجر) .

- الحَصِب ، الحَصَبة ، حَصِبان ، يَحْصُب

المناطق المسماة بالحصب والحصبة كثيرة في اليمن ، أشهرها الحَصَبَة وهو اسم لأحد أحياء عاصمة اليمن صنعاء ، والحَصِب وهو اسم لأحد أحياء مدينة تعز ، وحصبان قرية في جبل صَبر في محافظة تعز ، ويَحْصُب بصيغة المضارع منطقة مشهورة في محافظة إب ، ويمكن أن نذهب إلى أن دلالة هذه الأسماء أتت

لان الحصباء تكثر في هذه المناطق ، وهذا إن صح في بعضها ، يبعد عن تطابق الدلالة مع البعض الآخر ، لأنها أرض طينية يختفي منها الحصى بصورة شبه تامة . فمن أين جاءت التسمية إذن ؟! .

يبدو أن هذه التسمية جاءت من كون هذه الأماكن كانت كثيرة الأشجار التي تقطع لتكون بعد ذلك حطباً ووقوداً ، فالصاد في (حصب ، وحصبة ، وحصبان) مبدلة من الطاء في (حطب) ، وهذا الإبدال معروف في الفصحى ، فالحَصَبُ : الحطب للتنور أو ما يرمى به في النار ، ولا يكون الحطب حَصَباً : حتى يسجر به ﷺ. ومنه في التنزيل : (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّم) **الأنبياء : 98** ، وقصر التسمية على ما يرمى في النار يبدو أنه غير دقيق . لأن العرب لا تعرف الحطب إلا بالطاء ، أما (حصب) بمعنى (حطب) فمن لغة اليمن ، ولغة اليمن سمت به المكان كما رأينا ، وسمت به الحطب أيضاً ، والقراءة القرانية (حصب جهنم) ﷺ بلغة أهل اليمن ﷺ ، فالحطب في لغتهم هو (حصب) ، منذ أن يقطع من شجره في مكان إنباته حتى يسجر في النار .

- الأَخْمُور ، خَمِر

الأخمور ، وخمر منطقتان مشهورتان في اليمن الأولى في الحجرية في محافظة تعز ،

والثانية في محافظة عمران ، فما أصل هذه التسمية ؟!

يمكننا القول إن المعنى الذي اشتقت له العربية الفصحى الألفاظ من الجذر (خ . م . ر) هو أصل هذه التسمية ، والمعنى الأساس لهذا الجذر هو الستر والتغطية : فالخمار يغطي

الوجه ، والخمر تغطي العقل ، وخَمَر وجهه بمعنى غطاه ، وخمرت الإناء غطيته ، ومنه

حديث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خَمِّرو آنيتكم ولو بعود) ، ودخل في خمار الناس أي : جماعتهم فخفي فيهم ، والخَمَر : ما وارى الشيء من شجر أو بناء أو جبل أو نحوه ﷺ ...

غير أن هذه المعاني لا تكفي لتكون سبباً لتسمية هذه المناطق اليمنية (بالأخمور) و (خمر) ، لكن يمكننا أن نجد معنى آخر تضمنته لغة النقوش اليمنية القديمة بكثرة عند الدعاء والصلاة للآلهة حين تأتي فيها صيغ تطلب من الإله أن يخَمِّر عبده بعطاياه ونعمه الكثيرة أي : يهبه ، ويمنحه ﷺ ، كما أننا نجد نصاً جاء في اللسان عن أهل اليمن ، ولم تذكره باقي المعاجم ، ربما لغرابة معناه بعد اختفاء استعماله ، حيث جاء في اللسان : (أخمر الشيء أعطاه إياه ، أو ملّكه إياه . قال محمد بن كثير : هذا كلام عندنا معروف باليمن ، يقول الرجل : أخمرني كذا : أعطني إياه ، هبه لي ، ملكني إياه ﷺ ، وهذا يطابق لغة النقوش اليمنية القديمة ، فالأخمور : هم المغمرون أو المستورون بالمنح والعطايا والنعم ، وخَمِر : البلد الخصب الذي يغمر أهله بالخيرات والثمار .

- الدِّمْنة ، الدُّمِّنة ، الدِّمْنات ، الدُّمَيْنة ، دَمّون

هذه الألفاظ تطلق على الأرض الزراعية الأكثر خصباً ، وصلاحاً ، ورياً ، والأكثر ثمراً ، والأفضل نتاجاً . فالدِّمنة : اسم المكان ، والدِّمنات : جمعها ، والدُّمِّنة يبدو أنها صيغة مبالغة . ولا ندري إن كانت (دمّون)

صيغة مبالغة أيضا أم لا . والدُّمَينة تصغير .

وفي العربية الفصحى : دَمَن الأرض : دَمَلها ، أصلحها بالدَّمال . أو بالدَمَن ، والدَمَن : السماد ، وهو ما وطئته الإبل والغنم من أرواثها وبعرها وبقايا طعامها . والدِّمنة : المكان الذي يتلبد فيه السرقَين ، وجمعها (دِمَن) ، وفي الحديث : إياكم وخضراء الدِمَن : قيل : وماذاك ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء . شبهت المرأة بما ينبت في الدمن من الكلأ ، يرى له غضارة ، وهو وبيء المرعى ، منتن الأصل[1] . وعلى هذا فهذه التسميات اليمنية ذهبت بهذه الألفاظ إلى معنى الخصب والرواء والصلاح في التربة ، والغضارة والكثرة في الثمار ، ولكن ليس شرطاً أن يكون منبتها وَبِيئاً ، وأصلها منتناً . في حين أن العربية الفصحى ذهبت تضيف إلى المعنى أن يكون المرعى وبيئاَ ، والأصل منتناً .

ونجد معنى الصلاح الذي ذهبت إليه اللهجات اليمنية أيضاً في دلالة لفظ (دمل) . فدمل الأرض في العربية الفصحى : أصلحها ، دمل بين الناس : أصلح ، وتداملوا : تصالحوا[2] . واختفاء هذا المعنى الأخير من دلالة اللفظ (دَمَن) من الاستعمال في العربية الفصحى ، وبقاؤه في اللهجات اليمنية الحديثة سببه أن الأرض في اليمن يصلحها أهلها بوسائل كثيرة منها السماد التقليدي ، ومنها إحراق حشائش الجبال ، فتاتي الأمطار ، فتجرف البقايا إلى الحقول . ثم إن اليمنيين يتركون جذور الزرع والنباتات في الأرض ولا يقتلعونها ، فإذا يبست تحولت عقد جذورها إلى سماد للأرض ، ثم يأتي الطمي الذي تحمله السيول ليكون خصباً إضافياً ، ومن هنا لا يكون المنبت في (الدمنة) في اليمن منتناً ، أو وبيء الأصل . في حين أن معنى (الدمنة) في مناطق وسط وشمال الجزيرة العربية هو المكان الذي تتلبد فيه أبعار الإبل والغنم ، وأبوالها ، ومن هنا تكون (الدِّمْنة) منتنة الأصل ، وبيئة المرعى .

- رَيْمَة ، يَريم ، تَريم ، رَيْمان ، مَرْيَمة

سمى اليمنيون بعض مناطق بلادهم الأكثر ارتفاعاً بالأسماء السابقة فـ (يريم) أعلى منطقة منبسطة في قيعان اليمن التي تتوسط جنوب جبال السراة ، و (رَيْمة) أعلى منطقة في جبال السراة مطلة مباشرة على سهل تهامة ، و (ريمان) من أكثر جبال محافظة إب علواً وارتفاعاً ، و (مريمة) قرية صغيرة مطلة على (يريم) من الناحية الغربية ، و (تريم) من أكثر مناطق أودية حضرموت علواً وارتفاعاً بالنسبة لسطح البحر.

ولم يعد اليمنيون في العصر الحديث يعرفون هذا المعنى في أسماء مناطقهم هذه ، في حين أننا نجد معاجم العربية تشير إليه ، فاللسان يقول : ريّم فلان على فلان : زاد عليه ، والرَّيْم : الزيادة والفضل[3] . ومعنى آخر تسوقه هذه المعاجم للفعل (رام) ، فرام الشيء يرومه روماً بمعنى : طلبه[4] .

غير أن جعل معنى الطلب للفعل (رام) لا يكفي ، لأن مطلوب هذا الفعل لابد أن يكون بعيداً وعالياً ، ويتطلع إليه ، خاصة إذا ربطنا بين معنى الطلب هنا ، ومعنى الزيادة والفضل الذي ذكر سابقاً ، ومما يزيد هذا المعنى توكيداً ذهاب اللسان إلى أن من معاني (الرّيْم) : الظراب والجبال الصغار[5] . وأغلب الظن أنها الظراب العظام والجبال العالية المشرفة ، والظراب : الصخور العظيمة . ويقال : فلان ثبت المقام ، بعيد

المرام [1] . ومعنى العلو ، والارتفاع للفظ (ر ي م) هو نفسه في لغة النقوش اليمنية القديمة [2]. فالبعد والزيادة والفضل والعلو من معاني الأسماء السابقة ، وهذا المعنى هو ما أراده المسمي اليمني القديم للأسماء السابقة. وكلمة أخيرة نختم بها هذه الفقرة هي أن معنى الاسم القرآني (مريم) مأخوذ من الزيادة والفضل والعلو والارتفاع ، فهي قد كَرُمت ، وترفعت عن الدنايا ، والخطايا ، والمفاسد إلى الخيرات ، والحسنات ، والفضائل ، خلافاً لما ذهب إليه صاحب القاموس المحيط حين قال : مَرْيَم : التي تحب حديث الرجال ولا تفجر [3] .

- الأَشْروح ، الشُّراحي

الشارح بلغة أهل اليمن كما ورد في المعاجم العربية هو : حافظ الزرع من الطيور ، وغيرها [4] . غير أن المعنى في لهجات اليمن قديماً وحديثاً أوسع من ذلك ، فالشارح الحافظ لأي شيء ، والشرح : الحفظ ، وهذه المعاني بهذه السعة ذهب إليها ابن منظور في اللسان ، وإن كان عرضه لها يوحي بعدم قناعته بسعة معناها ، فيقصر روايتها على أبي عمرو ، قال : الشارح : الحافظ ، وابن الأعرابي يقول : الشرح : الحفظ [5] ، ولفظ (ش ر ح) في لغة النقوش اليمنية القديمة يأتي بمعنى : حفظ [6] .

والذي يظهر أن لفظ (شرح) يأتي بمعنى حفظ وحرس ، والشارح : الحافظ . ويجمع الشارح في اللهجات اليمنية على (أشروح ، وشُرَّاح) ، ثم ذهب اليمنيون يختلفون في صيغة المفرد المنسوب للأشروح ، فيكون (الشارحي) مفرد (الأشروح) في منطقة قَدَس ، و(الشُّرَيْحي) بالتصغير مفرده في (صَبر) ، والمنطقتان تقعان في محافظة تَعِز ، و (الشّراحي) تقع في محافظة إب ، والياء في الأسماء الثلاثة للمفرد المنسوب للأشروح [7] . ومن أشهر الصيغ التي ورد فيها اللفظ (شَرح) اسم (شَراحيل) أو (شُرَحْبيل) ، ويبدو أن صيغة (شراحيل) جمع لـ (شُرحبيل) ، ويبدو أنه لفظ مركب من الفعل (شَرح) بمعنى حَفِظ ، وحرف الجر (الباء) ، و (إيل) بمعنى : الله ، ولا يبعد أن الفعل (شرح) كان بصيغة المبني للمجهول (شُرِح) ، وعليه فإن النطق الصحيح للاسم هو (شُرِحْبيل) ، ومعناه (شُرِح أو حُفِظ بالله) [8] ، لكن ثقل الانتقال من ضمة إلى كسرة في هذا الاسم الطويل مع عدم معرفة معناه على ما يبدو جعل عرب الشمال يبدلون كسرة عين الفعل المبني للمجهول فتحة تخفيفاً ، فأصبح عندهم (شُرَحْبيل) .

- صَنْعاء ، المَصانِع ، المَصْنَ◌ِعة ، الصَنَع

هذه أسماء مشهورة في اليمن ، سُمي بالأول عاصمة اليمن (صنعاء) ، ولم يسم به غيرها ، في حين أن أماكن كثيرة في اليمن سميت بالأسماء الأخرى ، ويبدو أنه لا علاقة لهذه الأسماء ولا لمسمياتها بالصناعة ، أو المصنوعات ، أو الصناع ، وإنما أطلقت على المناطق الحصينة في اليمن ، إما بفعل موقعها الجغرافي الذي وضعها بين الجبال كصنعاء ، أو على رأس جبل حصين يصعب اقتحامه كـ (الصَنَع) في العُدَيْن في محافظة إب ، أو بفعل بناء الحصون والقلاع كـ (المصانع) في محافظة المحويت ، و (المَصنِعة) بفتح الميم وكسر النون في قَدَس بمحافظة تعز . و هناك عشرات الأماكن في اليمن سميت بها .

والعرب تسمي القصور ، والمدائن ، والمباني المنيعة ، والحصون ، وصهاريج الماء ، مَصَانع ، والمفرد مَصْنع ، ومِصنَعَة [1] . ومنه في التنزيل قوله تعالى (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) **الشعراء : 129** ، وفسرت المصانع في الآية بالأبنية ، وبأحباس الماء ، وبالقرى ، وبالحصون [2]، وجاء لفظ (م ص ن ع ، م ص ن ع ة) بمعنى : الحصن والقلعة في لغة النقوش اليمنية القديمة [3].

وهذا المعنى الأخير أي (الحصون) و(القلاع) هو ما قصده اليمنيون من تسمية بلدانهم بالأسماء السابقة .

- **الصَيْرَة ، صِيرَة ، الصِّيَار ، الصُّورة**

إذا أطلقت هذه الأسماء على بقعة عند المسمي اليمني القديم فإنها تعني المكان المحدودب المُشْجر ، كثير الخضرة ، المشرف على بقاع أخرى جميلة حسنة المنظر . و (صِيرَة) هي القلعة المشهورة في محافظة عَدَن ، والأسماء الأخرى تقع مناطقها في محافظة تَعِز .

و(الصيْرَة) مفرد ، و(الصِّيار) جمع ، و(الصُّورة) يبدو أنها جمع (أَصْوَر) . وهذه الألفاظ تحمل معنى البروز المحدودب في عرض الجبل يتخذ مكاناً للنزهة .

وفي معاجم العربية الفصحى : المصاير : مواضع الكلأ والماء[4] . والصَّيِّر : الحسن الصورة[5] . والصِّوار والصُّوار : الرائحة الطيبة ، والصِّير : الماء يحضره الناس . والصَّير : رجوع المنتجعين إلى محاضرهم [6]، ومعنى (ص ي ر) في لغة النقوش اليمنية القديمة يقترب إلى حد ما من المعاني السابقة ، فهو بمعنى : استصلح أرضاً للزراعة[7] .

- **الضَّبَاب**

الضَّباب اسم لوديان عدة يكثر سقوط المطر وانصباب الماء فيها من مصادر كثيرة . وأشهر هذه الأودية الوادي الواقع قرب مدينة تَعِز . ولا علاقة لهذا الاسم بدلالة كلمة (الضباب) في المعاجم العربية بمعنى : بخار الماء العالق في الجو قرب سطح الأرض[8] ، لكن لا يبعد أن تكون (الضاد) في الضباب مبدلة من (الصاد) ليكون المعنى (الانصباب) ، والعربية الفصحى تبدل (الصاد) (ضاداً) أحياناً فقد قرىء في (حَصَبُ جَهَنّم) (حضَبُ جهنم)[9] .

ثم إننا لا نعدم للجذر (ض ب ب) في المعاجم العربية ولو جزءاً من معنى الانصباب ، فقد جاء في أساس البلاغة (ضبَّ يضب : هو سيلان قليل)[10] . وفي القاموس : الضّب : السيلان ، أو سيلان الدم والريق [11] .

- **العَرْمة ، العَرِم**

هناك عدد من البقاع في اليمن تسمى بهذه الأسماء ، والمعاجم العربية تفسر كلمة (العرم) في قوله تعالى : (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ) سبأ 16 . بأنه الجرذ الذي قرض السد ، والوادي ، والسيل الذي لا يطاق ، والمطر [12]، ويبدو أن هذه المعاني ـ ما عدا الأول ـ تعبر عن واقع الحال الذي كان ، لكننا لا نعدم في هذه المعاجم التفسير الذي يبدو أنه الأقرب إلى الصواب ، وهي أن العَرِم أو العَرْمة : السد يعترض

به الوادي ، أو الأحباس تبنى وسط الأودية [مرسم] ، و(ع ر م) في لغة النقوش اليمنية القديمة تأتي بمعنى : السد[سمسم] أيضاً . وأغلب الظن أن هذا المعنى هو المقصود من التسمية .

- **الفُلْع**

الفلع اسم لبقعة تقع على قمة جبل (مطران) في الحجرية في محافظة تعز ، وكان لا يُعلم سبب تسميتها بهذا الاسم حتى ظهرت منذ فترة قريبة شقوق وفطور وأخاديد شقت رأس الجبل دون سبب ظاهر ، واكتشف الجيولوجيون وجود شقوق قديمة في المكان ردمت بفعل عوامل التعرية .

ويستعمل اليمنيون كلمة (فَلَع) بمعنى (شق) ، يقال : فلع رأسه : أي شقه . وهو المعنى نفسه في العربية الفصحى ، ففي العين واللسان : فَلَعَ رأسه بحجر ، أو بالسيف ، يفْلَعه ، فَلْعاً فانفلع ، فهو مفلوع : شقه ، فهو مشقوق[شمسم] ، غير أن اليمنيين جاءوا بالاسم بضم الفاء (فُلع) .

- **قَرَاظة ، قُرَاظة ، الأَقْروظ ، المَقْروظ**

هذه الأسماء لبلدان تقع على جبل صَبِر في محافظة تعز ، وفي مناطق أخرى في اليمن . و(المقروظ) : اسم للمكان الذي يكثر فيه القَرَظ ، وهو شجر السَلَم . والمقروظ المكان كثير القرظ ، وقراظة أقل منه شجراً ، والأقروظ : لفظ جمع يطلق على الساكنين في (المقروظ) ، واحدهم (قَرَاظي) ، والياء فيه للدلالة على الواحد كما في اللهجات اليمنية الحديثة [لهسم] .

وفي العربية الفصحى : القرظ : شجر تدبغ الجلود بورقه ، وهي شجر عظام لها سوق غلاظ ، وهي نوع من أنواع السنط العربي ، يستخرج منه صمغ مشهور ، و(قَرَظ): جمع ورق القرظ ، و(قرظ) دبغ الجلود . والقارظ : مجتنيه وجامعه ،والقَرَّاظ : بائع القرظ[□سم] .

وأغلب الظن أن تسمية هذه البقاع جاءت من كثرة نمو شجر القرظ فيها .

- **المَقاطِرة ، المِقْطار**

المقاطرة اسم منطقة مشهورة في محافظة لحْج ، والمقطار اسم لمناطق عدة متفرقة في اليمن ، و(المقاطرة) لفظ يدل على الجمع في اللهجات اليمنية واحده (مَقْطَري) ، و (المقطار) لفظ يدل عل المكان . ولفظ (المقطار) قد يكون دالاً على المكان الذي يقطر فيه المطر ، كما هو في العربية الفصحى[□سم] ، وقد يكون دالاً على المكان الذي يبدأ به قطر الإبل والسير بها في الأماكن الجبلية الوعرة التي تتطلب مهارة خاصة في اجتياز شعابها ، وهذا الأمر يحتاج إلى أشخاص مهرة في القيام بهذه الوظيفة ، ولا يبعد أن تسمية (المقاطرة) جاءت نسبة إلى هذه الوظيفة . وقطر الإبل لتصير على نسق واحد ، فهي مقطورة ، والنسق قطار ، ألفاظ تعرفها العربية الفصحى[□شم] ، ولا تعرفها اللهجات اليمنية الحديثة .

- **المقارمة**

(المقارمة) اسم يدل على الجمع ، والواحد (مَقْرَمي) ، وغير معروف حالياً سبب التسمية بهذا الاسم لأن اللفظ لم يعد مستعملاً ولا مشتقاته في اللهجات اليمنية الحديثة ، إلا من تسمية منطقة واحدة في الحجرية بمحافظة تعز بهذا الاسم ، أو تسمية الرداء الذي تضعه المرأة على رأسها بـ (المَقْرَمة) ، لكن

المعاجم العربية تسعفنا في معرفة دلالة الكلمة ، فالقِرام : ستر من صوف ، فيه ألوان حمراء ، ورقم ونقوش . تستر به الخيمة ، أو الخباء ، أو الهودج ، ومثله المِقْرام والمِقْرَمة[شه] . ولا يبعد أن يكون اليمنيون سموا هذه المنطقة بهذا الاسم لاشتغال أهلها بنقش وتلوين القماش ، والستائر خاصة . وسموا (المقرمة) كذلك لأنها عبارة عن رداء أسود عليه نقوش حُمر ، أو رداء أحمر عليه نقوش سُود .

- باب المندب

باب المندب في اليمن هو المضيق الذي يصل بين البحرين الأحمر وخليج عدن ويقع في الطرف الجنوبي الغربي من اليمن .

ويغيب عن أذهان كثير من اليمنيين اليوم معنى التسمية بالمندب ، لكنا إذا ذهبنا إلى المعاجم العربية وجدنا كلمة (الندب) تعنى الجرح الغائر ، أو الأثر المحفور الذي يتركه الجرح على الجسم بعد شفائه [برشه] .

ويبدو أن (المندب) هو هذا الجرف الهائل الذي تشكل منه البحر الأحمر ، فاليمنيون القدامى يعتقدون أن جزيرة العرب ومنها اليمن كانتا متصلتين بقارة أفريقيا ، ثم هبطت الأرض لزلزال وقع ، فكان من أثر هذا الهبوط نشأة البحر الأحمر [برشه] . فالبحر الأحمر هو (المندب) الذي يشبه أثر الجرح الغائر المحفور ، على صيغة اسم المكان ، والمكان الذي دخل منه الماء إليه من بحر العرب هو بابه ، ومن هنا جاءت التسمية بباب المندب .

- يافِع ، مَيْفَعة ، مَيْفَع ، الأَيْفوع

هذه أسماء الأول منها لمنطقة مشهورة في اليمن في محافظة لحج ، وهو على بناء اسم الفاعل . والاسمان الآخران لمناطق عدة في محافظتي شبوة ، وحضرموت ، وللتمييز بينها يضافان إلى اسم آخر ، وهما على صيغة اسم المكان ، الأول مؤنث والثاني مذكر . والرابع اسم يدل على الجمع تسمى به عدد من القبائل في الحجرية في محافظة تعز ، وفي العُدَيْن في محافظة إب ، واليمنيون اليوم لا يعرفون المعنى الدلالي لهذه الأسماء.

لكن المعاجم العربية هي التي تسعفنا في معرفة هذه الدلالة ، فاليفاع : التل المنيف ، وكل شيء مرتفع يفاع [برشه] ، والميفع : المكان المشرف ، وجبال يفعات : مشرفات . واليافعات من الأمر : ما علا وغلب منها[سمشه] ، ومن الجبال : الشمَّخ ، وأمكنة يفوع : مرتفعة ، والميفعة : الشرف من الأرض[شمشه] ، ويقال : علوت اليفاع .. ويفعت الجبل : صعدته ، وترفع فلان وتيفع ، ومن المجاز مجد يافع [لهشه] ، و(ي ف ع) في اليمنية القديمة بمعنى : شارف ، وصعد[شه] . ومن هنا يمكننا أن ندرك أن تسمية هذه المناطق اليمنية إنما جاء بسبب علوها وارتفاعها عما حولها من الأرض .

الخاتمة :

بعد هذه الرحلة العجلى في الحديث عن دلالة أسماء بعض البلدان اليمنية فقد اتضح أن اليمنيين اختاروا أسماء بلدانهم بدوافع عدة ، إما نسبة إلى اسم الجد الذي تنتسب إليه القبيلة ، وإما نسبة إلى الشكل

الجغرافي الذي يقع فيه أو يبدو به البلد المسمى ، وإما نسبة إلى مهنة اشتغل بها أهل ذلك البلد ، وتغيب دلالة أغلب أسماء البلدان اليمنية عن أذهان كثير من الناس اليوم ، لكننا نجد أصول هذه الدلالة في بطون المعاجم العربية ، مما يدل على أصالتها في العربية الفصحى من ناحية ، وعلى أن اللغة اليمنية القديمة كانت رافداً مهماً من روافد العربية الفصحى من ناحية أخرى ، لأن التسمية بهذه الأسماء قديمة قدم العربية الفصحى نفسها .

هوامش البحث

1 العين : 183/6 ، اللسان : 8/13 ، القاموس : 1082 ، المعجم الوسيط : 7 .
2 المعجم السبئي : 4 ، مختارات من النقوش اليمنية القديمة : 351 .
3 لهجات قبائل المخلاف : 133 ، 151 .
4 لهجات قبائل المخلاف : 171 .
5 اللسان : 55/13 ، القاموس : 1087 .
6 القاموس : 1087 .
7 اللسان : 55/13 .
8 المعجم الوسيط : 62 .
9 اللسان : 279/13 .
10 ينظر اللسان : 55/12 ، القاموس 1087 .
11 ينظر : لهجة منطقة الوازعية : 104 ، لهجات قبائل المخلاف : 117 ، 131 .
12 أساس البلاغة : 67 .
13 اللسان : 130/11 ، المعجم الوسيط : 143 .
14 المعجم الوسيط : 143 .
15 تاريخ الحبشة وشرق أفريقيا : 3ـ 4 ، 35ـ 50 .
16 المعجم الوسيط : 152 ، وينظر : العين : 64/3 أساس البلاغة : 71 ، القاموس : 544 .
17 اللسان : 165/4 ، وينظر: القاموس : 348 ، المعجم الوسيط : 167.
18 القاموس المحيط : 348 ، المعجم الوسيط : 157 .
19 القاموس المحيط : 348 ، اللسان : 167، 71 .
20 أساس البلاغة : 74 .
21 اللسان : 169/4 .
22 المعجم السبئي : 67 ، مختارات من النقوش اليمنية القديمة : 364 .
23 العين : 123/3 ، اللسان : 321/1 ، القاموس المحيط : 83 ، المعجم الوسيط : 177 .
24 البحر المحيط : 7 / 469 .
25 فتح القدير : 3 / 428 .
26 أساس البلاغة : 120 ، اللسان : 254/4 -257 ، القاموس : 361 ، المعجم الوسيط : 255 .

27 المعجم السبئي : 61 ، مختارات من النقوش اليمنية القديمة : 368 .
28 اللسان : 259/4 .
29 العين : 54/8 ، أساس البلاغة : 136 ، اللسان : 157/13 ، القاموس : 920 ، 1102 ، المعجم الوسيط : 297 -298 .
30 القاموس : 920 .
31 اللسان : 259/12 -260 ، وينظر القاموس : 1029 .
32 العين : 293/8 ، اللسان : 258/12 ، المعجم الوسيط : 383 .
33 اللسان : 261/12 .
34 أساس البلاغة : 185 .
35 المعجم السبئي : 120 .
36 القاموس : 1029 .
37 اللسان : 498/2 ، القاموس المحيط : 220 .
38 اللسان : 498/2 .
39 المعجم السبئي : 134 ، مختارات من النقوش اليمنية القديمة : 379 .
40 ينظر : لهجة منطقة الوازعية : 104 ، لهجات قبائل المخلاف : 117 ، 131 .
41 ينظر: أدب الكاتب : 760 ، لهجة منطقة الوازعية : 38 . .
42 العين : 305/1 ، أساس البلاغة : 260 ، اللسان : 211/8 ، القاموس : 682 ، المعجم الوسيط : 256 .
43 اللسان : 211/8 .
44 المعجم السبئي : 143 ، مختارات من النقوش اليمنية القديمة : 384 .
45 أساس البلاغة : 264 .
46 اللسان : 473/4 ، المعجم الوسيط : 528 .
47 اللسان : 476/4 -477 .
48 المعجم السبئي : 146 ، مختارات من النقوش اليمنية القديمة : 384 .
49 ينظر : اللسان : 1 /54 ، المعجم الوسيط : 534 .
50 البحر المحيط : 7 / 469 .
51 أساس البلاغة : 264 -265 .
52 القاموس المحيط : 112 .
53 اللسان : 12 / 396 ، القاموس : 1048 ، المعجم الوسيط : 597 .
54 اللسان : 12 / 396 ، القاموس : 1048 ، المعجم الوسيط : 597 .
55 المعجم السبئي : 119 ، مختارات من النفوش اليمنية القديمة : 388 .
56 العين: 2 / 146 ، 8 / 256 .
57 ينظر : لهجة منطقة الوازعية: 104 ، لهجات قبائل المخلاف : 117 ، 131 .

58 ينظر : العين : 5 / 133 ، أساس البلاغة : 362 ، اللسان : 7 / 454 -455 ، القاموس : 643 ، المعجم الوسيط : 727 .

59 ينظر : اللسان : 5 / 105 ، القاموس : 431 .

60 العين : 5 / 95 ، أساس البلاغة : 370، اللسان : 5 / 107 ، القاموس : 431 ، المعجم الوسيط : 744 .

61 ينظر : العين : 5 / 158 -159 ، أساس البلاغة : 364 ، اللسان : 12 / 473 -474 ، القاموس : 1058 ، المعجم الوسيط : 730 .

62 ينظر : العين : 8 / 15 ، أساس البلاغة : 451 ، اللسان : 1 / 753 ، المعجم الوسيط : 910 .

63 ينظر : ابن المجاور : 51 ، 95 .

64 العين : 261/2 ، المعجم الوسيط : 1065 .

65 اللسان : 414/8 .

66 القاموس : 718 .

67 أساس البلاغة : 513 .

68 المعجم السبئي : 168 .

مراجع البحث :

1. أساس البلاغة : جار الله الزمخشري ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
2. البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، عناية صدقي محمد جميل وآخرين ، دار الفكر ، بيروت ، 1412هـ ، 1992م .
3. تاج العروس من جواهر القاموس : محمد المرتضى الزبيدي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت . 1306 هـ .
4. تاريخ الحبشة وشرق أفريقيا : د عبد الله الشيبة ، مكتبة الإحسان ، صنعاء .
5. جمهرة اللغة : ابن دريد الأزدي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
6. جمهرة أنساب العرب : أبو محمد علي بن سعيد بن حزم ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، 1986 م .
7. شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين الاستراباذي ، تحقيق محمد الزفزاف وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1402 هـ .
8. شرح المفصل : موفق الدين بن يعيش ، المطبعة المنيرية ، القاهرة .
9. الصوت والدلالة في اللهجات اليمنية القديمة والمعاصرة وأصولها في اللغات السامية : د. عبد الوهاب راوح ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، رسالة ماجستير .
10. فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني ، ط 3 ، بيروت ، 1393هـ ، 1973م .

11. في أصول اللهجات اليمنية القديمة : د. علي محمد غالب ، مجلة التاريخ والآثار ، العددان 2 - 3 ، صنعاء ، 1994 م .
12. القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، مكتبة دار الحياة ، بيروت .
13. لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
14. اللهجات العربية الغربية القديمة : حاييم رابين ، ترجمة د. عبد الرحمن أيوب ، مطبوعات جامعة الكويت ، 1986 م .
15. لهجات قبائل المخلاف .. دراسة وصفية تاريخية في الأبنية والتراكيب : د. عبد الله محمد سعيد ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، رسالة دكتوراه ، 2001 م .
16. لهجة ذمار .. دراسة صوتية وصفية : د. عباس السوسوة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، رسالة ماجستير ، 1984 م .
17. اللهجة العوذلية واللغة الفصحى .. دراسة تقابلية : د. أحمد الضريبي ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، رسالة دكتوراه ، 1998 م .
18. لهجة منطقة الوازعية .. دراسة دلالية لغوية : د. عبد الله محمد سعيد ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، رسالة ماجستير ، 1997 م .
19. اللهجة اليمنية وخصائصها في كتب التراث : د. علي محمد غالب المخلافي ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء . رسالة ماجستير ، 1987 م .
20. مختارات من النقوش اليمنية القديمة : د. محمود الغول وآخرون ، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ، تونس ، 1985 م .
21. المعجم السبئي : أ.ف.ل. بيستون وآخرون ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1982 م .
22. المعجم اليمني في اللغة والتراث : مطهر بن علي الإرياني ، دار الفكر ، ط1 ، دمشق ، 1996 م .
23. الموسوعة اليمنية : أحمد جابر عفيف وآخرون ، مؤسسة العفيف الثقافية ، ط1 ، صنعاء ، 1412 هـ

في حضرة الشعر والشهادة

تلقي الزبيري في كتابات البردوني والمقالح النقدية

أ . د. علي حـــــــداد
أستاذ الأدب الحديث ونقده – كلية اللغات ـ جامعة صنعاء

*** في البدء:**

(1)

تعددت الدراسات التي كتبت عن الزبيري شاعراً وإنساناً وتزاحمت على نحو لافت للانتباه . ونحن هنا لا نتكلم عن المقالات والأبحاث التي تناولت ذلك الوجود البهي للزبيري بل نشير إلى الكتب والمؤلفات التي استوقفتها جوانب بعينها من شخصيته وفنه الأدبي والكتابي متنوع الأوجه والاهتمامات .

إن تلك الدراسات من الكثرة والامتداد على زمانية تتواتر منذ العام 1965م الذي تجلل أحد أيامه برحيل الزبيري شهيداً وحتى وقتنا الراهن ، وهي في معظم ما قاربته عن الزبيري وإبداعه لم تكن تكرر بعضها أو تستنسخ كشوفاتها بل كانت تجد ما يمنحها فرصة أن تتمثل منهجياتها وتؤكد خصوصياتها في التناول ، وبما يفضي بها إلى إضافات قرآئية مهمة. وهكذا اتسعت مكتبة الزبيري حتى ليمكن القول إن ما كتب عنه ـ مقدار وتنوعاً ـ من الكثرة بما لا يكاد يجاريه فيه شاعر يمني آخر[1] . وتلك ميزة خاصة بالدرس الأدبي والنقدي ـ عربياً ويمنياً ـ الذاهب إلى مقاربة تجربة الزبيري الإنسانية والأدبية ، لما استتب لها أن تكون عليه من أفق إنساني صنع تاريخيته المزدحمة بالموقف والمقاصد ذات النبل الخاص ، والتبتل على مساحة من اليقين الذي لم تحد عنه .

فالزبيري رمز وطني وإنساني بالذي اختطته له أقداره ، وبالمضاف من المواقف التي تخيرها ، ولم يشهد عليه أحد أنه غادرها في موقف أو زمانية معينة .

وهو شخصية مبدعة لا تناقض ما ترسمته لوجودها الإنساني ولا تكيف نفسها بخصوصيات ذاتية بعيدة عنه ، فقد تماسك الجانبان ، ليبرزا مكانة الزبيري ودوره في المسيرة المحتشدة بالوقائع والأحداث والمواقف التي شغلت أفاق السياسة والثقافة والاجتماع في تلك المرحلة المشتجرة بكل شيء من تاريخ اليمن ، ليكون وجود الزبيري فيها (مفصلياً) ومخبراً عن انتقالاتها الدرامية الحادة، ومن هنا أصبح الزبيري جديراً بأن يطلق عليه وصف (الشاعر التاريخي) الذي حدد الدكتور عبد العزيز المقالح السمات التي تميزه عن سواه بكونه الشاعر الذي : " يأتي في منعطف تأريخي حاسم ، ويكون همزة الوصل العميقة بين العصر والتراث ، بين الحاضر والمستقبل . وهذه التاريخية تلقي على كاهله العظيم مسؤوليات لايحملها غيره، وتضع في رأسه من

الهموم ما لاتضعه في رأس أي شاعر آخر". [2]

وعبر هذا الوجود الخصيب بدا الزبيري أشبه ما يكون بقطعة (البلور) متعددة الأوجه والتكشفات ، والتوصيفات التي يندر أن تكون قد اجتمعت لسواه ، فهو الوطني الملتزم ، والثائر الذي لا يتوانى عن إعلان الموقف وبجرأة كبيرة ، وهو: الفقيه ـ الرحالة ـ السياسي ـ الكاتب ـ الخطيب ـ القاص ـ الباحث ـ الشاعر ، وقبل ذلك وبعده ـ بل وفوقه كقيمة حضور لا تذبل أبداً ـ الشهيد .

إن هذه الدلالات المترسخة عن شخصية الزبيري هي التي أمدت أفق الكتابة عنه بأريحية لا حد لها ، ليتناول وجوده وتجاربه دارسون ودراسات في تواتر لا يكاد ينقطع مدده.

(2)

تسعى قراءتنا هذه لتتأمل ـ من بين ذلك الحشد المتسع للدراسات التي شغلت بالزبيري ومنجزه الإنساني والإبداعي ـ دراستين مهمتين هما : (الزبيري ضمير اليمن الثقافي والوطني) للدكتور الشاعر عبد العزيز المقالح ، و(من أول قصيدة إلى آخر طلقة) للشاعر (عبدالله البردوني) [3]. وهاتان الدراستان تجدهما جديرتين باستيقاف مساحة التلقي ، لمقاربتهما واستنطاق ما شغلتا به من أفكار ومجادلات في الرؤية والاستنتاج خاصين بكاتبيهما.

إن تخيرنا لهاتين القراءتين النقديتين ينطلق من جملة مبررات تشخص عندنا في الآتي :

ـ إن كلاً من البردوني والمقالح شاعر يمني وعربي مهم في مكانته الشعرية ودوره في مسار الفاعلية الثقافية والإبداعية وحركيتها المتصاعدة عربياً وعلى صعيد منجز الشعرية اليمنية المتميز عند كل منهما.

ـ لكل منهما جهده الكتابي الناقد المثير في كشوفاته والمتسع في اهتماماته والدال على المتحقق المعرفي الناضج لديهما ، وعياً وتمثلاً للعملية النقدية ومحمولاتها فكرياً وجمالياً.

ـ عايش كلاهما تجربة الزبيري الإنسانية والأدبية على المستوى الشخصي واقترب منها وتأملها عياناً ، وصنع مساحة من التماس اليومي والمباشر معها ـ وإن بحدود خاصة بكل منهما ـ في وقائع تاريخية ومواقف وذكريات وانشغالات متقاربة ، وبما يؤسس لتأمل متفرد لكل منهما . ولا شك في أن كلاً منهما كان على اطلاع جاد وتأمل حصيف لمجمل الجهد الكتابي والنقدي الذي أنجزه سواهما عن الزبيري ، وبما أوصلهما إلى القناعة بضرورة أن يقدم كل منهما رؤيته ، كإضافة نوعية لهذا الذي كتب عن الزبيري كله ، من خلال تلمسهما لصلتهما الوثيقة بالزبيري ، لا من خلال حالة الاقتراب المكاني والوطني منه بل عبر تلمس أدق تكشفات تجربته ومكوناتها ومكنوناتها.

ـ لم تكن هاتان الدراستان هما الجهد الأول الذي قدمه كل منهما عن الزبيري فقد شهدت جهودهما النقدية مقاربات متواترة لتجربته في مؤلفات عديدة سبقت كتابيهما هذين ، وصنعت أفقاً من المجادلة القرائية والحوار المعرفي بينهما ، في رؤية بدت خاصة بكل منهما ، تمّ لها أن تعلن عن محتواها ومنطلقاتها جلية في

كتابيهما الأخيرين.

ـ لا يختلف اثنان على القول بأن لكل من المقالح والبردوني أفق من التمايز في الرؤية المنهجية والحساسية المعرفية والتمثل الفلسفي الذي تبناه كل منهما، وهما يكابدان الهم الإبداعي والثقافي ويتواصلان

ـ بحسب تخيّر خاص لكل منهما ـ مع توجهاته وقيمه وكشوفاته ، وهو ما يمنح قراءة كل منهما لتجربة الزبيري نكهتها المعرفية وتمثلاتها الدالة على خصوصية التوجه وأبعاده .

ـ ربما أحالتنا قراءتيهما إلى تدبر جانب من قضية (الشاعر/الناقد) واستنطاق مهيمناتها الفكرية والعملية، ليثار التساؤل عن دوافع (الشاعر) التي تأخذ به لكي يكتب النقد، وهي مسألة أخذت حيزاً متسعاً من الجدل والتبرير المتضاد في كتابات كثير من المتأملين لها [4]. نقول هذا من دون أن يغيب عن بالنا أن تناول الكاتبين للزبيري لا ينبت إلى حالة التواصل النقدي عند الشاعر وحدها بل يتأسس على مجمل المبررات التي سبقت الإشارة إليها.

تقدم لنا المساوقة التاريخية لوجود الزبيري في اهتمامات البردوني والمقالح وتأملاتهما القرائية من المستندات ما يؤكد ترددهما على منجزه الإنساني والأدبي في كثير من كتاباتهما، ومنذ مراحل متقدمة نسبياً فيها . فلقد أطال (البردوني) الوقوف عند الزبيري وفي أكثر من موضع ضمن كتابه الأول (رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه) الصادر في العام 1972م ، وفعل المقالح مثيل ذلك، فجاءت تناولاته المهمة والمعمقة عن الزبيري في كتابه (الشعر المعاصر في اليمن – الأبعاد الموضوعية والفنية)[5] الذي صدر في العام 1974م.

وفي كتاباتهما الفكرية والنقدية اللاحقة فإن حصة الزبيري لم تكن لتغيب عنها، إذ بقيت بارزة ودالة على توصلات قرائية جادة ومهمة قدماها عن هذا الشاعر الكبير[6] ، ليتوج ذلك كله لاحقاً بإصدار كل منهما كتابه الخاص بالزبيري وحده، وهما الكتابان اللذان تنشغل قراءتنا بهما.

والحقيقة فإن لكل من هذين الكتابين أهميته ، لا لأنه يتناول الزبيري من خلال وجهة قرائية خاصة بشاعرين مهمين مثل المقالح والبردوني ، ولا لأنه يدرس الزبيري هذه القامة الإنسانية والوطنية المتعاظمه موقفاً ومنجزاً ، بل لذلك كله وفوقه طبيعة الرؤية وخصوصية التوصلات التي أنجزت في كل منهما ، متصل بتلك الوجهة ما تهيأ لنا ـ ونحن نتأمل الكتابين ـ مما نراه حالة من الحوار المعرفي غير المباشر الذي تجاذبه الكاتبان وتجادلا من خلاله مع بعضهما. لقد وجد بعض الدراسين أن كتاب البردوني

(من أول قصيدة إلى آخر طلقة) يمثل : " ذروة الكتابة النقدية عند البردوني ، لأنه اقترب فيه من المنهج الفني، ووصل إلى درجة كبيرة من التذوق والتحليل للنصوص الشعرية... ويمتاز هذا الكتاب ـ أيضاً ـ بشموله لموضوعات شعر الزبيري وخصائصه الفنية ، وتناول حياة الزبيري ونضاله من خلال شعره "[7].

أما كتاب المقالح (الزبيري ضمير اليمن الثقافي والوطني) فعندنا أنه ينال أهميته من كونه قراءة نقدية

لموضوعة الزبيري ذاتها ، ولكن من وجهة نظر مختلفة عن سابقتها ، في منهجيتها وأدواتها ، وفي ما يشغلها وما سعت إلى التواصل إليه، فضلاً عما انبنى عليه من تماسك وعي ـ ومنذ وقت مبكر – انهمك بقراءة الزبيري والانشغال به في الموقف والرؤية ، ليأتي هذا الكتاب تواصلاً أكيداً مع تلك الرؤية ، داعماً إياها بالوثيقة التاريخية وبالاستعادة المتذكرة لتلك المواقف النبيلة التي كان عليها الزبيري.

وما نود تأشيره هنا ـ وقبل أن ندلف لمقاربة هذين الكتابين ـ هو تأكيد أن قراءتنا لن تطيل الوقوف عند تجربة الزبيري بأبعادها كلها، مثلما لن تواصل فحص مآلات التأسيس النقدي ومنجزه عند المقالح والبردوني بل سيشغلها من هذا وذاك ما تستجلي به الكيفيات التي استقرت عليها قراءة كل منهما للزبيري ومناط التلاقي أو التباعد ـ والتضاد وكذلك ـ الذي تجلى من خلاله طرح نقدي مهم يتلمسه كل من يتأمل منجز هذين المبدعين الكبيرين .

هكذا سيذهب نزوعنا القرائي لاستخلاص موجهات القراءة ومحمولها الدال عليها الذي شغلا به وهما يقاربان تجربة الزبيري المفعمة بأكثر من مساحة لجدل وتجاذب لموقف وقناعة بما هي عليه من العمق والتنوع.

كما نود الإشارة إلى أننا ـ ومع إدراكنا أن كتاب المقالح أسبق في صدوره تاريخياً من كتاب البردوني ـ سنبدأ بكتاب الأخير، لأن فيه كثيراً من الأفكار والاستعادات لما كان البردوني قد طرحه في كتاب (رحلة في الشعر اليمني) الذي صدر في أوائل السبعينات، وهو ما تهيأ لنا أن كتاب المقالح يناقشه ويدخل في كثير جدل مع طروحاته ليرد عليها ويرد بعضها.

* القراءتان ... مهيمنات الرؤية وتمثلاتها:

(1)

ابتداء من عنواني الكتابين يحدد الشاعران الوجهة القرائية التي ستهيمن على توجهاتهما لمقاربة تجربة الزبيري ببعديهما الإنساني والإبداعي. لقد اختار كل منهما مساراً لرؤيته وآفاق تشكلها في قناعة أكيدة لكل ما ستنطق به وتعلنه، فجاء عنوان كتاب البردوني ليلخص مسار القراءة التي تذهب إلى محاورة وجود الزبيري ببعديه الإنساني والشعري وما تأطر فيهما من مواقف وتجارب ومقولات شعرية . ومن هنا فقد تبدت في العنوان ملاحقة متتبعة لتفصيلات المشوار الذي تشابكت فيه مواقف الزبيري وموهبته، فتكيف فيهما وجود قدري خاص به ، ابتدأ من (أول قصيدة) أعلن فيها عن نفسه شاعراً، وتلمست ختامها عند (آخر طلقة) أوقفت المسيرة وغيبت جسد هذا الإنسان المبدع .

لقد جاء العنوان عند البردوني جملة رامزة عن حضور الزبيري الإبداعي الذي عده الولادة الحقيقية له والارتهان الوجودي ذي النزوع المثالي (الشاعري) الذي تبدت فيه مسارات حياته اللاحقة حتى انطفائها حين اشتعل جمر الطلقة فيها. وربما كان في ذلك بعد تأويلي آخر، أراد به البردوني أن يوجز مسيرة حياة الزبيري من الولادة الشعرية وحتى آخر موقف تمثله الزبيري وتبناه وأصر عليه ، ليكون إطلاقة صوته

وموقفه الأخير.

أما المقالح فقد جعل عنوان كتابه (الزبيري ضمير اليمن الثقافي والوطني) محدداً بذلك البعد الرؤيوي الذي ستنشغل قراءته به وهي تتداول تكيفها الذي لا تحيد عنه في تأمل الزبيري لا بوصفه ذاتاً وفاعلية إبداعية لهما توصيفهما الفرداني الدال عليهما والمدلان من خلاله على وجودهما بل ليشرع ذلك الوجود إلى حيث يصبح أفقاً نورانياً لفاعلية وطنية تصبح تلك الذات ـ ذات الزبيري ـ قطبها الذي ينشد كل ما حولها إليه ويستجيب لما يتمثله ويعلنه، فالزبيري(ضمير) لبلاده ، في بعدين يصنعان هويتها ويحركان قيم الحياة فيها: (الثقافي) و (الوطني) ، وفي كلا البعدين كان الزبيري بؤرة إشراق باذخة التجلي.

ويبدو أن هذا العنوان الذي تخيره المقالح مؤسس على يقين لا حياد عنه عنده، إذ هو مستوحى من عنوان مقالة كان المقالح نفسه قد كتبها منذ العام 1955 م ، حين لم يكن عمره قد تجاوز السادسة عشرة . وقد بقيت فكرة تطويرها والإضافة إليها شاغلة له طيلة الأعوام اللاحقة ، وهو ما استعاد المقالح الحديث عنه في مقدمة كتابه الذي نحن بصدده ، فحين ضاعت ـ يقول المقالح –ـ تلك المقالة " لم يبق منها إلا عنوانها الذي انطبع في وجداني ، كما انطبع عليه اسم الزبيري نفسه "[8] وإذا عرض عليه أحد الناشرين أن يعد كتاباً عن الزبيري ، وطلب منه أن يختار له عنواناً مناسباً ـ يضيف المقالح : " لم أجد أفضل من عنوان ذلك المقال الضائع ، لأنه عاش معي أجمل السنوات وصاغته عفوية الشباب "[9].

لقد لخص عنوان كل من الكتابين الرؤية (المهيمنة) التي تبناها صاحبه ، فهي تتبدى عند المقالح في التنزيه المؤكد لشخصية الزبيري واستجلاء وجودها في نصوع قيمي لا يجارى ، كانت عليه في مواقفها وبوحها الأدبي ـ الشعري خاصة. أما عند البردوني فإنها تتأسس على وعي وذائقة خاصين به ، ومؤشرين كثيراً من مقاصده ، وهو يعاين تجربة الزبيري الشعرية ومتحققها الفكري والجمالي كما تبدى له.

وربما أمكننا العودة إلى عنواني الكتابين ـ بإغراء الدلالة الثنائية التي حملها كل منهما ـ فالمقالح يؤطر وجود الزبيري في ثنائية بعداها منشدان إلى الزبيري (الضمير) الناصع لتجلياتهما ، وعلى النحو الآتي الذي يتحاوران فيه:

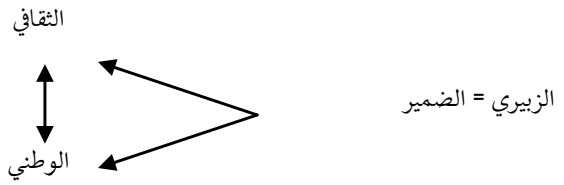

أما عنوان كتاب البردوني فيجسد ثنائية كان طرفاها شيئين متضادين وردا بمسمى مؤنت في كليهما: (القصيدة ـ الطلقة)، ليؤطر مسار حياة الزبيري مبتدءاً وخاتمة، وهو ما يمكن وضعه في الترسيمة المتحاورة الآتية:

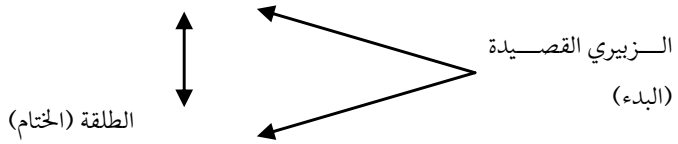

القصيدة (البدء)

هكذا كانت القصيدة ـ بما هي عليه من قيم حياة وجمال وإبداع ـ البداية التي تواصلت متواترة فيما تلاها من القصائد ، لتأتي (الطلقة) بالذي تحمله من تضاد صارخ مع سابقتها ، فتصنع الموت وقتل الجمال . وإذا كانت القصيدة (أولى) بما يعني أن لها ما سيتبعها من مثيلاتها فإن الطلقة أخيرة ، بما يؤشر حصول مثيلات لها ولكنهن قد سبقنها .

وسنلاحظ أن البردوني قد استخدم مفردة (الطلقة) وليست (الرصاصة) وكأنه أراد أن يمنحها بعداً صوتياً ، يضعه بإزاء البعد الصوتي للقصيدة ، مؤشراً تحولها من رصاصة جامدة باردة المعدن إلى إطلاقة اتجهت إلى هدفها وأدت مهمتها.

(2)

حين ندلف إلى محتوى الكتابين في المباحث والفصول ، فسوف تواجهنا جملة من الأبعاد المؤشرة لحدود الرؤية التي قارب كلا الكاتبين من خلالها تجربة الزبيري ، وما تمثله من اشتراطات المهيمنة التي تخيرها ، وما استوعبه من طرائق البحث العلمي وأسبابه .

سنلاحظ أولاً أن المقالح قد استحضر التراتب الشكلي المتبع في المؤلفات الحديثة ، فوضع لكتابه مقدمة فصلت الحديث في دوافع إنجاز هذا الكتاب ، ومساحة الانشغال به ومنذ وقت مبكر عنده. لتأتي بعد ذلك فصول الكتاب متواصلة وبرؤية دلالية متصاعدة . ولم يفت المقالح أن يستهل أولى صفحات كتابه هذا بإهداء ذهب به إلى الزبيري نفسه : " إلى صاحب صلاة الجحيم/ تحية حب.. وصلاة اعتذار"[10]

أما كتاب البردوني فقد خلا من ذلك ، مثلما لم ترد له مقدمة تدلل على طبيعة توجهاته ، كالذي كان عليه سابقه .

عند معاينة الفصول التي حواها الكتابان فسنجدهما يلتقيان في كونهما في الأصل مجموعة من الدراسات والمقالات التي كتبها كل من البردوني والمقالح في مدة زمنية سابقة لجمعها بين صفحات هذين الكتابين .

كتب البردوني في المدة بين عام 1990 – 1992م فصول كتابه هذا ونشرها على حلقات أسبوعية في

الصفحة المخصصة له في صحيفة (26) سبتمبر التي تصدر في صنعاء كل يوم خميس.

وكانت أولى مقالاته هي تلك التي وردت تحت عنوان (الصورة الطويلة في شعر الزبيري)[11] ، ثم توالت المقالات الأخرى تباعاً، لتصبح لاحقاً فصولاً لكتابه، وبالعنوانات التي نشرت فيها عبر الصحيفة ذاتها، لتكون آخر تلك المقالات ما نشرت في 1992/9/17م وحملت عنوان (من أول قصيدة إلى آخر طلقة) التي أصبحت عنواناً للكتاب عند طبعه بعد سنة من نشر مقالاته في الصحيفة.

تضمن كتاب البردوني سبعة وعشرين فصلاً تداخلت في تناولها لجوانب مختلفة في آفاق حياة الزبيري وثقافته وشعره ، من دون أن يضع البردوني في حسبانه إمكانية تبويبها بحسب طبيعة المحتوى الذي تناولته ، ليضع فصول الدراسة الموضوعية وهي تناول جوانب من فكر الزبيري وثقافته والتأسيس المعرفي والسياسي في حيز، يلحق بها تلك الفصول العديدة التي تناولت الجوانب الفنية من شاعريته . ولكن ذلك لم يحصل فجاءت الفصول عفو الخاطر ومن دون ترتيب منهجي ، وفي تداخل موضاعتي ، ربما أدى إلى تكرار بعض المعلومات والأفكار في أكثر من فصل فيها.

لقد استوقفت هذه الظاهرة التي تكاد تعم مجمل كتب البردوني أحد الباحثين فعزاها إلى جملة أسباب ، أولها عنده أن الكتاب في أصله مجموعة مقالات ودراسات نشرت في أكثر من صحيفة ومجلة ومن دون أن يصاحب نشرها اهتمام بتنسيق موضوعاتها، وعلى هذا ـ وطبقاً لرأي الباحث ـ " فالكتابة الصحفية ، والتأثر بثقافة النقاد القدامى ، وتقليده لبعض النقاد في عصر النهضة مثل: طه حسين، والعقاد ، وسلامة موسى ، ومارون عبود وغيرهم ، إلى جانب حرمان البردوني من نعمة البصر ومن الدراسة الأكاديمية في الجامعات ، كل هذه الأسباب كانت وراء القصور الذي نجده في تنسيق مادته العلمية "[12].

لقد أنجز البردوني في كتابه هذا جهداً قرائياً بدت عليه سمة الاتساع وتزاحم المعلومات والأفكار التي لم تنشغل بالزبيري وأدبه بل ذهبت إلى أبعد من ذلك في استفاضات قرائية عن عصور الأدب وتجاربه المختلفة ، مثلما انشغلت بتأطير كثير من المصطلحات والمفاهيم والمواقف واستنطاق الرؤى والأمثلة الدالة عليها[13].

ويبدو أن حالة الاسترسال والاستفاضة سمة أسلوبية قارة في كتابات البردوني[14] لا يكاد يتجاوزها ، ولعلها نتيجة لعوامل ذاتية وثقافية خاصة أنضجت لديه مقدرة عالية على الاستذكار وحشد المعلومات وتوظيفها في السياق الذي يجده مناسباً لها، وهو ما انعكس على فصول هذا الكتاب ، فقد كان البردوني ـ وعلى طريق تناوله لأية موضوع عند الزبيري ـ يستهل حديثه تنظيرية مطولة واستطرادات متلاحقة ، حتى لتبدو هي المتن الذي ينهيه بإشارة موجزة إلى الزبيري.[15]

وفي ذلك الذي يكتبه البردوني كله فإن غياباً تاماً للهوامش يبدو سمة كتابية أخرى بارزة عنده ، " فلا نجد في كتبه ومقالاته هامشاً واحداً ، مع أن البردوني كان يكثر من الهوامش في دواوينه الشعرية "[15]. ويبدو أن هذه المسألة لم تكن غائبة عن رؤية البردوني ، فقد أثار كثير من التساؤلات عنها في واحد من كتبه

السابقة[16].

لقد بدا لنا ونحن نتأمل ما أسس البردوني عليه فصول كتابه هذا ، وبالصيغ التي جاءت عليها أن حديثه لم يكن منشغلاً تماماً بإبراز موضوعته المتعلقة بالزبيري وأدبه، بقدر ما يتعاورها من المسعى في تأكيد الذات ـ ذات البردوني ـ ومقدرتها في الحفظ والاستعادة والتذكر. وربما لن نكون مجانبين الصواب إذا ما عددنا تلك نزعة خالصة لتأكيد الذات ، بدت عالية التشخص في معظم توجهات البردوني الكتابية.

مع أن كتاب المقالح في أصله ـ وكما هو الأمر مع كتاب البردوني ـ مجموعة من المقالات والدراسات التي كتبت في أوقات متباعدة لغايات ثقافية وعلمية مختلفة[17]، فإن مؤلفه كان يستحضر فيه هويته الأكاديمية وتأسيسه المنهجي، فقد نسقه بوعي تأليفي جاد ورتب فصوله على أساس ما تنهض به وتعالجه من القضايا والانشغالات.

لقد وضع له مقدمة مهمة في توجيه القراءة وتبرير دوافعها ، لحقت بها فصول الكتاب الثلاثة التي رتبها على وفق قناعات فكرية ومضمونية معلنة فيها ، وأضاف إليها أفكاراً وقراءات تشخصت ـ وفي ختام كل فصل منها ـ بهوامش وإحالات إلى ما استعان به من المصادر الأخرى، مقرونة باسم المؤلف، ومسمى الكتاب ورقم صفحته وبدقة متناهية.

وإذا كانت انشغالات المقالح في كتابه هذا تذهب إلى الوجهة ذاتها التي استوقفت البردوني ، من حيث تشعب الرؤية بين ما هو موضوعي وآخر فني تشكلت من خلالها خصوصية التجربة الشعرية عند الزبيري، فإن التراتب في تقديم الرؤية وسمة الإيجاز والتقنين الذي ترد فيه كانت خصوصية أسلوبية معبرة عن حضورها في صفحاته.

لقد جاء الفصل الأول من الكتاب استذكاراً لجوانب التأسيس الإنساني والمعرفي لدى الزبيري ، منذ بروزه شخصية اعتبارية مهمة في حضورها ودورها السياسي والثقافي ،ليدلف مؤشراً القضايا الفكرية التي تأسست عليها تجربة الزبيري الشعرية ومساحة التجلي (الموضوعاتي) الذي انهمكت فيها ، سواء وهو يكتب قصيدة المديح ، أو حين يتأمل الظواهر السياسية والاجتماعية في محيطه الوطني ويحدد موقفه منها.

لتأتي بعد ذلك وفي الفصول الأول والثاني مجموعة من التداولات القرائية لجوانب من تجربة الزبيري وفي أبعادها الفنية . وكما كانت ذات البردوني حاضرة لتعبر عن مقاصدها المعرفية وذائقتها في التخير والاستعادة فإن ذات المقالح كانت كذلك ولكن ليس بالوجهة نفسها بل لتؤكد انشغالها الدائب بالزبيري إنساناً وشاعراً، وترصيع كثير من الصفحات بفيض الذاكرة ، وهي تستعيد ما عايشه المقالح من أحاسيس وقيم حين أتيح له أن يكون قريباً من الزبيري في وقائع بعينها[18] . ومن هنا فقد جاء الفصل الثالث (الأخير) في الكتاب ليتضمن عنوانات من مثل : أحاديث وذكريات ، رحلة في بيت من شعر الزبيري ، أحزان الزبيري في وثيقة تاريخية بخط يده.[19]

* القضايا ... جدل القراءة وتقاطعاتها:

تعددت القضايا التي استوقفت كلاً من المقالح والبردوني وهما يتأملان تجربة الزبيري ببعديها الإنساني والإبداعي، ليتخذ كل منهما مساحة من الرؤية خاصة به ، ومؤسسة على قيم المهيمنة التي أنطلق منها أساساً في قراءته ، وهو ما وضع بين أيدي تلقينا مساحتين قرائيتين لكل منها سماتها التي ربما بدت ـ وإن على نحو غير مباشر ـ ذات طابع جدلي تواجه به القراءة الأخرى، وتدخل في حالة من الحجاج معها.
(1)

كان البردوني قد أشار في كتابه المبكر (رحلة في الشعر اليمني) إلى حالة التماهي والانشداد بين السياسي (الوطني) والشاعري في شخصية الزبيري، فعنده : " أنه كرس شعره وحسه للوطنية، فكان الوطن ذاته وموضوعه، ولعل هذا سر خطورة شعره "[20].

وقد عاد البردوني في كتابه الأخير ـ موضوع قراءتنا ـ ليناقش الجانب السياسي في شخصية الزبيري باستفاضة هذه المرة ، وبقناعات ربما بدت مختلفة يعلنها من خلال إثارته لسؤالين اثنين، ومن ثم إجابته عنهما ، فكانت فحوى السؤال الأول: ما حدود المقدرة السياسية التي تمتع بها الزبيري، وهل كان قادراً على إدراك ألاعيب السياسة وخفاياها ، ليوصف بأنه سياسي ناجح حقاً؟.

أما السؤال الآخر فكان عن مقدار تحكم السياسة وتوجيهها لشاعريته ، والكيفيات التي أعلنت عن ذلك فيها.

وفي مرد إجابته عن السؤال الأول قال البردوني: " أصبحت الوقائع المتواترة مهيمنة على الزبيري ، نقوّله ما تريد هي ، لا ما يصبو إليه من قمم الشعر، فكان صوت الوقائع أطغى على صوت الشعر"[21].

ومن ذات المنظارالراصد لفعل السياسة في شعر الزبيري ، لاحظ البردوني ما انتاب قصائده السياسية ـ ولا سيما في مرحلة أواخر الخمسينات ـ من تطويل مبالغ فنية ، وكان هذا التطويل على ما رآه البردوني: " ضئيل النصيب من الإجادة بل من الشعرية ، لأن توغله في السياسة المباشرة حمّله محاولة الإفهام والإقناع "[22].

وحين ذهب البردوني للإجابة عن سؤاله الآخر، رأى أن مثالية الزبيري تجعله لا يصلح للسياسة ، لأنه يجده مزودا بقيم : " النضال الصادق والبراءة الفجرية والنقاوة المثقفة بأنواع المعارف ، إلا معارف السياسة "[23] ، يأتي ذلك من دون أن يغيب عن رؤية البردوني أن الزبيري كان: " حزبياً جيداً، ومن كل الوجوه ، وعلى كل المقاييس "[24].

يرى المقالح أن البعد السياسي في شخصية الزبيري غير منبت عن سواه من جوانب تكوينه السلوكي والروحي: " فالزبيري السياسي هو الزبيري الوطني، الشاعر المتصوف ، الزاهد بالحياة ومناصبها... وعلى الرغم من أنه كان الناطق الأول باسم القضية الوطنية ، والرجل الذي تهتز لكلماته جبال اليمن فقد كان يرتضي الأدوار الثانوية ، ويجعل شؤون المال والرئاسة والإدارة من اختصاص غيره"[25] .

ومن خلال هذه الرؤية يدلف المقالح لدحض المقولة التي رددها البعض ـ ومنهم البردوني كما مر ذكره ـ من

أولئك الذين ذهبوا إلى القول بأن مهارة الزبيري إنما تقتصر على شاعريته وحدها ، في حين بقي الجانب السياسي في شخصيته مآلاً للفشل ، ليؤكد المقالح أن الزبيري : " كان سياسياً شديد الذكاء ، بيد أنه في سياسته لا يعرف الكيد ، ولا يجيد الالتواء ، وكان يعيش ـ في كل الظروف ـ بوجه واحد ولسان واحد... وبعبارة مختصرة كان سياسياً وطنياً ولم يكن سياسياً مصلحياً " (26).

ويقدم المقالح جملة من الحيثيات التي تدعم قناعته بكون الزبيري سياسياً لماحاً شديد الذكاء ، يبدؤها من تفحصه المنطلقات النظرية التي أبداها الزبيري في كثير من كتاباته السياسية ، مشيراً إلى ما حمله وعيه على أن يعلنه من موقف ضد نظام الإمامة في كتابه (الخدعة الكبرى) ومنذ وقت مبكر، حيث يظهر الزبيري : " كاتباً سياسياً من الطراز الفريد. فلقد استطاع في هذا الكتاب أن يظهر إلى أي مدى كان النظام الإمامي يخدع شعبه . وبعد أن يئس... نرى كذلك كيف في منافقة السياسة الدولية والعربية " (27).

ويدعم المقالح رؤيته بموقف آخر كان عليه الزبيري ، وفي مرحلة مختلفة ، هي مرحلة ما بعد نجاح ثورة 26 سبتمبر 1962 م ، حيث أبدى جرأة كبيرة ووعياً متقدماً يدرك احتياجات الواقع السياسي الجديد ومستلزماته ، وذلك باتخاذ المواقف العملية التي تؤكد عمق تمثله لقناعاته ، ولعل أبرز هذه المواقف وأكثرها جلاء موقفه بعد الثورة : " حينما نبذ الكراسي والمناصب ، وخرج إلى الشعب يواجه الرجعية الخائنة بصدره المفتوح وقلبه الطيب" (28).

وحين يتفحص المقالح شعر الزبيري من منطوق تلك الرؤية السياسية فإنه يراه منسجماً تماماً مع القيم الراسخة في ذات الزبيري ووعيه ومواقفه ، ومن خلال ذلك ـ وطبقاً لرأي المقالح ـ فإن " شعر الزبيري كله لم يكن إلا قصيدة سياسية واحدة، وكذلك حياته نفسها لم تكن سوى قصيدة سياسية تراجيدية واحدة... وليس بين شعراء اليمن، ولا بين شعراء العربية المعاصرين ـ على كثرتهم ـ شاعر تجسدت في حياته قضية وطنه كما تجسدت قضية اليمن في حياة شاعرها الكبير" (29).

(2)

أعلن البردوني ومنذ وقت مبكر من كتاباته رأيه بخلو شعر الزبيري من الإشارة إلى المكان اليمني وتوظيف خصوصياته فيه ، إذ لم يؤثث نصوصه بأية إشارة دالة على ذلك من حيث المسميات والشخصيات والقيم الاجتماعية ذات النكهة اليمنية : " ولو تلمسنا في كل قصائد الزبيري صورة اليمن أو عاداتها أو مأساتها لما وجدناها " (30)

وقد استعاد الرؤية ذاتها في كتابه اللاحق (رحلة في الشعر اليمني) ، حيث كتب : " إن شعر الزبيري تنقصه ملامح اليمن وروائح اليمن ، فلا تكاد نجد في كل شعره ذكر البن وهو رمز اليمن الأخضر، ولا ذكر الجبل أو أثراً من جبال اليمن وآثارها على ما في الإيحاء المكاني من دلالة شعرية وإثارة نضالية " (31)

وفي كتاب البردوني الأخير (من أول قصيدة ...) سنجده وقد استعاد ـ وبتفصيل أوسع ـ المسألة ذاتها ، مفرداً

لها فصلاً خاصاً جعل عنوانه (ذهنية المكان) وقدم له بكثير من التأمل والاستطراد عن علاقة الفرد بالمكان ومنذ مراحل نشأته الأولى، لينتقل بعدها إلى الحديث عن الأفق الذي تمثل الزبيري المكان من خلاله، ذاهباً بالمسألة ـ هذه المرة ـ إلى شيء من التبرير عما يقصده من بحثه عن المكان في الشعر عامة ، وشعر الزبيري خاصة ، إذ ليس المطلوب إقحام المسميات المكانية والإلحاف على ذكرها ، وإنما استبصار خصوصياتها وإعلاء شأن البعد الرمزي الذي تؤشره وتدل عليه : " لأن تسمية الأماكن في الشعر بدلالتها تغني تجربة الشعر بواقعية التعبير، وتجمع بين النظرة المثالية والمنظور الواقعي" [32]. وطبقاً لقناعة البردوني فإن هذه المسألة تبدو أكثر إلزاماً في حضورها عندما يرتبط الشعر بالحدث ويتواصل مع وقائعه ، لأن : " الشعر الذي يحمل سمات الأحداث لا بد أن يحمل غبار المكان وقبلات شمسه، وروائح رفيفه وأنسامه وعوصفه "[33].

وعنده فإن الغالب على شعر الزبيري هو ذلك التواصل الحميم مع وقائع وطنه وأمته، وتلمسه الواقعة التاريخية الدالة وهو ما مثل له البردوني بعدد من القصائد المشهورة للزبيري ، كتلك التي قالها وهو يخرج من السجن ، أو التي ألقاها عند تأسيس الاتحاد اليمني بعدن في العام 1944م ، أو قصائده التي قالها في الباكستان لمناسبات دينية وسواها ، ففي كل تلك الأمثلة رأى البردوني أن المكان الذي يشير إليه الزبيري : " غير محدد بسمات وإنما هو جزء من العمل "[34]. وعلى هذه الرؤية يؤسس البردوني حكمه الأخير على طبيعة شعر الزبيري وهو يتناول المكان ، إذ هو: " معرض جيد بأسماء الأماكن الذهنية وبالإشارة إليها. على أن هذه الأسماء والإشارات غير الخصوصيات المحلية ، لأن سرد الأماكن يكتبها السائح، لكن خصوصيات الأمكنة تتفجر في الشعر عن طريق تغلغله في أماني الشعب ومآسيه وتقلب تصوراته " [35].

كانت مسألة المكان ومحليته في شعر الزبيري قد استوقفت الدكتور عبد العزيز المقالح ، ولكنه لم ينظر إليها من حدها المكاني وحده بل داخل بين البعدين المكاني والزماني اللذين رأى تمثل شاعرية الزبيري لهما وتأسيس كثير من قيمها عليهما ، في تمثل عميق للخصوصية اليمنية عنده . فمع اتساع أفق رؤيته عربياً وإنسانياً فإن ذلك لم يمنعه من أن يكون شاعراً يمنياً بالدرجة الأولى [36].

وعبر هذه الرؤية ناقش المقالح موضوعه خلو شعر الزبيري من ذكر الاسماء المحلية التي تبنى البردوني المناداة بها ، ليرد عليه ـ ومن دون أن يذكره بالاسم ـ فعند المقالح أن هذا القول : " يثير من علامات التعجب أكثر مما يثير من التساؤل ، لأن الخصائص والروائح المحلية لا تنبع في الشعر أو في النثر من الأسماء ، وإنما تصدر عن الموضوع ، ومن أسلوب التناول نفسه "[37] .

على أن المقالح ومن باب التذكير والمحاججة ، وللرد على الادعاء بأن ذكر الأسماء في الشعر مما يجعل طابعه محلياً، يقدم أكثر من شاهد شعري لدى الزبيري وردت فيه أسماء مدن وشخصيات وإحالات تعبيرية ذات مرجعية محلية يمنية [38]. وطبقاً لقناعة المقالح فإن المكان ليس وحده من يصنع البعد التواصلي بين الشاعر ومحيطه ـ عصراً ووقائع ـ بل إن فاعلية لوجود زماني تمثل مشغلاً دالاً على مقدار صلة الشاعر بواقعه ،

وعنده فإن الزبيري : " كان ـ من خلال سلوكه الشخصي ومن خلال أشعاره ـ ابناً مخلصاً لعصره" [39].

إن انتماء الزبيري إلى بيئته وهموم مرحلته سمة تشخص عند المقالح مؤكدة نفسها في أكثر من موقف وإحالة تعبيرية ـ شعرية كانت أو نثرية ـ إذ لم يكن وطنه اليمن ـ في رؤيته له ـ مكاناً وشعباً بل قيمة فكرية وشعورية تعلن عن تكشفاتها في مواقفه وأدبه على تواتر وجوده الإنساني والإبداعي، وذلك ما استعاد المقالح كثيراً من قيمه وهو يلاحق عمق الرؤية الوطنية وجماليات تشكلها في بيت شعري واحد للزبيري ، وضعه المقالح بأزاء ما تردد على أقلام وألسنة شعراء آخرين في الموضوعة ذاتها، ليصل إلى القول أن الزبيري قد حمل وطنه في شغاف القلب، وظل يردد اسمه في حله وترحاله، هاتفاً[40] :

ولو أني حللت ربوع نجم هممت به إلى الوطن الوثوبا

(3)

تبدت في قصائد المديح التي نظمها الزبيري فترة حكم الإمامة مساحة للاختلاف والتقاطع في الرؤية بين البردوني والمقالح ، حيث أبدى كل منهما تصوراته الخاصة عن تلك القصائد ، ساعياً إلى توجيه تقولاتها من خلال استعادته منطوق المهيمنة الأساس التي تمثلها وهو يعاين تجربة الزبيري الشعرية في مظاهر تشكلها المختلفة.

وكما تكرر في أكثر من مرة فإن البردوني كان قد تناول جانباً من رؤيته لقصيدة المديح عن الزبيري في كتابه (رحلة في الشعر اليمني...) حيث انتهى إلى القول بأن الزبيري :" صادق الشعر في أماديحه (للإمام أحمد) عندما مدحه في ولاية عهده "[41] ، ليستعيد الفكرة ذاتها في كتابة اللاحق (قضايا يمنية) الذي قال فيه إن الزبيري كان (أحمدياً) في تلك السنوات [42].

أما في كتابه الذي بين أيدينا فقد خصص أحد فصوله لتناول هذه الظاهرة الشعرية عند الزبيري ، في دأب لتأكيد قناعته التي سبق له إعلانها. محاولاً التفصيل في مسار شؤونها والكيفيات التي بدت فيها.

فلا شك عند البردوني أن الزبيري قد مدح في شعره أكثر من شخصية وفي فترات مختلفة ، سواء في نوع من المجاملات الأخوانية أو من منطلق قناعته الفكرية والسياسية. ولكن معظم تلك القصائد لم تكن لترقى إلى مستوى أماديحه لهما. وعلى ما يراه البردوني فإن الزبيري :" بدأ مسيرته النضالية بالنصح الممزوج بالمدح ، متمثلاً في تلك القصائد التي قدمها للإمام يحيى التي عدها البردوني مديحاً خالصاً وتقليدي السمات : " ينفخ الممدوح بالغرور إلا أن وراءه نية إصلاح " [43] .

وإذا كانت تلك وجهة المديح التي انطلق منها الزبيري لمدائحه في الإمام يحيى فإن الأمر ـ مع الأمير وولي العهد أحمد ـ سيأخذ وجهة ذات طبيعة ذاتية دالة، فعنده أن الزبيري في قصائده لأحمد إنما :" مدح عن اختيار بل عن رغبة جامحة كما تشهد فنية أماديحه وإحساس صوت قلبه فيها " [44] .

وإذ يمثل البردوني لهذه الرؤية بأكثر من شاهد شعري من قصائد الزبيري في تلك المرحلة ، يستوقفه التواتر

اللاحف لمفردة (الهيام) التي : " استوطنت معجم الزبيري آنذاك... وما يشتق منها من أفعال ومصادر وأسماء مصادر، كـ: هيام وتهيام وهيمان... وكأن تلك المفردات حدثت ذلك الحين لتمكنها في مكانها وفي المبنى الشعري ، حتى لفتت الانتباه لكثرة ترديدها في (الأحمديات) وندرتها فيما قبلها من القصائد " [45] وسوف يلاحظ البردوني غيابها بعد ذلك عن قاموس الزبيري منذ مغادرته إلى عدن[46].

وما نود قوله هنا هو أن فكرة تعلق الزبيري بالأمير أحمد في حينه لم تكن من عنديات البردوني بل استعادة لما كان الزبيري نفسه قد قاله في هذه المسألة: " كنت فعلاً في سن النوازع الروحية معجباً بشخصيته ، مأخوذاً بها ، وكنا ننتظر أن تكون تجربتنا معه ناجحة . على هذا الأساس قدمت إليه عصارة غالية من شعري ، أنفخ فيه روح الطموح والبطولة ، وأمنحه حماس الثقة ، وأحركه بأحلام الشعر وأشواق المجد بل وأحلم بأنه قد أصبح بطلاً في دنيا فني" [47] .

إذا كانت قراءة البردوني لتجربة قصائد المديح عند الزبيري قد وضعتها في مسارات مرحلية نوعية ، كان لكل مرحلة منها سماتها المعلنة عن خصوصية تلك التجربة عند الشاعر، فإن تأملات المقالح لهذه الموضوعة الشعرية تذهب الوجهة ذاتها، لا لتشارك البردوني فهي ما قرره ـ فهي تقف عند قناعة تناقضه تماماً ـ ولكن لترصد البعد المرحلي الذي تحركت من خلاله هذه التجربة، وما انبنت عليه من تكشفات فكرية ونفسية كابدها الزبيري فيها.

إن من يتأمل ما كتبه الدكتور المقالح في هذا الشأن سيقف على تأكيده الجازم بأن الزبيري لم يمدح لغرض المديح المحض، أو ليؤكد مقدرته الفنية في هذا الغرض الشعري، بل هي وسيلة لديه يستنطقها بغايات متعددة يريدها منها: " أنا أزعم ـ يقول المقالح ـ أنه لم يمدح ، وأنه كان تارة يسيس الشعر فيجعله رائداً يستكشف به أغوار الإمام الطاغية " [48] .

ويضيف المقالح سبباً ثانياً لهذا التوجيه يجده متمثلاً في : " أنه ـ أي الزبيري ـ كتب هذه القصائد أو بعضها مستعطفاً وشاكياً من هول ما يلاقيه المناضل في سجون الإمام من بطش وتنكيل " [49] ، وفي ظل غياب آية وسيلة ـ إعلامية أو سواها ـ لكي يعبر الأدباء والمثقفون اليمنيون عما يشغلهم من مهام فكرية وانشغالات وطنية ومساع للإصلاح ، ومن خلال داخل نظام الإمامة نفسه، فإن تلك الطريقة من التعبير الشعري كانت هي الوسيلة الوحيدة والصوت المتفرد المسموع الذي أتاح للزبيري أن يعرض كثيراً مما يجري في الواقع اليمني.

وهو ما يعده المقالح سبباً ثالثاً لبروز تلك الظاهرة في قصائد المديح عند الزبيري : " إن كانت كذلك " [50]، على حد تقييم المقالح لها. وتأسيساً على مامر ذكره تصبح قصيدة المديح عند الزبيري ـ طبقاً لرؤية المقالح ـ مما يدعم القول بذكاء الزبيري السياسي الذي يحيل الكلمة والشعر سلاحاً يقارع به ذلك النظام .

في قناعة عنده، يؤكدها ما نقله المقالح عنه ، حين قال: " وإذا كانت الحرب خدعة فالشعر أحياناً سلاح من أسلحة الحرب" [51] .

ويختم المقالح تبرير هذه المسألة بسبب رابع يجده في البعد الذاتي والثقافي الذي تواصل الزبيري من خلاله مع واقعه وما ينضحه من قيم فكرية وأدبية ، فالزبيري نتاج مرحلة لها سماتها الشعرية التي تتضخ عنده ـ كما هي عند سواه ـ ومن هنا كان لابد لتجربته أن تستجيب لمؤثرات البيئة ولتقاليدها الأدبية التي كان شعر المديح فيها ـ محلياً وعربياً ـ قيمة فنية لا يمكن لأي شاعر حينها أن يتفلت من تداولها أو إيجاد مثالها في شعره ولم يكن الزبيري استثناء في تلك المرحلة التي : " كان الشعر فيها ما يزال ـ إلى حد ما ـ هو المدح ، وكان المدح هو الشعر، ليس في اليمن وحدها بل في سائر الأقطار العربية" [52].

وبعد أن ينتهي المقالح من تثبيت تلك المبررات التي أخذت شاعرية الزبيري نحو قصيدة المديح ، داعماً ذلك كله باستشهادات نصية من أقوال الزبيري ونصوصه الشعرية ، ينتقل بالقول إلى تأشير المراحل التي مرت بها هذه التجربة عند الزبيري ، حتى انتهى به الأمر إلى نبذها من فكره وتجربته. فإذا كانت بداية توجهه إلى النظم بهذا الغرض مؤسسة على منطلقات رؤية تجعل من شعر المدح وسيلة لغاية وطنية نبيلة فإن ما شهدته المرحلة اللاحقة، مثلت حالة من الإحباط وانهيار الأمل باستدراج الممدوح إلى حيث الغايات المنتظرة. لتأتي بعدها مرحلة الإحساس بالندم على هذا الذي فعله الزبيري بشاعريته ، حين ألقى بها عند من لا يستحقها. ليصل الزبيري ـ وكنهاية متوقعة لتلك المشاعر التي كابدها ـ إلى المرحلة التي وسمها المقالح بأنها مرحلة (النقد الانتقامي)[53] التي لم تقف به عند مواجهة قصائده تلك ووصفها بـ (الوثنيات)[54]، بل إلى الانتقال بوجوده كله إلى أفق جديد أسماه (مرحلة اليقين الثوري)، ليجد رؤيته الشعرية الحقيقية والمكتملة، وليصبح مفهوم الشعر عنده مرادفاً لمفهوم الثورة [55].

ويختم المقالح تلك المحاجة المكتنزة ليقينها عن تجربة المديح عند الزبيري بالالتفات إلى الجانب الجمالي فيها، فيرى أن تلك القصائد كانت : " عملاً فريداً في الشعر" [56]، كما لاحظ عليها غياب المفردات المعتادة في المديح ، ليحل محلها عنده ألفاظ مثل: الشعب ، الوطن ، التاريخ ، المجد ، الإسلام ، العروبة ، الحرية ، العدل ، الحق... [57]

لقد نالت مدائح الزبيري الشعرية للإماميين حصة بارزة من الانشغال النقدي ، ليس عند البردوني والمقالح وحدهما بل في معظم الدراسات التي تناولت تجربة الزبيري الشعرية. وقبل ذلك من الزبيري نفسه الذي بذلك جهداً متميزاً في تبريرها ودرء ما يمكن أن يناله بسببها.

وبغض النظر عما يمكن أن نصل إليه من تصورات عن تلك القصائد ، وسواء أكانت مديحاً لغاية المديح التي لا يمكن تصور الزبيري في الساعين إليها ، أو أنها جاءت لغايات أخرى تجعلها ـ طبقاً لرأي المقالح ـ بمثابة : " لون رمزي من ألوان الهجاء " [58]، فإنها ـ بحسب قناعتنا المؤكدة ـ " تتصل بمرحلة سياسية لها ظروفها ومحفزات حركيتها، وما فرضته على الزبيري وسواه من مناضلي اليمن من خيارات محدودة للتعبير عن مواقفهم" [59].

ولعل الجانب الفني في هذه القصائد مما لا يمكن التغاضي عنه، إذ : " إن قصائد المديح تلك ـ وحين يتم وضعها في المساق الفني لتطور تجربة الزبيري ـ ستبرزه شاعراً متمكناً من أدوات فنه الشعري ، وذا نفس إبداعي خلاق ، يعيد لقصيدة المديح رونقها وهي تخرج عنده من غايات ضيقة إلى ما هو أكثر نبلاً" [60].

(4)

لا يمكن استنباط رؤية البردوني عن (المذهبية الفنية) التي تحرك في أفيائها شعر الزبيري إلا من خلال استدراج ما قاله في كتابة (رحلة في الشعر اليمني...) وموائمته مع كتابة الأخير (من أول قصيدة...) لتكتمل أبعاد تلك الرؤية وتتأكد طبيعة القناعات التي ترسخت لدى البردوني عن هذه المسألة.

ولا بد من التأكيد في البدء أن البردوني يجد الشعر أكبر من أن يحكم بمذهبية محددة أو أن يوجه مفهومه وحركيته من خلالها: " لأن السر الشعري الكامن في بديعياته سبق المدارس والمذاهب التعريفية والتصنيفية وتجاوزها بعد تكاثرها وتلاحقها ، ولأن الشعر هو الذي يخلق المدرسة ، وليست المدرسة هي التي تخلق الشعر" [61]، ويلحق بذلك عنده :" أن المدارس متعاونة مختلطة وليس هناك سور صيني بين هذه وتلك لأن كل المدارس وجهة عامة "[62].

وربما عد البردوني شعر الزبيري من الأمثلة المؤيدة لرؤيته هذه ، إذ هو يخرج عن أن يؤطر باتجاه مذهبي بعينه، حيث تلتقي عنده أكثر من مدرسة ، لا لتعلن عن حصتها منعزلة عن سواها من المدارس بل لتتواشج معها مخبرة عن حضورها في هذا النص أو ذاك ، تاركة لسواها أن تعلن عن نفسها في آخر سواه[63]، وهو ما جعل الزبيري ـ طبقاً لقناعة البردوني: " أثقف مجايلية شعرياً" [64]، لأنه يجمع في تجربته أكثر من اتجاه جديد وآخر قديم موورث. وهو وإن سعى إلى التجديد في شعره : " فقد جدد لكن على الأساس القديم ، فلم يشذ عن القديم كل الشذوذ ، ولا تقيد به كلياً "[65]، وهو ما جعله بحسب ذلك أقرب إلى مفهوم (الكلاسيكية الجديدة) مع العودة إلى ما قبلها.

وعبر هذه الرؤية فقد رصد البردوني تعالقات شعر الزبيري و(تناصه) مع أكثر من شاعر قديم : كالمتنبي والبحتري ، وأكثر من شاعر حديث كأحمد شوقي وعلي الجازم وحافظ إبراهيم ، في الوقت ذاته وفي نصوص ربما انتمت إلى المرحلة الواحدة من تجربته[66].

وهكذا تأطرت الحدود المذهبية لشعر الزبيري ، ولم يغادرها ـ على ما رآه البردوني ـ إلى أبعد منها ، فعنده أن القول باقتراب الزبيري من الرومانسية أمر مستبعد : " إذ لا يمكن إطلاق الرومانسية على الزبيري... لسبب واحد، هو: غياب مقومات الرومانسية التي تقوم على أربعة مبادئ ، الأول: تمجيد الألم، والثاني الصدور عن قراره ذات الشاعر ، والثالث التلاشي في الطبيعة ، والرابع الانصهار في الحزن واستنطاق مشاهده في الإنسان والحيوان والنبات والمعنويات" [67] . ومن هنا فإن القول بأن الزبيري قد أصبح رومانسياً في يوم ما، أو أن قصائد بعينها ذهبت به إلى هذا الاتجاه أمر لا يقره البردوني ، فحتى قصيدتيه (البلبل)

و(حنين الطائر) اللتين أجمع الكثير من الدارسين على بروز فاعلية التمثل الرومانسي الذي سلكه الزبيري فيها ، مما يعارضه البردوني : " لأن هاتين القصديتين وسواهما من المقطوعات لا تمثل اتجاهاً رومانسياً ، وذلك لأن الكلاسيكية أقرب إلى نفس الزبيري لقوة دلالتها على الأصالة من الناحية الفنية، ولأنها تتطلب الموضوع في خارج الذات " (68).

وإذ حسم البردوني الأمر في هذه المسألة كما تم له أن يعتقد ، لم يغب عن رؤيته ما أحدثه الزبيري في تطور نوعي مهم في مسار الشعرية اليمنية ، وذلك ما ذهب بالبردوني إلى القول : " إن الزبيري أوجد مدرسة يمنية معاصرة تضرب جذورها في القديم وتمتد فروعها في جو جديد ، لهذا أحدث الزبيري حماساً شعرياً نشأ في ظله شباب تأثروا به " (69) ، ولكن هذه المدرسة لم يتح لها أن تواصل عطاءها المتطور فأصبحت بلا تلاميذ : " ولم يعد الزبيري إلا شاعراً مجيداً مناضلاً، أما مدرسته شعرياً فقد انتهت لبزوغ مدارس جديدة " (70).

لعله من الضروري أن نبدأ برصد التجليات المذهبية لشعر الزبيري كما رصدها المقالح من منطلق تحديد مفهوم الشعر وطبيعته ومصدريته ولكن هذه المرة كما تأمله الزبيري وأعلنه ، وليس كما يتمثله المقالح ، مثلما حصل مع البردوني آنفاً.

فعند المقالح أن الزبيري رفض الحديث المكرور في التراث الإنساني عن مصادر غيبية خارج ذات الشاعر، فالزبيري : " لا يقبل بما ينقله هذا الموروث أو ذاك عن مصدر الشاعرية ، وهو يرى أن الشعر نبت الأفكار ، وللبرهنة على ذلك يسوق أكثر من دليل " (71) .

وحين يرصد المقالح غاية الشعر عند الزبيري فإن يجزم بأنها لا تكون : " إلا صوت الوطن وضمير الشعب ، وما نغماته إلا الزئير الذي يسبق العاصفة ـ الثورة " (72).

ولتحديد التوجه المذهبي الذي سلكه شعر الزبيري ، يرى المقالح أنه منتم تماماً إلى

(الكلاسيكية الجديدة)، بل هو رائدها في الشعر اليمني الحديث والكلاسيكية الجديدة ـ طبقاً لتعريف المقالح : " ليست تقليداً خالصاً لمن سبق من الكتاب والشعراء ، وليست إبداعاً خالصاً ، وإنما هي تجمع بين الإبداع والتقليد " (73)، غير أن الزبيري قد صنع لهذا المذهب الفني في مواقفه وتجربته الشعرية ما يراه المقالح ميزة له وحده ، إذ : " نستطيع أن نقول إن الترابط النضالي بين الشاعر الكلاسيكي الجديد في اليمن وبين الثورة قد مثله الزبيري أصدق تمثيل "(74).

ولكن شعر الزبيري لم يعتكف على هذا الاتجاه المذهبي فقط : " فقد تفلت من قبضة الكلاسيكية الجديدة فترة من حياته ، ربما كانت الفترة التي أعقبت سقوط انقلاب 1948م ، وما تلاها من شعور بالإحباط وإحساس بالضياع . وقد كتب في هذه المرحلة قصيدتين رومانسيتي المنزع كانتا ـ وما تزالان ـ تمثلان طليعة الشعر الرومانسي في اليمن "(75).

يشارك المقالح البردوني رأيه فيما يمثله الزبيري من مدرسة واضحة السمات والتوجهات في الشعرية

اليمنية. وهذه المدرسة لم تشهد توقفاً أو انقطاعاً
ـ كما كان البردوني قد أخبر عنها ـ بل هي دالة على استمرارها ـ عند المقالح ـ من خلال : " أن كثيراً من الكلاسيكيين الجدد ـ ممن جاءوا بعد الزبيري ـ كانوا نسخاً مكررة منه في النهج الشعري ، وإن أضيف إلى إنتاج البعض منهم قدر من الجودة ، يفرضها تطور الزمن وتجدد الأساليب الشعرية بما فيها أسلوب الكلاسيكية الجديدة " (76).

ولعل في العبارة أعلاه ما يشير إلى التجربة الشعرية للبردوني نفسه الذي عده المقالح امتداداً لمدرسة الزبيري وتواصلاً متنامياً لها فقد : " تأثر البردوني في حياته الشعرية بمواقف الرائد الزبيري وسار على دربه خطوة خطوة " (77).

إن ما يعن لنا تأشيره هنا ، وفي مسألة التأثر بالزبيري هو أن كلا الشاعرين ـ البردوني والمقالح ـ قد تأثر به وسار على هدي من مواقفه ومنجزه ، وانتمى إلى مدرسته ، ولكن في أقدار من التأثر والاستجابة ليست واحدة، فإذا كان البردوني في شاعريته امتداداً فنياً لمنجز الزبيري فلعل المقالح يمثل حالة مع التواصل مع الزبيري، ولكن في آفاق ليس الشعر هو ما يشغلها وحده، إذ لا يمكن الحديث عن تلمذة فنية
(شعرية) للمقالح نتلمس للزبيري حضوراً فيها ، لطبيعة الانشغالات الرؤيوية والجمالية المغايرة التي اختطها المقالح لشاعريته ، وهي تذهب إلى تمثل قيم الحداثة وإبراز مثالها الحصيف.
ولكننا قادرين على تأشير بعض السمات التي تعلن عن تلمذة ثقافية وروحية خاصة بالمقالح ، لعله استمد بعض مقوماتها من تأمله الطويل لذلك الخصب الإنساني والثقافي والروحي الذي كانت عليه شخصية الزبيري ، وبما يرسخ نزوعاً بيناً نحو توجهات صوفية لها طابعها الخاص ، تبناها الاثنان ، واستبدت بوجودهما الإنساني في كثر من التعاملات والمواقف . وكان ذلك قد استوقف المقالح فأشر سماته في مناحي كثيرة لدى الزبيري (78).

(5)

تبدت في الموقف الذي عبر الزبيري من خلاله عن وجود المرأة في شعره سمات لتلك الجدلية المتواترة نقدياً بين البردوني والمقالح ، وهي مسألة نجد من الضروري الوقوف عندها وإن بحدود موجزة.
لقد كانت مفردة (الهيام) التي سبقت الإشارة إلى حديث البردوني عنها بمثابة فرصة للبردوني كي يعلن أن الزبيري ربما كان قد عشق أحداهن في مرحلة وجوده بتعز قريباً من ولي العهد أحمد : " وهذا ممكن لأن الزبيري كان شاباً نضيراً إذاك " (79) . ومن خلال هذا الظن ذهب البردوني ليشير إلى مساحة (التناص) الشعورية والشعرية التي يمكن أن تجمع بين الزبيري والمتنبي الذي خلع هيامه بـ (خولة) على أخيها (سيف الدولة)، ليصنع الزبيري الأمر ذاته وهو يورد مفردة (الهيام) في مدائحه للأمير ولي العهد التي وشت بعواطفه : " وهذا مجرد افتراض فرضه استبطان النصوص التي انطوت على الهيام في كل القصائد التعزية ،

وما تلاها بأعوام بشكل أقل. وهذا التذكر لذلك الوجه الذي أسفر حيناً من الزمن. ولا يمكن أن يكون الأمير أحمد مناط الهيام وتذكره " [80].

يذهب المقالح ليؤكد جازماً القول أن الزبيري : " لم يقترب من المرأة الحبيبة أو سواها ، حتى وإن كانت : " المرأة الرمز ، حيث تتعانق المرأة والوطن" [81]. وهكذا فعنده أن الزبيري قد " أدار ظهره للمرأة ، لا بوصفه شاعراً كلاسيكياً أو رومانسياً بل باعتباره شاعر الوطن "[82]، ويعد المقالح هذا النأي عن استحضار صورة المرأة في القصيدة مما يعترض على الزبيري فيه، وإن وجدت مبرراته فيما تهيأ له من ظروف نشأة وتربية صوفية ، لأن : " الحديث عن المرأة الحبيبة، أو المرأة الرمز يمنح لعناصر الطبيعة معنى خاصاً ويجعل للوطن في النفس تأثيراً مميزاً"[83]. ولكن ذلك لم يقع للزبيري المنشغل بتصوير المعاناة مختلفة الأوجه التي يكابدها شعبه . ويستدرك المقالح ما سبق بقوله إن انعدام حضور المرأة في شعر الزبيري لم تكن حالة لتخصه وحده : " فإن المرأة ظلت غائبة تقريباً عن التجربة الشعرية المعاصرة في اليمن ، ربما لغياب دورها في مسرح الحياة الاجتماعية ، فهي حبيسة المنزل ، لا تشارك الرجل معاناته النضالية والحضارية... لذلك فإن افتعال القول الحديث عن المرأة في الشعر، والتمثل لدورها ، حتى لو كان دوراً رمزياً ،لأن الرمز لا بد أن ينبع في البداية من الواقع " [84].

(6)

تبرز في كتابي البردوني والمقالح عن الزبيري استيقافات لرؤية معينة تخص كل منهما على حدة ، وتمثل مساحة للتأمل المنشد في منجزه إلى حيث يستجيب للرؤية المهيمنة التي نظن أن كلاً منهما قد انطلق منها وتمسك بمنطوقها فيما قدمه من قراءة خاصة به لتجربة الزبيري الشعرية . ومن أجل هذه القناعة فقد عنّ لنا أن نستجلي تلك الاستيقافات ونبرز طبيعة تشكلها عند كلا الشاعرين الناقدين.

لقد سبق لنا القول بتعدد فصول كتاب البردوني (من أول قصيدة إلى آخر طلقة) وتنوع انشغالاتها بين ما هو مضموني وآخر جمالي فني . وقد لفت انتباهنا ـ كما غيرنا ـ تعدد الفصول التي محضها البردوني لدراسة الجانب الفني في مجال الصورة وتشكيل عنصر الخيال وفاعلية اللون في إنجاز أبعاد تصويرية دالة في كثير من قصائد الزبيري . لقد بدا هذا الجانب عند البردوني ذا مسعى تشخيصي يتأسس على تعاملات حسية مدركة لا يمتلكها البردوني بفعل فقدانه للبصر ، ولكنه سعى إلى تجاوز هذه العاهة واستدراج مقدراته الذهنية ، لتذهب بعيداً في تأمل الصورة بأبعادها التشكيلية المتعددة ، ومنها البعد اللوني ، وبما يتمثل ذلك النزوع الذاتي الذي نجد فاعليته وقد اندست بعيداً في تأملات البردوني لتأكيد مقدراته الشخصية بنزوع ربما يوازي ـ أو يتفوق ـ على رغبته في تأمل شعر الزبيري والكتابة عنه.

خص البردوني هذا الجانب الفني بخمسة فصول هي الثالث : الصورة الفنية، والرابع : تحول صورة الوطن ، والخامس : الصور الطويلة، والسابع : التخييل والتخيل، والثامن: مخيلة الصورة اللونية.[85]

وعلى الرغم من قصر تلك الفصول ، حيث لم يتجاوز أطولها أربعة عشرة صفحة فإنها وفي مجموعها تعكس جهداً تأملياً طيباً ، قدمه البردوني عن شعر الزبيري ودلالات تلك القيم في تشكيل البعد التصويري عنده . ولكن البردوني ، وكما هي عادته يطيل المقدمات ، ويذهب بعيداً في الاسترسال التنظيري والتمثيل لها بما هو خارج شعر الزبيري .

ومن بين تلك الفصول الفنية فلعل الفصل الثامن (مخيلة الصورة اللونية) هو من أبرز ما قدم البردوني ، وذلك ما يجعلنا نطيل الوقوف عنده .

لقد استهل البردوني هذا الفصل بالقول إن الألوان : الأخضر والأبيض والأحمر والأسود ، والأزرق ، والأخضر ، وهي : " الألوان الستة الشائعة استعمالاً. أسباب امتلاك الفن القولي ، لأن هذه الألوان ترمز إلى حالات في نفس القائل ، كما تدل على مكامن الإثارة ومواطن الإعجاب في القول"[86] .

ولا شك في أن البردوني هنا يقوم بنقل الحديث عن اللون من واقع تشكيله البصري ليضعه في سياق من التأمل لوجوده في (فن القول) أي الشعر ، وذلك يعني أن مناقلة ذهنية معينة هي التي تعايش فكرة حضور اللون في تصورات البردوني له ، ليصبح القول هو مثار تلقي اللون واستحضاره بهيئة ذهنية وليس من خلال تحسسه عياناً وذلك ما سيدعمه البردوني بلاحق من القول يؤشر فيه طبيعة التلقي الصوتي للون : " من هنا أمكن تصور لون الصوت ، فإذا كان غاضباً وصفوه بالجمود، وإذا كان حزيناً وصفوه بالبنفسجية أو بالزرقة، لأن الألوان في التعامل الفني من حدس المخيلة لا من واقع اللون وحده "[87] .

وربما عنّ لنا أن نذهب إلى الظن بأن هذه التصورات مؤسسة على تأملات تخص البردوني أكثر من كونها استقراءً منهجياً مؤكداً ، إذ لم نقع عنده على المصدر الإحصائي الذي استقى منه قوله الأول عن شيوع تلك الألوان الستة في الفن القولي ، مثلما لم نتبين التثبيت الموثق عن أولئك الذين محضوا الصوت تلك الدلالات الذهنية ، حيث التداول اللوني عند الأمم والشعوب إنما يخضع لمؤثرات بيئية وظروف معيشة وقيم وجود اجتماعي تتدخل كلها في تشكيل الحساسية اللونية وترسيخ دلالاتها .

حين يدلف البردوني إلى تأشير قيم اللون في شعر الزبيري فإنه يؤكد أولاً أنه من مبدعي الصورة اللونية البارزين في الشعر اليمني ، ليعزو ذلك إلى عاملين اثنين، الأول : كون الزبيري يمنياً ، حيث : " الحنين الإنساني في اليمن إلى الاخضرار والازهرار والأمطار لأنها علامة الموسم السخي " [88] . أما السبب الأخر فلا يكاد يبتعد في مصدريته عن الأول ، ولكنه متصل بتحديد البيئة المكانية التي عايشها الزبيري ، فعند البردوني أن :" حاسة الزبيري الصنعانية أميل إلى المشاهد البهيجة تخيلاً وواقعاً"[89] .

ومع أهمية المؤثرات البيئية والطبيعية التي يشير البردوني إليها فإنه ومن خلال الاقتصار عليها وحدها إنما يجعل تعامل الزبيري مع اللون في شعره نتاج مؤثر خارجي ، متجاهلاً الجانب الذاتي المتعلق بالثقافة اللونية والذائقة الشخصية التي لا شك في أن لها فعلها في تشخيص جانب من توجهات الزبيري الفنية الخاصة ،

وإلا فإن العاملين اللذين ذكرهما البردوني أعلاه هما مما يشترك به الزبيري مع سواه من الشعراء اليمنيين، فكيف تهيأ له وحده أن يكون من مبدعي الصورة اللونية كما وصفه البردوني نفسه ؟ .

لقد تأمل البردوني بعين من الوعي الجمالي المستحضر طبيعة اللون وآفاق تشخصه وتمثلاته الذوقية عند الزبيري ، ما دل على جانب في إمكانات البردوني العالية ـ وهو البصير ـ على إدراك حساسية اللون وحركيته الشعورية.

وإذا كانت بعض ملاحظاته ذات طبيعة ذهنية في تلمس اللون وتوصيفه فإن هناك بعض الإشارات التي تؤكد مقدرة البردوني على استعادة عدد من الألوان وتذكرها ، لاسيما حين يشير إلى درجاتها وتداخلها في الترسم التصويري ، وهو ما يؤسس للانطباع أن البردوني يعرف هذه الألوان ويميزها ، من خلال استعادته لمضمونها اللوني منذ سنوات الطفولة التي كان فيها مبصراً ، وهو ما لا يؤيد القول المتواتر لدى البردوني ـ وكذلك بعض دارسي شعره ـ من أنه فقد البصر قبل السادسة ـ بين الرابعة والخامسة ـ[90]، حيث أكدت كثير من الدراسات المهتمة بسايكولوجية الطفل ومقدرته الإدراكية أنه يبدأ بالتميز المدرك للألوان عند بلوغه السادسة أو قريباً منها[91]. وهو ما يفضي بنا إلى الظن بأن البردوني فقد بصره عند تلك السنة السادسة أو ربما بعدها[92].

تفرد المقالح وفي أكثر من صفحة في كتابة (الزبيري ضمير اليمن الثقافي والوطني) بالإعلان الحميم عن تأملاته الخاصة لشخصية الزبيري والجانب الروحي الذي شد المقالح إليه ، إلى جانب إعجابه بشعره واهتمامه بتأمله ودراسته . ولكن المقالح بدا أكثر انهماكاً بإبراز مساحة التعالق الإنساني التي تحسسها ـ ومنذ وقت مبكر ـ بهذه الشخصية النبيلة، ليورد أكثر من واقعة دالة على ذلك ومنذ وقت مبكر .

فمنذ السادسة عشرة وجدت قصائد الزبيري حضورها في شخصية المقالح وفي تأملاته الأدبية الغضة التي صنعت في نفسه الرغبة لأن يكتب ـ وفي العام 1955م ـ مقالاً مطولاً، جعل عنوانه (الزبيري ضمير اليمن الوطني والثقافي)[93] وهو العنوان ذاته الذي سوف يختاره المقالح ـ وبعد ما يقارب الربع قرن من السنين ـ عنواناً لكتابه الذي بين أيدينا ، في تأكيد لا يماري عن حالة الانشداد الكبير إلى الزبيري وتحوله إلى قيمة إنسانية ونضالية ـ وشعرية أيضاً ـ يطيل المقالح وقوفه المتأمل لها.

لقد أصبح ذلك المقال المبكر مساحة من الاستعادة والتواصل الدائم مع هذا الوجود الباذخ للزبيري في رؤية المقالح وانشغالاته ، بل لعل المقال ذاته قد استحال معادلاً موضوعياً للصلة الروحية والثقافية والوطنية التي يحملها المقالح عن الزبيري ، فهو ينمو وتزداد صفحاته كلما أمعن المقالح في تعميق تلك الصلات مع شخصية الزبيري وأدبه ، حتى تم له أن يلاقيه عياناً، ليصبح ذلك الانشداد يقيناً أكثر عمقاً وإعلاناً عن مكنوناته .

لقد التقى المقالح الزبيري بعد ثلاثة أعوام من كتابته لتلك المقالة ، وتحديداً في العام 1958م ، حين أتيح له أن يروز القاهرة التي كان الزبيري مقيماً فيها :

" في القاهرة رأيته ، رأيت الزبيري الإنسان ، وليس الزبيري القصيدة... وقد أضاف هذا اللقاء غير المنتظر وغير المتوقع أبعاداً جديدة إلى نفسي عن شخصية الزبيري الشاعر والمناضل ... وكتبت قصة اللقاء بحروف تتوهج بمحبة لم أشعر بها نحو إنسان كما شعرت بها نحو هذا القائد ، الشاعر، المتواضع ، هذا الشيخ الذي يحتفظ ببراءة الأطفال وصدق الأنبياء "(94) .

ويستعيد المقالح في صفحات أخرى من كتابه هذا تلك اللقاءات المختلفة والمتباعدة مع الزبيري ، ومنها لقاؤه معه في القاهرة عام 1964م ، حيث تحلق كثير من الشباب اليمني حول الزبيري ، رمز وطنه والقائد البارز في مسيرته ، ليصغوا إليه وهو يستذكر مسيرة النضال الوطني وما جابهه الثوار من مكابدات وتشريد وقتل ، ذلك كله يستعيده المقالح باستفاضة مشدودة إلى صوت الزبيري وملامحه وانفعالاته ، حيث راح هو والآخرون الذين معه يتحلقون حول الزبيري : " كما يتحلق التلاميذ من حول أستاذهم الحبيب "(95).

- **خاتمة... متحقق القراءة وكشوفاتها:**

مثّل الزبيري ـ شخصاً وشاعرية ـ قضية خلافية يمكن تلمسها في معظم كتابات البرودني والمقالح عنه ، فلقد تناولاه في مساحة من التجاذب الحواري المتجادل والمختلف في كثير من الأفكار والقراءات ، وهو ما قمنا برصد بعض تكشفاته في كتابيهما اللذين توقفت عندهما قراءتنا هذه.

لقد شغلا بتأمل مواقف الزبيري في وجوده الإنساني والإبداعي، وتلمسا مواطن شاخصة في تلك المسيرة النبيلة، فأبدى كل منهما ملاحظاته عنها، وعلى نحو يوحي بالتباين ومناقضة الآخر فيما يذهب إليه (96):

ولعل في هذا التجاذب بين البردوني والمقالح ما يؤشر حالة من المعافاة في الدرس النقدي يؤسس لها هذان الشاعران الكبيران والناقدان الحصيفان، إذ لا يمكن تتصور أن كلاً من البردوني والمقالح ـ على مالهما من رؤى متميزة وانشغالات خاصة ـ يتطابقان في تأمل (الزبيري /الظاهرة) ويتفقان على تفصيلات وجودها المتسعة، وهما يحملان قيم رؤية وأبعاد تأمل ذهني وذائقة استقراء لها مؤهلاتها المتفردة التي تصنع وعيها المغاير لما هي عليه عند الآخر.

في العام 1979م صدرت الطبعة الأولى من كتاب المقالح (الزبيري ضمير اليمن الثقافي والوطني) ، في حين تأخر صدور كتاب البردوني (من أول قصيدة إلى آخر طلقة) حتى العام 1993م . أي أن كتاب المقالح قد سبق في صدوره كتاب البردوني بما يقارب الأربعة عشر عاماً، ومع ذلك فقد بدا أن في الكتابين حواراً معرفياً جديراً بالتأمل ، يتواصل بين الشاعرين الكبيرين وإن لم يشر أحدهما إلى الآخر بالاسم صراحة .

وربما سيبدو غريباً أن كثيراً من ملاحظات المقالح وتأملاته الناقدة هي بمثابة ردود على البردوني المتأخر عنه في إصدار كتابه . غير أن الأمر يصبح طبيعياً حين نتذكر أن للبردوني كتاباً آخر ـ أسبق في صدوره من كتاب المقالح ـ وهو: رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه الصادر في العام 1973م ، كان قد تضمن أكثر من

مبحث عن الزبيري ، وفيها قدم البردوني جملة من الأفكار والقناعات التي أعاد الحديث عنها في كتابه الأخير. وهذا الأمر دفعنا ـ في قراءتنا هذه ـ إلى تداول كتابي البردوني القديم والجديد في الآن نفسه ، مع أن ما بينهما يتجاوز الربع قرن من الزمان ، لأننا نعتقد أن ما جاء في الكتاب الأول قد تحول إلى قناعة راسخة لدى البردوني، راح ينافح عنها في كتابه الأخير ، ولاسيما بعد أن تأمل ردود الأدباء والدارسين على طروحاته في ذلك الكتاب المتقدم . ولا شك في أن المقالح من بينهم .

إن قراءة مستفيضة لمحتوى الكتابين ستفضي بنا إلى تأكيد القول بتوزع قراءتي البردوني والمقالح لتجربة الزبيري على مختلف أبعادها ، لتطيل الوقوف عند أفقين لا يمكن لأية قراءة أن تتجاوزها في استقراء الوجود الفاعل لهذه الشخصية اليمنية الفذة في مواقفها ، عبر الاستجلاء الدائب للبعدين (السياسي/الشاعر) سعياً لاستنطاق قيم تشخصهما عنده ، والكيفيات التي تعاورا فيها وجوده بكل مناحيه.

لقد تعاضدت القراءتان في الاتفاق على جملة مشخصات بارزة التشكل عند الزبيري، مثل :

- مكانته راسخة الحضور في الواقع السياسي والأدبي اليمني الحديث.
- الدور البارز في توطيد قيم الشعر الوطني والسياسي.
- تعدد أوجه حضوره مناضلاً ومبدعاً صادق التعبير عما يعايشه.
- رسوخ وجوده ـ ولاسيما بعد استشهاده ـ شخصية ذات دور تاريخي لايجارى في بلاده حاضراً ومستقبلاً.
- تداخل الأبعاد الحياتية والإبداعية وتزاحم وقائعها وبما يؤهل وجوده الإنساني والأدبي ليصبح بعداً سجالياً متواصلاً.
- وجود أكثر من مهمينة ومنطلق رؤية يستطيع الدارس أن يدلف إليها ، ليجد بغيته الفكرية والجمالية التي تمكنه من تأسيس رؤية قرائية خاصة به.

ومن خلال هذه المنطلقات وسواها فقد ذهب كل من البردوني والمقالح لاستنطاق رؤيته وتمثلاته القرائية التي يجد مستندات توثيقها في حياة الزبيري وشعره ، ليتحول الزبيري عندها إلى مرآة فكرية وجمالية يمكن لكل منهما أن يقول من خلال الإنصات لكشوفاتها النوعية ما يعكس كثيراً مما يفكر به أو يريد إيصاله إلى متلقيه، بوصفه الإصغاء الخاص الذي يجد بغيته في تأمل الزبيري وجوداً ومنجزاً إبداعياً.

لقد بدا لنا أن المنطلقات المعرفية والفكرية، وكذلك الجمالية التي ذهب كل منهما لقراءة الزبيري من خلالها مختلفة ومتباعدة فيما تسعى إلى تلمسه وتأكيده . إذ كانت ذات البردوني المجهزة بما تريد الإعلان عنه من قدرات تمتلكها وتود الإفصاح عنها هي (المهيمنة) المركزية التي انطلق منها لتأمل الزبيري ، حتى ليمكن القول أن تناول تجربته كان وسيلة عند البردوني وليست هي الغاية المنشودة . وعبر ذلك فقد انهمك البردوني بإيراد كل ما يخطر على باله من استعادات قرائية ـ تاريخية وأدبية ـ زاحمت تناولاته للزبيري ، وربما ضيقت

عليها ، حد ابتسارها ومحدوديتها . في حين كان يقين المقالح متكيفاً تماماً حول فكرة (مهيمنة) تريد إبراز الحضور الناصع لوجود الزبيري مثقفاً ومناضلاً وطنياً كبيراً . وتأسيساً على هذا التباين في منطلقات كل من القراءتين فقد جاءت قراءة المقالح مكثفة وموجزة وشديدة التركيز، الأمر الذي جعلها لا تتجاوز في عدد صفحاتها المائة والثلاثين صفحة ، في حين استفاض البردوني بإيراد ما يعنّ له كله ، ليتجاوز عدد صفحات دراسته الثلاثمائة والخمسين صفحة.

وكسمة منهجية عند كلا الدارسين فقد كانت اللغة العلمية المركزة والمؤيدة لمقولاتها بالهوامش والتوثيق القرآني هي دأب كتاب المقالح ، في حين لم نلمس مثل ذلك عند البردوني ، فقد كان ينطلق في سجية مستفيضة ، وفي استعادات لا يأبه بتوثيقها ربما أدت به إلى غياب دقة المعلومة ـ في مسماها وتواريخها ـ عن بعض إشاراته. ولعل الارتهان إلى ما تفيض به الذاكرة وتستعيده هو الذي كان له تأثيره في الجوانب القرائية الموضوعية ، وكذلك في الجوانب الفنية ، حتى بدت صيغة التساؤل وإيراد أدوات الاستفهام على نحو لافت سمة أسلوبية شاخصة الحضور في كتابات البردوني.

لقد عكست القراءتان ثقافة كلا الشاعرين وطبيعة التوجهات الفكرية والتأسيس المنهجي الذي تمكنا منه ، فصار سجية معرفية لكل منهما . فحين كانت استعادات البردوني ومنطلقات رؤيته تكرس وجود ثقافة تراثية يستجلب كثير من قيمها كقناعات منهجية له كانت منطلقات الرؤية التي تنزع نحو قيم الحداثة وكشوفاتها هي الوجهة التي تخيّرها المقالح لكثير من طروحات قراءته للزبيري.

أخيراً فإن ما نود الإشارة إليه هو أن قراءتي المقالح والبردوني مثلتا جهدين من المعرفة والاستنطاق النقدي الحصيف ، وهما ـ فيما نهضا عليه من أوجه مجادلة وتباين قرائي مثير ـ قد استحالتا إلى مرتكزين قرائيين انتمت إلى أفق كل منهما مجموعة من الدراسات والقراءات اللاحقة التي كتبها عن الزبيري نقاد وباحثون كثر، فبين من يشارك البردوني مقولاته ويتبناها ، والآخر الذي يجد عند المقالح اليقين المعرفي الذي يكرس قراءته له توزعت أفكار الدارسين وتبوبت دراساتهم وأبحاثهم، حتى صادر بالإمكان الحديث عن (مدرستين) في قراءة تجربة الزبيري ومنجزها، واحدة (بردونية) وأخرى (مقالحية) ، ولكل منهما مريديها والمنادين بكشوفاتها القرائية .

❖❖❖❖❖❖❖

*** هوامش وإحالات:**

(1) نذكر منها الكتب الآتية :

ـ مع الشهيد الزبيري ، عمر بهاء الدين الأميري ، 1965م.

ـ الزبيري شاعر اليمن ، عبد الستار الحلوجي ، 1968م.

ـ منهج الزبيري في الإصلاح والحكم ، عبد الملك الطيب، 1974م.

ـ الزبيري شاعر الوطنية ، عمر الجاوي ، 1974م

ـ الزبيري شعره ونثره ، علوي طاهر، 1977م

ـ الزبيري ضمير اليمن الثقافي والوطني ، المقالح ، 1979م..
ـ الزبيري أديب اليمن الثائر ، عبد الرحمن العمران ، 1979م.
ـ الزبيري شاعراً ومناضلاً ، مجموعة كتاب ، 1986م.
ـ شعر الزبيري بين النقد وأوهام التكريم ، رياض القرشي ،1990م.
ـ من أول قصيدة إلى آخر طلقة ، البراوني ، 1993م.

(2) د.عبد العزيز المقالح ، مقدمة ديوان الزبيري ، دار العودة، بيروت 1978 م ، 2 : 9 .

(3) صدرت الطبعة الأولى من كتاب البردوني في العام 1993م ، في حين صدرت الطبعة الأولى من كتاب المقالح في العام 1979م .

(4) ينظر :

ـ د. منيف موسى ، نظرية الشعر عند الشعراء النقاد في الأدب العربي الحديث ، بيروت ، 1984م.
ـ د. عبد الجبار المطلبي ، الشعراء نقاداً ، دراسات في الأدب الإسلامي والأموي ، بغداد ، 1986م.
ـ د. هند حسين طه ، الشعراء ونقد الشعر ، بغداد 1986م.
ـ د. علي حداد ، الخطاب الآخر ، أبجدية الشاعر ناقداً ، دمشق 2000م.

(5) هذا الكتاب في أصله رسالة علميه نال بها المقالح درجة الماجستير من جامعة القاهرة في العام 1973م .

(6) لا تكاد كتب البردوني التي اهتمت بالثقافة والأدب اليمني لتخلو من فصل أو مبحث عن الزبيري . ينظر مثلاً كتبه : قضايا يمنية ، الثقافة والثورة في اليمن ، اليمن الجمهوري . كما لم يتوقف البردوني عن تناول شعر الزبيري في كثير من مقالاته المنشورة في الصحف.

ولم يكن المقالح بعيداً عن ذلك ، فقد درس جوانب من فكر الزبيري وأدبه في كتبه : أوليات النقد الأدبي في اليمن ، من الأنين إلى الثورة . كما كتب مقدمتين لديوان الزبيري الصادر بجزأيه عن دار العودة ، .

(7) د. حيدر محمود غيلان ، البردوني ناقداً ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، 2004 ، ص 46.

(8) المقالح ، الزبيري ضمير اليمن الثقافي والوطني ، ص11.

(9) المصدر نفسه.

(10) المصدر نفسه ، ص 8 .

(11) نشرت في 1990/5/2م ، وقد وردت في الكتاب لتكون الفصل الخامس منه.

(12) غيلان ، ص116. وهذه الأفكار للبردوني نفسه وقد أوردها في مقدمة كتابه (قضايا يمنية) ص6 ـ 7 .

(13) ينظر : البردوني من أول قصيدة إلى آخر طلقة ، حيث يمكن التثبت من ذلك عبر مراجعة أي فصل من فصول هذا الكتاب ، فقد تكوّن الفصل الخامس (الصورة الطويلة) مثلاً من صفحات سبع ، ذهبت خمس منها في الحديث عن مفهوم الصورة في التراث النقدي العربي من الجاحظ وحتى ابن خلدون ، ثم الانتقال إلى أمثلة لها

عند القدامى والمحدثين من الشعراء. أما حصة الصورة عند الزبيري فلم يتجاوز الصفحتين ! . وضم الفصل التاسع (الذاتية والموضوعية) صفحتين فقط عن هذه المسألة في شعر الزبيري.

(14) يدرك البردوني هذه السمة في كتاباته ، فيبررها بقوله :

" هذا يرجع إلى أكثر من سبب، منها فلسفتي في المقالة... فعندي أن المقالة الحقيقية هي ما تشكل نواة كتاب أو مشروع كتاب، وكل ما يكتبها هو المزيد من التفاصيل على أساسها ، والإكثار من بسط الإجمال " (قضايا يمنية، ص5).

(15) غيلان، ص117.

(16) يقول البردوني : "هل علمية الكتاب تنبع من أسلوبه وصحة عرضه ورهافة رؤيته، أم ترجع إلى مئات الهوامش ؟ " ، ثم يجيب عن ذلك بقوله : " علمية الكتاب لا تأتي من المراجع وحدها لأن المرجع الخاطئ يجعل تبنيه أكثر خطأ ". وفيما يخص تجربته الكتابية يقول : " أنا عصير قراءات وثمرات ملاحظة، ولم أتشكل من لاشكل وإنما أنا أوراق أخضرت من أشجار، وتعنقدت من أكثر من كأس، وانبثقت من آثار القراءة والملاحظة... صحيح أني لم أثقل أوراقي بالهوامش ولكني ضمنت الروايات وذكرت المراجع بالاسم في ثنايا البحوث، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فأنا سجلت أحداث عصري على مختلف عقوده، وهذا العصر أنا وأمثالي شهادة ميلاده وسجل وقائعه، فإذا لم أشر إلى مراجع أخرى فلأني وأمثالي مرجع المراجع" (قضايا يمنية، ص11 -12).

(17) كان الفصل الأول منه هو المقدمة التي كتبها المقالح لديوان الزبيري الصادر عن دار العودة . وهناك دراسات في الكتاب قدمها المقالح لندوات علمية أ و في مؤتمرات أدبية، ينظر: ص43، 89.

(18) ينظر: المقالح، الزبيري ضمير اليمن الثقافي والوطني، ص10، 120.

(19) ينظر: المصدر نفسه ، الصفحات، 89، 99، 106.

(20) البردوني، رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه، بيروت، 1978م، ص130.

(21) البردوني، من أول قصيدة...، ص21.

(22) المصدر نفسه، ص22.

(23) المصدر نفسه، ص143.

(24) المصدر نفسه، ص29.

(25) المقالح، الزبيري ضمير اليمن...، ص28.

(26) المصدر نفسه

(27) المصدر نفسه، ص29. وينظر كتاب الزبيري، الخدعة الكبرى، ص58.

(28) المصدر نفسه، ص30.

(29) المصدر نفسه، ص63.

(30) البردوني، أدبنا في عشرين عاماً، مجلة الحكمة اليمانية، العدد الأول، السنة الأولى، أبريل 1971م، ص9.

(31) البردوني، رحلة في الشعر اليمني، ص139.
(32) البردوني، من أول قصيدة...، ص 273.
(33) المصدر نفسه.
(34) المصدر نفسه، ص270.
(35) المصدر نفسه، ص273.
(36) المقالح، الزبيري ضمير اليمن...، ص20.
(37) المصدر نفسه.
(38) المصدر نفسه، ص22.
(39) المصدر نفسه، ص103، وينظر: ديوان الزبيري.
(40) البردوني، رحلة في الشعر اليمني، ص131.
(41) البردوني، قضايا يمنية، ص177.
(42) المصدر نفسه، ص157.
(43) البردوني، من أول قصيدة....، ص187.
(44) المصدر نفسه، ص17.
(45) المصدر نفسه.
(46) الزبيري، الديوان، 1: 84.
(47) المقالح، الزبيري ضمير اليمن...، ص34 . وقد استوقفت البردوني هذه الفكرة فقال متسائلاً : "هل كان يرى الأستاذ الزبيري أن زعماء آل حميد الدين سيتغيرون بالنصح أو يتغيرون بالمديح فيتحولون إلى عظماء وطنيين بمجرد وصفهم بالعظمة والوطنية وحتى الأمل فيهم؟ أظن أن هذا مجرد حلم شاعر" (رحلة في الشعر اليمني، ص131).
(48) المصدر نفسه.
(49) المصدر نفسه.
(50) المصدر نفسه، وينظر مصدره.
(51) المصدر نفسه، ص49.
(52) الزبيري، الديوان، مقدمة المقالح، 2: 11.
(53) المصدر نفسه.
(54) المقالح، الزبيري ضمير اليمن...، ص97.
(55) المصدر نفسه، ص50.
(56) المصدر نفسه، ص51.
(57) المصدر نفسه، ص52.
(58) المصدر نفسه.
(59) علي حداد، عشبة آزال، ص73.
(60) المصدر نفسه.

(61) البردوني، من أول قصيدة...، ص259.

(62) المصدر نفسه، ص260.

(63) المصدر نفسه.

(64) المصدر نفسه، ص258.

(65) المصدر نفسه.

(66) ينظر: المصدر نفسه، ص258 -264 . ويقول البردوني أيضاً ص49 : أما الزبيري فكان غير منتم إلى مدرسة، وإنما إلى الجانب التجديدي في الشعر السائد، فشكل امتداداً لشوقي في أكثر قصائده معاصرة ، كما استمد من عصور الفحولة الشعرية فعارض المتنبي... فتكونت للزبيري لغة شعرية هي مزيج من عهد الفحولة ومن العهود النهضوية ومن بواكير المدرسة الرومانتيكية، ومن معجم العصر العباسي.

(67) المصدر نفسه، ص261.

(68) البردوني، رحلة في الشعر اليمني...، ص139.

(69) المصدر نفسه، ص64.

(70) المصدر نفسه، ص134.

(71) المقالح، الزبيري ضمير اليمن...، ص92. وقد استند المقالح في تبيان مفهوم الزبيري على شواهد من شعره .

(72) المصدر نفسه، ص95.

(73) المصدر نفسه، ص24. وقد استعاد الفكرة ذاتها في الصفحة 76.

(74) المصدر نفسه، ص76.

(75) المصدر نفسه، ص25. يشير المقالح هنا إلى قصيدة الزبيري (البلبل) و(حنين الطائر) اللتين تناولهما بالتحليل في الصفحات اللاحقة.

(76) المصدر نفسه.

(77) المقالح، الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن، ص213.

(78) ينظر: المقالح، الزبيري ضمير اليمن، ص16 وما بعدها.

(79) البردوني، من أول قصيدة...، ص17.

(80) المصدر نفسه، وقد استشهد البردوني بأبيات متعددة من شعر الزبيري تدعم رؤيته هذه.

(81) المقالح، الزبيري ضمير اليمن، ص32.

(82) المصدر نفسه.

(83) المصدر نفسه، ص32.

(84) المصدر نفسه، ص33.

(85) ينظر: البردوني، من أول قصيدة...، الصفحات: 45، 57، 71، 108،93.

(86) المصدر نفسه، ص105.

(87) المصدر نفسه، ص106.

(88) المصدر نفسه.

(89) المصدر نفسه، ص109.

(90) ينظر على سبيل التمثيل لا الحصر:

- البردوني، الديوان، بيروت 1979م، ص51.
- هلال ناجي، شعراء اليمن المعاصرون، بيروت، 1966م ، ص74.
- عبدالرحمن عرفان، عبدالله البردوني شاعراً، (رسالة ماجستير مخطوطة) معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1989م.
- د. حيدر غيلان، البردوني ناقداً، ص35.

(91) تؤكد دراسات علم نفس الطفولة على أن الطفل ينشد إلى الصور والرسوم الملونة منذ سن مبكرة (بين الثالثة والخامسة) وتجذب انتباهه الألوان الحارة والصارخة. ولكنه لا يستطيع أن يميز تماماً بين بعض الألوان المتقاربة وكذلك درجاتها اللونية المتعددة -الأحمر ومشتقاته مثلاً- إلا بعد سن السادسة. (ينظر: د. قاسم حسين صالح ، سايكولوجية إدراك اللون والشكل، بغداد، 1982م، ص51 وما بعدها).

(92) يورد المقالح في المقدمة التي كتبها لكتاب البردوني، رحلة في الشعراليمني، ص8، الآتي: " أصيب الشاعرعبد الله البردوني بالعمى وهو في السادسة من عمره".

(93) ينظر: المقالح، الزبيري ضمير اليمن....، ص9.

(94) المصدر نفسه، ص10.

(95) المصدر نفسه، ص121. وبإزاء الذكر المتواتر للقاءات المقالح بالزبيري فقد جلب انتباهنا أن البردوني لم يشر في أي من كتبه إلى أي لقاء جمعه مع الزبيري.

(96) فضلاً عن كثير من القضايا الفكرية والأدبية المتعلقة بالزبيري التي بدت فيها مواقف الشاعرين متباعدة ، فمن الطريف أنهما اختلفا أيضاً حتى في تاريخ ولادة الزبيري ووفاته . فقد قال البردوني أن ولادة الزبيري هي في العام 1917م، وأن استشهاده حصل في الأول من أبريل عام 1965م، ليكرره في أكثر من إشارة وردت في كتابه كقوله:

- " وفي ظهيرة اليوم الأول من أبريل ارتدى دمه الزكي، ولفظ أنفاسه مضرجاً بنجيع الشهادة " (ص29).
- " لقد مات الزبيري في مطلع أبريل 1965م أعظم موت "(ص173).
- أعاد سيرة المعارضة.... حتى استشهاده في يوم 1 أبريل 1965م).

ما المقالح فالراسخ عنده أن الزبيري ولد في العام 1919م واستشهد في 30 مارس1965 م (الزبيري ضمير اليمن....، ص19)

التنـــاص مع الشخصـــية التراثـــية
في شعر البردوني

د/ علاء الدين إبراهيم المعاضيدي
أستاذ الأدب الحديث المساعد ، كلية التربية زبيد ، جامعة الحديدة

الملخص :

جاء هذا البحث في التناص مع الشخصية التراثية عبر آليات الحوار والاستدعاء والإشارة ، ليكشف عن جانب مهم من جوانب الرؤية الشعرية الحداثية العربية التي عمد اليها البردوني في سبيل تحقيق البنية الشعرية المتفاعلة مع النصوص السابقة عبر مختلف الفضاءات والحقول الدلالية .

وقد أكد البحث ان البردوني لم يكن غائبا عن التحولات التي شهدتها حركة الحداثة الشعرية العربية ، وانما كان جزءاً من حركتها وتشكّلها .

فالمتأمل في نص البردوني يجده قائما على امتصاص وتحويل عدد من النصوص السابقة والدخول معها في علاقات تناصيّة جدلية ، حيث يحرص الشاعر على لعبة الحضور والغياب للنص السابق في نصّه اللاحق ، وهو يتقن توظيف الشخصية التراثية اتقاناً لافتا ينم عن دراية ووعي بمجريات التاريخ وبحضور الشخصية ودورها ، فضلا عن معرفته الدقيقة بالايحاءات المرافقة للشخصية ، ولاسيما لتلك الشخصية ذات الحضور الفاعل المؤثر في حركة الواقع المعاصر مع اختلاف المسميات والأقنعة .

وقد وقف البحث على الآليات التي وظفها البردوني ابتداءً بآلية الحديث الى الشخصية التي يعمد اليها حين يحس أن الشخصية لا تحمل ملامح تجربته الذاتية ، وانما تجسّد بعدا موضوعيا من أبعاد تجربته الموضوعية ، وانتهاءً بالشخصية رمزاً ، عبر آلية الإشارة التي يعمد اليها للإفادة من طاقة الرمز ولإشراك المتلقي في العملية التفسيرية أو التأويلية للنص ، مرورا ببقية الآليات مثل آلية الحوار مع الشخصية التي تعمد الى استدعائها بالقول تارة ، وبالدور تارة اخرى ، وكذلك آلية الحديث عن الشخصية التي يعمد معها الى تحويل النص الى (مونولوج) طويل ، أو عدّة (مونولوجات) متتابعة يصبح النص معها من أشبه ما يكون بأسلوب الحكي .

وختاماً نأمل أن يكون هذا البحث بما كشف عنه ،قد أسهم في إضاءة زاوية من زوايا تجربة شعرية مهمة لعلمٍ من أعلام الشعر اليمني والعربي عموماً ، وبين آليات اشتغال البردوني في تناصّه مع الشخصية التراثية ، محققاً ما وعد به .

مقدمة :

إنَّ أجمل الشعر هو الذي يعلمنا كيف نفكّر في صعوبة ، و كيف نفكّر مرات قبل الكتابة (1) ، و

القصيدة لا يمكن تقويمها فنياً على مفردة في بيت و أخرى في بيت ، لأنَّ الذي يجعل التركيب اللغوي فنياً هو المعنى النادر و الرؤية البعيدة و التخيّل النفاذ (2) والشعر العظيم يستطيع أن ينتقي أرديته من أي لون أو من أي شكل ، لأنَّ الجودة تأتي من الأفكار الشعرية فتفيض على الأشكال نضارة و إيحاءً لأنَّ جمال الحس و الفكر يجدد الرداء و يشع الحياة المشرقة في أبنيته و ألوانه ، مهما كانت هذه الأبنية (3) .

هكذا يفكر البردوني ، كاشفاً عن وعي نقدي و إدراك لما ينبغي أن يكون عليه الشعر . و هذا الوعي - بلا شك - كان يقف وراء إصدار الشاعر لاثنتي عشرة مجموعة شعرية (4) برهنت أنه لم يكن معزولاً عن حركة حداثة الشعر العربي ، بل كان منغمساً فيها ، و متفاعلاً مع تياراتها و تجريبها ، و هو ما أكدته أيضاً شهادات نقاد كبار و شعراء كبار رافقوا هذه التجربة الشعرية المبدعة و رصدوا مساراتها و تحوّلاتها .

يقول الشاعر المبدع و الناقد الكبير الدكتور عبدالعزيز المقالح متحدثاً عن تجربة البردوني ((كنت و مازلت أرى أنه شاعر حديث بكل ما تحمله كلمة حديث من مفهوم المعاصرة و التجديد ... فالشعر الذي كتبه بعد مرحلة البداية يصب في نهر التحديث بكل طموحاته و مغامراته)) (5) ، و يقول أيضاً ((و شاعرنا البردوني رغم محافظته على الأسلوب البيتي في القصيدة و هو المعروف بالعمودي ، شاعر مجدد ليس في محتويات قصائده فحسب ، بل في بناء هذه القصائد القائم على تحطيم العلاقات اللغوية التقليدية ، و ابتكار جمل و صيغ شعرية نامية)) (6) . و يذهب الناقد المبدع عبدالباري طاهر في حديثه عن البردوني إلى القول أنّه ((استطاع أن يكسر قواعد و ثوابت قصيدة (عمود الشعر) التي قال أساطير التقليد و الحداثة في آن ، إنَّ وظيفتها في التجديد محدودة ، و إنها لا يجوز و لا يمكن أن تبحر إلى محيطات الحداثة و عوالم التجديد)) (7) .

و ربما كان أبرز ما ميَّز تجربة البردوني الحداثية ، هو ذلك التمسُّك بالبنية الوزنية (الخليلية) مع الحرص على التنويع الإيقاعي ، و عدم الانجراف وراء تيار واسع من مُجايليه فضّلوا مغادرة هذه البنية و البحث عن بـنيات إيقاعية مغايرة لاستيعاب تجاربهم الشعرية الحداثية لأسباب شتى .

و قد أثبت البردوني أن البنية الوزنية بإطارها الموسيقي التقليدي ليست عاجزة عن استيعاب ما هو شعري من تقنيات و فضاءات حركة الحداثة الشعرية .

و يأتي هذا البحث في التناص مع الشخصية التراثية عبر آليات الحوار و الاستدعاء والإشارة في شعر البردوني ليكشف عن جانب مهم من جوانب الرؤية الشعرية الحداثية العربية التي وعاها الشاعر و جسّدها في نصوصه عبر آليات متعددة جعلت من نصه الشعري نصاً مفتوحاً و متحاوراً مع نصوص سبقته في شتى الحقول الثقافية ، محققاً بذلك ما يذهب إليه نقاد كثيرون تحدثوا عن طبيعة النص و ماهيّته ، و منهم (رولان بارت) الذي ذهب إلى أن النص ((نسيج من الاقتباسات و الإحالات و الأصداء من اللغات الثقافية السابقة أو المعاصرة التي تخترقه بكامله)) (8) وهو في الوقت نفسه ((مبني على طبقات ، و تتكون طبيعته التركيبية

من النصوص المزامنة له و السابقة عليه)) على حد رأي (جوليا كريستيفا) (9) التي يعود إليها فضل السبق في إطلاق مصطلح (التناص) (intertext) معتمدة في دراستها على ما تفحصته من أعمال سابقة (10) ، الذي ترجم إلى العربية بكلمة (التناص) التي تعني ((تعالق النصوص بعضها ببعض)) (11) .

و على الرغم من تعدد التعاريف التي دارت حول مفهوم (التناص) ، إلا أنها في نهاية الأمر تصب في عملية التأثر و التفاعل بين نص و نصوص أخرى ، أي ((حدوث علاقة تفاعلية بين نص سابق و نص حاضر لإنتاج نص لاحق)) (12) . و يتم ذلك عبر آليات مختلفة كالحوار و الاجترار و الامتصاص و الشرح و الاختصار و غيرها ، بل يمتد ذلك إلى الاقتباسات و الإحالات و الأصداء على حدِّ رأي (بارت) (13) .

و بذلك يتضح أن دائرة التناص تظل مفتوحة ، و الأهم فيه هو قيامه على التفاعل الجدلي بين النص السابق و اللاحق ، بحيث أنّ ((كل كلمة أو عبارة أو مقطع هو إعادة تشغيل لكتابات أخرى سبقت العمل الفردي أو أحاطت به)) (14) .

و لكي لا نذهب بعيداً عن الشخصية التراثية و توظيفها ، فينبغي أولاً التأكيد على أن عملية توظيف الرموز و الشخصيات التراثية إنما تؤكد ((إحساس الشاعر المعاصر بغنى التراث العربي من جهة ، كما تعمل على إعادته من منظور العصر إلى ضمائر الناس حيّاً نابضاً)) (15) . و يقول الشاعر أمل دنقل ((لكي يحس كل فرد بالانتماء عليك أن تذكّره بأساطيره و تاريخه و تراثه بطريقة فنيَّة)) (16) .

و يذهب محمد مفتاح في حديثه عن أسماء الشخصيات و توظيفها في دراسته لاستراتيجيات التناص إلى القول : إنها ((تحمل تداعيات معقدة تربطها بقصص تاريخية أو أسطورية و تشير قليلاً أو كثيراً إلى أبطال و أماكن تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمان و المكان)) (17) .

و البردوني لم يكن بعيداً عن هذا الوعي ، و لذلك نجده في حديثه عن (التراث بين العصرية و الأصالة) يقول : ((دلّت الاستقراءات إلى الآن أنَّ أشعار (طرفة بن العبد) و (زهير) و (أبي نواس) و (أبي تمام) و (المتنبي) و (المعري) قابلة للمعاصرة ، لأنها أفصحت عن تجارب تشبه تجاربنا ، بل تماثل أكثر تجاربنا ، إلى جانب فِكريَّةٍ أعلى و شاعريَّةٍ أخصب)) (18) و يرى أن ((أكبر مهمات الثقافة المعاصرة ، عَصْرَنة الثقافة القديمة ، بشرط واحد هو : الاحتفاظ بأصالتها كنَبْتٍ لزمنها)) (19) .

و يذهب البردوني إلى أنه ليس كل شخصية تراثية تصلح للعصرنة ، فالأصوات التي لم تتجاوز سنوات أعمار أصحابها ، التي كانت امتداداً غير متجدد للشعر الشائع من مديح و رثاء فلا تقبل العصرنة ، لأنّها في خط ثابت لا يتحوَّل تحوّلاً (20) . وهذا ما انعكس في شعره فعلاً ، حيث لم يوظف إلا الأسماء التي حققت امتداداً و حضوراً إبداعياً أو تاريخياً . و هذا ما جعله ((يتخيَّر المواقف التي تعكس رؤيته للعصر الذي يحيا فيه ، و كأنَّه إذ يصوِّر حركة الماضي يفسِّر لك حركة الحاضر ... إنه يقرأ الماضي بعينٍ عصرية ، فيتراءى الماضي على هيئة غير التي عُرِفَت وأُلِفَتْ ، فهي على ذلك قراءة تحمل أيديولوجيتها الخاصة)) (21) .

و يأمل البحث من خلال وقوفه على آليات البردوني في تناصه مع الشخصيات التراثية عبر أقوالها و أفعالها الكشف عن جانب مهم من جوانب التجربة الشعرية الحداثية التي عاشها الشاعر .

البردوني و آليات توظيف الشخصية التراثية :-

المتأمل لنص البردوني ، و لاسيَّما لتلك النصوص التي جاءت بعد مرحلة البدايات ، يجدها نصوصاً تقوم على امتصاص و تحويل عدد من النصوص السابقة ، و الدخول معها في علاقات تناصيَّة جدلية . و غالباً ما يأتي ذلك مقترناً بالشخصية التراثية المستدعاة بالاسم أو اللقب أو الكنية تصريحاً أو تلميحاً . حيث يحرص الشاعر في حواره مع النصوص الأخرى على ممارسة لعبة الحضور و الغياب .

و البردوني في أغلب نصوصه يمارس عملية استدراج التراث إلى نصوصه عبر آليات متعددة ابتداءً بتذويب النص السابق أو دمجه ضمن سياق جديد ، بحيث يجعلنا متواصلين مع روح ذلك النص غير قادرين في الوقت نفسه على الإمساك به عبر البنية اللغوية الظاهرة (22) و انتهاءً باستحضار النص السابق على سبيل الاقتباس أو التضمين . و لكن ـ في كل ذلك ـ لا نجد حضور النص السابق مُقحماً أو غير متفاعل ، بل على العكس من ذلك تماماً ، و لذلك نلاحظ غياب آلية الاجترار عن شعر البردوني (23) .

و قد يعمد البردوني إلى تحقيق التناص عبر إيماءة مباشرة أو غير مباشرة ، و يكون ذلك مرتبطاً بذكر الشخصية بعيداً عن مقولتها تاركاً للقارئ استدعاء القول الغائب أو الفعل المشار إليه ، أو عن طريق استحضار القول أو الفعل تاركاً للقارئ البحث عن الشخصية و استدعاءها ذهنياً ، و هذا كثير في شعره . و هذا الفعل المتكرر للتعامل المتواصل مع التراث ، هو الذي دفع بالبردوني إلى الاستعانة بالهوامش الكثيرة التي لا تكاد تخلو منها قصيدة من قصائده ، حرصاً منه ـ على ما يبدو ـ على عدم تشتيت القارئ غير القادر على الإمساك بخيوط شبكة التراث العريضة . و ربّما كانت خشيته من سوء تأويل بعض الرموز و الإشارات المرتبطة بالأعلام سبباً آخر وراء بعض تلك الهوامش .

أولاً :- آلية الحديث إلى الشخصية :-

ربّما كانت هذه الآلية أكثر الآليات حضوراً في شعر البردوني ، حيث يعمد في كثير من قصائده إلى استدعاء الشخصية التراثية ليتحدث إليها بحيث لا يظهر سوى صوت الشاعر نفسه . و مع هذا النمط البنائي يتحوّل النص إلى خطاب موجه للشخصية عبر ضمائر الخطاب .

و غالباً ما نجد البردوني يحرص على التناص مع أقوال الشخصية المستدعاة أو مع مواقفها أو الحوادث المتعلقة بها ، عبر آلية إيراد القول المتعلّق بها أو ذكر الحدث المرتبط بها .

و يحدث ذلك في الغالب ، عندما تكون العلاقة الرابطة بينه و بين الشخصية المستدعاة علاقة تحمل أبعاداً موضوعية و ليست ذاتية ، و هذا ما يتوافق إلى حد بعيد مع ما ذهب إليه الدكتور علي عشري زايد في قوله : ((إنَّ الشاعر يتَّخذ من الشخصية هذا الموقف ، عندما يُحس بأن الشخصية لا تحمل ملامح تجربته هو

الذاتية ، و إنّما تجسِّد بُعداً موضوعياً من أبعاد تجربته الموضوعية)) (24) .

و ربّما تكون قصيدته (أبو تمام و عروبة اليوم) (25) ، التي شكّلت نقطة تحوّل في تجربته الشعرية ، خير مثال على ذلك . حيث يفتتح البردوني نصه بالقول :

مـا أصـدقَ السـيفَ إنْ لـم ينضـه الكـذبُ و أكـذبَ السـيف إن لـم يصـدق الغضـبُ
بـيض الصـفائح أهـدى حـين تحملهـا أيـدٍ إذا غَلَبَـتْ يعلـو بهـا الغَلَـبُ

مُتناصاً بذلك مع قول أبي تمّام في قصيدته (فتح عمّورية) (26) :

السـيفُ أصـدق أنبـاءً مـن الكتـبِ فـي حَـدِّهِ الحـدُّ بـين الجـدِّ و اللعـبِ
بـيض الصـفائح لا سـود الصـحائف فـي متـونهنَّ جـلاءُ الشـك و الرِّيَـبِ

و واضح أنّه تناص لا يقوم على التآلف المطلق مع المقولة السابقة للشخصية المستدعاة ، و إنما ينبني على التخالف الجزئي معها . فإذا كانت مصداقيّة السيف مطلقةً عند (أبي تمام) و غير مشروطة ، فإنها عند البردوني ليست كذلك ، فلا مصداقية للسيف إلاّ بمصداقية اليد التي تحمله ، و مصداقية المنطلق الذي يقف وراء حمله ، أو مصداقية (الغضب) على حد رأي البردوني .

و مع المقطع الثاني من النص ، يبدأ الشاعر حديثه إلى الشخصية المستدعاة عبر الاستفهام الإنكاري مفترضاً وجود سؤال موجَّه إليه من قبل تلك الشخصية ، فيخاطب (أبا تمام) قائلاً :

مـاذا جـرى يـا أبـا تمـام تسـألني ؟ عفـواً ، سـأروي و لا تسـألْ ومـا السـببُ
يـدمي السـؤال حيـاءً حـين نسـأله كيـف احتفـت بالعِـدا (حيفـا) أو (النقـبُ)

مطلقاً بذلك الشرارة الأولى للاحتراق الذي يعانيه ، و معبراً عن الإحساس بالخجل ممّا آل إليه الواقع العربي ، واقع الهزائم المتلاحقة و المرارة .

وهكذا يواصل الشاعر طرح أسئلته التي يفترض أو يحاول إيهامنا أنها تأتي على لسان الشخصية المستدعاة ، و يواصل في الوقت نفسه الإجابة على تلك الأسئلة ، بحيث تبقى العلاقة البنائية متمحورة حول آلية الحديث أو الإفضاء إلى الشخصية و لا تتجاوز ذلك إلى الحوار الثنائي .

مَـنْ ذا يُلبِّـي ؟ أمـا إصـرارُ (معتصـمٍ) ؟ كلا ، و أخزى من (الإفشين) ما صُلِبوا

وهنا يستدعي الشاعر شخصيتين ارتبطتا بالشخصية المستدعاة ، و هما شخصية (المعتصم) الذي لبّى صرخة (وامعتصماه) فكان فتح عمورية ، و شخصية (الإفشين) خيذر بن كاوس قائد جيش المعتصم الذي خانه فصُلِبَ و أُحرق ، و كتب فيه أبو تمام رائيته المشهورة :-

الحـقُّ أبلـجُ و السـيوف ضـواري فحـذار مـن أسـد العـرين حـذارِ (27)

و هما رمزان متضادان ، فإذا كان المعتصم رمزاً للقيادة الشجاعة القادرة على الفعل و تحقيق النصر ، فإن الإفشين رمز للخيانة و الهزيمة و التخاذل ، و هما يكشفان معاً العلاقة بين ما كان يحدث و بين ما يحدث الآن ، و يفضحان سوء الواقع المعاصر الذي لا يرى فيه الشاعر (معتصماً) قادراً على تلبية نداءات الاستغاثة

التي تُطلق هنا و هناك ، و لا يرى فيه حتى مَنْ هو قادر على أن يوقف الخونة أو محاسبتهم بسبب الهزائم التي يقفون وراءها .

و مرة أخرى يعود الشاعر إلى استفهامه الإنكاري في تناص واضح مع استهلال أبي تمام ، معللاً سبب الهزيمة المعاصرة بقوله :ـ

مـــاذا فعلنـــا ؟ غضـــبنا كالرجـــالِ و لـــم نصـــدق .. و قـــد صـــدقَ التنجـــيم و الكتـــبُ

حتى ينتهي إلى تحميل الحاكمين غير المنتمين إلى الأمة انتماءً حقيقياً أوزار ما آل إليه واقع الأمة ، و ما مرَّ بها من نكبات .

لهـــم شـــموخُ (المثنـــى) ظـــاهراً ، و لهـــم هـــوىً إلـــى (بابـــك الخرمـــي) ينتســـبُ

متخذاً من (المثنى بن حارثة الشيباني) القائد العربي الشهير الذي أدّى دوراً مشهوداً في الفتوحات و المعارك الإسلامية عموماً رمزاً للشجاعة و البطولة ، و من (بابك الخرمي) رمزاً للخيانة و عدم الانتماء إلى الأمة .

و يواصل الشاعر حديثه إلى (أبي تمام) متسائلاً تارةً و معلّلاً تارةً أخرى و متناصاً مع شخصية (أبي تمام) عبر أقواله تارةً أخرى ليقول :ـ

تســـعون ألفـــاً (لعمّوريـــة) اتّقـــدوا و للمُـــنجِّم قـــالوا : إننـــا الشـــهبُ
قبـــل انتظـــار قطـــاف الكـــرم مـــا انتظـــروا نضـــج العناقيـــد ... لكـــن قبلهـــا التهبـــوا
و اليـــوم تـــسعون مليونـــاً و مـــا بلغـــوا نـــضجاً ، و قـــد عُصِـــرَ الزيتـــون و العِنَـــبُ

و لكنّه تناص اختلاف يقوم على تجسيد المفارقة و التعبير عن الخيبة و المرارة ، فإذا كان أبو تمام يتحدث عن (تسعين ألفاً كآساد الشرى) استطاعوا بصدقهم و ثباتهم تحقيق النصر في قوله : ـ

تســـعون ألفـــاً كآســـاد الشـــرى نضـــجت أعمـــارهم قبـــل نضـــج التـــين و العنـــب (28)

فإنَّ البردوني يضعنا أمام (تسعين مليوناً ...) غير قادرين على الفعل أو إنجاز نصرٍ ما بسبب غياب عوامل النصر رغم الكثرة العددية التي أثبتت حركة التاريخ عدم جدواها في حال غياب عنصر الإرادة الصادقة و الإيمان الراسخ بالقدرة على الصمود و تحقيق النصر عبر الفعل الخلاّق .

و مع تطور حركة النص ، و في سياق حديث الشاعر عن (صنعاء) ، لا ينسى الالتفات إلى شخصية تراثية ارتبطت بصنعاء ، تلك هي شخصية الشاعر العاشق الذي مات و لم يمت في حشاه العشق و الطرب ، وضّاح اليمن ، مستثمراً الطاقة الدلالية و الظلال الإيحائية لمأساة قتله بعد أن وضع في صندوق و أُلقي به في قعر بئر مظلمة حاملاً معه عشقه و حلمه الذي لم يمت .

ماتـــت بصـــندوق (وضـــاحٍ) بـــلا ثمـــنٍ و لـــم يمـــتْ فـــي حشـــاها العشـــقُ و الطـــربُ

والشاعر هنا ، حين يقابل بين صورتي (وضاح) و (صنعاء) ، إنّما يريد تصوير الحال الذي كانت تحياه صنعاء بين خوفها و رجائها .

كانـــت تراقـــب صـــبحَ البعـــثِ فانبعثـــتْ في الحلم .. ثم ارتمتْ تغفو و ترتقبُ

و لكـي يعيـد الشـاعر لصـنعاء الأمـل في بعـثٍ حقيقـي و لـيس بعـثٍ حُلُمـي ، ينـأى بهـا عـن المـوت المحتَّم ، يستدرك البردوني ذلك موظِّفاً مرةً أخرى الشخصية التراثية ، و مستدعياً هذه المرة شخصيتي (قحطان) و (كرب) جاعلاً منهما رمزين للأمل و إمكانية العودة مجدداً إلى ذلك الزمن المشرق .

لكنّهـــا رغـــم بُخْـــلِ الغيـــث مـــا برحـــتْ حُبلى و في بطنها (قحطان) أو (كرب)

مُبشِّراً بحتمية الولادة و الانبعاث لصنعاء الرمز ، لصنعاء التي لم تعرف الموت و لم تستسلم رغـم مـا عانته و ما تعانيه .

و مع عودة الأمل يعود الشاعر إلى حديثه الأول مع أبي تمام ، متناصاً مـع أقوالـه ، و لكـن لـيس بالكنيـة هـذه المـرة و إنمـا بالاسـم (حبيب) المنـادى بـأداة نـداء محذوفـة في إشـارة إلى اقـتراب الشـاعر مـن الشخصـية المستدعاة ، لا سيّما و أنّ السؤال هذه المرة ليس سؤالاً عـن الواقـع الخـارجي و إنمـا سـؤال عـن الحـال ، عـن حال الشاعر .

(حبيـــبُ) تســـألُ عـــن حـــالي و كيـــفَ أنـــا ؟ شـــبَّابةٌ فـــي شـــفاه الـــريح تنتحـــبُ
كانـــت بـــلادُكَ (رحـــلاً) ظهـــر (ناجيـــةٍ) أمّـــا بـــلادي فـــلا ظهْـــرٌ و لا غبـــبُ
أرعيـــتَ كـــلَّ جـــديبٍ لحـــمَ راحلـــةٍ كانـــت رَعَثْـــهُ و مـــاءُ الـــروض ينســـكبُ

و هو تناص مع قول أبي تمام :ـ

رعتـــه الفيـــافي بعـــدما كـــان حقبـــةً رعاهـا ومـاء الـروض ينهـلّ سـاكبه[29]

يمهِّد به البردوني للدخول في علاقات تناصيَّة متلاحقة مع أقوال الشخصية المستدعاة ، موازناً بين فعل الشخصية المستدعاة و فعله ، و كاشفاً عن رحلتين متضادتين هما رحلة الشخصية التراثية الخارجية و رحلته الداخلية .

و رحـتَ مـن سـفرٍ مُضـنٍ إلـى سـفرٍ أضـنى .. لأنَّ طريـقَ الراحـةِ التعـبُ
لكـنْ أنـا راحـلٌ مـن غيـرِ مـا سَـفَرٍ رَحْلي دمي .. و طريقي الجمرُ و الحطبُ
إذا امتطيـــتُ ركابـــاً للنـــوى فأنـــا فـي داخلـي .. أمتطـي نـاري و أغتـربُ

و هكذا يواصل النص جريانه نحو النهاية ، بحيث لا نسمع سوى صوت الشاعر ، في حين يغيب صوت الشخصية تماماً ، فلا نلمس سوى آثارها في النص الجديد عبر أفعالها و أقوالها التي يحاورها الشاعر ، و عبر التساؤلات التي يقرأها في عيون الشخصية المستدعاة فتبدو أسئلة لا نهائية .

(حبيـــبُ) مـــا زال فـــي عينيـــكَ أســـئلةٌ تبـــدو .. و تنســـى حكاياهـــا فَتَنْتَقِـــبُ

حتى يصل إلى نهايته لتكون عبارة (أبي تمام) ((إنَّ السماءَ تُرجّى حين تحتجب)) في قوله :ـ

لـــيسَ الحجـــابُ بمقـــصٍ عنـــكَ لـــي أمـــلاً إنَّ الســـماءَ تُرجّـــى حـــين تحتجـــبُ [3]

آخر صوتٍ يتردد صداه ، أملاً في أن يحمل بشارةً ما و حلاً لمعضلات واقع مأزوم يتأرجح بين اليأس و الرجاء .

ألا تـــرى يـــا (أبـــا تمّـــام) بارِقَنَـــا ؟ (إنَّ الســـماءَ تُرجّـــى حـــين تحتجـــبُ)

و ضمن هذا السياق تأتي قصيدته (شاعر الكأس و الرشيد) (31) ، التي يخاطب فيها (أبا نواس)، فبعد و قفة قصيرة وزّعها الشاعر بين حروف الامتناع لامتناع (لو) و بين أدوات الاستفهام (كيف ، كم ، هل) و غيرها ، ممهداً بها لحديثه إلى الشخصية ، ينتقل الشاعر سريعاً إلى صيغة الخطاب (يا) المسبوقة بـ (لا) الناهية الجازمة و الفعل المضارع المجزوم :

لا تَـــنَمْ يـــا أبـــا نـــواس أمـــا ... كنـــت أثيمـــاً فـــي لهـــوه ... يتفـــانى ؟
تتشـــهّى مُدامـــةً لـــم تجـــدها ... فتغنّـــي خيالهـــا الفتّانـــا

و يلوم الشاعر (أبا نواس) لأنّه ارتضى لنفسه أن يكون شاعراً لسلطة يراها البردوني عابثة لاهية :

بدعـــة الـــذلّ أن تحـــنَّ و تبكـــي ... و تغنّـــي (الرشـــيد) و (الخيزرانـــا)
ملـــك يرضـــعُ الـــدنان كمـــا يهـــوى ... و أنـــت الـــذي تغنّـــي الـــدنانا
و (الأمـــين) النـــديمُ يمنَعُـــكَ الخمـــر ... و يحســـو و تنحنـــي ظمآنـــا
و هـــو فـــي القصـــر يحتســـي عـــرقَ الشـــعبِ ... يـــروّي القيـــان و الغلمانـــا

و على الرغم من اختلافنا مع البردوني في موقفه من الرشيد و الأمين في هذا النص ، فنحن ندرك أنَّ ((الشعراء لا شأن لهم بإثبات التاريخ أو إنكاره)) (32) ، و نعتقد أن البردوني هنا أراد التماهي مع الموقف الحكائي الشعبي و ما حمله من مفاهيم و أفكار مغلوطة شائعة تدور حول شخصية الرشيد لخلق موقف تاريخي موازٍ للموقف المعاصر الذي كتب النص في ضوئه ، و هو ما يوضحه البردوني بقوله : ((كتبت هذه القصيدة عندما نشرت السلطة الإماميَّة إرهابها باسم جَلْدِ باعة الخمر و شاربيه 1379هـ)) (33) .

و الذي يعنينا هو هذا الحديث الذي يقيمه الشاعر مع الشخصية المستدعاة (أبي نواس) ، حيث يلاحظ أنّ البردوني يقيم تناصاً مع أقوال الشخصية و مواقفها ، ففي قوله :

تتشـــهّى مُدامـــةً لـــم تجـــدها ... فتغنّـــي خيالهـــا الفتّانـــا
لـــو وجـــدتَ الرحيـــقَ مـــا ذُبْـــتَ شـــجواً ... و تحرَّقـــت فـــي المنـــى أشـــجانا

إنما هو تناص مع أبيات لأبي نواس كانت مثار جدل طويل بين أنصاره و أعدائه ، و هي قوله :ـ

أيُّهـــا الرائحـــان بـــاللوم لومـــا ... لا أذوق المـــدامَ إلا شـــميما
نـــالني بـــالملام فيهـــا إمـــامٌ ... لا أرى لـــي خلافـــه مُســـتقيما
فاصـــرفاها إلـــى ســـواي فـــإني ... لســـتُ إلا علـــى الحـــديث نـــديما
كُبْـــرُ حظّـــي منهـــا إذا هـــيَ دارتْ ... أنْ أراهـــا ، أو أَنْ أشـــمَّ النســـيما
فكـــأنّي و مـــا أزيِّـــنُ منهـــا ... (قَعَـــدِيٌّ) يُـــزيِّنُ التحكيمـــا
لـــم يُطـــق حملَـــهُ الســـلاح إلـــى الحـــرب ... فأوصـــى المطيـــقَ ألا يُقيمـــا (34)

و قد وقف البردوني نفسه على هذه المقطوعة تحديداً في حديثه عن ثوريَّة (أبي نواس) (35) .

و لاشك أن السبب وراء استدعاء الشخصية هنا لإقامة الحوار معها أو للحديث إليها و الدخول في علاقات تناصية مع نصوصها ، إنّما هو الموضوع ، لأنَّ العلاقة بين الشاعر و بين (أبي نواس) ليست علاقة ذاتية و إن التقيا في جانب محدد أشار إليه البردوني في أكثر من موضع في شعره ، و هو جانب وحدة الحزن و الشقاء ، حيث يقول البردوني مخاطباً أبا نواس :

أنـــا أشـــقى كمـــا شـــقيتَ و لكـــنْ لا تُتَمْـــــتِمْ ... و أُيْنـــــا أشـــــقانا ؟
نحـــنُ مَـــنْ نحـــنُ ؟ مِـــزْهـــران مـــن الشـوق كلانـا لحـنُ العـذابِ كلانـا[36]

و لكن يظل الفارق شاسعاً بين الشاعرين من جهة سبب الحزن و الشقاء ، فالذي يُسكر البردوني ليس هو الذي أسكر أبا نواس من قبل .

أزعَمْتَنـــي (الحســـنَ ابـــن هـــانئ) ؟ حُزْنُـــهُ حُزْنـــي ، و مـــا صـــهباؤهُ صـــهبائي [37]

فهما و إن اشتركا في الشقاء و الحزن ، فشتان بين الشقائين و الحزنين ، و شتان بين خمرة أبي نواس و خمرة البردوني .

و في قصيدته (سباعيَّة الغثيان الرابع) (38) ، يضعنا البردوني إزاء نص يتكوّن من ثمانية عشر مقطعاً تتفاوت من حيث عدد الأبيات ، و الذي يهمنا هو المقطع السابع و ما يليه ، ففي هذا المقطع يلتفت الشاعر إلى (المتنبي) متناصاً مع أبياته و مقيماً حديثه له على آليات النداء و الاستفهام و الإخبار أيضاً ، و هو يحاول بذلك الإفضاء إلى الشخصية التراثية و بثّها ما يعانيه :

فيـــا (أحمـــد بـــن الحســـين) انهمـــرْ ســـوى الـــدمعِ نـــاداك غيـــرُ الطلـــل (39)

و المنادى هنا ليس هو الطلل الذي نادى المتنبي ، و ليس هو الدمع أيضاً ، و لكنّه طلل آخر و دمعٌ آخر ينتمي كل منهما إلى زمن آخر . و البيت السابق هو تناص مع قول المتنبي :-

أجـــاب دمعـــي ، و مـــا الـــداعي ســـوى طلـــل دعـــا فلبّـــاه قبـــل الركـــبِ و الإبـــلِ (40)

و يستمر البردوني في حديثه إلى الشخصية مقيماً في الوقت نفسه حواراً تناصياً يقوم على آليات متعددة ، فيدخل في جدل من العلاقات مع أبيات و أفعال و حوادث مرّ بها المتنبي (الشخصية المستدعاة) في قوله :-

أغـــار (الدمســـتق) ؟ بـــل و امتطـــى إلـــى ظهرنـــا وجهنـــا وانتعَـــلْ
ســـوى الـــروم رومٌ و رومٌ أتـــوا كعهـــدك رغـــم اخـــتلاف العلـــل
أتعـــرفهم ؟ إنَّهـــم مـــن رأيـــتَ و إنْ غيّـــروا خـــيلهم و الخـــول
و (عبـــدالخنى) نفـــس(عبـــدالخنى) و إن عصـــرن الشـــكلَ واســـمَ الحُلَـــلْ
و (كســـينجر) اليـــوم نخّاسُـــهُ لأن النخاســـةَ صـــارتْ دول
و أحفـــاد (ضـــبَّة) أضـــحتْ لهـــم جـــلالاتُ مُـُلْـــكٍ و جهـــلٍ أجَـــلْ
مَمالِكُنـــا اليـــوم قامـــت علـــى ذيـــولِ العصـــا لا رؤوس الأَسَـــلْ
و رغـــم (العصـــا) لا تقـــول الجمـــوع كأجـــدادها (الخيـــرُ فيمـــا حَصَـــلْ)
و رغـــم (الكـــوافير) لا أنطفـــي لعـــلَّ احتراقـــي يُـــذيب الفشَـــل (41)

و هكذا يتحول النص الجديد القائم على الحديث إلى الشخصية إلى حاضنة تناصية يستحضر من خلالها الشاعر ذلك الماضي بكل إيقاعه المتشابه مع إيقاع الحاضر ليزج الزمنين في علاقة جدلية يثبت من خلالها أن ما كان يحدث ما زال يحدث و إن تغيَّرت الأقنعة .

و لا يخفى على القارئ الحصيف ما استحضره البردوني من أقوال و مواقف الشخصية المستدعاة في

الأبيات السابقة ، و يمكن أن نستعرض هنا طائفة من أبيات المتنبي و مواقفه التي أقام معها البردوني تعالقاته النصية :ـ

ـ أحمد بن الحسين هو المتنبي نفسه أبو الطيب أحمد بن الحسين / الشخصية التراثية المستدعاة .

ـ الدمستق :ـ هو قائد الروم في حروبهم مع سيف الدولة ، و قد تردد ذكره كثيراً في شعر المتنبي و من ذلك قوله :ـ

لعلّك يوماً يا (دمستق) عائد ... فكم هاربٍ ممّا إليه يؤول [42]

ـ سوى الروم : إشارة إلى قول المتنبي :ـ

و سوى الروم خلف ظهرك رومٌ ... فعلى أيِّ جانبيك تميلُ (43)

ـ ضبَّة : مهجو المتنبي وهو ضبة بن يزيد الضبي و قد عُرف بغدره بكل من ينزل به أو يأكل معه أو يشرب ، و قد ورد ذكره في شعر المتنبي و من ذلك قوله :ـ

ما أنصفَ القومُ ضبَّه ... و أمَّه الطُّرطُبَّه (44)

ـ عبدالخنى : نعت من نعوت (كافور الإخشيدي) في هجائيات المتنبي .

ـ النخّاس : فيه إشارة إلى قول المتنبي في هجاء كافور :ـ

فلا تُرَجِّ الخير عند امرئ ... مرَّت يد النخّاس في رأسه (45)

و كذلك إلى قوله :

أمْ أذنه في يد النخّاس داميةً ... أم قدره و هو بالفلسين مردودُ (46)

ـ ممالكنا اليوم ... : إشارة إلى قول المتنبي :ـ

أعلى الممالك ما يُبنى على الأسلِ ... و الطعنُ عند مُحبِّيهنَّ كالقُبلِ (47)

ـ و رغم العصا ... : إشارة إلى قول المتنبي في هجاء كافور :ـ

لا تشترِ العبدَ إلا و العصا معه ... إنَّ العبيد لأنجاسٌ مناكيدُ (48)

ـ الكوافير ... : جمع كافور ، مهجو المتنبي ، و ديوان المتنبي زاخر بالقصائد التي كتبها في هجائه .

و هذه الرؤية المتعلقة بحدوث ما كان يحدث ظلَّتْ ملازمةً للبردوني في كثير من شعره ، كما ظلت شخصية المتنبي حاضرة في كثير من المواضع المتعلقة بهذه الفكرة تحديداً ، و من ذلك قوله :ـ

و يا (أحمد بن الحسين) انتبه ... فـ (كافور) ما زالَ حيّاً مطاع (49)

ثانياً : آلية الحوار مع الشخصية :ـ

على الرغم من أنَّ آلية الحوار تشكِّل أكثر الآليات حضوراً في شعر البردوني (50) إلا أن البنية الحوارية القائمة على تقابل صوتي الشاعر و الشخصية التراثية المستدعاة ليست شائعة في شعره ، و إنّما يلاحظ تحقق هذه البنية بشكل واضح في موضعين ، هما :ـ

الموضع الأول : و يتمثل في لحظة التمهيد للانفصال بين الشاعر و الشخصية المستدعاة في قصيدة القناع . و كذلك في القناع المتراخي الذي يقوم على تعدد الأصوات .

الموضع الثاني : و يتمثل في الحواريات التي يقيمها الشاعر مع شخصيات معاصرة أو شخصيات مأخوذة من الواقع حتى و إن كانت افتراضية أو مخترعة.

و لبيان ذلك نقف عند كل موضع من هذين الموضعين لبيان آليات اشتغال البردوني في توظيفه لأقوال و أفعال هذه الشخصيات ، و طبيعة استحضارها و الدخول معها في تعالقات نصية .

الموضع الأول : و فيه يعمد البردوني في كثير من قصائده القائمة على بنية القناع إلى الفصل بين صوت الشخصية التراثية المستدعاة و بين صوت الشاعر في نهاية النص الشعري ، و عندئذ تحل البنية الحوارية الثنائية محل بينة القناع القائمة أساساً على تفاعل الصوتين (الشاعر و الشخصية المستدعاة) و اندماج كل منهما بالآخر ، حيث يتفاعل الصوتان عبر خيوط التماثل ، و هي تقنية يلجأ إليها الشاعر لغرض ((التعبير عن رؤياه للعالم من ناحية ، و الحيلولة دون سقوط القصيدة تحت هيمنة عواطفه المباشرة و مشاعره التلقائية من ناحية أخرى)) (51) ، و ربما كانت قصيدة (تحولات يزيد بن مفرِّغ الحميري) (52) خير مثال على ذلك .. حيث يبدأ التمهيد للانفصال بين الشخصيتين (الشاعر و القناع) في المقطع الحادي عشر ، و عندها يأخذ النص شكلاً مغايراً لشكله الأول على صعيد البنية الخطابية / الحوارية ، حيث يستهل الشاعر هذا المقطع بقوله :ـ

(ألا أبلِغْ معاويةَ بن صخرٍ) أتيتَ مُزامناً و مضى زماني

متناصاً بذلك مع أعنف هجائية من هجائيات (يزيد بن مفرِّغ) ، و هي نونيَّته التي استهدف بها الزياديين و السفيانيين ، التي يقول فيها :ـ

ألا أبلِغْ معاويةَ بن صخرٍ مغلغلةً من الرجلِ اليماني
أتغضب أن يُقالَ : أبوك عفٌّ و ترضى أن يقال : أبوك زاني
و أقسمُ أنَّ رحمك من (زيادٍ) كرحم الفيل من ولد الأتان
و أشهدُ أنّها ولدتْ (زياداً) و (صخرٌ) من (سميَّة) غيرُ دانِ

حيث ينفرد ابتداءً صوت القناع ـ على صعيد البنية الظاهرة ـ متوجهاً إلى الشاعر ملتمساً إيّاه إيصال رسالة أشبه ما تكون بالاعتراف المنزوع قسراً ، معلناً فيها بأسلوبٍ ساخر مليء بالتهكم تنازله عن جميع آرائه التي وردت في هجائيته .

(ألا أبلِغْ معاويةَ بن صخرٍ) أتيتَ مُزامناً و مضى زماني
(زيادٌ) منك ، ندعوهُ (ابن حربٍ) وقد ندعوا (سميّة) (أمَّ هاني)

و الذي يحصل ـ حقيقة ـ على صعيد البنية الداخلية ، هو استثمار صوت القناع ليكون قناعاً لصوت الشاعر ، بحيث يتمكن الشاعر من البوح بما لا يستطيع البوح به صراحةً على لسان الشخصية المستدعاة ، فالرسالة

في هذا النص ليست موجهة لـ (معاوية بن صخر) / التاريخ ، الذي مضى زمانه بمضي زمن (يزيد بن مفرِّغ) / التاريخ ، و إنما لـ (معاوية بن صخر) / الحاضر ، الذي يأتي مزامناً للشاعر / الحاضر ، و الذي هو بدوره ليس أكثر من رمز للقهر و التسلط ـ من وجهة نظر الشاعر ـ لكل أولئك الذين لا يريدون الإصغاء إلى صوت الحق و الاعتراف بالخطأ عبر مسار التاريخ ، و لا يرضيهم أن يقال فيهم إلا ما يريدون هم أن يقال فيهم ، حتى و إن أدّى ذلك إلى أن يستوي الحق و الباطل .

وهكذا يستمر الحوار بين صوت الشخصية المستدعاة (القناع) و بين صوت الشاعر حتى يتم الانفصال بين الصوتين ، فيعود القناع إلى ماضيه تاركاً الشاعر يلوك قلقه المعاصر متحيِّراً لا يكاد يهتدي إلى حقيقة ما حدث ، عبر لغة تساؤلية ميَّزت جملة البردوني و شكَّلت سمةً قارّةً من سمات شعره .

أبـــي .. أيـــن اختفـــى ؟ أرجـــوك مهـــلاً ... أمـــا هـــذا أبـــي ؟ مَـــنْ ذا لحـــاني ؟
أنـــا حـــاورتُ شـــيطاناً ؟ و لكـــن ... هنـــا الشـــيطان مـــن أحفـــاد (مـــاني)
و مَـــنْ شـــافهتُ ، ســـيفاً يعربيـــاً ... كـــأنَّ لســـانه رمـــحٌ (عُمـــاني)
نعـــم .. هـــذا أبـــي ، منّـــي تبـــدَّى ... فـــأورق فـــي جـــذوري كـــلُّ فـــاني

و تشكِّل قصيدته (سندباد يمني في مقعد التحقيق) (53) نموذجاً ناضجاً لقصيدة القناع المتعدد الأصوات ، فالبردوني يتكئ على شخصية السندباد التاريخية لينفذ من خلالها إلى واقع اليمن و قضايا الأمة (54) .

كمـــا شـــئتَ فـــتِّش .. أيـــن أخفـــي حقـــائبي ... أتســـألني مـــن أنـــت ؟ أعـــرفُ واجبـــي
أجـــبْ ، لا تحـــاول ، عمـــرُكَ ، الاســـم كـــاملاً ... ثلاثـــون تقريبـــاً .. (مثنّـــى الشـــواجبي)
نعـــم ، أيـــن كنـــتَ الأمـــس ؟ كنـــت بمرقـــدي ... و جمجمتـــي فـــي الســـجن فـــي الســـوق شـــاربي

و هو يحاول عبر هذا النص استثمار سمة الترحال التي ميّزت شخصية السندباد ، ليضعنا أمام رحلة أو ارتحال من نوع آخر لا تكون فيه الفضاءات مفتوحة أمام الإنسان المعاصر الذي يجد نفسه مطارداً حتى حين يحاول الرحيل من جزء إلى جزء داخل الوطن الواحد أو حين يحاول الرحيل داخل ذاته المحاصرة بأسئلة لا نهاية لها .

رحلـــتَ إذنْ ، فـــيمَ الرحيـــلُ ؟ أظنَّـــهُ ... جديـــداً ، أنـــا فيـــه طريقـــي و صـــاحبي
إلـــى أيـــن ؟ مـــن شـــعبٍ لثـــانٍ بـــداخلي ... متـــى ســـوف آتـــي ! حـــين تمضـــي رغـــائبي
جـــوازاً ســـياحياً حملـــت ؟ ... جنـــازةً ... حملـــتُ بجلـــدي ، فـــوق أيـــدي رواســـبي
مـــن الضـــفّة الأولـــى ، رحلـــتُ مهـــدَّماً ... إلـــى الضـــفّة الأخـــرى ، حملـــتُ خرائبـــي

و مثل هذا النمط يمكن رصده في عدد من قصائد البردوني ، منها قصيدته (رجعة الحكيم بن زايد) (55) و (الهدهد السادس) (56) و (على باب المهدي المنتظر) (57) وغيرها ..

الموضع الثاني :ـ و في هذا النمط من الحواريات التي يقيمها الشاعر مع شخصيات معاصرة أو افتراضية يخترعها الشاعر مضفياً عليها ملامح الشخصية التراثية في الغالب ، يتحول الحوار إلى حاضنة للتناص مع أقوال و أفعال الشخصيات التراثية .

و ربما كانت قصائده (حزبية و مخبرون) (58) و (مهرجان الحصى) (59) و (اجتماع طارئ للحشرات)

(60) و غيرها مثالاً واضحاً على هذا النمط الذي يتم فيه استدعاء الشخصية التراثية للدخول معها في تعالقات نصية عبر آليات محددة أكثرها وضوحاً آليتا : الاستدعاء بالقول و الاستدعاء بالدور .

(1) آلية الاستدعاء بالقول :-

و نعني بهذه الآلية ((توظيف الشاعر لقول يتصل بالشخصية (سواء كان صادراً عنها أو موجهاً إليها) و يصلح للدلالة عليها في آن واحد ، بحيث تصبح وظيفة هذا القول وظيفة مزدوجة : التفاعل الحر مع شفرات النص ، و استحضار صورة الشخصية في ذهن المتلقي))

(61) و تتم هذه الآلية من غير ذكر الشخصية أو التصريح بها علناً داخل النص الشعري ، حيث يكتفي الشاعر بإيراد أقوال الشخصيات التراثية في سياق نصوصه الشعرية . وهذه الآلية شائعة في شعر البردوني ، و هو لا يفعل ذلك اعتباطاً ، و إنما استجابة لحاجة النص و إثراءً لدلالاته عن طريق إقامة نوع من الحوار مع النصوص السابقة و مع مقولات شكلت جزءاً مهماً من الذاكرة الجمعية و الوعي الجمعي ، و هو بذلك يختصر الكثير من الجهد و يحقق معادلة الإيجاز و الاقتصاد في اللغة من جهة و ثراء الدلالات من جهة ثانية .

و من أمثلة هذه الآلية استدعاؤه لشخصية (النابغة) من خلال توظيفه لقول النابغة في خطابه للنعمان بن المنذر :

و إنك كالليل الذي هو مدركي و إن خلتُ أنَّ المنتأى عنك واسعُ (62)

و هو بذلك يستدعي ليل النابغة استدعاءً يقوم على التآلف الجزئي مع ذلك الليل ، فليل البردوني ليس هو ليل النابغة الخائف من النعمان و عيون النعمان الذين يطاردونه ، و إنما

هو ليل بلاده و ليل حزنه على هذا الوطن الغارق في الظلام من كل جانب ، هذا الليل الذي يطارد الشاعر و يبعث في روحه القلق و الحزن المتواصلين حتى حين يكون بعيداً عن الوطن ، فلا همَّ للبردوني إلا همُّ بلاده التي تعاني صنوف القهر و الفقر و العذاب ، و لذلك يخاطبها قائلاً :-

أنتِ كالليل مدركي من أمامي و ورائي .. كلُّ النواحي ضريره (63)

و يستدعي البردوني في أكثر من موضع شخصية (أبي العلاء المعري) مكتفياً بالتناص مع أقواله دون ذكر الاسم ، و من ذلك قوله :

أصبحت أول (ديك) يكتسي ولدي (أنا جنيت عليه أم عليَّ جنى ؟) (64)

و هو من قول المعري :-

هذا جناه أبي عليَّ و ما جنيت على أحد

و مثله قول البردوني :-

فاقداتُ (الهديل) يبكين فرداً أنت تبكي في كل آنٍ هديلا (65)

و هو تناص آخر مع قول المعري :ـ

يـــا بنـــات (الهـــديل) أسْـــعِدْنَ أو عِـــدْنَ جميـــــــل العـــــــزاء للإســـــــعادِ
إيـــــــــهِ للهِ درّكـــــــــنَّ فـــــــــأنتنَّ اللـــــواتي تُحســـــنَّ حفـــظ الـــــوداد

و يتكرر استدعاء البردوني لشخصية (عمر بن أبي ربيعة) في أكثر من موضع أيضاً ، و من ذلك قوله :ـ

أراكَ مســـــــافراً ؟ فأجبـــــــتُ كـــــــلا و مـــا كانـــت و أُختيهـــا مجنّـــي (66)

و هو تناص مع قول عمر بن أبي ربيعة :ـ

و كـــان مجنّـــي دونَ مَـــنْ كنـــتُ أتّقـــي ثـــلاثُ شـــخوصٍ كاعبـــان و معصـــرُ (67)

و يستدعي الشخصية ذاتها في قوله :ـ

أيّهـــــا المـــــنكحُ الثريّـــــا ســـــهيلاً أيّ نجـــمٍ لـــه بـــأخرى انشـــغافُ (68)

و هو من قول عمر بن أبي ربيعة :ـ

أيهـــا المـــنكح الثريـــا ســـهيلاً عمـــــرك الله كيـــــف يلتقيـــــان
هـــــي شـــــاميَّةٌ إذا مـــــا اســـــتقلَّتْ و ســـــهيلٌ إذا اســـــتقلَّ يمـــــاني (69)

و نظراً لكثرة شيوع هذه الظاهرة و استخدام هذه الآلية في شعر البردوني ، نكتفي هنا بإيراد مجموعة من أبيات الشاعر مع أقوال الشخصيات المستدعاة من دون تعليق على هذه الأبيات تاركين للقارئ اكتشاف العلاقات التناصية بين النصوص السابقة و اللاحقة .

ـ البردوني :ـ

و ينادونـــــه إلـــــى كـــــل مُـــــرٍّ و إذا أولمـــوا ينـــادون جنـــدب (70)

ـ أبو دهبل :ـ

و متـــى تكـــون كريهـــةٌ أدعـــى لهـــا و متـى يُحـاس الحـوس يـدعى جنـدب (71)

ـ البردوني :ـ

هـــل تقـــولين لقلبـــي عـــن فمـــي إنّنـــا كنّـــا كنـــدماني جذيمـــه (72)

ـ متمم بن نويرة :ـ

و كنّـــا كنـــدماني جذيمـــة حقبـــة مـــن الـــدهر حتـــى قيـــل لـــن يتصـــدّعا (73)

ـ البردوني :ـ

لـــو كنـــت مـــن مـــازنٍ لـــم ينتعـــل وجعـــي بنـــو المقـــابر مـــن أجـــداد عطّانـــا (74)

ـ قريط بن أنيف :ـ

لـــو كنـــت مـــن مـــازنٍ لـــم يســـتبح إبلـــي بنـــو اللقيطـــة مـــن ذهـــلِ بـــن شـــيبانا (75)
إذاً لقـــام بنصـــري معشـــر خشـــنٌ عنـــد الحفيظـــة إن ذو لوثـــةٍ لانـــا

ـ البردوني :ـ

مـــــا مطلعهـــــا ؟ أقِفـــــا نأســـــى مـــن ذكـــرى ســـينا و الجـــولان (76)

ـ امرؤ القيس :ـ

قفـــا نبـــك مـــن ذكـــرى حبيـــبٍ و منـــزلِ بسـقط اللـوى بـين الـدخولِ و حومـلِ (77)

ـ البردوني :ـ

إنمـــــا لـــــن أقـــــول للبيـــــت ربٌ أنـــا بيتـــي و ربُّ بيتـــي و إبلـــي (78)

عبدالمطلب :ـ للبيت رب يحميه

و لا تكاد هذه الآلية تقف عند حد معين في شعر البردوني ، فعلى الرغم من كل ما أوردنا من شواهدها فهو أقل ما يمكن ذكره لأن الإحالات و الإشارات من هذا النوع تتقاطع عنده مع حقول دلالية متعددة ، و إذا كان تركيزنا هنا قد انصب على الأدب فمرد ذلك إلى أننا قد سبق أن وقفنا على تناصات مماثلة مع أقوال من حقل دلالي آخر هو القرآن الكريم و شخصياته ، وظفها البردوني كثيراً في شعره (79) .

و لاشك أن البردوني لا يورد أقوال الشخصيات اعتباطاً و إنما يأتي بها ليزجها في علاقات جدلية مع نصه الحاضر ليعالج من خلالها موضوعاً معاصراً عبر رؤية أو مقولة سبق ذكرها أكدناها مراراً عند البردوني هي إيمانه بأنَّ ما حدث مازال يحدث . و هي جزء من دعوته إلى ضرورة عصرنة هذه الأصوات التي أثبتت قدرتها على الامتداد الزمني .

(2) آلية الاستدعاء بالدَّور :ـ

و تتمثل هذه الآلية في ((ذكر الدور الذي لعبته الشخصية التاريخية دون التصريح باسمها داخل النص ، حيث يمثل الدور المذكور إشارة تستحضر صورة الشخصية ـ غير المذكورة ـ في ذهن المتلقي)) (80) .

و هذه الآلية ـ على ما يبدو ـ ليست شائعة في شعر البردوني ، بل ربّما هي أقل الآليات حضوراً و استعمالاً .

و من ذلك قوله مستدعياً شخصية (سيزيف) الأسطورية :ـ

حســـــناً مَـــــنْ أســـــألُ الآن ؟ إلـــــى أيِّ أكتـــافِ الرُّبـــى أحمـــلُ صـــخري (81)

و مثلها في قوله و قد استدعى شخصية (المخلِّص) من غير تعيين للمخلِّص :ـ

ســـوف تـــأتين كـــالنبوءاتِ كالأمطـــارِ كالصـــيفِ كانثيـــالِ الغضـــاره (82)
تملئـــين الوجـــودَ عـــدلاً رخيـــاً بعـــد جَـــوْرٍ مُـــدجَّجٍ بالحقـــاره

و يبدو أن السبب وراء قلة حظ شعر البردوني من هذه الآلية يكمن في حرص الشاعر على ذكر الشخصية مرتبطة بدورها ، و هو ما وضّحناه في المباحث السابقة .

ثالثاً : آلية الحديث عن الشخصية :ـ

وفي مثـل هـذه القصـائد لا يظهـر عـادةً سـوى صـوت الشـاعر بوصـفه راويـاً للقصـيدة ،

حيث يتكون النص من (مونولوج) واحد طويل ، أو مجموعة (مونولوجات) متعددة ويكون أقرب في شكله الفني إلى أسلوب الحكي الذي يفترض بالضرورة وجود متلقٍ يتوجه إليه الخطاب[83] .

وهنا لا يظهر صوت الشخصية المستدعاه مطلقاً ، وإنما يتم إستدعاؤها بوصفها موضوعاً خارجياً . في حين تهيمن (أنا) الشاعر على الخطاب في جميع مستوياته .وهذا النمط من الأنماط الشائعة أيضاً في شعر البردوني ولا سيّما في قصائده ذات الطابع التقليدي .

لأنه جزء من بنية نمطيّة إعتادتها التجربة الشعرية التقليدية العربية والحديثية إلى حد ما . ولذلك نكتفي هنا بالإشارة إلى وجودها ، والقول أنها تبرز عندما يزداد توصيف الشخصية التراثية وإظهار مدى قربها إلى الشاعر أو قربه منها .

ولذلك شاعت عند البردوني في قصائد المديح النبوي مثلاً ، وفي قصائد الرثاء وما إلى ذلك . ومن بين هذه القصائد قصيدته (فجر النبوة)[84] و(الربيع والشعر)[85] وغيرها ..

رابعاً : الشخصية رمزاً عبر آلية الإشارة : -

ونعني بذلك إستدعاء الشخصية التراثية عبر تكنيك الإشارة لتوظيفها توظيفاً رمزياً داخل النص الشعري للإفادة من طاقة الرمز . وقد عمد البردوني كثيراً إلى هذه الآلية جاعلاً من الشخصية التراثية المستدعاه معادلاً لشخصية واقعية أو من الحادثة المرافقة لها أو المقترنة بها معادلاً لحادثة ما زالت تواصل الحضور . وهي من الآليات البارزة في شعره .

وتقوم هذه الآلية على الإيجاز والتكثيف أو الإشارة أو الإحالة ، وهي بذلك تناسب الشعر بوصفه بنية تعتمد الكلمات الموحية والعبارات المكثفة .

وتحاول هذه الآلية إشراك المتلقي في العملية التفسيرية أو التأويلية للنص ، لأنها تقوم على التلميح دون ذكر التفاصيل[86] وهذا النمط من تكنيك الإشارة ، على أي حال يقدم للشاعر عوناً كبيراً لتركيز ما يريد قوله وتكثيف بنائه التعبيري أيضاً . إذ أن قدراً كبيراً من التداعيات يمكن إثارته كما يقول (تليار) بأقل قدر ممكن من الكلمات.**(87)**

ولم يقف البردوني في إشاراته وفي توظيفه للشخصيات التراثية توظيفاً رمزياً عند حدود منطقة معينة ، فهو يستقي رموزه من حقول دلالية متعدده وإن كان الحقل الأدبي أكثرها حضوراً .

والعلاقة بين الشعر وبين الرمز والأسطورة علاقة قديمة ، لذلك ليس من الغريب أن يستخدم الشاعر الحديث هذه الرموز والأساطير بكثرة ، إذ أن هذه العلاقة هي التي ترشح مثل هذا الإستخدام وهي تدل كذلك على بصيرة كافية بطبيعة الشعر والتعبير الشعري [88] والقوة في أي استخدام خاص للرمز لا تعتمد على الرمز نفسه بمقدار ما تعتمد على السياق ، فمن غير الممكن تحديد معنى الرمز إلا من خلال موقعه ، في تشكيلة او مجموعة من الرموز الأخرى [89] .

وفي مثل هذا النمط من التوظيف غالباً ما نجد البردوني يلجأ إلى (تكنيك) الإشارة الرامزة تاركاً للقارئ الخوض في أبعادها ودلالاتها ومن أمثلة ذلك قوله :

ألـــوف كـــــ(يوسف) تحـــت الســـياطِ بـــلا تهمـــةٍ باســـتراق (الصـــواع)[90]
ويـــا (قـــيس) ، (ليلـــى) علـــى كـــل ســـوقٍ تمـــوت ســـفاحاً ، تجـــرُّ اقـــتلاع

ويـــا (أحمـــد بـــن الحســـين) انتبـــه فـــ (كـــافور) مـــا زال حيـــاً مطـــاع
ويـــا (حـــافظ) اغضـــب غـــدت (دنشـــواي) بمصـــر العزيـــزة كـــل البقـــاع

فهو يسوق كل هذه الشخصيات التراثية ليزجها معاً في لوحة دالة ترسم الواقع المعاصر الذي يعانيه الإنسان العربي في كل بقعةٍ من بقاع الوطن ، وهو يحاصر بأشكال شتى من أشكال القهر والتسلط والإستلاب والظلم ، فتتحول الشخصيات التاريخية إلى رموز تشير إلى وقائع ما زالت حية تفعل فعلها في الشاعر والإنسان على حد سواء .

ويقول في موضع آخر مشيراً إلى الخيانات التي تحدث في الداخل وتجر الويلات على الأمة موظفاً شخصية (أزاد) زوج (الأسود العنسي) التي قتلته بالسم تنفيذاً لأوامر قومها :

كيـــف عـــادت (أزاد) بالحـــب تـــردي وتســـن الطـــلاق بـــالموت دينـــا ؟ [91]

ويحرص الشاعر على توظيف الشخصية ذاتها في موضع آخر ، للدلالة على أن (أزاد) بما ترمز إليه من خيانة الداخل ، ما زالت موجودة ، بل إنها قد أتت على كل شئ ولم تبق من أحد ولم يعد أمامها سوى أن تشرب كأسها :

مـــن ستســـقي (أزاد) ؟ لـــم يبـــق إلا كوبهـــا تحتســـيه حتـــى الصُـــبابة [92]

ويبدو أن موضوع الخيانة من الداخل قد شغل البردوني طويلاً ، ولذلك حرص على إستدعاء الشخصيات التراثية التي إرتبطت بهذا النمط من أنماط الخيانة .

وكانت شخصية(ابن العلقمي) أكثرها حضوراً ولكن هذه المرة لم نعد إزاء(ابن العلقمي)

الفرد المفرد وإنما تحول إلى علاقمة وهنا تكمن الكارثة .

وتعـــدد (ابـــن العلقمـــي) فهـــا هنـــا قامت (علاقمة) ، هناك (علاقمة)[93]

والى جانب موضوع الخيانة الداخلية ، شُغل البردوني بموضوع الإنتهازية ، لذلك حرص على توظيف رموزها التراثية ، وزجها في لوحةٍ أو لوحات وإقامة تعالقات نصية مع أفعالها ودلالاتها ، ومن ذلك قوله متحدثاً عن حراس السلطة الإنتهازيين :

كنت في كفّي (أبي جهل) ، كما كنت في تلك الأكف المؤمنه [94]
في فمي (إرجوزتا هندٍ) كما في فمي (الأعراف) و (الممتحنه)
وتمصعبت بكفّي (مصعب) و(لمروان) حَذَقْتُ المَرْوَنه
أعرف الموت (مقامات) هنا ههنا أشدو المنايا (الميجنه)
ينتضيني من يُسمي سيداً أو هجيناً ، واليد المستهجنه

وإحساس البردوني المتزايد بحركة الزمن نحو الأسوأ جعله يكثر من إستحضار الشخصيات التراثية المتضادة في رمزيتها ، ليقيم من خلالها ومن خلال زجها في ثنائيات ضدية ، بنيات متوهجة مشبعة بالتوترات ، عبر أنسجةٍ تشيع حركية لافته في جسد النص وهذه البنيات غالباً ما تشكل حاضنة للسخرية المريرة التي هي دالةٌ مميزة لشعر البردوني ولا تخلو كذلك من التعريض . ومن ذلك قوله على سبيل الأمثله لا الحصر : -

- لهم شموخ (المثنى) ظاهراً ، ولهم هدىً إلى (بابك الخرمي)ينتسبُ [95]
- وينيلون (باقلاً) ثغر (قسٍ) ويعيرون (مادراً)جودَ (حاتم) [96]
- أن ينشر (المهديُّ) منك اللوا أو يركض (الدجّال) من منزلي [97]
- ماذا جرى عهد (الرشيد) إنتهى واحتل (مسرورُ)محلَّ (الرشيد) [98]
- (عنتريٌّ) على المنى (حاتميٌّ) بلا كرم [99]
- (سبئيٌّ) وما سبا (هاشميٌّ) وما هشم

وهذه البنيات الضدية تشكل حضوراً واسعاً في شعره ،و غالباً ما يتكئ فيها على الشخصية التراثية مفيداً من دلالتها ورمزيتها . وفي هذا الإطار يأتي توظيفه لشخصية (الحسين) عليه السلام بإعتبارها شخصية صاحبة قضية إنسانية كبرى ، ومأساتها تعكس صورة معادلة دلالياً لسلبية الأمة وتخاذلها عن نصرة قضاياها العادلة ، حيث ظلت شخصية (الحسين) رمزاً للإستشهاد . والتضحية ، كما ظلت شخصية (الشمر) رمزاً للظلم ، وهذه الثنائية بما تنطوي عليه شكلت حضوراً واضحاً في شعر البردوني ، وغالباً ما تأتي مرتبطة بـ (كربلاء) التي أصبحت رمزاً للدم العربي النازف من جسد الأمة . ومن ذلك قوله :

يهون حقد (الشمر)يا (كربلا) لو لم يكن في كفه (ذو القفار) [100]

وكذلك قوله مخاطباً الشيخ عبدالكريم عبيد : -

يا (شُبّر) الثاني دعتْ (كربلا) أخرى ، و(شمر) غير ذاك الشتيم [101]

وإزاء هذا الإحساس المتزايد لدى البردوني بسوء الواقع وتحوله واتجاه حركته نحو الأسوأ يمكن ببساطة تعليل بحثه المتواصل عن (المخلِّص) وعلى الرغم من تعدد مسميات (المخلص) باعتباره ظاهرةً شكلت حضوراً في جميع الأديان تقريباً وأغلب الحضارات والتراث الشعبي الإنساني ، فإن البردوني لا يبتعد عن الحقل التراثي وإنما يسارع إلى استحضار أو استدعاء شخصية (المهدي المنتظر) في أكثر من موضع في شعره ، لتجسيد فكرة الخلاص أو الوعد بالولادة الجديدة

إلـــــــــيكم خيـــــــــر تهنئـــــــــةٍ نجـــا (المهـــدي) مـــن المـــوتين [102]
- أجابـــت أرى (المهـــدي) وإيـــاه واحـــداً و(زرقـاء) فـي عينيـه تهـواه أشـمطا[103]

وغالبـــاً مـــا نجـــد البردونـــي متشـــائماً إزاء وضـــع بلـــغ حـــداً مـــن الســـوء ، لم يعـــد بمقدور(مهدي) واحد وضع حدٍ لهذا السوء .

هـــل تســـدّين يـــا ابنـــة القحـــط شـــيئاً والمنـى فـي انتظـار عشـرين (مهـدي) [104]

وتظل قصيدته (على باب المهدي المنتظر) [105] من أهم القصائد التي اتكأ فيها على بنية القناع ، وهو يوظف فيها خروج المهدي توظيفاً معاصراً ، والقصيدة تقع في عشرة مقاطع كل مقطع منها يتضمن حديثاً للمهدي يأتي على هيئة سؤال أو عدد من الأسئلة التي تتيح للصوت الآخر كشف جوانب مهمة من واقع الدّجال وهيمنته على الأرض [106] .

حيث يجسد البردوني شخصية (الدّجال) بمسميات معاصرةٍ متعددة ، وإن طغى عليها جميعاً (البيت الأبيض) الذي فرض هيمنته على الأرض كما يرى :

مـــن يـــدعو، هـــل زمنـــي أومـــض ؟ نهـض (الـدجال) ، سـدىً تـنهض [107]
روضـــــتُ الـــــريح لأســـــبقه وغـــدا الســـبّاق ، فمـــا روض
نادتـــك (الكعبـــة) وانتظـــرت ودعـــاك (الأقصـــى) ، بـــل حـــرّض
صـــحنا يـــا (مهـــدي) يـــا وتـــراً قلبيـــاً ، أنـــت لـــه المنـــبض
كـــم قيـــل : ســـتملؤها رغـــداً فامتـــد مـــن الرمضـــا الأرمـــض
حتـــى (موســـكو) قـــالوا : أضـــحت مـــن بســـتان (البيـــت الأبـــيض)

وقد يختصر البردوني مراحل زمنية كاملة بكل تحولاتها ومآلاتها في عددٍ من الشخصيات ليضع القارئ أمام حركة التاريخ وتطورها ، مكثفاً وموجزاً ، فيزج عدداً من الأعلام في سياقٍ واحد ، وهو يلجأ إلى ذلك – على ما يبدو –حين يكون الرابط بين هذه الأعلام رابطاً موضوعياً أو فنياً أو تاريخياً ، كما في قصيدته **(حكاية سنين) [108] التي يقول فيها :-**

منـــذ انحنـــى مغنـــى (عُلَيّـــةَ) واســـتكان حمـــى (الوليـــد)
واستولدالســـحب الحبـــالى ألـــف (هـــارون الرشـــيد)
حتـــى امتطـــى (جنكيـــز) عاصـــفة الصـــواهل والحديـــد
وهنالـــك انتعـــل (التتـــار) معـــاطس الشـــمم العنيـــد
أيـــن العروبـــة ؟ هـــل هنـــا أنفـــاس (قـــيسٍ) أو لبيـــد

حيث يواصل النص الشعري حركته مستثمراً أسماء الأعلام والشخصيات التي شكلت بؤراً تاريخية ، حتى يستوفي تاريخ العرب واليمن على حدٍ سواء بكل تحولاته ومشاهده متناصاً مع رموز التاريخ ودوالّه ، ومكثفاً الزمن والفعل في عددٍ من هذه الأعلام . وقد يستغرق الشاعر نصاً كاملاً في مثل هذا الفعل كما فعل في النص السابق الذي يعد من أطول النصوص التي كتبها البردوني ، حيث بلغ عدد أبيات النص قرابة ثلاثمائة بيت حشد فيها أكثر من هذا العدد بكثيرٍ من الأعلام والرموز والشخصيات التراثية ، لا مجال لإيرادها هنا.

وقد يستغرق هذا الفعل جزءاً كبيراً من بنية النص كما في قصيدته (مسافرة بلا مهمة) [109] التي صور فيها تحولات اليمن تحديداً : -

فانتهت (فاطميةَ) وهي (أروى) ظاهراً ، خلفه سجلٌ وسيره
وتسمت بـ(القرمطيِّ) ولكن أنقصتها الممارسات القديره
واستحرّت خلف (النجاحي) وأدمى في رباها خيوله وحميره
ثم صارت (مهديةً) و (رسولا) نزلت وادياً أضاعت شفيره

وهكذا يوظف الشخصيات والأعلام رموزاً ليكثف فيها أزمنةً متباعدة بلغةٍ متسارعة موجزة إشارية موحيةً داله .ومثل هذا ما نجده في قصيدته (في حضرة العيد) [110] التي يتناص فيها مع عيد المتنبي ، فإذا كان المتنبي العنيد على حد رأي د/ صلاح فضل [111] لايرضى بما يأتي به الزمن ، ويريد أن يقسره على تحقيق رغائبه ، يستنكر منه أن يعود دون أن يحمل إليه جديداً يستحق الفرح والإحتفال . فإن البردوني يفعل الفعل ذاته ولكنه يستنكر عودة العيد دون أن يجلب معه كل أولئك القادة والرجال العظام الذين أوصلوا الأمة قديماً إلى ما وصلت إليه من مجدٍ وازدهار . وإذا كان حضور العيد عند المتنبي حضوراً مرافقاً للحزن المحض ، فهو عند البردوني كذلك ، فهو عيدٌ لا يأتي بجديد ، بل لا يراه عيداً وإن قيل أنه جاء ، وبشرت به الأغنيات: -

يقولون جئت ، فماذا جرى ؟ وماذا تجلّى؟ وماذا اعترى ؟
تراك الأغاني جديد الشروق فأيُّ جديدٍ مفيدٍ ترى ؟
لقد كان (غار حرى) مأمناً فأمسى الردى ينبري من حرى !

وفي هذا النص يستدعي البردوني حشداً من الأعلام والشخصيات التراثية التي إرتبطت دلالياً بمعاني الزهو والكرامة والحياة المليئة بالإشراق والبطولة ، متمنياً لو اصطحبها العيد معه لتعود تلك الحياة الكريمة ، فذلك هو العيد الحقيقي عند الشاعر وليس الكائن الأثيري الذي تبشّر به الأغاني ولا يمر إلا على خرائب وويلات و أحزان وواقع لا يثير سوى البكاء : -

لماذا تعود ولا ينثني إلى العمر أموات هذا الثرى ؟
فيرجع (أخيل) يحث الخيول إلى قلب (يا فا) و(انكلترا)
فقد أفرخ (الروم) عشرين (روماً) وقد تفرخ الكثرة الأكثرا
ويرتد (عمرو بن معدي) يذود ضباع الفلا عن ليوث الشرى
يصيح أرى (نخعاً) مثلما عهدتُ ، ولا ألمح (الأشترا)
ويجري على إثره (ذو القروح) بمكنون رحلته مخبرا
فينساح (عبديغوث) يعبُّ نشيد الرواعي سنىً أخضرا

وهكذا يتواصل النص مستدعياً كل هذه الرموز ، في إطار أمنيات يدرك الشاعر تماماً استحالة تحققها . ويبدو أن هذا الفعل ، لا يفارق البردوني في جل قصائده ، مما يشي بعلاقة وثيقه تربط الشاعر بالتاريخ ومعرفة دقيقة بحوادثه وشخوصه ، لاسيما تلك التي ما زالت تسهم في حركة الحياة الجديدة وتواصل حضورها الفاعل رغم غيابها الجسدي ، وإن ارتدت أقنعةُ مغايرة .حيث نجده حريصاً على استقطاب الشخصية التراثية وزجّها في سياقه الشعري جاداً مرةً وساخراً مرةً أخرى ، ففي مجموعة واحدة هي مجموعته (روّاغ المصابيح)

مثلاً نجده يفعل ذلك في أكثر من نص منها على سبيل المثال : (حراس الخليج) [112] و (صحفيٌّ ووجه من التاريخ) [113] و (حقيقة حال) [114] وغيرها ...

الخاتمة :-

جاء هذا البحث في التناص مع الشخصية التراثية عبر آليات الحوار والاستدعاء والإشارة ، ليكشف عن جانب مهم من جوانب الرؤية الشعرية الحداثية العربية التي عمد اليها البردوني في سبيل تحقيق البنية الشعرية المتفاعلة مع النصوص السابقة عبر مختلف الفضاءات والحقول الدلالية .

وقد أكد البحث ان البردوني لم يكن غائبا عن التحولات التي شهدتها حركة الحداثة الشعرية العربية ، وانما كان جزءاً من حركتها وتشكّلها .

فالمتأمل في نص البردوني يجده قائما على امتصاص وتحويل عدد من النصوص السابقة والدخول معها في علاقات تناصيّة جدلية ، حيث يحرص الشاعر على لعبة الحضور والغياب للنص السابق في نصّه اللاحق ، وهو يتقن توظيف الشخصية التراثية اتقاناً لافتا ينم عن دراية ووعي بمجريات التاريخ وبحضور الشخصية ودورها ، فضلا عن معرفته الدقيقة بالايحاءات المرافقة للشخصية ، ولاسيما لتلك الشخصية ذات الحضور الفاعل المؤثر في حركة الواقع المعاصر مع اختلاف المسميات والأقنعة .

وقد وقف البحث على الآليات التي وظفها البردوني ابتداءً بآلية الحديث الى الشخصية التي يعمد اليها حين يحس أن الشخصية لا تحمل ملامح تجربته الذاتية ، وانما تجسّد بعدا موضوعيا من أبعاد تجربته الموضوعية ، وانتهاءً بالشخصية رمزاً ، عبر آلية الإشارة التي يعمد اليها للإفادة من طاقة الرمز ولإشراك المتلقي في العملية التفسيرية أو التأويلية للنص ، مرورا ببقية الآليات مثل آلية الحوار مع الشخصية التي تعمد الى استدعائها بالقول تارة ، وبالدور تارة اخرى ، وكذلك آلية الحديث عن الشخصية التي يعمد معها الى تحويل النص الى (مونولوج) طويل ، أو عدّة (مونولوجات) متتابعة يصبح النص معها من أشبه ما يكون بأسلوب الحكي .

وختاماً نأمل أن يكون هذا البحث بما كشف عنه ، قد أسهم في إضاءة زاوية من زوايا تجربة شعرية مهمة لعلمٍ من أعلام الشعر اليمني والعربي عموماً ، وبين آليات اشتغال البردوني في تناصّه مع الشخصية التراثية ، محققاً ما وعد به .

والله الموفق ...

هوامش البحث :-

(1) البردوني ، عبدالله ، رحلة في الشعر اليمني قديمه و حديثه ، ط 1 ، القاهرة ، 1971م ، صـ 220 .

(2) البردوني ، عبدالله ، الثقافة و الثورة في اليمن ، دار الفكر بدمشق ، ط4 ، 1998م ، صـ 13 .

(3) البردوني ، عبدالله ، قضايا يمنية ، دار الفكر بدمشق ، ط 5 ، 1996م ، صـ 214

(4) ينظر : البردوني ، عبدالله ، ديوان عبدالله البردوني ـ الأعمال الشعرية ـ المجلدان الأول والثاني ، إصدارات الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء ، 2002م .

(5) المقالح ، د . عبدالعزيز ، مقال : ملامح حداثية في شعر البردوني ، مجلة الكويت ، العدد 227 .

(6) المقالح ، د . عبدالعزيز ، مقدمة ديوان البردوني ، الأعمال الشعرية ، إصدارات الهيئة العامة للكتاب ،

(7) طاهر ، عبدالباري ، مقال : البردوني الذي يرى ما لا يُرى ، مجلة الحكمة ، إصدارات اتحاد الأدباء و الكتاب اليمنيين ، العدد 227 ، خريف 2003م ، صـ 5 .

(8) ينظر : بارت ، رولان ، مقال : من الأثر الأدبي إلى النص ، ترجمة عبدالسلام بنعبدالله ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد 38 ، آذار 1986م ، بيروت ، صـ 115

(9) ينظر : دوبيازي ، مارك ، مقال : نظرية التناصيّة ، ترجمة الرحوتي عبدالرحيم ، مجلة علامات ، ج 21 م 6 ، 1996م صـ 310 .

(10) ينظر : لوشن ، د . نور الهدى ، مقال : التناص بين التراث و المعاصرة ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة و اللغة العربية و آدابها ، ج 15 ، ع 26 ، صفر 1424هـ ، صـ 1020 .

(11) ينظر : طه ، عبدالرحمن ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، صـ 41 .

(12) الموسى ، د . خليل ، مقال : التناص و الأجناسية في النص الشعري ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد 305 أيلول 1996م ، السنة 36 ، دمشق ، صـ 83 .

(13) ينظر: بارت، رولان، درس السيميولوجيا ، ترجمة عبدالسلام بن عبد العالي ، تقديم : عبدالفتاح كليطو ، ط 2 ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1986 ، صـ 63

(14) إيغلتون ، تيري ، نظرية الأدب ، ترجمة ثائر ديب ، وزارة الثقافة ، سوريا ، 1995م ، صـ 236 .

(15) إسماعيل ، د . عزالدين ، الشعر العربي المعاصر- قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 3 ، صـ 37 .

(16) الفيل ، سمير ، مقال : شاعر النبوءة .. قراءة في أعمال أمل دنقل ، سفر أمل دنقل ، تحرير : عبلة الرويني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1999م ، صـ 176.

(17) مفتاح ، محمد ، إستراتيجية التناص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1985م ، صـ 65 .

(18) ينظر : البردوني ، عبدالله ، قضايا يمنية ، صـ 283 .

(19) م . ن ، صـ 285 .

(20) ينظر : م . ن ، صـ 287 .

(21) البار ، د . عبدالله حسين ، مقال : في رحاب البردوني ، ملحق (الثورة الثقافي) ، العدد 14537 ، أغسطس 2004م ، صـ 16 .

(22) ينظر : - على سبيل المثال- البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، قصيدة (في حضرة العيد) ، مجلد 2 ، صـ 1320 .

(23) ينظر : صغير ، د . أحمد عزي ، جدلية الحداثة في شعر البردوني ، رسالة ماجستير إلى جامعة بغداد ، كلية التربية ، 2001م ، صـ 53

(24) زايد ، د . علي عشري ، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، الشركة العامة للنشر و التوزيع ، طرابلس ، 1978م ، صـ 267 .

(25) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 1 ، صـ 624 .

(26) أبو تمام ، ديوانه ، بشرح الخطيب التبريزي ، تح محمد عبده عزام ، دار المعارف ، ط 5 ،القاهرة، 1987 المجلد الأول ، صـ41

(27) م . ن ، ط4 ،1983م ، المجلد الثاني ، صـ72 .

(28) م . ن ، المجلد الأول ، صـ 68 .

(29) م . ن ، المجلد الأول ، صـ 222

(30) م . ن ، المجلد الرابع ، صـ 466

(31) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 1 ، صـ 341 .

(32) ينظر : فضل : د . صلاح ، تحولات الشعرية العربية ، مكتبة الأسرة (سلسلة الأعمال الفكرية) ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2002م ، صـ 250 .

(33) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 1 ، صـ 341 .

(34) أبو نواس ، الحسن بن هانئ ، ديوان أبي نواس ، الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1987م ، صـ 456

(35) ينظر : قضايا يمنية ، صـ 285 .

(36) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 1 ، صـ 347 .

(37) م . ن ، مجلد 2 ، صـ 1331 .

(38) م . ن ، مجلد 2 ، صـ 854 .

(39) م . ن ، مجلد 2 ، صـ 856 .

(40) المتنبي ، أحمد بن الحسين ، ديوانه ، تح : د . عبدالوهاب عزام ، منشورات دار الجمهورية للصحافة (كتاب الجمهورية للتراث) ، ج 2 ، صـ 273 .

(41) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 2 ، صـ 857 .

(42) المتنبي ، ديوانه ، ج 2 ، صـ 289 .

(43) المتنبي ، ، ديوانه ، ج 2 ، صـ 345 .

(44) م . ن ، ج 3 ، صـ 405 .

(45) م . ن ، ج 2 ، صـ 367 .

(46) م . ن ، ج 2 ، صـ 386 .

(47) م . ن ، ج 2 ، صـ 229 .

(48) م . ن ، ج 2 ، صـ 386 .

(49) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 2 ، صـ 843 .

(50) مسلم ، د . صبري ، مقال : الحوار في شعر البردوني ، مجلة الثقافة ، إصدارات وزارة الثقافة و السياحة اليمنية ، العدد 76 ، لسنة 2004م ، صـ 48.

(51) العلاق ، د . علي جعفر ، الشعر و التلقي- دراسات نقدية ، دار الشروق ، عمّان ، 1997م ، ط 1 ، صـ 105 . نقلاً عن : Princeton Encyclopedia of Poetry and Poetics,ed Preminger , London,1979 . p.6

(52) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 2 ، صـ 1080 .

(53) م . ن ، مجلد 1 ، صـ 765 .
(54) صغير ، د . أحمد عزي ، جدلية الحداثة في شعر عبدالله البردوني ، م س ذ ، صـ 119
(55) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 2 ، صـ 1590 .
(56) م . ن ، مجلد 1 ، صـ 709 .
(57) م . ن ، مجلد 2 ، صـ 1449 .
(58) م . ن ، مجلد 2 ، صـ 1261 .
(59) م . ن ، مجلد 2 ، صـ 1138 .
(60) م . ن ، مجلد 2 ، صـ 1147 .
(61) مجاهد ، أحمد ، أشكال التناص الشعري ـ دراسة في توظيف الشخصيات التراثية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998م ، صـ 155 .
(62) النابغة ، ديوانه ، شرح ديوان النابغة ، دار مكتبة الحياة ،بيروت ، لبنان ، ب ت ،صـ 54
(63) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 1 ، صـ 672 .
(64) م . ن ، مجلد 2 ، صـ 1633 .
(65) البردوني ، الأعمال الشعرية ، مجلد 2 ، صـ 1376 .
(66) م،ن ، مجلد 2 ، صـ 1355 .
(67) عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه ، شرح أ . عبد علي مهنّا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1986، صـ 124
(68) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 2 ، صـ 1280 .
(69) عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه ، صـ 416 .
(70) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 2 ، صـ 1313 .
(71) ينظر : الأصفهاني ، أبو الفرج ، الأغاني ،شرحه وكتب هوامشه أ. عبد علي مهنّا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، صـ 129
(72) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 2 ، صـ 997 .
(73) ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، دار إحياء العلوم ، ط3 ، بيروت ، 1987، صـ 214
(74) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 2 ، صـ 1639 .
(75) ينظر : البغدادي ، عبدالقادر بن عمر ، خزانة الأدب ، تح : عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، المجلد الثامن ، صـ446
(76) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 1 ، صـ 642 .
(77) امرؤ القيس ، ديوان امرؤ القيس ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ذخائر العرب 24 ، ط 5 ، 1990م ، صـ 8 .
(78) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 2 ، صـ 1459 .
(79) ينظر : المعاضيدي ، د . علاء ، مقال : القرآن الكريم حقلاً للتناص ـ قراءة في شعر البردوني ، مجلة الغراء ، إصدارات اتحاد الأدباء و الكتاب اليمنيين ـ فرع زبيد ، العدد 9 -10 ، يونيو - ديسمبر ، لسنة 2007م
(80) مجاهد ، أحمد ، أشكال التناص الشعري ـ دراسة في توظيف الشخصيات التراثية ، صـ 87 .
(81) البردوني ، عبدالله ، الأعمال الشعرية ، مجلد 1 ، صـ 826 .
(82) م . ن ، مجلد 1 ، صـ 419 .
(83) ينظر : مجاهد ، أحمد ، أشكال التناص الشعري ، صـ 299
(84) البردوني ،الأعمال الشعرية ، مجلد 1، ص 150
(85) م . ن ، مجلد1 ، صـ 195 .
(86) ينظر : عزي ، د . أحمد ، جدلية الحداثة في شعر عبدالله البردوني ، صـ 58
(87) ينظر : العلاق ، د. علي جعفر ، الشعر والتلقي ، صـ 133
(88) ينظر : إسماعيل ، د. عزالدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر . صـ 165
(89) ينظر : حوزي ،إينو ،جدلية علم الإجتماع بين الرمز والإشارة ، ترجمة د. قيس النوري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1998م صـ 206
(90) البردوني ، الأعمال الشعرية ، مجلد2 ، صـ 843
(91) م . ن ، مجلد ، 2، صـ 848
(92) م . ن ، مجلد ، 2 ، صـ 877
(93) م . ن ، مجلد ،2 ، صـ 959
(94) م . ن ، مجلد ، 1، صـ 743 – 744
(95) م . ن ، مجلد ،1 ، صـ 626
(96) م . ن ، مجلد ،1 ، صـ 383

(97) م . ن ، مجلد ،2 ، صـ 1448
(98) م . ن ، مجلد ،2 ، صـ 872
(99) م . ن ، مجلد ،2 ، صـ 1198
(100) م . ن ، مجلد ،1 ، صـ 790
(101) م . ن ، مجلد ،2 ، صـ 1524
(102) م . ن ، مجلد ،2 ، صـ 1723
(103) م . ن ، مجلد ،2 ، صـ 1738
(104) م . ن ، مجلد ،2 ، صـ 1666
(105) م . ن ، مجلد ،2 ، صـ 1449
(106) ينظر : عزي ، د . أحمد ، جدلية الحداثة في شعر عبدالله البردوني ، صـ 124
(107) البردوني ، الأعمال الشعرية ، مجلد 2، صـ 1449
(108) م . ن ، مجلد 1 ، صـ 549
(109) م . ن ، مجلد 1 ، صـ 670
(110) م . ن ، مجلد 2 ، صـ 1320
(111) ينظر: فضل ، د. صلاح ، تحولات الشعرية العربية ، صـ 104
(112) البردوني ، الأعمال الشعرية ، مجلد 2 ، صـ 1360
(113) م . ن ، مجلد 2 ، صـ 1327
(114) م . ن ، مجلد 2 ، صـ 1344

الإمام النـــورســـي و وحدة الأمة الإسلامية
" قراءة تاريخية"

د/ ليث سعود جاسم
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك - الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا
د/ إيمان محمد عباس
أستاذ اللغة العربية والحضارة الإسلامية المساعد - الجامعة الوطنية الماليزية

الملخص :

يتناول هذا البحث قضية مهمة في أيامنا هذه تحتاج إلى وعي بالأفكار، والمتغيرات التي لا تحيد بنا عن الثوابت في سبيل إيصال رسالة الإسلام إلى الآخرين وهذا يتطلب منا الانضباط بمصدريتنا الشرعية [الكتاب والسنة] ، نقف عند ثوابتها ولا يمنعنا أن نأخذ عن غيرها ما فيه فائدة لدينا في وسائل وعلوم ، لتحسين واقعنا وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح يكون نابعاً من بيئتنا ومرجعيتنا الشرعية ، وتكون أمنيتنا قوة لها دورها في الأحداث لأن تحدث لها الأحداث ، فلا زالت أمتنا معطاءة وغنية بالرجال وإنما تفرق الكلمة ، وضيق الصدور بين الأطراف الداعية للإصلاح إن كانت دولا أو جماعات من أبرز أسباب ضعفنا ، فلعلنا بفقه الواقع وبتجرد النفوس نسمو معا ، وهذا يحتاج إلى صدق و عمل دقيق متواصل ، ولعل البحث قد أكد في مجمله على عدد من النقاط المهمة :

1. إن للأستاذ النورسي منهجية واقعية عاناها في عملية الدعوة إلى حفظ الأصالة ومواكبة المستجدات التي تحقق مصالح الأمة ورسم لنا منهجاً للتوحد بقواعده وضوابطه على حسب الأحداث التي عاصرها وعاناها.

2. أهمية احتفاظ الأمة بشخصيتها النابعة من مرجعية لها ثوابتها والتي تقف عندها لا تتعداها ، وأن تسجيب للمتغيرات و تستعين بها بشكل لا يتعارض مع الثوابت الفكرية والعقدية

3. أهمية الحوار في عملية توحيد الأمة في مواقفها مع الالتزام بقواعد وآداب توصلنا إلى الأهداف وتبعدنا عن التناحر والتنافر أفرادا كنا أو جماعات أو مؤسسات أو دولا.

مقدمة:

يتناول هذا البحث قضية مركزية بالنسبة للأمة الإسلامية من خلال رؤية الإمام بديع الزمان النورسي ، قضية تمثل خطاً رئيساً في بناء الفكر الإسلامي بل هي مطلب شرعي قبل هذا وذلك، قال تعالى: ﴿وإن

هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ .

إنه مطلب الوحدة ، الذي كان وما يزال يشغل الأمة المسلمة وعلماءها ورجالها في كل زمان ومكان ، فالكثيرون رفعوا راية الدعوة إلى وحدة الأمة بعد كل انكسار أو تفريط بهذا الثابت في الإسلام ، وما أحوجنا إلى إعادة النظر في الخلل الذي أصاب وحدة أمتنا أفرادا أو مجموعات صغيرة ، أو حركات شعبية أو قوى وطنية امتدادا إلى مستوى الدول والحكومات التي يطالبها الشارع العربي والإسلامي بالتنسيق في القضايا المصيرية على الأقل و العمل معا في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية تحقيقا للكثير من آمال وطموحات الشعوب العربية والإسلامية ، قد يقول قائل إن وحدة الشعوب التي فرقتها الحدود الجغرافية والسياسية للدول القومية الحديثة أمر شبه مستحيل ، لكن ذلك لا يثني عزائم الداعين إلى الوحدة عن القول بأن عدم التوحد لا يعني استحالة التعاون والتكامل في الكثير من جوانب الحياة المعاصرة ، التي صارت فيها الدول تفضل الاتجاه إلى التكتلات الاقتصادية و التجمعات الأمنية الإقليمية ، وصفقات الاندماج بين الشركات لتشكيل شركات اقتصادية عملاقة الواحدة منها تساوي دولا من دول العالم الفقيرة أو النامية من حيث ثقل رؤوس أموالها.

من هذا المنطلق انبثقت فكرة البحث ، وذلك بتسليط الضوء التاريخي على قضية الوحدة وهمها في فكر الإمام المعروف النورسي ، وجاء اختيار النورسي لعدة أسباب أهمها :

- لأنه عاصر فترات عدة وشهد تحولات ومتغيرات خلال عمره الطويل الذي عاشه (1294هـ - 1877م / 1380هـ - 1960م) شهد العالمان العربي والإسلامي خلالها تقلبات كبيرة في كياناته السياسية التي انقسمت إلى دويلات حتى آلت إلى ما صارت إليه اليوم ، فقد شهد النورسي أواخر دولة الخلافة ، ثم مجيء الاتحاديين في ظل السلاطين الضعفاء ، ثم إلغاء الخلافة ، فالعصر الجمهوري، ثم التحولات في عهد عدنان مندريس.
- ثم إن رحلة حياته المباركة التي دامت 83 عاماً قدمت لنا نموذجا معاصرا في طلب العلم والتعليم والإصلاح ، والصبر الجهاد السلمي حتى لقي ربه رحمه الله.
- كما اخترنا النورسي لكونه انطلق من قلب الدولة التي كانت رمزا دينيا وسياسيا وثقافيا لوحدة المسلمين ، في فترة ظهور ثم سيادة الفكر القومي إنكارا لضرورة الوحدة بين المسلمين وتقديما للقومية على رابطة الدين على اتساع ظلها جغرافيا وبشريا.
- ولأن النورسي سلك في مساره طرائق متعددة وأنماطا مختلفة في العمل تتناسب وكل حال مع استصحاب الأصل وهو الالتزام بالشخصية الإسلامية ومرجعيتها والحفاظ على ثوابتها ومجاراة المستجدات والتعامل معها من خلال تلك المرجعية.

ولهذا جاء البحث محاولة لرصد رؤية الإمام النورسي في الحفاظ على وحدة الأمة التي تفتت بعوامل داخلية وخارجية ، وإبراز القواعد والضوابط والمفاتيح التي تعامل بها، وذلك من خلال محورين أساسيين :

- **المحور الأول** : يتحدث عن الخلفيات التاريخية وتداعياتها وأثرها في تفتت الدولة الواحدة إلى دويلات، و من العقيدة الواحدة، إلى أيديولوجيات متصارعة.
- **المحور الثاني** : يتحدث عن الرؤية النورسية للأحداث وكيفية التعامل معها من خلال نماذج متنوعة في تطبيق تلك الرؤية.

المحـــور الأول

الأحداث التاريخية وتداعياتها وأثرها على وحدة الأمة

عاش الأستاذ سعيد النورسي مراحل التغيير في المجتمع العثماني ، فقد رأى بأم عينيه تفكك هذه الدولة وتغيير القيادة الفكرية والسياسية، عاش مرحلة الإعجاب بالأفكار الواردة والصراع الفكري الخفي والجلي حتى بدأت المخططات الغربية تحاك لاقتسام تركة الرجل المريض ولكن قيّض الله لهذا الرجل المريض من يحاول أن يعتني به لكيلا يقع تحت سكاكين المقتسمين لتركته ذلك هو السلطان عبد الحميد الثاني ﷺ والذي تولى السلطنة قبل سنة من ولادة الأستاذ بديع الزمان الذي ولد سنه (1877هـ - 1294م). ﷺ

ابتداء فشلت جميع الخطط التي حاولت دول بواسطتها إسقاط الدولة العثمانية والتي بدأها التحالف الأوربي الروسي بإعلان الحرب المقدسة عليها ، وقد شهد بذلك أحد الوزراء الرومان (Djuvara) كتاباً بعنوان : ﷺ (Cent Projects de Barage de la Turquie) أي [مائة مشروع في تقسيم تركيا].. وكان المخطط المختار والذي نجح هو تفكيك الدولة العثمانية من خلال إيقاع الفتنة بين قومياتها الرئيسة وفرز فكرة التحرر من الاستبداد وإنشاء كيان سياسي منفصل لكل قومية وبخاصة القوميات الرئيسية: التركية ، العربية ، والكردية ، والألبانية.

آليات التفكيك:

إحياء التنادي بالقومية في دولة قامت على الإسلام الذي وحد قومياتها لقرون طويلة كان أمرا صعبا ولهذا فإن هذا المخطط الخطير يحتاج من ينفذه وبأيدي أبناء كل قومية ضمن مشروع جديد معاكس يقوم على فكرة ومنفذ ووسائل للتنفيذ..؟

1- **المضمون الفكري**: الفكرة التي تهدد وحدة الأمة الإسلامية هي القومية لا لأنها محبة القوم والاعتزاز بالنسب فليس ذلك هو الهدف ، ولو كان عند ذلك الحد لأمكن الاستفادة منها إيجابيا كما شهد

بذلك تاريخ الفتوحات الإسلامية ، ولكن القومية الحديثة هنا أيديولوجية جديدة وتعني اصطلاحاً: "الانتماء إلى أمة معينة والتعلق بها وتقوم على عنصرين:

1. **عنصر موضوعي:** ويتمثل بالروابط المشتركة التي تجمع بين أفراد هذه الأمة كالاشتراك في العِرق أو اللغة أو التاريخ،
2. **وعنصر معنوي أو شعوري:** يتمثل في الحالة النفسية والفكرية التي يولدها الشعور بالانتماء والتعلق بالرباط الذي يوحدهم.[٣٣]

وعرّفها آخر بقوله: [٣٤] "النظرية التي مؤداها أن كل دولة لابد وأن تقوم بالارتكاز على أمة وأن كل أمة لابد أن تتشكل في دولة".

ولذلك نرى أن الغرب قد اتخذ هذا السبيل في محاولة بث الشعور بالانفصال عن الدولة العثمانية وإيجاد كيان سياسي خاص لها ، ولكن على حساب الأمة الواحدة القائمة على الرسالة الواحدة والولاء لقيادة واحدة.

وللوصول إلى ذلك روجت الجهات الغربية بين الأتراك وعن طريق الماسونية ومحافلها الاعتقاد الذي ساد بأن الإسلام يتناقض مع فكرة الجنس وأنه هو الذي حال دون نشوء حضارة الأتراك ![٣٥] ، وبالتالي فإن الحركة الطورانية هي المنقذ للأتراك من الضياع وأن يسيروا على هدى جينكيز خان وتيمورلنك من أجدادهم العظام.![٣٦] ، وأنه يلزم الشعوب الطورانية أن تعود لأصلها العرقي ولأمجاد قوميتها التركية ، وكان شعارهم ترك التدين وإهمال فكرة الجامعة الإسلامية.[٣٧]

وروجت الجامعة الأمريكية في الشام لمفهوم القومية العربية على أنها "الحركة السياسية التي تدعو إلى تمجيد العرب وإقامة دولة لهم على أساس رابطة الدم و القربى واللغة والتاريخ وإحلالها محل رابطة الدين" وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوربا.[٣٨]

ومن المفارقات أن نصارى الشام هم أول من روج لدولة عربية قومية انطلاقاً من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "الأئمة من قريش"[٣٩] بل أصدرت أول صحيفة من قبل نصارى الشام باسم (الخلافة) وكان السبق في ذلك لرموز الشام النصارى المعروفين أمثال نجيب عازوري (ت1916م) الذي دعا لإحلال رابطة الجنس والوطنية بدل رابطة الدين وأسس المحفل الماسوني بمصر ليتولى الدعوة إلى ذلك من خلاله.[٤٠] وإضافة إلى ذلك قد أسس عازوري جمعية (جامعة الوطن العربي) ، ومن الرموز المؤثرين أيضا إبراهيم اليازجي وناصيف اليازجي الذين دعوا إلى أن تكون مبادئ الثورة الفرنسية مضموناً فكرياً للحركة القومية.[٤١]

وأما الأكراد فقد كان له دور سياسي وعسكري وحضاري بارز في عموم التاريخ الإسلامي وفي ظل

الدولة العثمانية خاصة ، فقد كانت لهم خصوصيتهم في عصر السلطان عبد الحميد ، ولم يشعروا بأن الدولة العثمانية دولة معادية لهم يوما ما، وبذلك كانت الكتائب الحميدية دليلاً على هذا الولاء لدولة الخلافة والتي كان لها دور هام لحماية حدود الدولة العثمانية من هجمات الارمن الذين تحركهم روسيا للاعتداء على الدولة العثمانية ، وما تم من ثورات وتمردات إنما كانت بعد خلع السلطان عبد الحميد (1909م) وضد دولة الاتحاد والترقي التي تولاها القوميون ، ولم تكن ضد استنبول كخلافة إسلامية ، حيث قامت ثوراتهم عندما لم يعد للخلفاء بعد عبد الحميد إلاّ رموزاً تستغل كاسم في مخاطبة الأمة الإسلامية لطلب الإسناد والتعاون. [يز]

وقد بدأ النشاط القومي بين الأكراد بعد حصول الانقسام وسط دعاة الثورة ضد دولة الخلافة باسم التحرر والتقدم ولم تكن هذه الخلافات بين القوميات بعد إسقاطها للسطان عبد الحميد إلا زيادة في التقسيم والتشضي وتعميق الانفصام القومي وخاصة بعد سياسة التتريك التي مارسها الاتحاديون الطورانيون في تركيا[سم] ، واستغل الأمريكيون ذلك وأرسلوا دعاة التبشير الذين أنشأوا 450 مدرسة في كردستان تركيا، لتربية جيل من الكرد على الأفكار الغربية. [شم]

وأسهم في الترويج والتعميق بعض الرموز الكردية القومية الذين كانوا منتمين إلى الاتحاد والترقي أمثال مقداد بدرخان الذي أصدر جريدة (كردستان) في القاهرة سنة (1898م) والتي كانت تطبع في دار الهلال التي يديرها جرجي زيدان وكان الانجليز يدعمون المجلة ، ومن المفارقات أن الارمن أعداء الأمس هم الذين كانوا يوزعون المجلة بين أكراد العراق وتركيا وإيران!! [لم].

2- بداية النهاية:

اتفقت القوميات على شعارات التحرر من الاستبداد ونشر الحرية والمساواة والديمقراطية لتكون مبرراً لإسقاط الدولة العثمانية القوة العظمى للمسلمين في ذلك الوقت ورمز الخلافة الإسلامية باسم التحرر القومي.

ولكن سرعان ما دبّ الخلاف بين قيادات هذه القوميات التركية والعربية والكردية وطفت القومية الكبرى التركية التي استبدت بالسلطة بعد خلع عبد الحميد ، ومن ثم التحول للجمهور ثم إلغاء الخلافة والركون إلى العلمانية ، وإذا بالقوميات الأخرى تجد نفسها أمام سراب الفكر التحرري لتبدأ مرحلة الاضطهاد القومي في ظل ما أسموه بعصر التنوير والنهضة والتي كانت نكسةً وتراجعاً.[□□]

وفي هذا الخضم من التغيرات والانكسارات والمضامين الفكرية الأيديولوجية التي نجحت في تفتيت الأمة الإسلامية إلى فتات الفئات القومية والتي بنيت على أساسها الدويلات الحديثة في ظل الهيمنة الأوربية عاش الإمام النورسي بديع الزمان الذي وجد من واجبه إصلاح ما أفسد أهل زمانه.

3- المنفذ للمشروع:

اشتركت قوى متعددة في تنفيذ المشروع الذي أتى على الدولة الإسلامية العثمانية التي كانت رمزاً للإسلام بشموليته سياسة واجتماعاً واقتصاداً والقوة الحضارية من أواخر القرون الوسطى وإلى العصر الحديث حسب التقسيم الغربي للمراحل التاريخية وهي :

أولاً : المحافل الماسونية: كمحفل الشرق الأعظم الإنجليزي، ومحفل الشرق الأعظم الفرنسي، ومحفل الشرق الأعظم الإيطالي.

ثانياً : البعثات التبشيرية.

ثالثاً : المدارس التنصيرية و البعثات الطلابية إلى أوربا.

رابعا : الجمعيات السياسية والاجتماعية .

أولاً: المحافل الماسونية : وقد كان لهذه المنظمة اليهودية دور أساسي في عملية التغيير الفكري السياسي والاجتماعي في الدولة العثمانية ، فالمحفل الإيطالي له دور كبير في تجنيد الطلبة وتثقيفهم ثقافة غربية لا دينية وخاصة في مصر والشام ، وكذلك المحفل الفرنسي كان له دور في تربية الأتراك ماسونياً و وضع خطة إزاحة السلطان عبد الحميد ، ويمكن القول بكل تأكيد أن الثورة التركية كلها تقريباً من عمل مؤامرات يهودية ماسونية ، ليس هذا من باب الغرق في التفسيرات التآمرية لكن الحقائق التي تكشفت عبر كتب ووثائق وشهادات لا يسع المجال لجردها تثبت ذلك ، فالعقول الحقيقية لحركة تركيا الفتاة كانت عقولاً يهودية أو يهودية مسلمة ظاهرا ، و الثورة التي أنجزوها كان نتاج تدبير في مدينة سلانيك.□□

ثانياً: البعثات التبشيرية : تغلغلت البعثات التبشيرية تحت مظلة التسامح الإسلامي مع أهل الكتاب الذين أعطى لهم الإسلام حرية التدين والتنقل والتملك حتى إن السلطان العثماني سليم عندما أراد إخراج اليهود قال له علي أفندي شيخ الإسلام في زمانه ليس لك ذلك فإنهم مواطنون كما ذكر ذلك توماس أرنولد في كتابه (تاريخ الدعوة إلى الإسلام).

وكذلك قانون التنظيمات الذي وافق عليه سليمان القانوي و صار ذريعة للدول الغربية في لتوسيع دور الأقليات تحت شعار حماية حقوق غير المسلمين كاليهود والنصارى وإدارة شؤونهم الداخلية ، وهذا أعطى النصارى في الشام المجال للتحرك الواسع من خلال الصحافة والجمعيات المختلفة التي أنشأتها والمدارس التي أسستها ، وعلى سبيل المثال و في كردستان وحدها انتشر أكثر من 43 باحث ومبشر لدراسة كردستان وغيرها من البعثات التي تنقلت في الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه. [illegible]

ثالثاً: المدارس التنصيرية[21] : وانتشرت المدارس لتربية جيل جديد يدعو لإحلال رابطة القومية والوطنية بدل رابطة الإسلام ومن أهم هذه المدارس :

1. المدرسة الأمريكية ببيروت والجامعة بعد ذلك.
2. مدارس الغرير والدومتيكان في مصر.
3. مدارس روبرت كولجر سنة 1863م.
4. المدرسة الأمريكية في استانبول ، وهي التي كانت قبلها محضناً لرجال الفكر القومي وقادته.

رابعا : الجمعيات السياسية والاجتماعية: وقد كان للجمعيات الدور الأهم والفاعل في المتغيرات ، تفعيلا لدور الخريجين من تلك المدارس ، ومن المعروف أن العمل الجماعي المنظم له الفعالية في إنجاز أي تغيير في أي جانب من جوانب الحياة ، وقد حشدت الدول الأوربية واليهود وسائل متعددة من خلال هذه الجمعيات لأحداث التغيير الفكري في بيئة الشعوب الإسلامية العثمانية من أجل تفتيت الدولة والمجتمع.

تم تشكيل الجمعيات في أماكن متعددة داخل الدولة العثمانية وخارجها وشمل تشكيل الجمعيات قطاع المدني والعسكري وكان الطلبة هم طليعة هذه الجمعيات". [٢٢] ، وقد تعامل السلطان عبد الحميد مع هؤلاء الطلبة بتسامح ورحمة حتى أن رامزور النصراني يتعجب في تلك المعاملة فيقول: [٢٣] "وأما كاظم باشا... فقد انكشفت محاولته لخلع السلطان عبد الحميد... بل عينه مديراً لمشروع قطار الحجاز".

ومن الجمعيات في الشام: جمعية بيروت السرية (1875م) ومن أهم أعضائها: فارس نمر، والجمعية العلمية السورية (1868م) ومن أهم أعضائها: ميخائيل نعيمة، وجبران خليل جبران، وبطرس البستاني (1835) وهم خريجوا المدرسة البروتستانية وأعضاء في المحفل الماسوني في الشام. وفي مصر أسست جمعية اللامركزية الإدارية العثمانية (1912م) ، وجمعية العربية الفتاة في باريس (1911م). [٢٤]

4- وأما آليات التنفيذ ووسائلها فأبرزها :

1. الصحافة : الدور الأبرز في التأثير على الرأي العام الداخلي والخارجي ، كان للصحف الأوربية دور في وضع بصماتها في محاربة الدولة العثمانية ووصفها (بالرجل المريض) أو (المسألة الشرقية). أو تشويه الدولة في صورة السلطان عبد الحميد الثاني فتصفه (بالسلطان الأحمر) أو (المستبد) والمتخلف إلى غير ذلك من الأسماء والأفكار والتصورات التي رسخت إثر تكرارها وحبكها لسنوات طويلة في عقول الناس ، إلى جانب إثارة بعض القضايا باسم حقوق الإنسان مثل القضية الأرمنية التي كانت قميص الغرب في التدخل في أمور الدولة العثمانية وجعلها قضية دولية.[٢٥] ومن أوائل الصحف التي أصدروها في باريس ▪ التي كان تصدر كل الصحف والمجلات التي تهاجم الدولة العثمانية ▪ : (الميزان) و(مشورة) التي أصدرتها تركيا الفتاة وكانت الدول الغربية تهرب هذه الصحف وتوزعها في داخل تركيا.

2. نشر الكتب: نشر الكتب من أخطر الوسائل التي كانت وما تزال تستخدم في تأسيس الأفكار وترويجها بين الراي العام ، والنخبة من المجتمع على وجه الخصوص ، فقد رافق مخطط التغيير لهدم الدولة العثمانية

إصدار كتب من قبل المستشرقين من رعايا الدولة العثمانية ، كان هدفهم النفخ في الروح العرقية والقومية البغيضة والعودة إلى نظرية الأجناس والتفوق بينها ، فربط أفكار تلك الكتب الأتراك بالتتار والإشارة بزعمائهم مثل جنكيز خان، وهولاكو وتيمورلنك وغيرهم.

ومن هؤلاء الكتاب أحمد أغاييف القتاري (1312هـ - 1789هـ) الذي ركز على ربط الشعوب التتارية بعرقها الطوراني ، وكذلك اليهودي الهنكاري (قمري) Kamri الذي دعا إلى وحدة الأتراك بالانتماء إلى العرق والقوم بعيداً عن الدين بمفهومه الإسلامي[شـ] الذي أضعفه الإسلام حسب زعمه .

وجورج انطوينوس في كتابه يقظة العرب، انتشرت مثل هذه الكتب بين القوميين العرب والكرد ، كل منها تدعو إلى جذرها القومي وتؤكد على أفضليته ، [ـ] بل كانت تلك الكتب تتجاوز هدف زرع بذور الفكر القومي لتتجه نحو دفع قرائها إلى البعد عن الدين في حياتهم الشخصية أيضا وليس في موقفهم السياسي فحسب تجاه دولة الخلافة كرمز لنظام سياسي إسلامي في ذلك السياق الزمني على ما احتوت من جوانب نقص وضعف ، فبعض كتب مسيحيي الشام بدأت من فكرة الاعتزاز بالوحدة القومية وانتهت إلى الدعوة إلى البعد عن الأديان بقول أحدهم: "دعونا نقدم حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم الآخرة".[□]

هذه الوسائل لم تكن تسعى للهيمنة مباشرة بل كانت تعد مفاتيح بناء الفكر والثقافة ونشره بين الشعوب التي تتأثر بالمسموع والمكتوب من الأفكار فضلاً عن الانقياد لشخصيات انتصبت رموزاً لهذا النوع من الفكر وبخاصة إذا ملكت القوة والمال ووسائل الترويج للأفكار.

هذه التداعيات في الذاكرة التاريخية التي مرت بها الدولة العثمانية ضرورية لفهم دور الأستاذ بديع الزمان النورسي في الدعوة إلى وحدة الأمة في نطاقها الإسلامي أو المحلي والعالمي.

المحور الثاني

دور الإمام النورسي في وحدة الأمة

واجه الإمام النورسي واقعاً اختلطت فيه الأوراق وهجمة شرسة تقودها أطراف عديدة باسم القومية والتقدم وهي في الحقيقة تسعى لتمزيق دولة ولاسقاط نظام ، تحريكا للشارع وراء أوهام وسراب الحرية والأخوة والمساواة ، لقد التبس على الشعوب الأمر في التمييز بين حقيقة المبادئ وأصالتها ومصدريتها وبين الانهيار أمام بوادر لنهضة تقنية علمية ونمط أنظمة الحكم السائدة في أوربا ودساتيرها وبرلماناتها التي سحرت أعين الناس بفلسفتها ولبست عليهم الفكر.

وقد روجت أوربا - عبر مشاريع وخطط منظمة كما ذكرنا - الأفكار بين جماهير الأمة الإسلامية التي تدعو إلى التغيير والاقتداء بأوربا في ذلك ، و التي أصبحت المعيار في قياس التقدم والتأخر

والعلم والجهل والتحرر والاستبداد ، وانبرى لذلك كتاب وشعراء وسياسيون صنعوا صناعة ، وتم إعدادهم من أجل أن يلبسون الحق بالباطل ويشيعون أن سبب التأخر هو الدين الذي تتبعه الشعوب ، وعلى هذا "علينا أن نتبع أوربا في كل صغيرة أو كبيرة" ، حتى قال أحدهم : "لو أكلت أوربا نجاستها لأكلنا نجاستها أيضا".

في هذا الجو الفكري السياسي الاجتماعي المتصارع ولد وترعرع الإمام النورسي ، رموز وجمعيات وجماعات وصحف ومجلات تدعو إلى الإصلاح والإصلاح منها برئ ، تحت شعارات سلوك سبيل العلم والتقدم في هذه الجوانب المهمة.

وضوح الرؤية وتشخيص الداء:

لقد أدرك الأستاذ بديع الزمان حقيقة الهدف من وراء نشر الفكر القومي بين شعوب الدولة الإسلامية العثمانية فيقول: "لقد انتشر الفكر القومي وترسخ في هذا العصر، ويثير ظالموا أوربا الماكرون بخاصة هذا الفكر بشكله السلبي في أوساط المسلمين ليمزقوهم ويسهل لهم ابتلاعهم ولما كان الفكر القومي ذوق للنفس ولذة تغفل، وقوة مشؤومة.. نعم وأطماع أوربا لا تفتر ولا تشبع هي كالثعابين الضخمة الفاتحة أفواهها للابتلاع"[1].

وكذلك لمس الآثار التي أوجدها التعصب القومي حيث تنادى في الدولة العثمانية بعد عزل السلطان عبد الحميد محذراً المسلمين و مذكراً لهم بما حصل في أوربا لما دعا بعض الأوروبيين إلى العنصرية وأوغلوا فيها في هذا العصر مما أثار العداء التاريخي المليئ بالحوادث المريعة بين الفرنسيين والألمان وغيرهم من قوميات أوروبا" [2] ، التي وعت شعوبها بخطر مثل هذه الدعوات وصارت اليوم تتجه إلى التوحد الذي سار عبر مراحل إلى تبلور في منظومة الاتحاد الأوروبي . وعى النورسي لهذا الخطر مبكرا فأشار بقوله "وكذلك الحال فينا: ففي بداية عهد الحرية (أي إعلان الدستور) تشكلت جمعيات مختلفة... تحت أسماء أندية كثيرة سببت تفرقة القلوب.. "أما الآن فإن التباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقبائله، بسبب من الفكر القومي هلاك عظيم وخطب جسيم" كما استغلت إثارة النعرة القومية مجدداً للتفريق بين الأخوة العرب النجباء، وبين الأتراك المجاهدين فهم الاضطراب وسلبت كرامة الناس".[3]

محاور محاولة الإصلاح والدعوة للتوحد:

كان الأستاذ النورسي دؤوباً في نشر العلم في منطقته الشرقية متنقلاً بين مدنها ، كان يشعر بأن المنطقة الشرقية تحتاج إلى اهتمام أكثر وبحاجة في الجوانب التعليمية التي هي أساس حل مشكلات المجتمع بصورة عامة ، ومنطقة شرق بصرة خاصة والتي كانت تتسم بالقبلية وتكثر فيها النزاعات وإراقة الدماء وكانت الإدارة فيها ضعيفة في حلّ تلك المشاكل ، لذا فكان يسهم هو في حل بعضها بما له من المكانة في قلوب الناس." [4]

1 - **الإصلاح التعليمي:** غلب على ظن النورسي بأن التغيير الاجتماعي لا يتأتى إلاّ بالتغيير العلمي وإيجاد جيل مثقف يسهم في حل مشكلات الأمة ، فكان يرى بأن مناهج المدارس الدينية وطرق التدريس تحتاج إلى تغيير وتطوير ، وأول طرق الإصلاح إصلاح نظام التعليم والذي شجعه على أن ينمي الفكرة إلى بناء جامعة تدرس العلوم الدينية والعلوم الحديثة لإيجاد جيل يفهم المخططات الغربية التي تحاول باسم العلم الحديث أن تشكك الطلاب بالإسلام [1] ، كان لديه يقين "بأن المستقبل سيكون للإسلام وللإسلام وحده، وإن الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن والإيمان". [2] وعلى هذا "فإن المستقبل الذي لا حكم فيه إلا للعقل والعلم سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامه إلى العقل والمنطق والبرهان".[3]

وعزز هذا الحماس لتحقق مشروع الجامعة التي اقترح لها اسم الزهراء تيمناً بالجامع الأزهر بمصر ما قرأه في الصحف من أن غلادستور وزير المستعمرات قد صرح أمام مجلس النواب البريطاني بقوله وهو يحمل المصحف: "إننا لا نستطمع أن نحكم المسلمين ما دام هذا الكتاب في أيديهم فلا مناص من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلته المسلمين به" ، فكان رده :"وقد قررت أن إجابة هذه المؤامرة الخطرة مستمداً لاقوة من القرآن العظيم".[4]

2- **نصح الحاكم و العدالة في فرص الولايات:** تحت تأثير هذا الحس الجاد الذي يحمل هموم الإسلام توجه الأستاذ النورسي إلى استانبول سنة 1896م لأجل طرح مشروعه على السلطان عبد الحميد ولكنه لم يوفق إلى ذلك ، ثم رجع إلى مدينة (وان)، ولما تفاقمت الأمور رجع مرة أخرى سنة 1907م إلى استانبول. [5] وحمل مطالبه الإصلاحية وهي كالآتي: [6]

1. الاهتمام بالمنطقة الشرقية : لأن أهلها يعدون جزءاً مهماً من الأمة العثمانية ، وتحدث عن أهمية إيصال الخدمات إليهم.
2. إصلاح مناهج التعليم وطرق التدريس وإدخال العلوم الحديثة جنباً إلى جنب مع العلوم الإسلامية.
3. قدم نصيحة للخليفة فحواها أن دولة الخلافة مسؤولة عن كل المسلمين في العالم ، وأن دور الخليفة لا ينحصر في إقامة شعائر صلاة الجمعة.
4. الابتعاد عن نظام الاستبداد والاعتماد على التقارير السرية التي قد تسيئ إلى رجال الأمة والتي توجه دسائس معينة لمقاصد شخصية.

كانت هذه المطالب نفثات مخلصة لأجل التنبيه والنصيحة للسلطان عبد الحميد إذ الذي وصفه النورسي بقوله: "كان السلطان عبد الحميد خليفة لستين مليوناً من المسلمين، وأنا أعده ولياً من أولياء

الله".[1]

ومع ذلك فقد أوقف لمدة ثمانية أشهر لاشتباههم في أنه إما من تيار الاتحاد والترقي أو من بعض المتعصبين الأكراد ، ولكن التحقيق والتقارير أثبتت خطأ ذلك لذا اعتذر منه السلطان على لسان معاونيه وأمر بإجراء مرتبه بل وزاده فرد النورسي ذلك بأن النصيحة تكون من غير مقابل ، وأبلغ بأن مشروع الجامعة تحت الدرس.[2]

3 - التعرف على المعارضة وطروحها: من جانب آخر حاول الأستاذ النورسي التعرف على القوى العاملة باسم الإصلاح والاقتراب منها واكتشاف أسرارها ، فسافر إلى سلانيك وأسهم مع الاتحاديين في الابتهاج بصدور (المشروطية الثانية) في عام 1908م ، وهي إعادة العمل بالدستور بعد توقف العمل به بسبب الحرب الروسية العثمانية وظروف الدولة ، وكان إعلان الدستور العثماني وصياغته على النمط الأوروبي وهو ما يعرف بالمشروطية الأولى قد تم في عام 1876 ، نتيجة مطالب الاتحاديين والجيش والسياسيين والأوساط الفكرية التي استجاب لها السلطان عبد الحميد الثاني أخيرا.

وقد خطب النورسي في هذه المناسبة أمام الجماهير المحتشدة مبينا مفهوم الحرية الحقيقية بأنها الحرية التي يرسم الشرع حدودها ، وليست الحرية الفوضوية التي لا ضابط لها ، وأكد في خطابه على ضرورة اقتباس العلوم الحديثة دون الأخذ بالجوانب السلبية في الحياة الغربية.[3]

وقد لاحظ الأستاذ النورسي ظهور الدعوة إلى الإلحاد والعلمانية وتقييد الإسلام منهجا ونظاما لحياة الناس ، وذلك على صفحات الجرائد ومن خلال طباعة الكتب ، وكانت حركة الاتحاد والترقي هي التي تروج لذلك مما دفعه إلى اتخاذ موقف الرد المتواصل لتفنيد الدعوات الباطلة ، وكان يستهدف من خلال النصح والنقد والتذكير حفظ التوازن لأنه كان يريد أن يكون المجتمع ملتزما بالمشروطية والشورى والحرية في الكتابة والخطابة ، مع التحذير من أهداف وتحركات جمعية الاتحاد والترقي.[4]

4- الانضمام للاتحاد المحمدي: تحت هذا الإسلام أنشأت جمعية لمواجهة ظاهرة العداء للإسلام وكان لها مجلة (وولقان) أي البركان يرأس الجمعية رجل قبرصي اسمه درويش وحدتي، وكان الشيخ النورسي عضواً في الاتحاد المحمدي وينشر مقالاته في جريدة (وولقان).

كانت سياسة المجلة التحريرية تتوافق مع أفكار الأستاذ النورسي كالدعوة إلى الوحدة والبعد عن التفرقة وعدم إعطاء المبرر لبعض الحركات المتطرفة بإثارة القتال بين أبناء البلد الواحد.[5]

5 - إصدار رسائل النور: لمواجهة الكم الهائل من الكتب والمقالات العلمانية والفكر المغالي في القومية و التي كانت تسود بها الصحف والدوريات التي تهاجم الإسلام وتشكك المسلمين بدينهم ، قرر الأستاذ النورسي إصدار (رسائل النور) لتكون قبساً يقوى وشائج الأخوة وتثير القلوب بالكلمة الطيبة في مواجهة

الفلسفة الملحدة والدفاع عن حياض الإسلام، وللعمل على بناء الشخصية المسلمة ولذا كان لها صداها في أنحاء العالم الإسلامي وأوربا وأمريكا، تعميقا للأخوة الإسلامية [1] ، بعد أن أفرز الفكر القومي مفاهيم لا إسلامية وعنصرية عند الأتراك والأكراد والعرب فالأتراك يرون مثلا أن : "التعاون مع من ليس من قوميتهم ينافي القومية".[2] ويقول بعض الأكراد: "إني أفضّل كردياً مجاهراً بل ملحداً على تركي صالح".[3]

لذلك استوجبت هذه الظواهر والتقلبات في المعايير والمقاييس عند المسلمين إصدار رسائل النور التي كانت بالأساس تهدف إلى تعميق الأخوة ، و أصحبت في مراحلها المتقدمة بعد ذلك تعالج ما أفسدته الأفكار العلمانية في قطع أواصر الأخوة الإسلامية بين القوميات في الدولة الإسلامية العثمانية ، ويقول النورسي رحمه الله : "ألا فليعلم أهل السياسة علماً قاطعاً رغم أنه لا علاقة لنا بهم أن العلاج الوحيد لإنقاذ الأمة في هذه البلاد وفي هذا العصر من الفوضى والإرهاب ومن التردي المريع والتدني الرهيب هو أسس رسائل النور" [4] ، مضيفا : "إن رسائل النور هي البناء الأساسي للفرد وزاده الإيماني والفكري، إن الذي تطلبه رسائل النور ثمناً لما تكسبه طلابها الصادقين الثابتين.. هو الوفاء والخالص الكامل والثبات الدائم الذي لا يتزعزع".[5]

6 - الرحلة والتواصل دعوة إلى التوحد: لم ينسى الإمام النورسي بأن نبض العالم الإسلامي المهم في وحدة العالم الإسلامي هم العرب الذي يكونون مع إخوانهم الترك والكرد والباشناق والشركس والشيشان والقازاق والهنود والملايو والهوسا والهنود لحمة الأمة المسلمة وأنهم يمثلوا قومية رئيسة في بناء الدولة العثمانية لذا فالحفاظ على أخوتهم مهم في بناء (الاتحاد المحمدي).

ولهذا خصص الأستاذ النورسي رحلة إلى الشام سنة (1911م) فاستقبله أهل الشام وعلى رأسهم العلماء وطلبوا منه أن يخطب في الجامع الأموي وباللغة العربية[6]، فخاطبهم بقوله: "فيا إخواني العرب الذين يستمعون إلى هذا الدرس في هذا الجامع الأموي إنني ما صعدت المنبر.. لأرشدكم فشأننا معكم شأن الصبيان مع الكبار فنحن تلامذة بالنسبة إليكم وأنتم أساتذة لنا وسائر أمة الإسلام" [7] ، ثم بين لهم التحديات التي تواجه الأمة المسلمة التي يجب أن لا تيأس من الإصلاح وإعادة وحدة الأمة الإسلامية وذلك بالتعاون بين شعوب الأمة الإسلامية وبخاصة الترك والعرب فيقول: "وأملنا بالله عظيم أن يتخلى العرب عن اليأس ويمدوا يد العون والوفاق الصادق إلى الترك الذين هم جيش الإسلام الباسل فيرفعوا معاً راية القرآن عالية خفاقة في إرجاء العالم إن شاء الله"[8] ، ويفتح النورسي باب الأمل ثم يقول: "أيها الأخوة في الجامع الأموي: إن الإسلام وحده سيكون حاكماً قارات المستقبل حكماً حقيقياً ومعنوياً وأنه الذي سيقود البشرية إلى السعادتين الدنيوية والأخروية" [9].

ثم ينبهنا الإمام النورسي إلى ضرورة أن تتواصل الجهات التي ترفع شعار العمل من أجل

الإسلام على اختلاف مسمياتها وأماكنها في العالم الإسلامي ، أن تتواصل و تنسق عملها ، فليس لمن يرفع شعارات ومسميات إسلامية أن يعمل وحيدا لتحقيق هدف ومطلب الوحدة الإسلامية أو لتحقيق أي من الأهداف السامية خدمة للمسلمين في المجالات التعليمية والفكرية والاقتصادية والسياسية ، ولو كان ذلك في شكل تنسيق وتظافر الجهود ، وفي ظل هذا المعنى ومع أن الإمام النورسي لم ينضم إلى حركة الإخوان المسلمين التي نشأت في مصر في بدايات القرن العشرين إلا أنه أرسل قائلا عند تأسيسها من منطلق الشعور بالوحدة الإسلامية : "إننا نهنئ الإخوان المسلمون من صميم قلوبنا وأرواحنا ونقول لهم: بارك الله فيكم ألف مرة، إن طلائع النور الذين هم بمثابة خلف الاتحاد المحمدي السابق يمثلون الاتحاد الإسلامي في الأناضول، أما في البلاد العربية فالإخوان المسلمون هم الذين يمثلون الاتحاد الإسلامي وإن طلاب النور والإخوان المسلمون من بين صفوف عديدة يشكلان صفين مترافقين ومتوافقين ضمن حزب القرآن وضمن دائرة الاتحاد الإسلامي المقدسة وقد سعدنا باهتمامهم الجدي برسائل النور وبعزمهم على ترجمة بعضها إلى اللغة العربية ونحن نحمل لهم شعور العرفان بالجميل، وأرجو منهم أن يقوموا برعاية طلاب النور ورسائل النور هناك". [ترسه]

بهذه الأخوة الصادقة تلتقي قلوب الداعين إلى الوحدة الإسلامية في ذلك الخضم الذي يحيط بالإسلام والمسلمين وبهذا الإخلاص والتجرد من أي نفس تعصبي تلتقي القلوب التي استمدت من القرآن والسنة الرؤية الثاقبة للأحداث والمنهجية المكافئة المؤهلة لمواجهة التحدي.

فوائد وأخلاقيات : مفاتيح للتوحد :

وضع الأستاذ النورسي قواعد وضوابط وأخلاق هي بمثابة المفاتيح لإعادة الأمة إلى ثوابتها ومنهج حياتها الذي فيه عزنا ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ (آل عمران: 103) ، ومن هذه القواعد:

أولا : العمل الجماعي المؤسسي بدلا من هدر الجهود الفردية : هو الذي يستمر ويثمر ، وأن الشخصية الميالة إلى النفسية الجماعية أكثر إيجابية وصموداً من الشخصية الفردية وأكثر أماناً من الوقوع في الفتن ، يقول الأستاذ النورسي: "إن هذا الزمان زمان الجماعة وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية، فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير، فلأجل الحصول على حوض ماء عظيم، ينبغي للفرد إلقاء شخصيته وأنانيته التي هي كقطع الثلج في ذلك الحوض وإذابتها وإلا ستذوب حتماً تلك القطعة من الثلج، وتذهب هباءً وتفوت الفرصة من الاستفادة من ذلك الحوض

أيضاً". [٢٥]

بهذا الوصف الجميل يصف الأستاذ النورسي الداعية المنفرد أو المصلح الاجتماعي المنعزل عن الآخرين من أمثاله بأنه كقطعة ثلج ومآل هذه القطعة الذوبان وبالتالي لن ينتفع بها طويلا ، بدلا من أن تكون شربة ماء لعطشى تنقذهم من الموت أو حيواناً أو طائراً وفي كل كبد حرّى لأجر ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ [٢٦].

ولكن لو تجمعت قطع الثلج لكونت حوضاً أو نهراً جارياً وكذلك هو حال جهد الأفراد المنصب في عمل جماعي مؤسسي طويل الأمد خصوصا إذا صاحبه اخلاص وتجرد فيبارك الله فيه ، ويستمر الأستاذ فيقول: "إنه لمن العجب وموضع الأسف أنه بينما يضيع أهل الحق والحقيقة القوة العظمى في الاتفاق بالاختلاف فيما بينهم..!! يتفق أهل النفاق والضلالة للحصول على القوة المهمة فيه - رغم مخالفته لمشربهم - فيغلبون تسعين بالمائة من أصل الحقيقة مع أنهم لا يتجاوزون العشر بالمائة"[٢٧] ، وهذا ما نشهده اليوم في العالم الإسلامي ، وذلك عندما تبرز قضية مثيرة للجدل ، فلا تتوحد الأغلبية الممثلة لصوت الشارع الصامت بينما تملأ الآفاق الإعلامية أصوات هي في الحقيقة لا تمثل إلا أقلية لكنها تركز جهودها وتنظمها ، فيجتمع الحشد الإعلامي والفكري ، والعمل السياسي البرلماني والشعبي ، وتحركات الجامعات والطلبة ، فيظن الكثيرون أن هذا ما تريده الغالبية من سكان دولة ما في شأن قضية ما.

فهل نعي مثال الثلج والنهر الواقعي وكيف نظر إليه الأستاذ النورسي بعين الحقيقة والفهم الدقيق النابع من الإيمان العميق في أهمية العمل المتواصل الذي هو محصلة عمل أهل الخير؟.

ثانيا : **الإيمان العميق**: إن الإيمان بقضية ما والإخلاص لها يدفع الفرد إلى العمل الشاق رجاء قبول الله تعالى ذلك العمل ، يقول النورسي يرحمه الله : "وينبغي أن تكون الحقائق الإيمانية أول مقصد وأسبق في هذا الزمان وتبقى سائر الأمور في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة وفي الوقت الذي ينبغي أن تكون خدمة الحقائق الإيمانية برسائل النور أجل وظيفة وموضع اهتمام ولهفة، ومقصورة بالذات". [٢٨]

ويضيف : "و أن البناء الإيماني مهم في النجاة من الفتور في الدعوة إلى الله لذا "فينبغي لهم ألا يورثوا الفتور في وظيفتهم المقدسة بمشاهدة لعب الشطرنج للطاغين ولا يفكروا صفو أذهانهم وأفكارهم بالنظر إلى لعبهم.. فالأذواق المعنوية والأوتار الإيمانية – في القلب - التي هي ضمن دائرتنا كافيتان ووافيتان لنا" [٢٩].

ثالثا : **أدب الحوار البناء**: كان الإمام النورسي رجل حوار ، وقد تعلم منه طلابه في تيار النورسيين في

تركيا إلى يومنا هذا منهجاً للتعامل مع الأفراد والدول والمؤسسات أو الحضارات والأديان وله منطلقات أشار إليها في رسائله ، وتعد مهمة في تحقيق الكثير من أهداف المصلحين في عالمنا العربي والإسلامي ، و هي :

أ. تعدد أوجه الحق وعدم إقصاء الآخرين : وللإمام النورسي كلاما بليغا بهذا الشأن يقول فيه :[سه] "إن الحق والصواب غير قاصر على فئة دون فئة ، عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول إما مسلكي حق وأو هو أفضل ولا يجوز أن تقول إن الحق هو مسلكي أنا فحسب".

ب. عدم الوصاية على الآخرين: فكل من لديه قابلية للاجتهاد وحائز على شروطه له أن يجتهد لنفسه في غير ما ورد فيه النص من دون أن يلزم الآخرين به.

ج. التزام الصدق في الحوار : فحبة واحدة من صدق تبيد بيدراً من الأكاذيب ، وإن حقيقة واحدة تهدم صرحاً في الخيال.

د. توسيع دائرة الحوار توسيع للدعوة الإسلامية : فالحوار يفتح لنا أبواباً أخرى على الثقافات والديانات "وأن أشد القبائل تأخراً يدركون الخطر الداهم عليهم فتراهم ينبذون الخلافات الداخلية وينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدو الخارجي عليهم، وكذلك يمكن الحوار مع أهل الأديان السماوية في القضايا المشتركة التي تذمها أصول أديانهم وكتبهم مثل قضية الجندر وإلغاء الأسرة، والزواج التماثلي وغيرها، فهذه قضايا تحتاج إلى توحيد الجهود لردها لأنها تمسخ الفطرة الإنسانية وتشيع الفوضى الجنسية والتي تتبعها فوضى في الاجتماع والاقتصاد.

فالمتدينون الحقيقيون من النصارى سيقفون معنا كذلك في المطالبة بحقوق الإنسان "فيتركوا مؤقتاً كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعاً لعدوهم المشترك الملحد المتعدي" ، هكذا كان رأيه.

ومن النماذج التطبيقية للحوار الذي مارسه النورسي إرساله مجموعة من رسائل النور إلى البابا بيوس الثاني عشر في روما سنة (1950م) ، وقد تسلم جواباً منه في 1951/2/22م مع رسالة شكر شخصية، وأعلنت بعدها الكنيسة الكاتولوكية في مجلسها الكنسي الثاني بالفاتيكان عن احترامها وتقديرها للمسلمين وأكدت بأن الإسلام طريق أصيل وحقيق للخلاص والنجاة، وفي سنة 1952 قام الأستاذ النورسي بزيارة لبطريارك الأرثودوكس (آثونا كروس) في استانبول للبحث عن طريق للتعاون بين المسلمين والنصارى لمواجهة الإلحاد والظلم. [لخ شه]

ولا زالت بركة الأستاذ ومنهجيته العملية في التواصل مع الآخرين ، فقد تشكلت مدرسة من طلابه تؤمن بأن الحوار هو الطريق الذي يحل كثير من المشاكل ويكشف عن الحقائق للوصول إلى تعايش ينطلق من المسلمات والقواعد القرآنية : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا

نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾[ثم].

وسار طلابه على نفس المنهج فقد استجاب لدعوة البابا بولس السادس في 1998/2/9 للتباحث في الشؤون والقضايا التي تواجه الأديان في العصر الحاضر. [ثم]

وهكذا يستمر العمل الدعوي بتواصل أجياله كابراً عن كابر لخدمة القرآن وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في كل زمان الذي قال : "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك " [ثم].

الخاتمة

في مسك الختام فإن البحث قد تناول قضية مهمة في أيامنا هذه تحتاج إلى وعي بالأفكار، والمتغيرات التي لا تحيد بنا عن الثوابت في سبيل إيصال رسالة الإسلام إلى الآخرين وهذا يتطلب منا الانضباط بمصدريتنا الشرعية [الكتاب والسنة] ، نقف عند ثوابتها ولا يمنعنا أن نأخذ عن غيرها ما فيه فائدة لدينا في وسائل وعلوم ، لتحسين واقعنا وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح يكون نابعاً من بيئتنا ومرجعيتنا الشرعية ، وتكون أمنيتنا قوة لها دورها في الأحداث لأن تحدث لها الأحداث ، فلا زالت أمتنا معطاءة وغنية بالرجال وإنما تفرق الكلمة ، وضيق الصدور بين الأطراف الداعية للإصلاح إن كانت دولا أو جماعات من أبرز أسباب ضعفنا ، فلعلنا بفقه الواقع وبتجرد النفوس نسمو معا ، وهذا يحتاج إلى صدق و عمل دقيق متواصل ، ولعل البحث قد أكد في مجمله على عدد من النقاط المهمة :

1. إن للأستاذ النورسي منهجية واقعية عاناها في عملية الدعوة إلى حفظ الأصالة ومواكبة المستجدات التي تحقق مصالح الأمة ورسم لنا منهجاً للتوحد بقواعده وضوابطه على حسب الأحداث التي عاصرها وعاناها.

2. أهمية احتفاظ الأمة بشخصيتها النابعة من مرجعية لها ثوابتها والتي تقف عندها لا تتعداها ، وأن تسجيب للمتغيرات و تستعين بها بشكل لا يتعارض مع الثوابت الفكرية والعقدية

.3. أهمية الحوار في عملية توحيد الأمة في مواقفها مع الالتزام بقواعد وآداب توصلنا إلى الأهداف وتبعدنا عن التناحر والتنافر أفرادا كنا أو جماعات أو مؤسسات أو دولا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش :

1 سورة المؤمنون ، الآية :52.

2 ولد السلطان عبد الحميد سنة 1842م من أب موال للغرب والمشجع على عملية التغريب وهو السلطان عبد المجيد وخلف عمه مراد الذي كان ماسونياً وولي عبد الحميد الخلافة سنة 1876م ؛ انظر: أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد، دار الوثائق، الكويت (1407هـ-1986م)، الطبعة الأولى، ص8.

3 الأستاذ الإمام بديع الزمان النورسي رحمه الله ولد سنة 1877م - 1294هـ في قرية نورس ؛ أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، استانبول، تركيا: 1416هـ-1995م، شركة النسل، الطبعة الأولى.

4 شكيب أرسلان وتعليقاته على Lothrop Stoddird، نقله للعربية عجاج نويهض، (1391هـ-1971م)، بيروت: دار الفكر، 3/281.

5 الموسوعة الثقافية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة ونيويورك (1392هـ 1972م)، إشراف الدكتور حسين سعيد، الطبعة الأولى، 776 ؛ وانظر: عبد المجيد الصافورمي، سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية، بيروت: دار الصحوة (1410هـ-1990م)، الطبعة الأولى، 210-211 و214.

6 علي الدين هلال وآخرون، معجم المصطلحات السياسية، جامعة القاهرة (1414هـ-1994م)، الطبعة الأولى، مركز البحوث والدراسات السياسية: 32.

7 انظر: شكيب أرسلان، مصدر سابق، 215، 217.

8 مجدي الصافوري، المصدر السابق، نفسه.

9 انظر: شكيب أرسلان، مصدر سابق، 1/189 ؛ وانظر: د. جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي، الأردن (1409هـ-1989م)، نشر دار التقوى، د.ط، 121.

10 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي (1409هـ-1989م) الرياض، الطبعة الثانية، 401 ؛ الموسوعة الثقافية، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر (1392هـ-1972م) القاهرة: إشراف الدكتور حسين سعيد، 776 ؛ وانظر: وميض جمال عمر نظمي، ثورة الغرب، مركز دراسات الوحدة العربية (1495هـ-1985م)، بغداد، الطبعة الثانية، 75.

11 انظر: أحمد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية (1404هـ-1984م)، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، 108-110 ؛ وانظر: مجدي الصافوري، مرجع سابق، 121 ؛ وانظر: ليث سعود، الإمام النورسي والتعامل الدعوي مع القوميات (1425هـ-2004م) شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 29.

12 انظر: أحمد الشوابكة، المصدر السابق، 109.

13 انظر: نزيه كبارة، عبد الرحمن الكواكبي (1410هـ-1995م)، مطبعة جروس بروس، لبنان، الطبعة الأولى، 25.

14 انظر: Cevdet Ergul, Abdul Hemidin, Dogu Pulitikasi ve Hamidiya Alaylari, Izmir (1997 – 1417H) p. 59 – 660. وانظر: د. عثمان علي، مجلة آلاي إسلام، العدد 16، نقلاً عن Co: Kamran Badrkan ورامزور، وتركيا الفتاة، مرجع سابق، 91. وانظر: إيمان محمد عباس، الصراع الفكري في عصر السلطان عبد الحميد الثاني ودور القوميات والأقليات (دراسة تاريخية فكرية) رسالة دكتوراه في جامعة الملايو، ماليزيا سنة (1421هـ-2001م)، تحت الطبع.

15 انظر: جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد ود. إحسان عباس، بيروت ونيويورك (1382هـ - 1962م) نشر مؤسسة فرانكلين، د.ط، 182-183.

16 انظر: د. عثمان علي، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية، مجلة آلاي إسلام، ماليزيا، العدد 1، 2، 3 نقلاً عن: C.J. Edmond, The Kurdish, London وفي Kurdish Problem.

17 انظر نفس المصدر نقلاً عن: Kamran Badhdhan, The Kurdish Problem.

18 المصدر السابق.

19 انظر: آرنست رامزور، تركيا الفتاة وثورة 1908م، ترجمة د. أحمد صالح العلي، بيروت (1370هـ-1960م) نشر دار مكتبة الحياة، 123-124.

20 ليث سعود، الإمام النورسي والتعامل الدعوي مع القوميات، القاهرة: 1426هـ-2004م، شركة سوزلر للنشر، ص11.

21 انظر: نديم هزار، المدارس التنصيرية، استانبول (1415هـ - 1994م)، نشر مركز البلقان للدراسات والأبحاث، 1226 ؛ وانظر: جورج انطونيوس، مصدر سابق، 97-99 ؛ وانظر: شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، مصدر سابق، 3/211-212.

22 انظر: M. Shukran Hani Oglu, Osmnli, Itehad: p 16 – 26, Veturkki Gamiyeti Ve Jon Turkluk, lletisin Yahin Lari, Istanbul. 1889-1902, p1985. وانظر: محمد قربان نياز ملا، السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية، مكة المكرمة (148هـ-1988م)، نشر وتوزيع مكتبة المنارة، الطبعة الأولى، 59-68.

23 وامزور، تركيا الفتاة، 63-64، 176 ؛ وانظر: أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد، دار الوثائق، الكويت (1407هـ-1986م)، 270، 275.

24 جورج انطونيوس، يقظة العرب، مصدر سابق، 149، 152، 172، 177، 183-190.

25 السلطان عبد الحميد، المذكرات، تقديم وترجمة د. محمد حرب عبد الحميد، دمشق (1412هـ-1991م)، نشر دار القلم، الطبعة الثالثة، 128، 223؛ انظر: رامزور: مصدر سابق، 46، 167.

26 انظر: د. أحمد النعيمي، اليهود في الدولة العثمانية، بيروت (1418هـ ـ 1988م)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 162.163؛ وانظر: شكيب أرسلان، مصدر سابق، 108.119.

27 انظر: عثمان علي، آلاي إسلام، عدد 16، نقلاً عن: Kamranbadr Khan, The Kurdish Problem.

28 نزيه كيارة، عبد الرحمن الكواكبي، طرابلس، لبنان (1415هـ ـ 1994م)، مطبعة جروس بروس، الطبعة الأولى، 24.25. وانظر: إيمان محمد عباس، الصراع الفكري في عصر السلطان عبد الحميد الثاني ودور القوميات والأقليات (دراسة تاريخية فكرية) رسالة دكتوراه في جامعة الملايو، ماليزيا سنة (1421هـ ـ 2001م)، تحت الطبع.

29 النورسي، المكتوبات، 414.415.

30 المصدر نفسه، 414.

31 المصدر نفسه، 414.415.

32 الملاحق، أمير داغ، 415.

33 انظر: أورخان محمد علي، سعيد النورسي، رجل القدر، 26.

34 انظر: المصدر نفسه، 25.26.

35 النورسي صقل الإسلام، الخطبة الثامنة، 492؛ المصدر نفسه، 495.

36 انظر: إحسان قاسم الصالحي، حالة وحدة المسلمين الراهنة وجهود النورسي العملية في إقامتها، مجموعة أبحاث، مؤتمر وحدة الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين: فرص وتحديات، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا (1414هـ ـ أكتوبر 2003م)، 2/313.

37 انظر: أورخان محمد علي، رجل القدر، 27.

38 المصدر نفسه، 29.30.

39 المصدر نفسه نقلاً عن: Son Sahitler.

40 المصدر نفسه نقلاً عن: Bilinmeyen Taraflariyle Bedirzaman Said Noursi, 89.

41 أورخان محمد علي، رجل القدر، 37.

42 المصدر نفسه، 39.41.

43 المصدر نفسه، 44 نقلاً عن: Bilinmeyen Taraflariyle Bedirzaman Said Noursi, 204-205.

44 الملاحق، ملحق أمير داغ، 2:416.

45 د. حسين جليك، بديع الزمان وفكرة الاتحاد الإسلامي، مجموعة بحوث المؤتمر العالمي الأول لبديع الزمان سعيد النورسي (1416هـ ـ 1996م)، استانبول: ط1، 544.

46 الملاحق، ملحق أمير داغ، 2: 418.

47 المصدر نفسه، 158.159.

48 الملاحق: ملحق قسطوني، 150.152.

49 أورخان محمد علي، رجل القدر، 50.51.

50 بديع الزمان النورسي، الخطبة الشامية، ترجمة وتحقيق: إحسان الصالحي، مكتبة سوزلز، استانبول (1409هـ ـ 1989م)، 32.

51 المصدر نفسه: 40.

52 المصدر نفسه: 45.

53 النورسي، الملاحق: ملحق أمير داغ ـ2: 337.338.

54 النورسي، الملاحق: ملحق قسطموني: 163.

55 سورة الأنبياء، الآية: 30.

56 النورسي، الملاحق: ملحق قسطموني: 163.

57 النورسي، ملحق قسطموني، 149.

58 المصدر نفسه: 149.150.

59 إحسان قاسم الصالحي، مصدر سابق، بتصرف، 317.319.

60 انظر: إحسان قاسم الصالحي، المصدر السابق، 320؛ وانظر: الملاحق، ملحق أمير داغ، 346.

61 سورة آل عمران، الأية: 64.

62 إحسان الصالحي، المصدر نفسه: 321.

63 أخرجه البخاري: 3640 و3641، ومسلم: 1920، انظر زكي الدين المنذري، مختصر صحيح مسلم، المكتبة العصرية، بيروت، 2006: ص 310.

بلاغة الخــروج عن مقتضى ظاهر الفصل و الوصــل فـــي التعــبير القـــــرآني
دراسة تحليلية

أ/ خالد محمد علي عون المشرقي
مدرس البلاغة والنقد في المعهد العالي لتأهيل المعلمين باب

ملخص البحث :
لما كان هدف البحث الانطلاق من حيث وصل الآخر بغية الوصول إلى نتائج جديدة وأغراض دلالية لم يسبق التوصل إليها للظاهرة الفصل والوصل، فقد اعتمد خطة تتكون من :
المقدمة : وهي التي أشار فيها الباحث إلى دوافع البحث ، والدارسات السابقة له وأهميته وخطته ،
التمهيد : خصص للحديث عن الوصل والفصل ومناقشة قوانينه البلاغية كما تناول الحديث عن المقصود من الخروج عن مقتضى الظاهر في الفصل والوصل.
المبحث الأول : الفصل في موضع الوصل ، وأغراضه الدلالية وشمل المباحث الآتية : - الفصل لتوجيه الدلالة في اتحاد القول واختلاف القائل . -الفصل للإشعار بالكلام النفسي . -الفصل للإشعار باختلاف مرجع ضمير القول في : -صيغة الماضي المستند إلى ضمير الغائب المستمر . -صيغة الماضي المستند إلى الضمير البارز المتصل . - الفصل للتفسير والتوضيح – الفصل لتأكيد
المبحث الثاني : الوصل في موضوع الفصل . -عطف الخبر على الإنشاء وأغراضه الدلالية ومنها (الوصل لكمال الاستقلال في الحكم . -الإحالة إلى نصوص أخرى مشابهة مكملة لدلالة . -الوصل إ شعاراً بالتغاير في موطن التكرار .
المبحث الثالث : ما وصل في موطن وفصل في آخر مشابه له وسيشغل . -المشابهة الكلية والاختلاف في الفصل والوصل . -المشابهة في الهيكل البنائي والاختلاف في الفصل والوصل .
المبحث الرابع : الانزياح في استخدام حروف العطف وشمل: الانزياح عن المعيار الأسلوبي .الانزياح عن السياق المشابه في آية أخرى.

المقدمة

إن مـا دفعـني إلى دراسـة هـذه الخاصـية الأسـلوبية في الـنص القرآنـي ؛ هـو أنـي - مـن خـلال دراستي للخصائص الأسلوبية في سورة الشعراء في مرحلة الماجستير - وجدت بعضاً مـن الآيـات تخـرج عـن القوانين التي حددها البلاغيون لظاهرة الفصل والوصل، كما وجدت الدارسين لظاهرة الفصـل والوصـل في النص القرآني لم يتعرضوا لهـا. فضـلاً عـن ذلـك، فـإن المفسـرين عنـد تعرضـهم لمثـل تلـك الآيـات ذهبـوا إلى تأويلات بعيدة قد تتفق مع قانون الظاهرة لكنها - على حدّ علمي - قد تختلف عن المقصود والسياق الـتي وردت فيه الآية . الدافع الثاني هو ناتج عن الدافع الأول ومتصل به وهو: أني وجدت أغلب الدارسين لهـذه الظاهرة ينطلقون من القاعدة إلى النص ، بمعنى أنهم يتناولون القوانين البلاغية لهـذه الظـاهرة ويلتمسـون لهـا الشواهد من الـنص القرآنـي ، دون أن ينطلقـوا مـن الـنص القرآنـي ويقـارنوه بالقاعـدة فبـدت أعمـالهم أشـبه بالتكرار لما قاله السابقون ، وكأن هذه القوانين لا تحتمل التعديل أو النقاش أو الإضافة ، على الـرغم مـن أن هناك الكثير من الآيات التي تتعارض مـع تلـك القـوانين ، كمـا سـيلاحظ مـن خـلال الآيـات الـتي سـيتناولها الباحث في الدراسة . نعـم إن تلـك القـوانين الـتي وضـعها البلاغيـون للفصـل والوصـل وبخاصـة عبـد القـاهر الجرجاني – كانت مستنبطة مـن النصـوص والـنص القرآنـي علـى وجـه الخصـوص لكنهـا تبقـى اللبنـة الأولى والشمعة المضيئة في درب التذوق للنصوص واستنباط القاعدة منها ولهذا كان الجرجاني حكيماً حينمـا أطلـق تلك القوانين ؛ معممة دون تفصيل وأخفق الذين جاءوا بعده وأخذوا تلك القـوانين وفصـلوها والتمسـوا لهـا الشواهد جاعلين لهـا مـن موجبـات الفصـل أو الوصـل ، وكـان أكثـر مـنهم خطـأ أولئـك الـذين آخـذوا تلـك التفصيلات جاهزة والتمسوا لها من النص الشـواهد الـتي تتفـق معهـا دون أن يدرسـوا الـنص ويقـارنوه بتلـك القوانين فأصبحوا مكررين لما قيل .

<u>الدراسات السابقة :</u> كثيرة هي الدراسات التي تناولت ظاهرة الفصل والوصل بالبحث في الكتب البلاغية قديمها وحديثها لكنها على حد علم الباحث لم تخرج عن التفصيلات التي وضعها البلاغيون لقوانين الفصل أو الوصل التي استنبطها عبد القاهر بذوقه الرفيع إذا استثنينا من ذلك الدكتور محمد أبو موسى في كتابه دلالة التراكيب الذي أشار فيه إلى إخفاق بعض هذه القوانين أمام النص القرآني مستدلاً عليها ببعض الشواهد القرآنية داعياً إلى إعادة الدراسات لتلك القوانين من خلال النص القرآني □ ، أما الدراسات التي خصصت لهذه الظاهرة في النص القرآني فهناك العديد منها غير أنها درست هذه الظاهرة في النص بأكمله ولم تخصصها بظاهرة أسلوبية محددة هذا أمر الأمر. الآخر أن تلك الدراسات - على أهميتها - لم تضف جديداً لقوانين الفصل أو الوصل كونها انطلقت من القانون البلاغي إلى النص كما ذكرت سابقاً ، ولم تعمل العكس ، فضلاً عن ذلك فإنها أهملت الآيات التي تتعارض مع تلك القوانين ، وهو ما سيتناوله هذا البحث

أهمية البحث: تأتي أهمية البحث من كونه انطلق من النص المعجز إلى القاعدة وهذا سيحقق أمرين:

الأول: الإشارة إلى إعجاز القرآن الكريم في استخدام هذه الظاهرة الأسلوبية، الثاني إعادة الدراسة لقوانين الفصل والوصل ومناقشتها من خلال النص القرآني المعجز، والخروج بنتائج جديدة ومن ذلك.

-أن هناك أغراضا دلالية جديدة للفصل والوصل لم يتعرض لها البلاغيون أو المفسرون.

- الإثبات أن تفصيلات البلاغيين بعد عبد القاهر لقوانينه المجملة وجعلهم تلك التفصيلات قوانين موجبة للفصل أو الوصل لم تكن دقيقة.

- الوقوف عند ظاهرة بلاغية قرآنية تكرر ظهورها في أكثر من موضع ؛ وهي الفصل بتكرار (قال) بين قولين لقائل واحد وبيان أسرارها البلاغية.

التمهيد

الفصل والوصل

الوصل لغة: خلاف الفصل وصل الشيء بالشيء يَصِلُه وَصْلاً وصلة وفي التنزيل العزيز ولقد وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ أَي وَصَّلْنا ذِكْرَ الأَنْبياء وأَقاصِيصَ من مَضَى بعضها ببعض لعلهم يَعْتَبرون. واتَّصَلَ الشيءُ بالشيء لم ينقطع. ووصل الشيءُ إِلى الشيء وُصُولاً، وتَوَصَّل إِليه انتهى إِليه وبلغه. ووصله إِليه وأَوْصَله أَنهاهُ إِليه وأَبْلَغَهُ إِياه وفي حديث النعمان بن مُقَرِّن: أَنه لما حمَل على العدُوِّ ما وَصَلْنا كَتِفَيْه حتى ضرَب في القوم ؛ أَي لم نَتَّصِل به ،وفي حديث عليّ رضي الله عنه: صِلوا السيوفَ بالخُطى والرِّماحَ بالنَّبْل قال ابن الأَثير؛ أَي إِذا قصرت السيوف عن الضَّريبة فتقدَّموا تَلْحَقوا وإِذا لم تَلحَقْهم الرماحُ فارْمُوهم بالنَّبْل. ۞

الفصل لغة: الحاجِز بين الشيئين فَصَل بينهما يفصِل فَصْلاً فانفصَل وفَصَلْت الشيء فانفصل أَي قطعته فانقطع. والفصل القضاء بين الحق والباطل واسم ذلك القَضاء الذي يَفْصِل بينهما فَيْصَل وهو قضاء فَيْصَل وفاصِل. ذكر الزجاج أَن الفاصل صفة من صفات الله عز وجل يفصل القضاء بالخلق، وقَوْل فَصْل حقٌّ ليس بباطل. ووصف كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فَصْل لا نَزْر ولا هَذْر أَي بيِّن ظاهر يفصِل بين الحق والباطل، ومنه قوله تعالى: ((إِنه لقول فَصْل)) الطارق[13]؛ أَي فاصل قاطِع. ومنه يقال فَصَل بين الخصمين وفصل من الناحية؛ أَي خرج وفي الحديث: ((من فَصَل في سبيل الله فمات أَو قتِل فهو شهيد)) أَي خرج من منزله وبلده. وفصل المولودَ عن الرضاع يَفْصِله فَصْلاً وفِصالاً وافْتَصَلَه فَطَمه والاسم الفِصال. قال اللحياني: فَصَلته أُمُّه ولم يخص نوعاً. وفي الحديث: ((لا رَضاع بعد فِصال)) قال ابن الأَثير: أَي بعد أن يُفْصَل الولد عن أُمِّه. وبه سمي الفَصِيل من أَولاد الإِبل؛ فَعِيل بمعنى مفعول. والفصل واحد الفصول يقال: فَصَل فلان من عندي فُصُولاً إِذا خرج. وفَصَل مني إِليه كتابا إِذا نفذ. قال الله عز وجل: ((ولما فَصَلَتِ العِيرُ))يوسف[94]؛ أَي خرج ؛ ففصل يكون لازماً ومتعدياً وإِذا كان متعدياً فمصدره الفَصْل، وإِذا كان لازماً فمصدره الفصُول. ۞

المعنى الاصطلاحي للوصل والفصل:

يقصد بالوصل عطف جملة على أخرى بالواو خاصة ، وبالفصل ترك هذه الواو ۞ يفهم من

خلال التعريف السابق أن الفصل والوصل خاص بالجمل دون المفردات ، وأن الأداة المستعملة في الوصل هي الواو دون غيرها من أدوات العطف الأخرى ، فضلاً عن ذلك فإننا نجد البلاغيين يخصون في حديثهم الجمل التي لا محل لها من الإعراب دون غيرها معللين هذا التخصيص بأن دقة الوصل والفصل إنما تظهر في ذلك ، أما عطف المفرد على المفرد فإنه يأتي للتشريك في الحكم فأمره سهل ، وكذلك الجمل التي لها محل من الإعراب لوقعها موقع المفرد .[33]

أما تخصيصهم للواو دون غيرها ذلك ؛ لأنها تأتي لمطلق التشريك في الحكم، دون إفادتها معانٍ زائدة على ذلك.[34] بعكس الفاء فإنها تفيد الترتيب والتعقيب ، وثم تقيد الترتيب والتراخي ، وكذا بقية الأدوات الأخرى ، فإنها تأتي لمعان نحوية أخرى مفهومة ، ومن أجل ذلك ترك الحديث عنها . وخالفهم في ذلك السكاكي إذ ذهب إلى أن كلا من الفصل والوصل يأتي في عطف الجمل ، والمفردات ، وفي العطف بالواو وغيرها من أدوات العطف ، وأن المعول عليه هو الجهة الجامعة .[35]

بلاغة الفصل و الوصل .

يعد الفصل والوصل في المرتبة الأولى بين أبواب البلاغة بل إن الجاحظ ، وعبد القاهر يعدانه هو البلاغة ؛ إذ نجد الجاحظ يجعله واحداً من تعريفات البلاغة التي ساقها في كتابه البيان والتبيين ؛ فقد روى مجموعة من الأقوال عن تعريفات البلاغة على لسان أبي الزبير ، ومحمد بن أبان ومن ضمنها قول الفارسي بأن البلاغة معرفة الوصل والفصل .[36]

وقال أبو العباس السفاح لكاتبه : قف عند مقاطع الكلام وحدوده ، وإيّاك أن تخلط المرعى بالهمل . وكان يزيد بن معاوية يقول : إياكم أن تجعلوا الفصل وصلا ، فإنه أشدُّ وأعيبُ من اللَّحن. وقال المأمون ما أتفحّص من رجل شيئاً كتفحّصي عن الفصل والوصل في كتابه ، والتخّلص من المحلول إلى المعقود ، فإنّ لكل شيء جمالاً ، وحلية الكتاب وجماله إيقاع الفصل موقعه ، وشحذ الفكرة وإجالتها في لطف التخلص من المعقود إلى المحلول.[37] وما ذلك إلا لدقة المعاني والأغراض التي تأتي من خلال الفصل والوصل خاصة في النظم القرآني ، فلربما أوحى لك فصل هنا ووصل هناك بمعان ما كانت لتوجد بمثل تلك الروعة ، والجمال لولا الاستخدام المعجز لهذه الخاصية في النص القرآني ، وسنرى ذلك من خلال تحليل الباحث لبعض الآيات في بطن هذا البحث . على أن مثل تلك المعاني الرائعة لن تأتى إلا بالمقارنة والتحليل ، والوقفة المتدبرة لآي النظم الكريم ، ومن أجل ذلك قال عبد القاهر : ((وأعلم أن ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه أنه خفي غامض ، ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى)) .[38] كيف لا وقد استعصى فهم أسراره على كثير من العلماء أمثال الزجاج ، والمبرد ، يقول الحريري ((ومما ينظم في إقحام الواو ما حكاه أبو إسحاق الزجاج – رحمه الله – قال : سألت المبرد عن العلة في ظهور الواو في قولنا ((سبحانك الله ، وبحمدك)) فقال لي : سألت أبا عثمان المازني عماً سألتني عنه فقال : المعنى سبحانك ((أللهم ، وبحمدك سبحتك))[39]

قوانين الفصل والوصل رؤية نقدية :

على الرغم من أن بوادر الحديث عن الفصل والوصل بدأت عند سيبويه ، والفراء مروراً بالجاحظ وأبو هلال العسكري ، إلا أن بحثهم عنه لم يكن منظماً ولا مفصلاً إلى أن جاء عبد القاهر فبحث الفصل والوصل بحثاً منظماً يقوم على التقسيم ، والتعليل ، فبدأ الحديث عن المفرد ، وجعله مقدمة للبحث عن الجملة ، ومن ثم حصر كلامه على الجمل التي لا محل لها من الإعراب ؛ معللاً ذلك بأن الإشكال يبدو فيها دون غيرها . [1] ومن خلال قراءته لتلك الجمل في النص القرآني ، وفي غيره من النصوص خلص إلى قوانين عامة مجملة للفصل والوصل ، مقسما الجمل إلى ثلاث أضرب :

- جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد من المؤكد فلا يكون فيها العطف البتة شبّه العطف فيها بعطف الشيء على نفسه.
- جملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى فحقها العطف.
- جملة ليست في شيء من الحالين بل سبيلها مع التي قبلها سبيل شيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به، وأن يكون ذكر الذي قبله ، وترك الذكر سواء لعدم التعليق بينهما رأساً ، وحق هذه ترك العطف البتة ؛ فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية ، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين ، وكان له حال بين الحالين . [2] وعلى هذا الأساس جاءت تفصيلات البلاغيين بعده ، إذ جعلوا للفصل المواضع الآتية

مواضع الفصل بين الجمل:أن تسبق الجملة الثانية بجملة لها محل من الإعراب ، وأن تقصد بحكم لم يقصد إعطاؤه للثانية ، ومن ذلك قوله تعالى : " وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم"البقرة[14] فقد فصل جملة [الله يستهزئ بهم] عن قالوا لهذا الغرض ؛ إذ إنه لو وصله بالواو لتوهم المخاطب أنها معطوفة على إنّا معكم ومن ثم ستكون من مقولهم ؛ أي أنهم قالوا: إنا معكم وقالوا الله يستهزئ بهم ولما كان ذلك غير المقصود فصل ليشعر بأن (الله يستهزئ بهم) من كلام الله هذا ما قاله البلاغيون مع أن هناك من الآيات مشابهة لمثل هذا الحكم ومع ذلك وردت موصولة بالواو ولم تشعر بهذا الوهم وإنما كانت هناك أسباب حتمت الفصل هنا والوصل هناك سنتحدث عنها لاحقا

الفصل لكمال الانقطاع ،و يتحقق بأمرين : الاختلاف بين الجملتين خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى أو معنى فحسب، كقولهم لا تدن من الأسد يأكلك، وهل تصلح لي كذا أدفع إليك الأجرة بالرفع فيهما، أو معنى لا لفظا كقولك مات فلان رحمه الله [3] فالجملة الأولي في المثال الأول إنشائية ؛ لأنها نهي (لاتدن من الأسد) والثانية خبرية(يأكلك)

ألا يكون بين الجملتين جامع .[4] ولعل نظرتهم الشكلية للوصل والفصل هي التي جعلتهم يخصون كمال

الانقطاع بهذين الأمرين مع أن هذه النظرة ليس لها فائدة من الناحية البلاغية ، فضلاً عن ذلك فإن هناك من الآيات القرآنية التي ورد فيها الخبر معطوفاً على الإنشاء أو العكس ، وكان لذلك العطف مغزى دلالي لن يكون دون العطف كما سنبين ذلك بعد قليل . وما يعزز تلك النظرة الشكلية عندهم للفصل والوصل ما ذكره الزركشي في البرهان ؛ ذكر أن البيانين استمدوا قول الأصوليين المبنى على أن الواو تجعل المتعاطفين كالنظيرين والشريكين بحيث إذا علم السامع حال الأول عساه أن يعرف حال الثاني – فذهبوا إلى أن القِران في اللفظ يوجب القِران في الحكم فاشترط – بذلك - البيانيون التناسب بين الجمل لتظهر الفائدة حتى أنهم منعوا عطف الإنشاء على الخبر وعكسه. [شم] نعم قد يفهم اشتراطهم لوجود التناسب بين الجمل إذا كان مقصودهم من ذلك التناسب المعنوي ، وليس اللفظي المحض ، وذلك يعود إلى معرفة مقصود المتكلم من كلامه . [لم] لكن أن يكون اختلاف الجملتين في الخبر والإنشاء موجباً للفصل ففيه شيء من عدم الدقة .

الفصل لكمال الاتصال : ويتحقق بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى أو بدلاً منها أو موضحة ومبينة لها.

شبه كمال الانقطاع : وحدّوه بأن توجد جملة في مضمون جملتين يصح عطفها على الأولى منها ولا يصح عطفها على الثانية فيترك العطف كلية منعاً لذلك ومثلوا له يقول الشاعر :

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً أراها في الظلام تهيم

قالوا : " إنما لم يعطف – أراها – بالواو لئلا يتوهم المخاطب أنها من مظنونات سلمى وليست من كلام الشاعر لذا ترك الوصل كلية منعا لهذا الوهم[]. و يرى الباحث أن لا ضرورة لمثل هذه التسمية خاصة وأن هذا المثال يندرج تحت شبه كمال الاتصال الآتي ، إذ إن ((أراها)) بمثابة الجواب لسؤال مقدر.

شبه كمال الاتصال :

، وحدّوه بأن تكون الجملة الثانية بمنزلة الجواب لسؤال نشأ من خلال الجملة الأولى ، كقوله تعالى : " قالوا سلاماً قال سلامٌ "الذاريات[25] فصلت جملة (قال) ؛ لأنها بمثابة سؤال نشأ من الأولى فكأنه قيل : فماذا قال إبراهيم عليه السلام ؟ فقيل : قال سلامٌ .

مواضع الوصل بين الجمل :

ذكر الخطيب في الإيضاح بعد أن تحدث عن مواضع الفصل ما نصه " وإن لم يكن بين الجملتين شيء من الأحوال الأربع.[] تعين الوصل" [خ]. إن مثل هذا الإطلاق والتعين تنقصه الدقة ، لأن ذلك يوحي بالوجوب الذي يعني أن الخروج عليه يعد خطأ وليس مؤشراً بلاغياً لدلالة تستشف من خلال هذا الخروج. كما يوحى بقصر ظاهرة الفصل والوصل على الظاهر من الخطاب دون غرض المتكلم الذي أنشأه والذي من أجله كان نظمه للكلام. والحقيقة التي لمسها الباحث في النص القرآني أن هناك الكثير من الآيات التي خرجت عن مقتضى الظاهرة من الفصل أو الوصل ، وكان لخروجها أسرار بلاغية لم تكن لتوجد لولا هذا الخروج ، ومن المواضع التي سردها للوصل بين الجمل :

الوصل لدفع الإيهام كقول البلغاء – لا و أيدك الله ومقتضى الوصل هنا أن الفصل يوهم أن الجملة دعاء على المخاطب وليس دعاء له مع أنهما مختلفتان في الخبر والإنشاء دفعاً لتوهم ذلك.

الوصل للتوسط بين الكمالين□ * وهو ضربان : أحدهما : أن تتفق الجملتان خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى كقوله تعالى: " إن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم " الانفطار[25]وقوله :" وكلوا واشربوا ولا تسرفوا. " الأعراف[31]فالجملتان في الآية الأولى متفقتان في الخبر لفظاً ومعنى و في الثانية متفقتان في الإنشاء لفظاً ومعنى.

الثاني : أن تتفقا كذلك معنى لا لفظاً كقوله تعالى : "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً" الأنعام [151]عطف قوله :[قولوا]؛ التي هي إنشائية في اللفظ والمعنى على قوله [وبالوالدين إحسانا]؛ التي هي خبرية لفظا غير أنها إنشائة في المعنى ؛لأنها بمعنى وأحسنوا .

الخروج عن مقتضى الظاهر في الوصل والفصل

إن الخروج عن مقتضى الظاهر سمة إبداعية في الخطاب الأدبي بشكل عام وفي النص القرآني على وجه الخصوص ذلك لما في هذه السمة من كسر حدة التوقع عند القارئ أو السامع فضلاً عما تنتجه هذه السمة من دلالات زائدة وإضافية على التعبير المعتاد من خلال المقارنة والتحليل ولذا فإن هذه الظاهرة قد برزت في التعبير القرآني مع خصائص بلاغية عديدة كالخبر والإنشاء ، والذكر والحذف والتعريف والتنكير ، ووضع الضمير موضع الاسم الظاهر أو العكس ، تعرض لها البلاغيون في سياق الحديث عن الظاهرة موضحين الغرض البلاغي منها .

بيد أن الحديث عن هذه الظاهرة مع خاصية الفصل والوصل لم يتناول من قبل على حد علم الباحث لا في القديم ولا في الحديث فضلاً عن تحليلها وبيان أغراضها البلاغية.

على أنه قبل الحديث عن ذلك يحسن بناء الإشارة إلى المقصود من هذه الظاهرة - في الفصل والوصل -.يقصد بهذه الظاهرة عدول النص القرآني عن القوانين البلاغية التي حددها البلاغيون للوصل والفصل بين الجمل بحسب الظاهر من الخطاب وذلك بعدوله تارة إلى الفصل بين الجمل وظاهر الخطاب يقتضي الوصل، وتارة أخرى بعدوله إلى الوصل والظاهر يقتضي الفصل لأغراض بيانية يبتغيها من خلال هذا العدول - و التي ستكتشف من خلال تحليل الباحث لها في صدر هذا البحث - فإذا كان الظاهر – بحسب تفصيلات البلاغيين لقوانين عبد القاهر - يقتضي الفصل بين الجمل إذا اختلفتا في الخبر والإنشاء كما هو الغالب الملاحظ من النصوص فإن العدول أو الانزياح عنه إلى الوصل يعد خروجا عن هذا الظاهر ومن ذالك قوله تعالى : ((ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه وإنّه لفسق))الأنعام[121] ؛ ذلك لأن الجملة الأولى إنشائية في اللفظ والمعنى ،والثانية خبرية في اللفظ والمعنى.

كذا وصل الجملة التي هي بمنزلة التوكيد للجملة السابقة لها يعد خروجا عن مقتضى الظاهر لأن

بينهما اتحاد تام يحتم الفصل بحسب الظاهر من الخطاب كقوله تعالى: ((يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين))آل عمران[42] فالظاهر أن تفصل جملة اصطفاك على نساء العالمين لأنها تبدو في الظاهر أنها بمنزلة عطف البيان من الأولى كقوله تعالى: ((الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)) غير أن الخطاب خرج إلي الوصل.

وإذا كان الظاهر يقتضى الوصل بين الجملتين اللتين بينهما مناسبة وأريد إشراك الثانية في حكم الأولى ، فإن الفصل يعدّ خروجا عن مقتضى الظاهر كقوله تعالى: ((قال الملأ من قوم فرعون إنّ هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين)).الأعراف [109]فضلا عن ذلك فإنّ هنالك بعض الآيات المتشابهة في النظم ومع ذلك وجدنا بعضها خضعت لقانون الوصل وبعضها خضعت لقانون الفصل وهو ما يؤكد بوضوح أن ظاهرة الفصل أو الوصل لا تخضع للظاهر من الخطاب بقدر ما تخضع للمعنى العميق المراد من الخطاب.

نعم قد يكون الظاهر أو القانون البلاغي مؤشرا ودليلا للمعني العميق لكنّه ليس ملزما وموجبا له ؛ فقد ينزاح النص عنه وهو في انزياحه هذا أبلغ وأجمل من الأخذ به كما هو الحال في المجاز ، والإسناد الخبري والتعبير بالاسم الظاهر في موطن الضمير أو العكس وغير ذلك ممّا عدّه البلاغيون قديما عدولا في الأسلوب ومن ثم فإنّ عدّ تفصيلات البلاغيين لقوانين الفصل والوصل قوانين ملزمة للخطاب فيه شيء من الإجحاف ؛ لأنّ الوجوب يقتضى الإلزام ويوحي بأنّ الخروج عليه مخالفة وإخلال بالقاعدة الأمر الذي يضطر معه القارئ للنص وبخاصة النص القرآني إلى التأويل البعيد حتى يخضعه للقاعدة كما سنرى لاحقا . وكان الأولى أن يكون التعبير بالأصل أو الأغلب بدلا من الوجوب ؛ بمعنى أن تستبدل عبارة ((من موجبات الفصل أو الوصل بين الجمل)) بعبارة الأصل أو الأغلب في الفصل والوصل.

الفصل في موضع الوصل

إن الذي يقصده الباحث من وراء ذلك خروج التركيب القرآني عن مقتضى الظاهر من التعبير ، ، وذلك بعدوله عن الوصل إلى الفصل في أكثر من موضع من النص القرآني ومن ذلك :

ظاهرة توسيط ((قال)) بين قولين لقائل واحد دون عطف .

تتكرر هذه الظاهرة في أكثر من موضع من القرآن ؛ إذ نجد النص القرآني يعرض قولين لقائل واحد ، والقول الثاني منها مفصول عن القول الأول على خلاف مقتضى الظاهر ، ومن ذلك قوله تعالى : " قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ❖ قال فما خطبكم أيها المرسلون " الحجر [56] ،[57] وكذا غيرها من الآيات . ❖❖ فمقتضى الظاهر بحسب تفصيلات البلاغيين لقوانين الفصل والوصل أن يوصل القولان بالواو ؛ أي أن تربط جملة [قال] الثانية بـ[حملة قال] الأولى بالواو لا سيماً وقد اتحدتا في الخبر لفظاً ومعنى مع وجود الجامع الذي برز بشكل واضح وجلي من خلال اتحاد المسند والمسند إليه في الجملتين .

بيد أن المتدبر لهذه الآيات سيلمس العديد من الأسباب التي حتمت العدول عن الوصل إلى

الفصل ، كما سيلمس أن تلك الأسباب لم تكشف عنها تفصيلات البلاغيين لقوانين الفصل والوصل ، وحدها وإن كانت واحدة من عوامل عدة في السياق.وهذا يعني أن دراسة الظاهرة البلاغية في النص القرآني يجب أن تنطلق من النص نفسه ، وتقارن بالقاعدة ،وليس العكس ، كما فعل أغلب الدارسين للظواهر البلاغية في القرآن ، فبدت دراستهم خارجة عن غرضها ؛ إذ إنها درست القاعدة ولم تدرس الظاهرة ، فكانت تلك الدراسة تكراراً لما قيل إذ لم تضف جديدا إليها ، على العكس من ذلك الدراسة المنطلقة من النص إلى الظاهرة إنها تكشف عن أغراض ، أو تفصيلات جديدة تضاف لتفصيلات السابقين كما سيلاحظ من خلال دراسة الباحث للظاهرة الآنفة الذكر. ٣٣إذ توصل إلى أغراض يحسبها في نظرته القاصرة جديدة ومن تلك الأغراض :

-الفصل لتوجيه اتحاد القول واختلاف القائل

من الظواهر الأسلوبية في النص القرآني تكرار خطاب معين في موضعين من القرآن وينسب هذا الخطاب في أحد الموضعين لقائل ، وفي الموضع الآخر لقائل آخر مع اختلاف يسير، فيأتي الفصل ليكشف عن السر في تكرار القول واختلاف القائل.من ذلك ما ورد في سورة الأعراف قال تعالى : " قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحرٌ عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ❖ قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين ❖ يأتوك بكل ساحرٌ عليم " الآية [109 -111].

فقد وردت هذه الآيات نفسها بالنص في سورة الشعراء عدا أنه نسب القول في هذه السورة لفرعون وليس للملأ ، وذكر كلمة ((بسحره)) في هذا القول ، وحذفه في سورة الأعراف وقال في الأعراف ((بكل ساحر)) وفي الشعراء ((بكل سحَّار) واستبدل ((أرسل)) في الأعراف ((بابعث)) في الشعراء ؛ قال تعالى : " قال للملأ حوله إن هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ❖قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين ❖ يأتوك بكل سحار عليم " الآية [35 -37] إن ذلك يعني أن هذا النص تكرار لما في سورة الأعراف عدا أن ما في الأعراف ينسب القول فيه للملأ ، وهنا نسب القول فيه لفرعون.و النظرة ألعجلى غير المتدبرة قد تذهب إلى أحد أمرين :

الأول – وهو ما ذهب إليه الملاحدة -إن في القرآن تناقضاً .

الثاني – وهو ما ذهب إليه المفسرون لهذه الآية – التأويل البعيد الذي لا يتسق مع الغرض ولا يحاكي عنصر الإعجاز في النص القرآني. لكن النظرة المتدبرة لخصائص النظم القرآني المعجز في الموضعين ستكتشف الغرض من خلال الفصل بين القولين في سورة الأعراف ؛ حيث قال تعالى : " قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحرٌ عليم ❖ يريد ليخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ❖ قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين " بفصل جملة "قالوا أرجه وأخاه ..." عن الجملة الأول "قال الملأ " مع أن القولين لقائل واحد .

لكن قبل الحديث عن دور هذه الخاصية في توجيه الدلالة لا بد من الإتيان بتأويلات المفسرين

للآية في سورة الأعراف والرد عليها معتمدين في ذلك آلية تحليل الخطاب التي هي المقصدية + المماثلة والمشابهة + نوع العلاقة . إن ما ذهب إليه المفسرون :أن قوله تعالى " إن هذا لساحرٌ عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون " في الأعراف كان تكراراً لقول فرعون في آية الشعراء وهم متفقون في ذلك لكنهم اختلفوا في الغرض منه فبعضهم ذهب إلى أن الغرض : التصديق والتقرير لكلام فرعون [1]وبعضهم قال : إنهم كرروا ذلك دون وعي لما يقولونه[2]. والباحث يتفق معهم في أن القول تكرار لكلام فرعون لكنه يختلف معهم في الغرض، فكيف ؟

إن الناظر في سياق النصين يجد أن عنصر المماثلة بينها يوحي بالموقف الذي سبق لقاءه السحرة فقد ورد النصان في السورتين بعد قوله تعالى : " فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ❖ ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين " وهذا يكشف أن نوع العلاقة بين النصين المتماثلين لا تخرج عن أن تكون علاقة تبجيل أو علاقة سخرية . لكن هل النص المماثل في الأعراف " إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون " كله من كلام الملأ ؟ أم أن " فماذا تأمرون " من كلام فرعون؟ كما قال أبو السعود مستدلاً بقوله تعالى في سورة يوسف" ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب "[3]

إن ما ذهب إليه أبو السعود غير مقنع لماذا ؟ لأنه إن أعطى تفسيراً للفصل بين القولين - " قال الملأ إن هذا لساحر عليم " " قالوا أرجه " على اعتبار أن القول الأول قول فرعون والثاني قول الملأ - ؛ فإنه لا يعطي تفسيراً للإتيان بضمير المخاطب المجموع في " يخرجكم أرضكم " لتعارضه مع المقصدية ونوع العلاقة في النصين المتماثلين إذا لو كانت العلاقة التبجيل لكلام فرعون السابق ؛ بمعنى التصديق والتقرير له كما ذهب إليه أبوا السعود لكان عبر بضمير المتكلم المجموع فقال : " يخرجنا من أرضنا " إلا إذا كان الخطاب موجها منهم للعامة على سبيل التبليغ غير أن ذلك يمنعه محاورة الخطاب الجارية بين فرعون والملأ بدليل فصل جملة " قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحرٌ عليم "عن سابقتها في السورة [4].لم يبق إلا أن يكون الخطاب في الآية كله من كلام الملأ. لكن ما مقصدية الخطاب في الآية ؟

ذكر بعض المفسرين أن الخطاب كان موجهاً للعامة من الناس على سبيل التبليغ [5] . وهذا التوجيه لا يتسق مع عنصر المماثلة بنوعيها الخارجية والداخلية ، إذ إن المشاورة في العادة تطلب من الخاصة وهم الملأ دون العامة ، فضلاً عن ذلك تكرارهم لـ" فماذا تأمرون "و أن هذه الآية وردت على لسان الملأ في الشعراء ؛ قال تعالى: " قال للملأ حوله إن هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون " . كما أن خطابهم لا يمكن أن يكون موجهاً لفرعون من قبل رد المشورة والأمر إليه كما ذهب إليه بعض المفسرين[6] ؛ لأن ذلك يمنعه -مشورتهم له - " قالوا أرجه وأخاه ".

لكن قد يقال : أن القول الأول كان غرضه التصديق لما قاله ، والثاني إبداء المشورة ، وهذا يمنعه التعارض المذكور سلفاً في المقصدية ، ونوع العلاقة ، بين الخطابين المتماثلين في السورتين ، فضلاً عن

ذلك فإنه يتعارض مع الفصل بين القولين ؛ إذ لو كان كما قيل لكان وصل بين القولين فقال : قال الملأ إن هذا لساحر عليم وقالوا أرجه.

فإذا استطعنا أن نثبت أن قوله تعالى : " إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون " في الأعراف كله من كلام الملأ ، وأنه تكرار لكلام فرعون السابق وأنهم لا يقصدون التوجه به لفرعون ، ولا للملأ ، إذا استطعنا أن نثبت ذلك من خلال حواره الداخلي والخارجي في سورة الشعراء ؛ فإننا نستطيع أن نثبت أن نوع العلاقة بين النصفين المتحاورين في الآية الأولى لكل منهما لم تكن علاقة تبجيل كما ذهب إليه أغلب المفسرين إنما هي علاقة سخرية واستهزاء من خلال الحوار الداخلي لنص الأعراف ومع خاصية الفصل تحديداً.

إن الفصل بين قوله تعالى: " قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون " وقوله " قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين " يشير إلى الأمور الآتية:

يبدو أن قولهم الأول كان همسا أو جانبياً يقصد به السخرية والاستهزاء من كلام فرعون الموجه لهم أما خطابهم في القول الثاني "قالوا أرجه " فقد كان علناً وموجهاً لفرعون بقصد إبداء المشورة في الظاهر. يفسر ذلك أن موقف الخطابين : خطاب فرعون في الشعراء ، وخطابهم في الأعراف وأحد كما أسلفنا .

أن الغرض من القول الأول التكذيب لقول فرعون السابق أو التفكير وإبداء الرأي أما الغرض من القول الثاني " أرجه وأخاه " الضغط على فرعون ومشاركته تعبيد العامة أو التأكد من صحة المعجزة لموسى فكيف ؟

إن الترديد النفسي أو الجانبي لما قاله فرعون لهم، " إن هذا لساحر عليم " الآية... يحتمل أمرين: الأول الاقتناع به فهم يبحثون عن حل.الثاني: أنهم غير مقتنعين به وغير مصدقين له، لكنه لا مس شيئا في نفوسهم. والأول يأباه تكرار هم لكلام فرعون بالنص دون تغير إلا في حذف كلمة بسحره كما يأباه الموقف المشاهد لفرعون من فعل المعجزة التي أتت معززة وداعمة لحججه الكلامية في المحاورة التي جرت بينه وبين فرعون في سورة الشعراء فجعلت فرعون يشتط غضباً ، ويتهم موسى بالجنون ويسخر منه تارة ويتهدده بالسجن تارة أخرى ، لتأتي معجزة موسى التي أذهلت الجميع بما فيهم فرعون نفسه فقد ذكر المفسرون أنه طلب من موسى أخذ العصا مقابل الإيمان بما جاء به . ﷺ فضلاً عن ذكر تكرار هم لسؤال فرعون " فماذا تأمرون " الذي يلمس منه المحاكاة الساخرة كأنهم يقولون له الآن تطلب أمرنا ومشورتنا ومن سابق تدعى أنك ربنا الأعلى .□ ﷺ

إن كل ذلك يأبى أن يكون تكرارهم لكلام فرعون اهتماماً به ؛لأنهم صدقوه . يكشف هذا - فضلاً عما سبق - مشورتهم المقدمة ؛ إذ لم يشيروا بقتله أو حبسه كما كان يظن فرعون إنما أ شاروا بأن تختبر معجزته من قبل الأكفاء من السحرة ؛ لأنها سوف تكشف زيف ما ادعاه فرعون ، وتبوح بما لم

يستطيعوا البوح به عن طريق التجربة المشاهدة لكل الناس ، وغرضهم من ذلك ليس التصديق لموسى وإنما الضغط على فرعون ؛ ليقبل مشاركتهم الخفية له في تعبيد العامة والسيطرة عليهم ؛ يكشف عن ذلك قوله تعالى في سورة هود" ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ❖ إلى فرعون وملأه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد "الآية [97] ألا يكون المقصود بالأمر شأن فرعون في التدليس على الناس وإخضاعهم بالقوة؟ هذا ما يبد ومن خلال قوله تعالى " فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم " يونس الآية [83]

من كل ذلك نخلص إلى: أن الفصل بين القولين - في قوله تعالى : في سورة الأعراف : " قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ❖ قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين " قد كشف لنا أن القول الأول كان نفسياً أو جانبياً ولم يوجه لفرعون ولا للعامة من الناس بينما كان القول الثاني علناً وموجهاً لفرعون لغرض إبداء المشورة.

هذه المغايرة حتمت الفصل بين القولين الذي بدوره كان مفسراً لاتحاد القول في السورتين سورة الأعراف وسورة الشعراء واختلاف القائل ، من حيث إن خطاب فرعون في سورة الشعراء كان موجهاً بقصد التكذيب لموسى ، وإن خطابهم بنفس القول في الشعراء كان نفسياً وجانبياً ولم يكن موجهاً لأحد . بقدر ما هو تكرار لقول فرعون بقصد التفكير . كما يكرر الفرد كلاماً قيل، وهو غير مقنع أو مفهوم عنده.

- الإشعار بالكلام النفسي:

إن ما يعزز الكلام السابق ويتصل معه استخدام القرآن الكريم لهذه الظاهرة في مواطن عديدة من القرآن لأغراض عديدة منها : الإشعار بالكلام النفسي عن طريق الفصل بين قولين لقائل واحد بتوسيط (قال) بينهما دون عطف. من ذلك قوله تعالى في سورة الحجر مخبراً عن سيدنا إبراهيم : " قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ❖ قال فما خطبكم أيها المرسلون " الآية[56، 57] ، إذ فصل النص القرآني بين قوله الأول" ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون "وقوله الثاني" فما خطبكم أيها المرسلون "بتوسيط (قال) بينهما دون عطف والسبب في ذلك على ما يبد - والله أعلم – أن قوله الأول كان نفسياً لم يقصد التوجه به إلى الملائكة وإنما الإقرار والتسليم المطلق لإرادة الله بينما قوله الثاني كان مسموعاً قصد منه استفسارهم عن المهمة الموكولة إليهم ، ومن أجل ذلك فصل بين القولين .

يتضح هذا الأمر أكثر عند الإتيان بالسياق كاملاً : قال تعالى : " ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنّا منكم وجلون ❖ قالوا لا توجل إنّا نبشرك بغلام عليم ❖ قال أبشرتموني على مسني الكبر فبم تبشرون ❖ قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين ❖ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلاّ الضالون ❖ قال فما خطبكم أيها المرسلون ❖ قالوا إنّا أرسلنا إلى قوم مجرمين " الآيات [52، 57] .

يزداد الأمر وضوحاً عندما يصرح النص القرآني بهذا الغرض ثم يستخدم الأسلوب نفسه في سرد الأقوال ، وذلك كما في قوله تعالى في سورة طه : " فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى ❖ قالوا إن هذان

لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ❖ فأجمعوا كيدكم ثم أتوا صفا ❖ وقد أفلح اليوم من استعلى ❖ قالوا إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى " الآية [62، 66] .أو ليس هذا النص كله من كلام السحرة ؟ إنّه كذلك باتفاق جميع المفسرين – لكن لما كان القول الأول سراً بينهم غير مصرح به إذ قال تعالى : " وأسروا النجوى " ثم فسر ذلك بالجملة بعدها ، وكان قولهم الثاني علانية موجهاً لموسى عليه السلام ؛ فإنه فصل بين القولين لهذا الغرض على ما يبدو فضلاً عن ذلك اختلاف المخاطب بقولهم ؛ إذ إن الأول للسحرة أنفسهم والثاني لموسى عليه السلام ..،

من ذلك أيضا قوله تعالى : " وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنّكم قوم تجهلون ❖ إن هؤلاء متبر ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون ❖ قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين " الآية [138 -140]

إن النص القرآني قد فصل قوله تعالى : " قال أغير الله أبغيكم إلهاً... " عن" ... قال إنّكم قوم تجهلون " بتوسيط (قال) بين القولين والظاهر يقتضي الوصل ؛ لأن القولين لموسى عليه السلام إلا أنه فصل على ما يبدو إشعاراً بالمغايرة بين الخطابين من حيث إن الأول كان استنكاراً واستغراباً منه عليه السلام لطلبهم الذي ينم عن سخفهم وقلة عقولهم وشدة عنادهم وإنكارهم لما شاهدوه من الآيات ولذا أسند إليهم الجهل دون أن يخصصه بالمجهول وأتى بالفعل مضارعاً (تجهلون) وهذا الخطاب منه عليه السلام كان نفسياً غير مصرح به .

أما خطابه الثاني : " قال أغير الله أبغيكم إلهاً " فقد كان صريحاً مسموعاً لهم قصد من خلاله الإنكار عليهم طلبهم وتكذيبهم بنعم الله عليهم. وقد جاء الإنكار بالاستفهام لما فيه من الملاطفة واللين وشدة الإقناع ولذا قال (أبغيكم) دون تبغون. ، ومن هنا تفهم ملاطفته - عليه السلام – لهم في الدعوة وشدة صبره عليهم على الرغم من عنادهم المفهوم من الكلام النفسي في الآية الأولى الذي أوحى به تكرار (قال).ويبقى السؤال عن الغرض من الإتيان بالكلام النفسي في النص القرآني، المفهوم من الفصل. إن لذلك أغراضا دلالية عدة منها: -الإشارة إلى إلهية المصدر للقرآن الكريم ، وتكذيب إدعاء المشركين أنه أساطير أكتتبها عليه الصلاة والسلام كما يزعمون . - الإيحاء بعلم الله المطلع على خفايا النفوس . - التخفيف من حزنه عليه الصلاة والسلام في مقام التكذيب وكشف عناد بني إسرائيل وتكذيبهم ومقابلتهم للنعم بالجحود والنكران فضلاً عما فيه من الأمر بالدعوة الحسنة عن طريق الإيماء الملحوظ في الآية السابقة.

- الإشارة إلى تعالق النصوص:

بالإضافة إلى الأغراض السابقة فإن الفصل بين قولين لقائل واحد بتوسيط (قال) بينهما دون عطف يأتي للإشارة إلى اتصال النصوص المتشابهة في النص القرآني وتعالقها معها عن طريق خاصية الفصل ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الإسراء : " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لأدام فسجدوا إلا إبليس قال أ أسجد لمن خلقت طيناً ❖ قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا

قليلاً " الآية [61 ، 62].

في النص السابق نجد أن القرآن الكريم قد وسط (قال) بين قولي إبليس : " أأسجد لمن خلقت طيناً " ، " أرأيتك هذا الذي كرمت علي " دون أن يأتي بالواو عاطفة حيث قال تعالى : " قال أأسجد لمن خلقت طيناً ❖ قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي ".

إن خروج النص عن مقتضى الظاهرة بعدوله عن الوصل إلى الفصل أشعر بأن القول الثاني لم يكن عقب القول الأول ومتصل به بل هناك أقوال أخرى لم يذكرها النص القرآني هنا اكتفاء بذكرها في مواطن أخرى مشابهة -على ما يبدو - وهي قوله تعالى : " قال فاخرج منها فإنك رجيم ❖ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ❖ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون ❖ قال فإنك من المنظرين ❖ إلى يوم الوقت المعلوم " الآية [34 -38] ، وقوله تعالى في سورة الأعراف :" قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فا خرج إنك من الصاغرين ❖ قال أنظرني إلى يوم يبعثون ❖ قال إنك من المنظرين ❖ قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم " الآية [13 -16] .قال أبو السعود" فإن تكرير قال في الموضعين وتوسيطه بين قولي قائل واحد للإيذان بأن بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالأول والثاني بالتبعية والاستتباع "[32]

يتصل بالغرض السابق قوله تعالى في سورة الأعراف : " قال اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ❖ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون " الآية [24، 25]

فإن فصل " قال فيها تحيون "عن القول السابق أشعر بما ذكر في سورة البقرة : " فتلقى آدام من ربه كلمات فتاب عليه "إذ وردت هذه الآية في سياق قوله تعالى : " وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ❖ فتلقى آدام من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم " [36، 37] .

- <u>الفصل إشعاراً باختلاف مرجع ضمير القول</u>:

إن من الأغراض التي تأتي نتيجة الفصل بين قولين - يبدوان في الظاهر لقائل واحد -الإشعار باختلاف مرجع الضمير لكل منهما. يبرز هذا الغرض كثيراً مع مواضيع القول المتشابهة والمتكررة في سياق واحد ومن هذه الصيغ :

<u>صيغة الماضي المسند إلى ضمير الغائب المستتر :</u>

يقصد بذلك أن يكرر النص القرآني (قال) بتوسيطها بين قولين ، يبدوان في الظاهر لقائل واحد إلا أن النص القرآني يشير إلى عكس ذلك عن طريق الفصل المدعوم بخصائص أخرى تبرز في السياق ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف : " وجوزنا بني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ❖ إن هؤلاء متبر ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون ❖ قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين ❖ إذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبنائكم ويستحيون نسائكم ، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم " الآية [138 -141]

إن الظاهر من الخطاب أن المسند إليه القول في " قال إنكم قوم تجهلون " ، " قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين " واحد وهو سيدنا موسى عليه السلام ، إلا أن التدبر يفضي إلى أن المسند إليه في القولين مختلف ، إذ إن القول الأول وهو من قوله تعالى : " قال إنكم قوم تجهلون "إلى قوله" وباطل ما كانوا يعملون " من كلام موسى ، والقول الثاني . وهو من قوله تعالى :" قال أغير الله أبغيكم إلهاً "إلى نهاية الآيات من خطاب الله سبحانه وتعالى لهم بواسطة موسى

هذا ما يبدو وتشير إليه خصائص الخطاب التي من ضمنها الفصل بين القولين الذي أشعر بهذا الاختلاف فضلاً عن ذلك العطف بالواو وإسناد الفعل لضمير المتكلم المجموع في" وإذ أنجيناكم " إذ لو كان الخطاب في هذه الآية من موسى لكان عبر بضمير الغائب مع الفصل فقال : (أنجاكم) كما في الآية " 6 " من سورة إبراهيم حيث قال : " اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون "فضلاً عن ذلك فإن الفصل قد أحال إلى تناص هذه الآية لما في سورتي البقرة وإبراهيم .

صيغة الماضي المسند إلى الضمير البارز المتصل :

يتكرر الغرض السابق من الفصل في هذه الظاهرة مع صيغة أخرى هي صيغة الماضي المسند إلى الضمير البارز المتصل. ويتجلى إعجاز الأسلوب القرآني في هذه الظاهرة عند تشابه المسند إليه في صيغة القول المتمثل بالضمير الواو ولا يكون هناك محددات أو مؤشرات تدل على المرجع غيرها ، وهذا ما نلمسه من خلال قوله تعالى في سورة الأنبياء قال تعالى : " قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ❖ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم " الآية [59، 60] إن الفصل بين صيغة (قالوا) الأولى، والثانية في هذا النص قد ميز الضمير المتصل بالقول في الصيغتين : " قالوا من فعل " و "قالوا سمعنا " عن طريق المرجع لكل منهما مع أنهما متفقان في الصيغة التي هي واو الجماعة.

إذ فهم من خلال الفصل أن القول الأول مسند إلى فئة معينة من القوم وهم السادة وعلية القوم ، وأن القول الثاني مسند إلى مخاطبهم من العامة. يتضح هذا المعنى أكثر مع الوصل ، فلو أننا وصلنا هذه الأقوال فقلنا : قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين وقالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ؛ لأصبح مرجع الضمير في القولين واحد ولكان المعنى مبنى على سرد أقوال صدرت منهم في مواقف مختلفة ، ولما فهم أن النص مبني على الحوار بين فئتين كما هو الحال مع الفصل .

- الإشعار باختلاف المخاطب :

يتكرر الفصل بتكرار (قال) بين قولين لقائل واحد في أكثر من موضع في النص القرآني على خلاف مقتضى الظاهر لأغراض بلاغية عديدة من ذلك بالإضافة إلى ما سبق – الإشارة إلى اختلاف المخاطب بالقولين كما في قوله تعالى : " قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ❖ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون " الأعراف الآية [24، 25] .

فهنا نجد النص القرآني يورد قولين مفصولين بتوسيط (قال) بينهما ومقتضى الظاهر أن يأتي بهما

موصولين بالواو لأنهما لقائل واحد إلا أن النص القرآني عدل عن ذلك إلى الفصل للإشارة إلى اختلاف المخاطب بالقولين ؛ فالخطاب الأول لآدم وزوجه والشيطان، والخطاب الثاني لآدم وزوجه وذريتهما بدليل قوله تعالى: " وفيها تموتون ومنها تخرجون " لأن الإخراج من الأرض يقتضي سبق الدخول في باطنها وذلك هو الدفن بعد الموت والشياطين لا يدفنون . وقد أمهل الله إبليس بالحياة إلى يوم البعث فهو يحشر حينئذ أو يموت ويبعث ولا يعلم ذلك إلا الله تعالى، وقد جعل تغيير الأسلوب وسيلة للتخلص إلى توجيه الخطاب إلى بني آدم عقب قوله : " قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين "

وقد يجعل سبب تغيير الأسلوب بأن القول السابق قول مخاطبة والقول الذي بعده قول تقدير وقضاء أي قدر الله يحيون فيها وتموتون فيها وتخرجون منها [1]

<u>- التأكيد على مضمون القول عن طريق الفصل والتكرار لقال :</u>

يتكرر استعمال القرآن لظاهرة الفصل بين قولين لقائل واحد بتكرار " قال " بينهما في أكثر من موضع لأغراض بلاغية يقتضيها المقام ومن ذلك التشديد على مضمون القول وأهميته كقوله تعالى : " قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم ❖ إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم ❖ ألا تعلو علي وأتوني مسلمين ❖ قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون " الآية [29 -32]

على الرغم من أن النص القرآني يحكي قولين لقائل واحد: فيما يبد من ظاهر الخطاب هو ملكة سبأ وهما : إخبارها لهم بأمر الكتاب من سليمان عليه السلام ، وطلبها المشورة منهم ، وكان مقتضى الظاهر أن يأتي القول الثاني : " قال يا أيها الملأ أفتوني "معطوفاً بالواو على القول الأول أو أن لا يكرر (قالت) كما في قوله تعالى : " وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرى يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون " [يوسف ،43] إلا أن النظم القرآني عدل عن ذلك إلى الفصل مع تكرار قالت في النص السابق ، ذلك للإشعار بأهمية الشورى قبل اتخاذ القرار والاعتناء بها والتأكيد عليها عن طريق الفصل والتكرار ، فكيف ؟

إن فصل " يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون " عن " قالت يا أيها الملأ إني ألقي " قد أوحى أن ما في حيزّ القول الثاني هو تأكيد وتوضيح لما في حيزّ القول الأول ذلك لأن عرضها لكتاب سليمان لهم يهدف إلى المشورة عن طريق الفعل ، وطلب الإفتاء بالقول أكد هذا المعنى ، كما أن تكرار قالت في الخطاب أوحى أن القول توضيح وبيان لقولها الأول قصد به المخاطب ، والقارئ لهذه الآية خاصة أولى الأمر ،لأن شأن القرآن فيما يذكره من القصص أن يذكر المهم منها للموعظة أو للأسوة فلذلك يستوحى من سياق هذه الآية حسن الشورى وإلا لو لم يرد ذلك لما كرر (قالت) مرة أخرى . [2]

<u>الوصل في موضع الفصل</u>

<u>- عطف الخبر على الإنشاء</u>

ذكر البلاغيون أن من موجبات الفصل بين الجمل أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى أو

معنى فحسب (1) ومعنى ذلك إن المعنى هو الفيصل في الحكم على الخبرية أو الإنشائية في الجملة وليس اللفظ ، لأن الجملتان قد تختلفان في الخبر والإنشاء إلا أن هذا الاختلاف لفظي فحينئذ لا يمنع الوصل .غير أن الحكم بوجوب الفصل -لاختلاف الجملتين في الخبر والإنشاء - لم يكن دقيقاً والأولى أن يستبدل بـ الأصل أن يفصل بين الجمل إذا اختلفتا في الخبر والإنشاء . لأن الحكم بالوجوب فيه إجحاف بنصوص عديدة في القرآن وردت منزاحة عن هذه القاعدة لأغراض بلاغية لم تكن لولا هذا الانزياح ومن ذلك: -

الوصل لكمال الاستقلال في الحكم

من الأمور التي تقتضي الوصل بين الجملتين المختلفتين في الخبر والإنشاء الإشعار باستقلالية الجملة الثانية عن الأولى من ذالك: قوله تعالى "ولا تأكلوا مما لم يذكر أسم الله عليه وإنه لفسق" الأنعام{121ا} الجملة الأولى (لاتأكلوا) إنشائية : لأنها نهي، والجملة الثانية (إنه لفسق) خبرية فكان الظاهر يقتضي الفصل لهذا الاختلاف بحسب قاعدة الفصل . غير أن القرآن انزاح إلى الوصل محققا بذلك الغرض الذي أراده ، وهو التشديد والتأكيد على ذكر اسم الله عند الذبح بطريقتين: الأولى النهي عن الأكل .الثانية الوصف بفسوقه هذا الوصف الذي يحتمل أن يكون وصف للأكل أو وصفاً للذبح بحسب مرجع الضمير في (إنه) ؛ فإنه قد يرجع إلى مصدر الفصل المنهي عنه (الأكل) أو يرجع إلى (ما) ، وذلك لا يكون مع الفصل لأنه سيجعل الجملة الثانية تعليل للنهي فقط دون أن يشعر بالانفتاح السابق.

أما الفصل بين الجملتين فإنه يجعل الجملة الثانية جزءاً من الجملة الأولى ومتولدة عنها لأنها بمثابة التعليل للنهي ، وبذا سيصير المعنى النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لأنه فسق ، دون أن يفهم أن الفعل نفسه فسق كما هو مع الوصل .

من هنا فإن المعنى مع الوصل أبلغ منه مع الفصل لأنه أكد عليه من عدة أمور التي هي النهي ، والوصف ، والاحتمالية في مرجع الضمير الذي شمل الأكل ، الذبح بالوصف بالفسوق .

- الوصل للإحالة إلى نصوص أخرى متشابهة .

فضلاً عن الغرض السابق الذي أشير إليه في الآية السابقة فإن الوصل بين الجمل المختلفة في الخبر والإنشاء يحيل إلى تداخل النصوص فيما بينها وهو ما يفسر إعجاز القرآن وإلهية المصدر ، ومن ذلك قوله تعالى : " قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ❖ ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم "الشعراء [165 -166]

إن المتتبع للنص السابق في القرآن سيجد أنه قد كرر أكثر من مرة في القرآن في مواضع مختلفة ومن ذلك قوله تعالى في سورة هود " ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب" [64] وقوله تعالى "هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تلمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم" [الأعراف] [73]، ولو قارنا هذين النصين بالنص السابق متدبرين مصداقاً لقوله تعالى : " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لو جدوا فيه اختلافاً كثيراً " [النساء] [82]؛

لوجدنا أن قوله تعالى : "ولا تمسوها بسوء " في النصين الأخيرين قد عطف على قوله تعالى ((فذروها تأكل في أرض الله)) مما يعني أن الواو التي عطفت " لا تمسوها بسوء " في الشعراء قد استدعت التناص في السور الأخرى الذي كشف بوضوح عن إلهية المصدر للنص القرآني عن طريق هذا الترابط كما كشفت عن دلائل أخرى ذكرت في موضع وحذفت في آخر. فضلاً عن ذلك فإن الواو أشعرت بكمال واستقلال حكم ما بعدها عما قبلها اهتماماً بشأنه . فكيف ؟

إن النص القرآني أراد من خلال استدعاء التناص الإشارة إلى أن هذه الناقة آية ، وإلى طلبه منهم أن يذروها تأكل من أرض الله ، وإلى أن العذاب الذي ينتظرهم أليم وقريب وهو ما لم يذكره في سورة الشعراء فضلاً عن ذلك الإشارة الخفية إلى إعجاز النظم المتمثل بتميز الأسلوب على الرغم من تعدد التعبير عن الفكرة أما كمال الاستقلال فيتضح من خلال الفصل فلو قلنا : هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم لا تمسوها بسوء لتوهم أن النهي عن مسها بالسوء مختص في حل شربها فقط دون أن يفهم أن النهي مطلقاً بخلاف الوصل فإنه أشعر بذلك مع التأكيد على أن المزاحمة لها بالشرب هو من جملة المساس بالسوء ومن هنا كان التنكير و الإطلاق لكلمة " شرب " المسند للناقة " لها شرب "

الوصل إشعاراً بالتغاير في موطن التكرار

ذكر البلاغيون أن من موجبات الفصل بين الجمل أن يكون بين الجملتين اتصال تام ، بأن تكون الجملة الثانية مؤكدة - للجملة الأولى - تأكيدا لفظيا ؛ قصدوا به أن تتحد الجملتان في المضمون كقوله تعالى : "آ لم ❖ ذلك الكتاب لا ريب فيه ❖ هدى للمتقين " فجملة " هدى للمتقين " يتفق مضمونها مع قوله " ذلك الكتاب " من حيث إن الكمال في الكتاب هو كمال في الهدى ،أ و أن تنزل الثانية منزلة التوكيد المعنوي وهو أن يختلف مفهوم الجملتين ، لكن أن يلزم من تقرير معنى إحداهما تقرير معنى لآخر ، ومثلوا لذلك بأمثلة عديدة توضح مقصودهم من هذا الحكم.

غير أن حكمهم بوجوب الفصل في مثل ذلك فيه شيء من العموم كونهم لم يقيدوه بغرض الخطاب أو المخاطب بكسر الطاء، أو لأنه لا يشعر بأن لهذا الحكم أو القاعدة استثناءات ومن هنا لم يكن هذا الحكم دقيقاً ، خاصة وقد وجد في النص القرآني نصوص خرجت عن هذه القاعدة ، لهذا كان الأولى أن تستبدل عبارة ((من موجبات الفصل بين الجمل)) بـ ((الأصل أن يفصل بين الجمل)). ذلك لأن النص الإبداعي قد يعدل عن هذا الأصل لأغراض بلاغية قصدها من وراء هذا العدول ومن ذلك أن يعدل عن الفصل إلى الوصل في بعض المواضع التي تكون فيها الجملة الثانية منزلة منزلة التوكيد للجملة الأولى أو تبدوا كذلك من ظاهرة الخطاب كما في قوله تعالى : "يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين " [العمران] [42]

في هذه الآية أشعر الوصل بالواو أن الاصطفاء الثاني مغاير للاصطفاء الأول من حيث كان الاصطفاء الأول من قبيل التهيئة للثاني وهو: تقبل الله لها بقبول حسن ، وتكفل زكريا لها ، وإطعامها من

ثمار الجنة.

أما الثاني فالمقصود به على ما يبدوا حملها لعيسى من غير أب وبذلك فإن الوصل قد أوحى بخصوصية المعنى للفعل " اصطفى " في الجملتين عن طريق المغايرة المجتلبة من الواو. ولو أنه فصل بين الجملتين لأشعر الفصل أن الفعل في الجملة الثانية بمثابة التفصيل والتوضيح للفعل الأول في الجملة الأولى.

يتصل بالغرض السابق ويتداخل معه الكثير من الآيات ومن ذلك قوله تعالى في سورة هود : " ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ " الآية [58] إذ أن الوصل أشعر بأن الإنجاء الثاني غير الأول والسبب واحد وهو الإيمان من حيث أن المقصود من الإنجاء الأول على مايبدو ما حل بقوم هود من العذاب في الدنيا ، والمقصود بالإنجاء الثاني ما سيحل بهم من عذاب في الآخرة الذي هو أشد وأقسى من العذاب الذي لحقهم في الدنيا ولهذا وصف بـ ((غليظ)) بالإضافة إلى ما ذكر انظر[سم تر]

الوصل للإشعار بالاتصال ومنع التناقض

من الأغراض البلاغية التي ينزاح فيها التركيب القرآني عن الفصل إلى الوصل الإشعار بالاتصال ومنع التناقض كما في قوله تعالى : " فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنها من سوءتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين " [20] فكيف ؟ إن النظرة العجلى لوصل " قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة " بالواو وستذهب إلى أحد أمرين :

الأول : أن الوسوسة مغايرة للقول المعطوف بالواو على اعتبار أن الواو مشعرة بذلك .

الثاني : أن الوسوسة هي القول المذكور وعلى ذلك فلا معنى للواو لأن بينهما اتحاد تام فما بعد الواو موضح ومبين لما قبلها كما هو ظاهر السياق. لكن النظرة المتدبرة والمتأنية ستجد أن الإتيان بالواو مع قال إعجاز بلاغي. ذلك لأن القول المذكور ليس مغايراً للوسوسة وإنما هو مكمل لما جاء في سورة طه قال تعالى : " فوسوس إليه الشيطان قال يا آدام هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى "[20] فكأنه قال ذلك وقال " ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة " ، ولو أنه فصل كما هو الظاهر لأوحى بالتناقض كونه يشير في سورة طه إلى نوع من الوسوسة ، وهنا يشير إلى نوع آخر لكنه وصل منعاً لهذا الظن وللإشعار بأن قوله " ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكون ملكين أو تكونا من الخالدين " هو من ضمن الوسوسة . فكأنه أغراهما بالملك والخلود موسوساً على هيئة سؤال، ثم أكد ذلك الإغراء بأسلوب القصر عن طريق النفي والإثبات.ب(ما، وإلا)

ما فصل في موطن وفصل في آخر مشابه

إن ما يكشف إعجاز القرآن في استخدامه لهذه الظاهرة فضلاً عن تأكيده أن ظاهرة الفصل والوصل تخضع لمقاصد الخطاب العميقة وليس إلى شكله أو مايبدو عليه في الظاهر ، وهو ما يجعل تفصيلات البلاغين لقوانين الفصل والوصل التي جاء بها الجرجاني وجعلهم لها من موجبات الفصل والوصل غير

دقيقة ؛ إن ما يكشف ذلك فضلاً عما سبق استخدام القرآن لهذه الظاهر في المواطن المتشابهة في القرآن ، إذ أنه يستخدم الفصل بين الجمل في موضع على حين يستخدم الوصل مع آخر مشابه لـه غير أن المشابهة في تلك النصوص قد تكون كلية لم تختلف إلا في الفصل والوصل ، وقد تكون مشابهة في البناء الأسلوبي .

المشابهة الكلية والاختلاف في الفصل والوصل

من صور المشابهة والاختلاف في النص القرآني أن ترد بعض الآيات متشابهة في جميع عناصر البناء التركيبي لها بحيث تبدو إحداهما تكرارا للأخرى في المعنى الجزئي للفظة والمفهوم الكلي للجمل في الآية ، ومع ذلك نجد الاختلاف بينهما في الفصل والوصل بين الجمل هذا الاختلاف هو الذي يحدد المعنى في الآتين ويقلل من اشتراكها وهو ما يبرز ظاهرة الإعجاز القرآني مع هذه الظاهرة .

وإذا كان القرآن قد استثمر ظاهرة الفصل في توجيه اتفاق القول واختلاف القائل في موطن سابق فإنه هنا يستثمر الاختلاف في الفصل والوصل لتحديد الدلالة في الاشتراك اللفظي ، ومن ذلك على - ما يبدو – ما ورد في سورة الشعراء قال تعالى : " قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ❖ وَمَا أَنتَ إِلاّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ" الآية [185/ 186] وقال تعالى في السورة نفسها "قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ❖مَا أَنتَ إِلاّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" الآية[153].

إن لفظه (المسحرين) تحتمل أن تكون مأخوذة من (السَّحْر) بفتح السين مع التضعيف الذي هو الرئة ، كما تحتمل أن تكون مأخوذة من (السَّحْر) بكسر السين مع التضعيف فتكون بمعنى ذهاب العقل فهل هي باقية على هذا الانفتاح في النصين السابقين ؟ هذا ما قاله المفسرون[1] .

والذي يبدوا والله أعلم – أن معنى (المسحرين) في الآية [185] الذي غلب عليهم السحر فأذهب عقولهم ، ومن أجل ذلك أتى بالواو بين القصرين مشيراً بذلك أنهم رموه بخصلتين كلتاهما منافية للرسالة في اعتقادهم ، الأولى أنه مسحور ، و الثانية أنه بشر ، وقد استبعدنا معنى الرئة لأنها رمزٌ للبشرية التي ذكرت صراحة في الجملة التالية المعطوفة على الجملة الأولى ، والعطف في الغالب يقتضي المغايرة فضلاً عن ذلك أن الشيء لا يعطف على نفسه .

أما معنى المسحرين في الآية [153] الواردة في النص الثاني فإنها بمعنى (من ذوي الرئة) التي ترمز للبشرية ولذلك فصل النظم القرآني بين القصرين ليشعر -عن طريق الفصل - أن قصرهم له على البشرية في قوله تعالى : " ما أنت إلا بشر مثلنا " تأكيد وتوضيح لقصرهم عليها في الآية " إنما أنت من المسحرين " فضلاً عن ذلك فإن الفصل أشعر بأن تكذيب ثمود لصالح - عليه السلام – كان أقل من تكذيب أصحاب الأيكة لشعيب – عليه السلام – في النص السابق ، إذ لم يرموه بالسحر كما فعل قوم شعيب يدلك على ذلك أنهم أردفوا خطابهم بقوله تعالى : " فأت بآية إن كنت من الصادقين " فهم يطلبون دليلاً على صدق رسالته لأنهم يعتقدون أن الرسالة تتنافى مع البشرية ، أما قوم شعيب فقد أردفوا خطابهم بقوله تعالى : " وإن نضنك لمن الكاذبين " فالتكذيب صريح .

وشبيه بهذا تحديد معنى [الجنة]عن طريق الفصل والوصل:

كما في قوله: ((فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)) المؤمنون{19} وقوله: ((لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ)) الزخرف{73} قال في هذه السورة ومنها تأكلون بزيادة الواو لأن تقدير الآية منها تدخرون ومنها تبيعون وليس كذلك فاكهة الجنة فإنها للأكل فحسب فلذلك قال في الزخرف منها تأكلون ووافق هذه السورة ما بعدها أيضا وهو قوله ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون فهذا القرآن معجزة وبرهان [1]

يتصل بهذه الظاهرة ، أن تتشابه الجمل في عناصر البناء والترتيب ولم تختلف إلا في الفصل أو الوصل قال تعالى في سورة إبراهيم: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ"{6} وقال تعالى في سورة البقرة : "وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ " البقرة{49 } إذ إنّ فصل يذبحون في البقرة عمّا قبلها أشعر أن سوء العذاب هوالتذبيح بينما وصل ذلك بالواو في إبراهيم أشعر أن العذاب غير التذبيح اهتماما بشأنه فعطفه من عطف الخاص على العام لأنه من كلام موسى عليه السلام قال الكرماني : (لأن ما في هذه السورة والأعراف من كلام الله تعالى فلم يرد تعداد المحن عليهم والذي في إبراهيم من كلام موسى فعدد المحن عليهم وكان مأمورا بذلك في قوله" وذكرهم بأيام الله" [2]

يتصل بهذا قوله تعالى :" وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين" البقرة{58} وقوله تعالى: "وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين " الأعراف{161} فالملاحظ أن قوله: سنزيد المحسنين في الآيتين وردت مرة موصولة بالواو[في البقرة] وأخرى مفصولة[في الأعراف] والسبب في ذلك على مايبدو أن الواو هنالك لحكاية الأقوال فهي من الحكاية لا من المحكي أي قلنا وقلنا سنزيد، أمّا جملة (سنزيد المحسنين) فمستأنفة استئنافا بيانيا لأن قوله (تغفر لكم) في مقام الامتنان بإعطاء نعم كثيرة مما يثير سؤال سائل يقول : وهل الغفران هو قصارى جزائهم ؟ فأجيب بأن بعده زيادة الأجر على الإحسان أي على الامتثال [3]

المتشابهة في الهيكل البنائي والاختلاف في الفصل والوصل .

يختلف هذا السياق على السياق السابق في أن المشابهة فيه مقتصرة على الهيكل البنائي أو النمط الأسلوبي – إن صح التعبير – بينما المشابهة في السياق السابق كانت في هيكل البناء ومادته والآيات القرآنية التي تتشابه في هيكل البناء وتختلف في الفصل والوصل كثيرة في النص القرآني ومن ذلك مواطن السرد للحوار الذي ينقله النص القرآني

من ذلك قوله تعالى في سورة يوسف" وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ

عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ۞ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ " وقال تعالى في سورة النمل : "قَالَ يَا أَيُّهَا الَمَلأ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۞ قَالَ عِفْريتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ " الآية [38 -40]

إن هيكل بناء النصين السابقين واحد ففي كل واحد منهما قولان هما " قالوا أضغاث أحلام " "وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ" في النص السابق و "قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين " و "قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك " في النص الثاني. وهذان القولان في النصين قد تولدا من قول سابق لهما هو: قول الملك في سورة يوسف وقول النبي سليمان في سورة النمل غير أن القول الثاني في سورة يوسف " وقال الذي نجا منهما " قد ورد موصولاً بالقول السابق له بالواو والقول الثاني في نص سورة النمل: " قال الذي عنده علم من الكتاب " ورد مفصولاً عن القول الأول فما سبب هذه المغايرة في الفصل والوصل في النصين ؟ أو بمعنى آخر ما دلالة الفصل هنا والوصل هناك ؟

إن الناظر إلى القولين في سورة يوسف يجد هما متغايرين في أمرين : تحقق طلب القول السابق لهما، وزمن صدور القول من حيث أن الأول منهما رفض الطلب ، والثاني كان بعد فترة زمن القولين لم يكن واحد إذ أن صدور القول الثاني كان بعد فترة طويلة من صدور القول الأول قال تعالى : ((وادكر بعد أمة)) ومن هنا كان الوصل مناسباً تحقيقاً لهذا التغاير ، فضلا عن ذلك فإن الوصل أشعر بأن المخاطب بالقولين قد عمل بالقولين معاً . أما القولان في نص سورة النمل فإن كل منهما يحقق الطلب للقول السابق لهما ، وقد صدر ا في موقف واحد وزمان واحد وهو زمن القول السابق لهما ومن هنا كان الفصل إشعاراً بذلك . بيد أن هناك سبب آخر أهم أراده النص القرآني من خلال الفصل هو أن المخاطب بالقولين أخذ بالقول الثاني دون الأول ، يفهم ذلك من خلال زمن تحقيق الطلب في القولين إذ إن زمن تحقيقه في القول الثاني أقصر من زمن تحقيقه في القول الأول ، فالأول " قبل أن تقوم من مقامك " والثاني " قبل أن يرتد إليك طرفك "

يتصل بهذا قوله تعالى : "ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا "طه{105} جميع ما جاء في القرآن من السؤال وقع عقبه الجواب بغير الفاء إلا في قوله ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي 20 105 فإنه أجيب بالفاء لأن الأجوبة في الجميع كانت بعد السؤال وفي طه قبل وقوع السؤال فكأنه قيل إن سئلت عن الجبال فقل ينسفها ربي ﷺ

المشابهة في الحكم البلاغي والاختلاف في الفصل والوصل :-

يتصل بالمبحث السابق ويتعالق معه ما سمي عند البلاغيين ب(شبه كمال الانقطاع) وهو: أن

توجد جملة في السياق عقب جملتين يصح عطفه على الأولى منها ولا يصح عطفها على الأخرى فيترك العطف كلية دفعا للتوهم.من ذلك قوله تعالى : "وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون" البقرة{14,15}

ذكر البلاغيون أن جملة"اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ " فصلت عن "وَإِذَا خَلَوْاْ " مع أنه يصح عطفها عليها لئلا يتوهم أنها معطوفة على جملة (إِنَّا مَعَكُمْ) فتكون من مقولهم ، أو على جمة (قالوا) فتصير مقيدة بقوله (وَإِذَا خَلَوْاْ) .بيد أن ما ذكره البلاغيون لم يكن السبب وراء الفصل إنما هناك أسباب أخرى سنوضحها تباعاً ،بدليل أن هناك من الآيات التي تتشابه مع هذه الآية في هذا السبب ، ومع ذلك وردت موصلة بالواو .

من ذالك قوله تعالى في سورة العنكبوت " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" الآية [12]، وقوله تعالي في سورة [المنافقون] " إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ" الآية [1]

إن جملة " وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ"في آية العنكبوت وجمله " اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ"في آية [المنافقون] تشبهان جملة " اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ " في البقرة ، ومع ذالك وردت الآيتان موصلة بالواو ، ولم يتوهم هذا اللبس المذكور ، ذالك لأن الواو في الجملتين هي واو الحال ، ولو دخلت على جملة "اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ" لكانت كذلك . لذا فلا معنى لأن يعلل الفصل في آية البقرة . بما ذكر سيما وقد وجد المثيل الموصول بالواو في [العنكبوت ، والمنافقون]. فضلاً عن ذلك فإن هذا التعليل يذهب بالغرض من الفصل في آية [البقرة والوصل في العنكبوت والمنافقون] إذ أن الفصل في البقرة أشعر باستقلالية الجملة ؛إذ هى تهديد وتصريح للمنافقين نتيجة موقفهم السابق وهى بالمقابل تطمين وإيناس للرسول (ص) ولمن معه من المؤمنين ؛ بالجزاء العادل المرتقب . يتضح ذلك من خلال المشاكلة الفظيه في الآية فضلاً عن ذلك فإن الفصل أشعر بأن الجملة دعاء عليهم من قبل القارئ لهذه الآية .على أن الوصل في " ما هم بحاملين من خطاياهم " و"الله يعلم أنك لرسوله " أشعر بأن ما بعد الواو بحكم الحقائق المسلم بها التي لا تحتاج إلي إثبات.

من خلال ذالك فضلاً عما تقدم من الآيات يتضح أن الفصل والوصل بين الجمل يرجع إلي أغراض دلالية وأسرار بلاغيه يقصدها المتكلم من خلال ذلك ، وإن ما فصله البلاغيون للقوانين التي أجملها الجرجاني ، لم تكن إلا من تلك الأغراض .

الفصل والوصل مراعاة للتوافق اللفظي في السياق:

الأصل في الجملة إذا وقعت بعد جملة أجنبية لا تحسن إلا بحرف العطف وإن كان في الجملة الثانية ما يعود إلى الأولى حسن إثبات حرف العطف وحسن الحذف اكتفاء بالعائد كقوله تعالى : "أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" التوبة{89} وقوله تعالى"تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ

وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" النساء{13} قوله خالدين فيها وذلك الفوز العظيم بالواو وفي براءة ذلك بغير واو ولفظ ذلك في الآيتين يعود إلى ما قبل الجملة فحسن الحذف والإثبات فيهما ولتخصيص هذه السورة بالواو وجهان لم يكونا في براءة أحدهما موافقة لما قبلها وهي جملة مبدوءة بالواو وذلك قوله ومن يطع الله والثاني موافقة لما بعدها وهو قوله وله بعد قوله خالدا فيها وفي براءة أعد الله بغير واو ولذلك قال ذلك بغير واو□ ﷺ

يتصل بذلك قوله تعالى : "وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا" النساء{127} وقوله : "يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُها إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" النساء{176}

قوله يستفتونك 176 بغير واو لأن الأول لما اتصل بما بعده ؛أي ذكر المستفتى عنه وهو قوله في النساء وصله بما قبله بواو العطف والعائد جميعا والثاني لما انفصل عما بعده ؛ أي لم يذكر المستفتى عنه ؛ اقتصر من الاتصال على العائد وهو ضمير المستفتين وفي الآية متصل بقوله [يفتيكم] وليس بمتصل بقوله يستفتونك لأن ذلك يستدعي قل الله يفتيكم في الكلالة والذي يتصل ب [يستفتونك] محذوف يحتمل أن يكون في الكلالة ويحتمل أن يكون فيما بدا لهم من الوقائع. ﷺ

استخدام حروف العطف:

الأصل في استخدام حروف العطف أن تكون الواو لمطلق الجمع ﷺ والفاء للترتيب مع التعقيب وثم للترتيب مع التراخي نحو قوله تعالى (والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين) فالأول عطفه بالواو التي هي للجمع وتقديم الإطعام على الإسقاء والإسقاء على الإطعام جائز لولا مراعاة حسم النظمِ ثم عطف الثاني بالفاء لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهماِ ثم عطف الثالث بثم لأن الإحياء يكون بعد الموت بزمانٍ ولهذا جيء في عطفه بثم التي هي للتراخي ﷺ

ومن ذلك قوله تعالى " قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره " ألا ترى أنه لما قال " من نطفة خلقه " كيف قال (فقدره) ولم يقل ثم قدره لأن التقدير لما كان تابعاً للخلقة وملازماً لها عطفه عليها بالفاءِ وذلك بخلاف قوله ثم السبيل يسره ؛ لأن بين خلقته وتقديره في بطن أمه وبين إخراجه منه وتسهيل سبيله مهلة وزماناً فلذلك عطفه بثمِ وعلى هذا جاء قوله تعالى (ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره) ؛ لأن بين إخراجه من بطن أمه وبين موته تراخياً وفسحةِ وكذلك بين موته ونشوره أيضاً ولذلك عطفهما بثمِ ولما لم يكن بين موت الإنسان وإقباره تراخٍ ولا مهلة عطفه بالفاءِ. ﷺ غير أن النص القرآني قد ينزاح عن هذه القواعد لأغراض بلاغية جمالية لم تكن لولا هذا

الانزياح ونلمس هذا من خلال أمرين:

الأول : الانزياح عن المعيار السابق لأدوات العطف ؛ ونعني به أن يستخدم النص القرآني في سياق أحد حروف العطف والظاهر يقتضي غيره لأغراض بلاغية من ذلك:

الاقتصاد اللغوي: كقوله تعالى: " وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ" الأعراف{4} فالظاهر أو المعيار يقتضي العطف بالواو في[جاءها] لا الفاء أو تقديم البأس علي الإهلاك بحسب قاعدة الفاء التي تدل على الترتيب والتعقيب وظاهر الترتيب أن يسبق البأس ثم يعقبه الإهلاك غير أن النص القرآني انزاح عن هذه القاعدة وغرضه من ذلك الاقتصاد اللغوي فكيف؟إنّ هذا الانزياح أوحى بالآتي: الاهتمام بالإهلاك عن طريق التقديم ومن ثمّ فالترتيب ترتيب لفظي وليس ترتيب حدوثي ؛ بمعنى أن الهلاك كان عقب البأس وبعده إلاّ أنه قدمه بالذكر اهتماما به.أنه أراد من لفظ الهلاك الإرادة ؛ بمعنى أردنا إهلاكها ؛ فعبر بالفعل للإشارة إلى أنّ هلاكهم محقق لا رجعة عنه تخويفا وزجرا لهم. أنه أراد التفصيل بعد الإجمال فذكر الإهلاك ثم فصله بنوعين أحدهما مجيء البأس بياتا أي ليلا والثاني مجيئه وقت القائلة وخص هذين الوقتين لأنهما وقت راحتهم وطمأنينتهم فجاءهم بأس الله.في وقت طمأنينتهم وسكونهم على عادته سبحانه في أخذ الظالم في وقت بلوغ آماله وكرمه وفرحه[شم 3].

الثاني : الانزياح في السياقات التي تبدو متشابهة فعلى حين يستخدم الواو في آية نجده في آية أخرى مشابهة يستخدم غيرها من الأدوات لحكمة بلاغية اقتضاها النظم المعجز ومن ذلك :

الواو والفاء : قال تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ" البقرة{58} وقوله تعالى في الأعراف: " وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ" {161} نلاحظ أنه قال في البقرة[فكلوا] بالفاء وفي الأعراف [وكلوا] بالواو وذلك لأنه قال في البقرة [ادخلوا] والدخول قد يكون لفترة يسيرة فيتبعه الأكل من أجل ذلك استخدم الفاء أمّا في الأعراف قال :[اسكنوا] المعنى أقيموا فيها وذلك ممتد فذكر بالواو أي اجمعوا بين الأكل والسكون [لم 3].

الفاء وثم: قال تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا" الكهف{57 }وفي السجدة ثم أعرض عنها قال تعالى **:**"وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ"{22} ؛لأن الفاء للتعقيب وثم للتراخي وما في هذه السورة في الأحياء من الكفار إذ ذكروا فأعرضوا عقب ما ذكروا ونسوا ذنوبهم وهم بعد متوقع منهم أن يؤمنوا وما في السجدة في الأموات من الكفار بدليل قوله" ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم"{ 12 }أي ذكروا مرة بعد أخرى

وزمانا بعد زمان ثم أعرضوا عنها بالموت فلم يؤمنوا وانقطع رجاء إيمانهم□ ير.

الواو وثم: قال تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ونتلوكم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ" الأنبياء{ 35 }وفي العنكبوت" ثم إلينا ترجعون"{ 57 } ؛ لأن ثم للتراخي والرجوع هو الرجوع إلى الجنة أو النار وذلك في القيامة فخصت سورة العنكبوت به وخصت هذه السورة بالواو لما حيل بين الكلاميين بقوله" ونتلوكم بالشر والخير فتنة"{ 35 }وإنما ذكرا لتقدم ذكوهما فقام مقام التراخي وناب بالواو منابة.

عطف الشيء على نفسه:

القاعدة أن الشيء لا يعطف على نفسه لأن حروف العطف بمنزلة تكرار العامل لأنك إذا قلت قام زيد وعمرو فهي بمعنى قام زيد وقام عمرو والثاني غير الأول ، غير أن النص القرآني قد ينزاح عن هذه القاعدة لأسباب بلاغية بيانية يقتضيها المقام" فإذا وجدت مثل قولهم كذبا ومينا[ففه] لمعنى زائد في اللفظ الثاني وإن خفي عنك"[ومن] ذلك قوله تعالي: "هوا لأول والآخر والظاهر والباطن" الحديد{3} ؛ فالأول و الآخر والظاهر والباطن كلها من أسماء الله تعالى فكان الظاهر أن تأتي بغير عطف غير أن النص القرآني أوردها معطوفة بالواو للأسباب الآتية على مايبدو هي:

- صرف لوهم المخاطب قبل التفكر والنظر عن توهم المحال واحتمال الأضداد لأن الشيء لا يكون ظاهرا باطنا من وجه واحد وإنما يكون ذلك باعتبارين فكان العطف ههنا أحسن من تركه

- الإشارة إلى كمال الموصوف عن طريق العطف ؛ فإنه لما كانت هذه الألفاظ دالة على معان متباينة وأن الكمال في الاتصاف بها على تباينها أتى بحرف العطف الدال على التغاير بين المعطوفات إيذانا بأن هذه المعاني مع تباينها ثابتة للموصوف بها.

ووجه آخر وهو أحسن منها وهو أن الواو تقتضي تحقيق الوصف المتقدم وتقريره وبيان ذلك أنه إذا كان لرجل مثلا أربع صفات هي عالم وجواد وشجاع وغني وكان المخاطب لا يعلم ذلك أو لا يقر به ويعجب من اجتماع هذه الصفات في رجل فإذا قلت زيد عالم وكان ذهنه استبعد ذلك فتقول وجواد أي وهو مع ذلك جواد فإذا قدرت استبعاده لذلك قلت وشجاع أي وهو مع ذلك شجاع وغني فيكون في العطف مزيد تقرير وتوكيد لا يحصل بدونه، وإذا عرفت هذا فالوهم قد يعتريه إنكار لاجتماع هذه المتقابلات في موصوف واحد فإذا قيل هو الأول ربما سرى الوهم إلى أن كونه أولا يقتضي أن يكون الآخر غيره لأن الأولية والآخرية من المتضايفات وكذلك الظاهر والباطن إذا قيل هو ظاهر ربما سرى الوهم إلى أن الباطن مقابله فقطع هذا الوهم بحرف العطف الدال على أن الموصوف بالأولية هو الموصوف بالآخرية ، والموصوف بالظاهرية هو الموصوف بالباطنية فكأنه قيل هو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن لا سواه□ ير

الخاتمة

توصل الباحث من خلال تحليله لمجموعة من الآيات التي خرجت عن مقتضى الظاهر في الفصل

أو الوصل إلى مجموعة من النتائج لعل أبرزها: -

- إن هناك ظاهرة قرآنية تكرر ورودها في أكثر من موضع في النص القرآني هي ظاهرة الفصل بين قولين لقائل واحد بتكرار (قال) بين القولين لأغراض دلالية من ذلك : - الإشارة إلى الكلام النفسي أو الجانبي - الفصل للإحالة إلى نصوص أخرى متشابهة - الفصل إشعار باختلاف مرجع الضمير في القولين - الفصل لتأكيد أو التوضيح لمضمون القول السابق
- أن هناك العديد من الآيات وردت موصلة بالواو مع أن الظاهر بحسب تفصيلات البلاغيين يقتضي الفصل ، ومن ذالك -عطف الخبر على الإنشاء أو العكس - الوصل بين جملتين بالواو مع أن الظاهر يقتضي أن بينها كمال الاتصال
- أن هناك بعض الآيات تشابهت في المضمون والصياغة واختلفت في الفصل و الوصل ، كما أن هناك بعض الآيات التي تشابهت في الهيكل البنائي واختلف في الفصل والوصل لأغراض بيانية ، وبلاغية بينها الباحث في موطنها من البحث .
- أن النص القرآني قد يخرج عن الاستخدام المألوف لأحرف العطف تارة بخروجه عن المعيار الأسلوبي وتارة بانزياحه عن نسق مشابه في آية أخرى كل ذلك لأغراض بلاغية وبيانية أبرزها الباحث في مبحث استخدام أحرف العطف. من خلال النتائج السابقة توصل الباحث إلى:
- أن خاصية الفصل أو الوصل بين الجمل تخضع بدرجة كبيرة إلى مراد المتكلم، وليس إلى ظاهر الخطاب.
- أن ما ذكره البلاغيون من مواطن الفصل أو الوصل بين الجمل لم تكن إلا بعض الأمثلة أو الأغراض التفصيلية ، والتوضيحية للقوانين العامة للفصل والوصل التي أتى بها عبد القاهر الجرجاني وليست كلها.
- أن تفصيلات البلاغيين لقانون كمال الانقطاع نظرت إلى الناحية التشكيلية ، عندما أوجبت الفصل لاختلاف الجملتين في الخبر والإنشاء ، أو انعدام المناسبة بين الجملتين مع أن الناحية الشكلية غير مقصودة في البلاغة ، فضلاً عن ذلك ورد العديد من الآيات التي خالفت هذه النظرة.

التوصيات

لكل ذلك يوصي الباحث إعادة القراءة للخاصية البلاغية من خلال النصوص الإبداعية على أن ينطلق البحث في الظاهرة البلاغية من حيث وصل الآخرون و من النص الإبداعي إلى القاعدة وليس من القاعدة إلى النص. فإذا فعلنا ذالك نستطيع الخروج بقوانين جديدة ونظريات حديثة نابعة من ثقافتنا ومبنية على تذوق النصوص الجميلة واستكشاف سر جمالها وإبداعها ؛ بمعنى أن نعود بالبلاغة إلى الاتجاه المبني على الذوق والتذوق للنصوص كما وجدت عند الجرجاني .

الهوامـش

1 = ينظر دلالات التركيب / بحث الفصل والوصل

2 = ينظر لسان العرب مادة (وصل)

3 = المصدر نفسه مادة(فصل)

4 = ينظر بغية الإيضاح 62/2 عبد المتعال الصعيدي

5 = دلائل الأعجاز / 171 .

6 = قبل بل نفيد أنهما كالنظرين ، والشريكين بحيث إذا علم السامع حال الأول عساه أن يعرف حال الثاني – ينظر البرهان في علوم القرآن ،الزركشي ، 2/4 -1

7 = ينظر البغية 62/2.

8 = ينظر البيان والتبيين الجاحظ تح عبد السلام محمد هارون ، 88/1

9 = ينظر، الصناعتين، لأبي هلال العسكري، الموسوعة الشعرية

10 = دلائل الإعجاز. /178 .

11 = (نقلا عن المعاني في ضوء أساليب القرآن / عبد الفتاح لا شين /312

12 = ينظر دلائل الإعجاز . /171

13 = ينظر دلائل الإعجاز /178 -188

14 = ينظر ، الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القز ويني، 148/1

15 = السابق

16 = ينظر البرهان 102/4

17 = انتفاء الجامع بين الجملتين قد يكون بسبب انتفائه عن المسند إليه فيها كقولك زيد طويل ، وعمر قصير إذا لم يكن بينهما جامع من صداقة ونحوها ، وقد يكون بسبب انتفائه عن المسند فيها كقولك – زيد طويل ، وعمرو نائم في حال وجود صداقة بينهما . ينظر بغية الإيضاح 70/2 .

18 = السابق 77/2، 78.

19 = يقصد كمال الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال ، وشبه كمال الانقطاع

20 = ينظر بغية الإيضاح 84/2

21 = كمال الاتصال وكمال الانقطاع المشار إليها سابقاً

22 = ينظر الآيات المتناولة في التحليل لا حقاً.

23 = ظاهرة توسيط ((قال)) مفصول بين قولين لقائل واحد.

24 = ينظر إرشاد العقل السليم / 295/3

25 = ينظر التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر، 88/19

26 = ينظر إرشاد العقل السليم / 295/3= الكشاف، 131/2

27 = ينظر التحرير والتنوير، الطيب بن عاشور، 1607/1

28 = ينظر إرشاد العقل السليم / 295/3= الكشاف، 131/2

29 = المرجع السابق

30 = ينظر الكشاف 131/2

31 = ينظر روح المعاني، 76/19

32 =إرشاد العقل السليم170/1

33 = التحرير والتنوير ، الطيب ابن عاشور ، المكتبة الشاملة، 1510/1

34 = التحرير والتنوير، المكتبة الشاملة، 3075/1

35 = الآيات (7) ، (18) ، (5) ، (198) من سورة الأحزاب ، الحشر ، البقرة .

36 = ينظر روح المعاني 160/19

37 =ينضر أسرار التكرار في القرآن ، : محمود بن حمزة بن نصر لكرماني الناشر : دار الاعتصام - القاهرة الطبعة الثانية ، 1396تحقيق : عبد القادر احمد عطا، 147/1

38 = ينظر أسرار التكرار لكرماني، 27/1

39= ينظر أسرار التكرار 27/1 وما بعدها

40 = ينظر المرجع السابق ، 41/1

41 = بنظر أسرار التكرار في القرآن ، 54/1

42 =المرجع السابق، 59/1

43 = بمعنى أنها لإتراعي ترتيبا أو تعقيبا بين المعطوف والمعطوف عليه ؛ فقد تعطف الشيء على مصاحبة نحو (فأنجيناه وأصحاب السفينة) وعلى سابقه نحو (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم) وعلى لاحقه نحو (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك) وقد اجتمع هذان في (ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) متقدما

44 =ينظر، ا لمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف : أبي الفتح ضياء الدين نصرا لله بن محمد بن محمد بن عبدا لكريم الموصلي الناشر : المكتبة العصرية - بيروت ، 1995تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد، 46/2

45 = المرجع السابق ، 1 /203

46 = بدائع الفوائد202/1

47= ينظر أسرار التكرار ، 28/1

48 = السابق133/1

49 = المرجع السابق ، 1/ 98

قائمة المصادر والمراجع

1 - الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث القاهرة 1967م
2 - أسرار التكرار في القرآن ،المؤلف : محمود بن حمزة بن نصر الكرماني ،الناشر : دار الاعتصام – القاهرة، الطبعة الثانية ، 1396 ،تحقيق : عبد القادر أحمد عطا.
3 - إرشاد العقل السليم ، أبو السعود محمد العمادي ، دار إحياء التراث
4 - الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، د/ أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية 1996م
5 - الإعجاز البياني للقرآن ، د/ عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ط 2
6 - إعجاز القرآن ، وعلم المعاني ، د/ عمر الملاح حويش ، مكتبة الفلاح ، الكويت ط1407 هجريه _ 1986م
7 - الإيضاح تلخيص المفتاح ، الخطيب القز ويني ضمن كتاب بغية الإيضاح ، عبد المتعال الصعيدي ، مكبة محمد علي صيم ، الأزهر ط.
8 - بدائع الفوائد، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ،الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، 1416 – 1996 ،تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي.
9 - البرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم دار الجيل
11 - البرهان في متشابه القرآن ، الكرماني ، دار الوفاء للطباعة ط 1418 -1981م
12 - البيان والتبيين للجا حض ،تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، 1975م
13 - تأويل مشكل القران، أبى قتيبة، تح السيد أحمد صقر، ،ط3 ،المكتبة العلمية، 1401ه_1981م
14 - تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، وبيان إعجاز القران، ابن أبي الإصبع تح، حنفي شرف، نشر لجنة أحيا التراث الإسلامي
15 - تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، محمد مفتاح ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء1986م
16 - التعبير القرآني، د/ السامرائي، دار عمار، عمان ط2 2002م
17 - تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر
18 - التفسير القرآني للقران، د/عبدا لكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة
19 - خصائص التعبير القرآني ، وسماته البلاغية، د/ عبد السلام إبراهيم، مكتبة وهبه ط1 1992م
20 - دراسات لأسلوب القران الكريم ا محمد عبدالخالق عظيمه دار الحديث
21 - درة التنزيل ، وغرة التأويل للخطيب الاسكافي، منشورات دار الأفاق الجديدة،
22 - دلائل الإعجاز، الجرجاني، تعليق محمد عبده / والسيد محمد رشيد رضا دار المعرفة، بيروت 1402ه - 1982م
23 - دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه القاهرة ط2
24 - دينامكية النص، تنظير وإنجاز، د/محمد مفتاح المركز الثقافي العربي، ط2 1990م
25 - روح المعاني ،محمد الألوسي، تح محمد أحمد الأمد ،ومحمد عبدا لسلام ،دار إحياء التراث العربي ط1 1992م
26 - علم المعاني بين بلاغة القدماء وأسلوب المحدثين /طالب محمد إسماعيل -منشورات جامعة قار يونس، بني غازي ط1 1998م
27 - القاموس المحيط، الفيروز أبادي، تح مكتب تحقيق التراث بيروت
28 - قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، الشيخ جلال الحنفي ،وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بغداد 1987م

29 - كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى ابن حمزة العلوي - دار الكتب العلمية، بيروت 1980م
30 - الكشاف عن حقائق التنزيل ،الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي ط2 2
31 - كيف اشرح النص الأدبي، قريرة، دار قرطاج للنشر تونس 1996م
32 - لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي
33 - محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي ،تح محمد بن علي ، د/ حمدي صبيح ، دار الحديث القاهرة 2003م
34 - المعاني في ضوء أساليب القرآن ، د/ عبد الفتاح لاشين ، المكتبة الأموية ط 4
35 - معاني القرآن للفراء، تح محمد علي النجار ، ط 3/2003م
36 - النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي، د/ محمد حماسة دار الشروق ط1 القاهرة 2000م
37 - النص ألأدبي تحليله وبناؤه مدخل إجرائي ، د/ خليل إبراهيم ، عمان ط1 1985
38 - نظرية التلقي أصول وتطبيقات ، د/ بشرى موسى صالح ، مط دار الشؤون الثقافية العامةالعراق ط1 1999م

أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني على كل من التحصيل، و الاحتفاظ بالتعلم في مادة العلوم لدى طلبة الصف الثامن من المرحلة الأساسية بمديرية النادرة، محافظة إب

د./ محمد فائز محمد عادل
أستاذ المناهج وطرق التدريس المشارك ، كلية التربية النادرة

الملخص

يتلخص هذا البحث في معرفة جانبين رئيسين :

الأول : أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني على التحصيل في مادة العلوم لدى طلبة الصف الثامن من المرحلة الأساسية مقارنة بالأسلوب التقليدي.

الثاني : أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني على الاحتفاظ بالتعلم لدى طلبة الصف الثامن من المرحلة الأساسية مقارنة بالأسلوب التقليدي.

و في ضوء هذه الأهداف والمتغيرات ، يمكننا رصد نتيجتين مهمتين حققهما البحث وهما :

1) وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الاختبار التحصيلي في مادة العلوم لطلبة المجموعة التجريبية الذين درسوا بالتعلم التعاوني ، ومتوسطات درجات التحصيل لطلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا بالأسلوب التقليدي ، ولصالح المجموعة التجريبية.

2) وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الاختبار المؤجل للاحتفاظ بالتعلم في مادة العلوم لطلبة المجموعة التجريبية الذين درسوا بأسلوب التعلم التعاوني ، ومتوسطات درجات طلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا بالأسلوب التقليدي ، ولصالح المجموعة التجريبية.

مقدمة:

شهد النصف الثاني من القرن العشرين اهتماماً متزايداً بأسلوب التعلم التعاوني ، باعتباره إستراتيجية ذات أثر فعال في الميدان التربوي ، وذلك في مدارس التعليم العام ، والتعليم الجامعي على حد سواء.وتنبثق معظم نماذج التعليم التعاوني من أسس جون ديوي التربوية التي ترى أن التعلم داخل الفصل يجب أن ينهمك فيه جميع التلاميذ بفعالية ، وأن المعلم ليس هو المصدر الوحيد في عملية التعليم. (lazarowitz, 1984 , P629). كما طبق فرانسيس باركر التعلم التعاوني في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر ، عندما كان مديراً في المدارس الحكومية الأمريكية " 1870 -1880" (جون ، و آخرون ، 1993 ، ص 55). ثم تنامى الاهتمام بالتعلم التعاوني بعد ذلك.حيث كتب مولر كتاباً عن التعاون ، والتنافس في عام 1929 ، كما نشر دوتيش نظرية عن التعاون والتنافس ، التي انتشرت لدى كثير من الباحثين ، والمجربين. (المرجع السابق ، ص57). كما قام جونسون بتطوير أفكار دوتيش حتى توصل إلى

صياغة نماذج نظرية تتعلق بالتعلم التعاوني، وعناصره، سعياً إلى تطبيق تلك النظريات كاستراتيجيات عملية تطبق في المدارس منذ عام 1970م. (الموسوي، 1992، ص10). كما طور كل من ديفيد ديفريز، وكيث إدواردز في جامعة جونز هوبكنز، برنامجاً للتعلم التعاوني على يد سلافين، وزملائه في بداية السبعينيات. ثمَ تواصل الاهتمام بدراسة، وتطبيق التعلم التعاوني لدى كل من سبنسركاجن في الولايات المتحدة، وجايل هيوز، وزملائه في كندا، و أجيل تبكر في النرويج. (المرجع السابق، ص 213). ويعتمد التعلم التعاوني على تقسيم الطلبة إلى مجموعات صغيرة داخل الفصل الدراسي لتحقيق أهداف تربوية مشتركة، من خلال التعاون بين الطلبة، والتوصل إلى قرارات بالإجماع. وله تأثير قوي في تعزيز التحصيل الدراسي، مقارنة بالتعلم الفردي. الذي يعمل فيه كل تلميذ منفرداً داخل الفصل الدراسي كل حسب قدرته. (1994، .PP 167 -181, Chang and Lederman). وقد أكدت معظم الدراسات فاعلية استخدام التعلم التعاوني، لما حققته من أنماط تعليمية مميزة أهمها: تحصيل أعلى، وتذكر لمدة أطول، وتطوير عمليات التفكير العليا، وزيادة الدافعية نحو التعلم، وزيادة الثقة بالنفس، واحترام الذات، وقبول الطلبة لوجهات نظر الآخرين، وإيجاد العلاقات الايجابية تجاه المدرسة، والمنهج، والمعلم، والقدرة على التحكم في الوقت، ومساندة اجتماعية أكبر لأعضاء المجموعة، ومهارات اجتماعية أكثر أثناء التعامل مع الآخرين. (السميري، 2003، ص 15). كما أن التعلم التعاوني ضمن مجموعة، يغير في المعلومة فيحولها من حالة الجمود إلى الحركة، وبالآتي يمكن أن نسمي التعلم التعاوني بأنه تعلم نشط (schon, 1986, p).ونظراً لأهمية التعلم التعاوني، فقد قدم مقرر (التدريس من خلال المجموعة) في بعض جامعات الولايات المتحدة الأمريكية، وفي بريطانيا، وذلك لتقوية مهارات أعضاء هيئة التدريس في إدارة العمل التعاوني. ثم خضع هذا المقرر للتطوير ليصبح أكثر فاعلية. (Adams & Hamm , 1994, p:27). ونظراً لكون التعلم التعاوني، كما أشار "سلافين" صالحاً لجميع المراحل الدراسية، وكافة التخصصات، والموضوعات.(العيوني، 2003، ص107). فإن هذه الدراسة عبارة عن محاولة من الباحث للتحقق من أثر استخدام التعلم التعاوني على التحصيل في مادة العلوم لطلبة الصف الثامن بمدارس مديرية النادرة الواقعة في نطاق محافظة إب مقارنة بالأسلوب التدريس العادي.

مشكلة الدراسة:

بحكم طبيعة عمل الباحث في الإشراف على طلبة التربية العملية، تخصص علوم، وزياراته المتكررة للمدارس الأساسية والثانوية، لاحظ أنَّ معظم معلمي العلوم لا يزالون يستخدمون طرق التدريس ذات الطابع التقليدي، التي تعتمد على المعلم باعتباره المصدر الأساس للمعلومات، ولكون أسلوب التعلم التعاوني يعود بمكاسب ايجابية على الطالب منها: زيادة التحصيل، وزيادة الحافز نحو التعلم، ونمو اتجاهات إيجابية نحو التعلم، ونمو مهارات التعاون مع غيرهم. (shroyer,1989,p.429) ولكون كثير من الدراسات أظهرت أنَّ التعلم التعاوني له أثر ايجابي على تعلم الطلبة في مراحل التعليم العام.(

العمر، 2001، ص21). فإن مشكلة الدراسة تحددت بالسؤال الرئيس الآتي:

❖ ما أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني على كل من التحصيل الدراسي، والاحتفاظ بالتعليم في مادة العلوم لدى طلبة الصف الثامن من المرحلة الأساسية مقارنة بالأسلوب التقليدي؟

أسئلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عن التساؤلين الآتيتين:

❖ هل هناك فرق دال إحصائيا بين متوسط درجات الاختبار التحصيلي في مادة العلوم لطلبة الصف الثامن الذين درسوا بأسلوب التعلم التعاوني، ومتوسط درجات الطلبة الذين درسوا بالأسلوب التقليدي؟.

❖ هل هناك فرق دال إحصائيا بين متوسط درجات الاختبار التحصيلي في مادة العلوم يعود للاحتفاظ بالتعلم لطلبة الصف الثامن الذين درسوا بأسلوب التعلم التعاوني، ومتوسط درجات الطلبة الذين درسوا بالأسلوب التقليدي؟ .

أهمية الدراسة:

لهذه الدراسة أهمية يمكن إجمالها في الجوانب الآتية:

1. تسهم الدراسة في توضيح أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني على التحصيل في مادة العلوم، والاحتفاظ بالتعلم، لدى معلمي العلوم بالمرحلة الأساسية.
2. إبراز أهمية طرق التدريس في المدارس، لتحقيق المزيد من جودة التعليم، وشموله.
3. تعتبر هذه الدراسة إضافة جديدة في مجال طرق التدريس، للاستفادة منها في الواقع التدريسي.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الهدفين هدفين هما :

1. التعرف على أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني على التحصيل في مادة العلوم لدى طلبة الصف الثامن من المرحلة الأساسية مقارنة بالأسلوب التقليدي.
2. التعرف على أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني على الاحتفاظ بالتعلم لدى طلبة الصف الثامن من المرحلة الأساسية مقارنة بالأسلوب التقليدي.

حدود الدراسة:

اقتصرت هذه الدراسة على تقصي أثر أسلوب التعلم التعاوني على التحصيل الدراسي و الاحتفاظ بالتعلم في مادة العلوم لدى طلبة الصف الثامن من المرحلة الأساسية بمدرسة الوحدة بمديرية النادرة، محافظة إب.

- تم تطبيق الدراسة على وحدة" الكهرباء التيارية" لمادة العلوم للصف الثامن من التعليم الأساسي.
- تم تطبيق الدراسة في الفصل الدراسي الأول من العام 2006/2007م
- اقتصرت على تقصي أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني على التحصيل الدراسي في مادة العلوم لدى طلبة الصف الثامن من المرحلة الأساسية، و الاحتفاظ بالتعليم.

مصطلحات الدراسة:

التعلم التعاوني:

هو" إستراتيجية تعليمية منظمة، ومرتبة يمكن استخدامها في أي مرحلة تعليمية، وفي أغلب المواد الدراسية، ويقسم فيها الطلاب على مجموعات تعليمية تضم من (4 -6). (الموسوي، 1992، ص59)."

التحصيل الدراسي:

هو عبارة عن " مدى استيعاب التلاميذ لما درسوه أو تعلموه من خبرات معينة من خلال مقررات دراسية، وتقاس الدرجة التي يحصل عليها الطالب في الاختبار التحصيلي المعد لهذا الغرض". (اللقاني، والجمل، 1996، ص 47).

الاحتفاظ بالتعلم:

هو "ناتج ما تبقى في الذاكرة من التعليم، ويقاس بالدرجة التي يحصل عليها المتعلم في المادة عند تطبيق الاختبار عليه مرة ثانية، والذي تم تطبيقه بعد الانتهاء من المنهج مباشرة". (اللقاني، والجمل، 1996، ص 8).

المرحلة الأساسية:

هي المرحلة التي تبدأ من الصف الأول وتنتهي بالصف التاسع حسب السلم التعليمي في الجمهورية اليمنية.

الأسلوب التقليدي:

هو " أسلوب شائع في التعلم يرتكز على إصغاء التلاميذ للمعلم أثناء الشرح ، وقد يجيبون عن الأسئلة التي يطرحها عليهم المعلم لاستظهار المعلومات الموجودة في الكتاب المدرسي ، ويؤدي التلاميذ امتحانات في نهاية فترة زمنية معينة ، والمعلم مركز عملية التعلم في إدارة الصف ، والضبط ، التعزيز، وتحديد مقدار التعلم ، وزمنه " . (ابراهيم ، 1997 ، ص ص 97 -98) .

الإطـــار النـظري:

التعلم التعاوني: عرف (أرتزت) التعلم التعاوني بأنه " أحد أساليب التعلم التي تتطلب من المتعلمين، العمل في مجموعات صغيرة، لحل مشكلة ما، أو لإتمام عمل معين، أو تحقيق هدف ما، يشعر كل فرد من أفراد المجموعة بمسؤوليته تجاه مجموعته". (Artzet and Thomos, 1990, P8). كما عرفه ستيفن بأنه استراتيجية تدريس ناجحة" يتم فيها استخدام المجموعات الصغيرة، وتضم كل مجموعة تلاميذ ذوي مستويات مختلفة في القدرات، يمارسون أنشطة تعلم متنوعة، لتحسين فهم الموضوع المراد دراسته، وكل عضو عليه أن يساعد زملاءه في المجوعة على التعلم، وبالآتي يخلق جواً من الانجاز، والتحصيل، والمتعة أثناء التعلم" (Stephen, 1992, P.16). وعرفه جونسون بأنه " الاستخدام التعليمي للمجوعات الصغيرة، بحيث يعمل الطلاب مع بعضهم البعض لزيادة تعلمهم، وتعلم بعضهم بعضاً في أقصى حد ممكن". (جونسون و

آخرون، 1993، ص 5). ويرى العيوني التعليم التعاوني بأنه: " أسلوب تعليمي، يعتمد على تقسيم تلاميذ الفصل إلى مجموعات صغيرة، تتراوح أعدادها مابين ثلاثة إلى ستة تلاميذ، لتحقيق هدف مشترك، يتم تحقيقه من خلال التعاون بين هؤلاء التلاميذ، والتوصل إلى قرارات بالإجماع، ويمكن استخدامه في كافة التخصصات، وجميع الموضوعات، وفي كل المراحل الدراسية". (العيوني، 2003، ص 107). وفي ورقة قدمت للمؤتمر السنوي للجمعية الوطنية للبحث في تدريس العلوم، عرفت التعلم التعاوني بأنه" بيئة صفية، تتضمن مجموعة صغيرة من الطلاب المتباينين في قدراتهم، ينفذون مهاماً تعليمية، ويطلبون المساعدة من بعضهم البعض، ويتخذون قرارهم بالإجماع". (Dori, Y., Yersolavsk: , O., and Lazarowitz R, 1995, P.337).

أهمية التعلم التعاوني:

يشير " إيلز" إلى أن " أسلوب التعلم التعاوني أسلوب تدريس قيم، وفعال، لماله من فائدة على التلاميذ، سواء من الناحية الأكاديمية أو الاجتماعية (Ellis, 1989/1990, PP.34-37). وفي هذا الصدد قام" سلافين" بمراجعة لعدد من البحوث عن أثر التعلم التعاوني على التحصيل مقارنة مع أساليب تدريسية أخرى ضابطة، في الصفوف من السابع، وحتى الثاني عشر. فكانت النتيجة أن(68 ٪) من هذه المقارنات جاءت لصالح التعلم التعاوني عند مستوى دلالة (0.05). (Slavin, (1989/1990, P.53. وكذلك قام " شارون" بمراجعة لعدد من الدراسات تناولت أثر خمسة نماذج للتعلم التعاوني، على التحصيل الأكاديمي، والاتجاه، والعلاقات الاجتماعية. (Sharan, 1980, P24). كما يرى جابر عبد الحميد أن التعلم التعاوني يعمل على:

1) تحسين أداء التلاميذ في التحصيل الدراسي.
2) تقبل التنوع لدى التلاميذ.
3) **تنمية المهارات الاجتماعية لدى التلاميذ. (العيوني، 2003، ص 109)**

وترى أهيوجا أن التعلم التعاوني:

1) يدرب التلاميذ على تحمل المسؤولية.
2) يساعد التلاميذ على التفاعل الإيجابي مع بعضهم.
3) يتم التوصل فيه إلى الاستنتاجات، والقرارات عن طريق المناقشة. (المرجع السابق، ص 109).

كما حدد " شلتز" أهمية التعلم التعاوني بالآتي:

1) تنمية الاتجاه الإيجابي نحو التعلم.
2) إشباع رغبات التلاميذ التجريبية. (Schultz, 1989, P.43).

وحددت " ماثوس" أهمية التعلم التعاوني بالآتي:

1) تنمية الاتجاه الإيجابي نحو المدرسة.

2) تنمية المهارات الاجتماعية. (Matthews, 1992, P43).

الفرق بين التعليم التعاوني والتعلم التعاوني:

إن التعليم التعاوني هو الخطوة الأولى من الطريقة التقليدية، التي تقوم على أساس التنافس الفردي بين التلاميذ من حيث المعرفة، والإدراك للمهارات الأساسية. والذي يحتاج إلى جهد تعاوني بين المعلم، والتلاميذ، يؤدي إلى تحقيق الأهداف المطلوبة.(الحريري، 2001، ص17).

أما التعلم التعاوني فهو:" استراتيجية تدريسية ناجحة، يتم فيها استخدام المجموعات الصغيرة، وتضم كل مجموعة تلاميذ ذوي مستويات مختلفة في القدرات، يمارسون أنشطة متنوعة، لتحسين فهم الموضوع المراد دراسته، وكل عضو عليه أن يساعد زملاءه في المجموعة على التعلم، وبالآتي يخلق جوا من الإنجاز، والتحصيل، والمتعة أثناء التعلم. (Stephen,1992,16).

عناصر التعلم التعاوني:

التعلم التعاوني لا يعني أن يجلس مجموعة من التلاميذ مع بعضهم البعض على نفس الطاولة، ثم ينجز طالب واحد منهم المهمة المكلفين بها. ولكن حتى يتحقق التعلم التعاوني، يجب أن تتوفر فيه العناصر الآتية : (جونسون وآخرون، 1993، ص 18).

1) المشاركة الإيجابية بين الطلاب:

ويقصد بها أن يشارك جميع طلبة المجموعة في إنجاز العمل مشاركة إيجابية، بحيث يساعد بعضهم البعض الآخر في تعلم المادة، وتبادل الأدوار، وتحقيق الأهداف معاً.

2) المسؤولية الفردية والجماعية:

ويقصد بها أن يقوم كل فرد بعمله دون الاعتماد على عمل غيره في المجموعة. كما عليه أن يقوم بتشجيع، وتسهيل جهود زملائه ليكمل المهمة، ويحققوا هدف المجموعة.

3) تفاعل المجموعة:

ويقصد به أن يجتمع أعضاء المجموعة وجهاً لوجه لإنجاز المطلوب منهم، بحيث يعلم بعضهم البعض الآخر، ويشرح بعضهم لبعضهم الآخر، ويناقش بعضهم البعض الآخر، للوصول إلى الهدف المشترك.

4) المهارت الاجتماعية:

ويقصد بها أن يتعلم الطلبة مهارات تكوين المجموعة، ومهارات العمل داخل المجموعة، والمهارات الاجتماعية اللازمة لإقامة مستوى راق من التعاون، والحوار، والمناقشة للأفكار. ومهارات احترام حقوق الآخرين ومشاعرهم، والقدرة على العمل في فريق.

5) معالجة عمل المجموعة:

ويقصد به تحديد فاعلية الأعضاء في المجموعة، من أجل تحقيق أهداف المجموعة. ولمعالجة هدفين:

1) وصف تصرفات الأعضاء المفيدة، وغير المفيدة.

2) اتخاذ قرارات بشأن تصرفات الأعضاء، وإجراءات العمل التعاوني، التي سيستمر العمل بها، أو سيتم تغييرها.

دور المعلم في التعلم التعاوني:

يأخذ المعلم دور الموجه في تنظيم المجموعة، للقيام بالأعمال المطلوبة منهم ؛ لأن التعلم التعاوني يعتمد بشكل أساس على الطلاب، وتعاونهم فيما بينهم لتحقيق هدف محدد.

وقد حدد " إدوارد وستوت" أدوار المعلم بالآتي:

1) تحديد الأهداف التعاونية، والأكاديمية.
2) تحديد وتقرير عدد أفراد المجموعات.
3) تعيين وتوزيع التلاميذ على مجموعات.
4) توزيع المهام والمسؤوليات على أفراد المجموعة.
5) تنظيم أفراد المجموعة بطريقة فعالة.
6) ترتيب وتنظيم الفصل الدراسي.
7) تحضير التلاميذ على العمل داخل المجموعات.
8) تقييم عملية تعلم التلاميذ ومساعدتهم. (العيوني، 2003، ص 110).

حجم المجموعات في التعلم التعاوني:

لا يوجد اتفاق في الآراء على حجم المجموعة، حيث يرى (جونسون، وآخرون) أن عدد أفراد المجموعة ما بين طالبين إلى أربعة طلاب. في حين حددت "أهيوجا" عدد أفراد المجموعة مابين ثلاثة إلى خمسة طلاب. أما (الخليلي وآخرون) فقد حددوا عدد أفراد المجموعة مابين أربعة إلى ستة طلاب. بينما حددت معظم نماذج التعلم التعاوني عدد أفراد المجموعة مابين أربعة إلى ستة طلاب. (العيوني، 2003، ص 111). ويرى الباحث أن حجم المجموعة يتحدد في ضوء عدد التلاميذ، والإمكانات، والأدوات اللازمة لإنجاح التعلم التعاوني، وبتحديد حجم المجموعة في ضوء الاستراتيجية المستخدمة في التنفيذ لطريقة التعلم التعاوني.

مراحل التعلم التعاوني: يشير الخليلي وآخرون، إلى أن التعلم التعاوني يتم حسب المراحل الآتية: (العيوني، 2003، ص ص 111 -112).

1) مرحلة التعرف:

وفيها يتم تحديد المهمة، والمطلوب عمله من التلاميذ، والوقت المخصص لإنجاز المهمة.

2) مرحلة بلورة معايير العمل الجماعي:

وفي هذه المرحلة يتم الاتفاق على توزيع الأدوار، وتحديد المسؤوليات، وتحديد المهارات اللازمة لإنجاز المهمة أو حل المشكلة.

3) **مرحلة الإنتاجية:**

وفيها يتم انخراط التلاميذ في العمل لإنجاز المطلوب.

4) **مرحلة الإنهاء:**

وفيها تتم كتابة التقرير، أو غرض ما توصل إليه أفراد المجموعة للفصل بأكمله.

خصائص التعلم التعاوني:

مما سبق نستطيع أن نحدد بعضاً من خصائص التعلم التعاوني وهي كما يلي:

1) تقسيم الفصل إلى مجموعات. 2) تحديد هدف المجموعات. 3) العمل على تحقيق الهدف من قبل أفراد المجموعة. 4) دور المعلم موجه، ومنظم لأفراد المجموعة. 5) صالح لجميع المراحل الدراسية. 6) صالح لكافة التخصصات. 7) له نماذج متعددة.

فوائد التعلم التعاوني:

حدد (Shroyer) عدداً من الفوائد عند استخدام التعلم التعاوني وهي كما يلي: (العمر، 2001، ص 20):

1) ارتفاع معدلات تحصيل الطلاب. 2) تحسين قدرات التفكير عند الطلاب.3) زيادة الحافز الذاتي نحو التعليم. 4) نمو علاقات إيجابية بين الطلاب. 5) تحسين اتجاهات الطلاب نحو المنهج، و التعليم والمدرسة. 6) زيادة ثقة الطالب بنفسه. 7) انخفاض المشكلات السلوكية بين الطلاب. 8) نمو مهارات التعاون مع غيرهم.

تصنيف اسلوب التعلم التعاوني :

هناك العديد من الاستراتيجيات لأسلوب التعلم التعاوني، وهي : (محمد عمر، 1425هـ، ص ص56 -57).

أ- الطرائق التعاونية البحتة :

وفي هذه الطرق لايستخدم أي تنافس بين أو داخل المجموعات، ولاتوجد علاقة بين تحصيل أحد الطلبة، وتحصيل آخر في مجموعته، وآخرين في مجموعة ثانية. ونوضح لها فيما يلي :

1 - **طريقة التعلم معاً :** صممت بواسطة جونسون وجونسون سنة 1975. وفيها يعمل الطلاب في مجموعات متجانسة من (4 -5) . حتى إكمال ورقة العمل الخاصة بهم. ووفقاً لذلك تتلقى المجموعة الجائزة أو التقدم.

2 - **طريقة جكسو (1) :** يبلغ عدد الطلاب في المجموعة من (5 -6) . ويتم إعطاؤهم موضوعاً يقوم كل أعضاء المجموعة بدراسته، ويعد كل طالب خبيراً في مجموعته، وبعد ذلك تلتقي مجموعات الخبراء مع أقرانهم من المجموعات الأخرى لمناقشة معلوماتهم ثم يعودون إلى مجموعاتهم ليعلموا زملاء الفريق مالديهم من معلومات ، ويكون التقويم فردياً .

3 - **طريقة جكسو (2) :** ويتراوح عدد الفريق فيها من (4 -5) . ويحدد لكل منهم موضوع خاص به. ورغم ذلك فإن كل الطلبة يقرؤون نفس المادة ، ويطلب منهم مقالة حول الموضوع الذي سيكون خبيراً فيه ، والطلبة أصحاب المقال الواحد يكونون مجموعة خبراء . ثم يعودون ليشرحوا لزملائهم ، ويكون الامتحان فردياً .

4 - **طريقة استقصاء المجموعة :** وهي أعقد طرائق التعلم التعاوني ، حيث يقوم الطلاب في مجموعاتهم الصغيرة من (2 -6) في اختيار ماسيتعلمونه ، وتحديد الكيفية التي سينظمون بها أنفسهم ، والكيفية التي سيوصلون من خلالها ماتعلموه إلى باقي أفراد الفصل .

ب- الطرائق التعاونية التنافسية :

وفيها يعمل الطلاب متعاونين معاً في مهام داخل مجموعتهم ، وتتنافس كل مجموعة مع المجموعات الأخرى في الفصل . بينما تكون العلاقة تغاونية داخل المجموعة الواحدة ز ونوضحها فيما يلي :

1 - **تقسيم الطلاب وفقاً لمستويات التحصيل :** وفيها يقوم المدرس بتقديم الدرس أولاً ، ثم يتقابل الطلاب في مجموعات من (4 -5) غير متجانسين ، ويحاولون إتقان ورقة العمل المقدمة لهم حول الدرس . ثم يخضع الطلاب فردياً لاختبار مختصر ، وقد يتم تقويم جماعي لهم ، ويتم إضافة درجة كل طالب إلى درجة مجموعته . أي أن التنافس يكون بين المجموعات ، والمجموعة التي تنال أعلى الدرجات مقارنة بالأخريات يتم تقديرها ، وهذه الطريقة تصلح لكل المواد الدراسية .

2 - **طريقة دوري الألعاب للفرق :** وفيها يتم تقسيم الفريق ، والشكل التعليمي ، وورقة العمل . والطلبة فيها يلعبون مباريات أكاديمية في دورات أسبوعية مع أعضاء الفرق الأخرى الذين يناظرونهم في المستوى التحصيلي ، ودرجاتهم تعطى لمجموعاتهم مما يساعد في تحديد أفضل فريق لتقديره . وهي تصلح لكل الماد الدراسية.

3 - **تعليم الفريق المتسارع :** تستعمل للرياضيات فقط . وهي تستخدم (4) أعضاء غير متجانسين في الفريق ، والتقدير والنجاح للفريق ككل ، وهي تدمج التعلم التعاوني ، والتدريس الفردي . ويقوم كل طالب بدراسة أحد الموضوعات ، ثم يشرحه لزملاء فريقه ، ويقوم طالب آخر بدراسة موضوع آخر ، وهكذا.

الدراسات السابقة:

حصل الباحث على عدد من الدراسات السابقة التي تناولت التعلم التعاوني في التدريس بشكل عام، وتدريس العلوم بشكل خاص. إلا أنَّه اقتصر على الدراسات التي تناولت التعليم التعاوني في تدريس العلوم، وفيما يلي عرض لهذه الدراسات:

أولاً: الدراسات العربية:

1. دراسة (السعدني، 1993):

هدفت التحقق من فاعلية استخدام أسلوب التعليم التعاوني مقارناً بالأسلوب السائد، على تحصيل طلبة الصف الأول الإعدادي في العلوم، بمدينة دمنهور بجمهورية مصر العربية، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسطات درجات المجموعتين في التحصيل، لصالح مجموعة أسلوب التعلم التعاوني.
2. وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسطات درجات البنين، والبنات، ولصالح البنات.
3. عدم وجود فروق ذات دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين متوسطات درجات المجموعتين على التحصيل، ومتوسطات درجات مقياس الدافع للإنجاز ترجع لأثر التفاعل بين طريقة التدريس، وجنس التلاميذ.

2. دراسة (خطاب وحسن،1993):

هدفت إلى التعرف على أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني مقارناً بالأسلوب العادي المتبع بالمدارس من ناحية، وجنس التلاميذ من ناحية أخرى، وتفاعل بينهما من ناحية ثالثة، على تحصيل تلاميذ الثالث الإعدادي في العلوم، وتكونت عينة الدراسة من(216) طالباً وطالبة من مدرستين للبنين، ومدرستين للبنات في منطقة العين بدولة الإمارات العربية المتحدة، وتوصلت الدراسة للنتائج الآتية:

1. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية، بين مجموعات التعلم التعاوني، ومجموعات التعلم بالأسلوب المتبع في وحدة الحرارة، في حين وجد فرق ذات دلالة إحصائية في وحدة الإحساس، ولصالح مجموعات التعلم التعاوني.
2. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية، بين البنين، والبنات على درجات الاختبار التحصيلي الأول، ودرجات الاختبار التحصيلي الثاني.
3. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية، بين متوسط درجات التلاميذ على اختبار التحصيل الأول، يرجع إلى التفاعل بين أسلوب التدريس، وجنس التلاميذ، بينما وجد فرق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجة التلاميذ على الا ختبار التحصيلي الثاني، يرجع إلى أثر التفاعل بين أسلوب التدريس، وجنس التلاميذ.
4. وجود فروق ذات دلالة إحصائية، بين اتجاهات التلاميذ راجعة إلى أثر أسلوب التعلم المستخدم، وجنس التلاميذ.
5. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية، بين اتجاهات التلاميذ راجعة إلى أثر التفاعل بين أسلوب التعلم المستخدم، وجنس التلاميذ.

3. دراسة (شبير،1995):

هـدفت إلى معرفـة أثـر اسـتخدام أسـلوب الـتعلم التعـاوني في تـدريس العلـوم علـى التحصـيل الآني، والبعدي المؤجل، لتلاميذ الصف الأول الإعدادي، لعينـة مكونـة مـن (179) تلميـذاً، وتلميـذة بدولة البحرين، وأظهرت الدراسة النتائج الآتية:

1. وجـود فـروق ذات دلالـة إحصـائية، عنـد مسـتوى دلالـة(0.05) بـين متوسـط درجـات الاختبـار التحصيلي الأدنى، لصالح مجموعة أسلوب التعلم التعاوني.
2. وجود فروق ذات دلالة إحصائية، عند مستوى دلالة(0.05) بين متوسط درجات الاختبار البعدي المؤجل، لصالح مجموعة أسلوب التعلم التعاوني.

4. دراسة (الحدابي، 1996):

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر استخدام استراتيجية التعلم التعاوني على تحصيل الطلبة (مرتفع - متوسط - منخفض). أكثر استفادة من هذه الطريقة. تكونت عينة الدراسة من (156) طالباً، وطالبة تمً اختيارهم من طلاب المستوى الثاني تخصص فيزياء – دبلوم متوسط في كلية التربية بصنعاء. تمً تقسيمهم إلى مجموعتين ضابطة، وتجريبية بطريقة عشوائية، وقد احتوت كل مجموعة على (78) طالباً، وطالبة. وقد قام الباحث ببناء اختبار تحصيلي من نوع الاختيار من متعدد، وبعد الانتهاء من إجراء التجربة تمً تطبيق الاختبار على عينة الدراسة. وقد أسفرت الدراسة عن النتائج الآتية:

- وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة (05.) بين متوسط درجات تحصيل طلبة المجموعة التجريبية في الاختبار القبلي، ومتوسط درجاتهم في الاختبار البعدي لصالح الاختبار البعدي.
- عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة (05.) بين متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية، ومتوسط طلبة المجموعة الضابطة في الاختبار البعدي.

5. دراسة (العمر،2001):

هدفت الدراسة لتقرير ما إذا كان للتعلم التعاوني أثر ايجابي على تعلم، واحتفاظ طلاب العلوم بكلية العلوم بالرياض لمفاهيم الفيزياء. وتكونت العينة من (42) طالباً بواقع(21) طالباً في كل شعبة. وأظهرت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين تحصيل المجموعتين التجريبية، والضابطة، يمكن إرجاعها إلى أسلوب التعلم التعاوني. كما أظهرت عدم وجود أثر لأسلوب التعلم التعاوني على الاحتفاظ بالتعلم.

6. دراسة (الحريري، 2001):

هدفت إلى معرفة أثر استخدام التعلم التعاوني لإدارة الفصل في تحصيل الطلاب الدراسي، وذلك لطلبة الصف الأول المتوسط في مدرسة النصر الأهلية بمحافظة جدة التعليمية، وتكونت العينة من أربعين طالباً للمجموعتين التجريبية، والضابطة. وأظهرت النتائج: وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين التجريبية، والضابطة في العلوم، واللغة الإنجليزية، والإملاء، والقواعد. كما أكدت تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في طريقة إدارة الفصل.

7. دراسة (العيوني،2003):

هدفت إلى الكشف عن أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني مقارنةً بالأسلوب العادي على التحصيل في مادة العلوم، والاتجاه نحوها لتلاميذ الصف السادس الإبتدائي (بنين) بمدينة الرياض. وتكونت العينة من(55) تلميذاً مجموعة تجريبية، و(54) تلميذاً مجموعة ضابطة. وأظهرت النتائج ما يلي:

1. وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الاختبار التحصيلي في مادة العلوم لدى الطلبة الذين درسوا بأسلوب التعلم التعاوني، ومتوسط درجات الطلبة الذين درسوا بالأسلوب العادي لصالح المجموعة التجريبية.
2. وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الاتجاه نحو مادة العلوم الذين درسوا بأسلوب التعلم التعاوني، ومتوسط درجات الاتجاه للذين درسوا بالأسلوب العادي، لصالح المجموعة التجريبية.

ثانياً: الدراسات الأجنبية:

1. دراسة(تونز وجرانت)" Towns and Grant, 1997":

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر التعلم التعاوني على ما يتعلمه الطلاب في أنشطة الكيمياء الفيزيائية في حلقة نقاش يوم الجمعة في الديناميكا الحرارية عن طريق تنظيم، وتسلسل الأحداث لمجموعة من طلاب الدارسات العليا قوامها(26 طالباً)، وأظهرت نتيجة الدراسة أن استخدام أنشطة التعلم التعاوني تبعد الطلاب عن أساليب التعلم التقليدي، وتقربهم إلى الأساليب التي تسمح بالتكامل، كما أظهرت النتيجة أن المناقشة، والاشتراك في الأفكار بين الطلاب تقود إلى تطوير المهارات الشخصية، و مهارات الاتصال التي يرى الطلاب أنها عنصر مهم في هذا المقرر.

2. دراسة(إليكسو بولو ودرايفر)" Alexopoulou and Driver, 1996":

هدفت الدراسة للكشف عن أثر حجم المجموعة في تنمية التفكير في الفيزياء لعينة تكونت من 86 طالباً في أربعة فصول دراسية، وفي أربع مدارس مختلفة الطبقات تراوحت أعمارهم بين 14 -15 سنة وبتطبيق اختبار قبلي، وبعدي أظهرت النتائج: تفوق الطلاب الذين يعملون في مجموعات مكونة من أربعة طلاب على أقرانهم الذين يعملون في مجموعات تتكون من طالبين، كما أظهرت النتائج تحسناً في الأداء في الاختبار البعدي في كل المجاميع(سواء كانت أربعة طلاب أو طالبين).

3. دراسة(واتسون ومارشال)"Watson and Marshall, 1995":

هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر عامل التحفيز الفردي، والجمعي في التعلم التعاوني في مجموعات متجانسة، ومجموعات غير متجانسة لعينة قوامها(116 طالباً) في ثلاث مجاميع في مقرر مدخل علم الحياة تخصص التعلم الابتدائي في جامعة شرق كارولينا، وشمال كارولينا، وأظهرت نتائج الدراسة:

1. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل بين طلاب مجموعة التعلم التعاوني بالتحفيز وطلاب مجموعة التعلم التعاوني غير المحفز.

2. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل بين الطلاب في المجموعة المتجانسةن والطلاب في المجموعة غير المتجانسة.
3. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب في المجموعة غير المتجانسة، وتستخدم أسلوب التعلم التعاوني بالتحفيز، والطلاب في المجموعة المتجانسة، وتستخدم أسلوب التعلم التعاوني بالتحفيز.
4. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلاب في المجموعة غير المتجانسة، والمنظمة في مجموعات، ولا تستخدم عنصر التحفيز خلال استخدام أسلوب التعلم التعاوني.

4-دراسة(لمب وستافر)" Lump and Staver, 1995":

هدفت الدراسة للكشف عن أثر التعاون في اكتساب المفاهيم العلمية ذات العلاقة بتغذية النبات، وأثر التفاعل بين الطلاب في تنميتها لعينة مكونة من 69 طالباً، وطالبة في فصلين في الثانوية العامة في الأحياء، إلا أنه لم يكمل التجربة سوى(25) طالباً، وطالبة (12 طالباً، و13 طالبة) حيث تكونت المجموعة التجريبية من 18 طالباً، وطالبة قسمت إلى ستة مجاميع غير متجانسة كل مجموعة مكونة من 3 طلاب كل واحد لديه أو لديها الرغبة للعمل مع الآخر، بينما تكونت المجموعة الضابطة من(7) طلاب يعمل كل واحد منفرداً، وأظهرت النتيجة أن طلاب المجموعة التجريبية أصبح لديهم تفهم علمي صحيح لمفهوم التغذية في النبات أكثر من طلاب المجموعة الضابطة، كما أظهرت النتيجة أن التفاعل بين الطلاب في المجموعة التجريبية يعمل على تنمية، وترابط المفاهيم، كما أن تحديد دور الطالب في المجموعة يعمل على تعزيز حل المشكلات، وتنمية المفاهيم.

5- دراسة(تشانج وليدرمان) "Change and Lederman, 1994":

هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني المحدد بأدوار معينة للمجموعة، واستخدام أسلوب التعلم التعاوني غير المحدد بأدوار، واستخدام الأسلوب التقليدي على التحصيل في أنشطة الفيزياء العملي لعينة تكونت من 141 طالباً في الصف السابع في ستة فصول في مدرستين متوسطتين درسوا بواسطة معلمين اثنين ثلاثة فصول لكل واحد منهم، وبتطبيق مقياس الأنشطة العملية على هذه المجاميع الثلاث، أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل بين أساليب التعلم الثلاثة، وقد أرجح الباحث هذه النتيجة إلى أن مجاميع الدراسة درست بواسطة معلمين اثنين، وأنهم كانوا يشجعون الطلاب على العمل الجامعي في كل أساليب التعلم الثلاثة.

6. دراسة(لازاروتز)"Lazarowitz, 1994":

هدفت الدراسة الكشف عن أثر استخدام أسلوب التعلم الاتقاني الجمعي التعاوني، وأسلوب التعلم الفردي على التحصيل الأكاديمي (المجال المعرفي)، والتحصيل غير الأكاديمي (المجال الانفعالي)، لعينة مكونة من 120 طالباً ممن اختاروا دراسة علم الأرض في كل من الصف الحادي عشر، والصف

الثاني عشر، وقد تكونت المجموعة التجريبية (73) طالباً في حين تكونت المجموعة الضابطة من (47) طالباً، وأظهرت نتائج الدراسة:

1. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل الأكاديمي إلا أن المتوسط الحسابي لطلاب المجموعة التجريبية أعلى من المتوسط الحسابي لطلاب المجموعة الضابطة.
2. وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل غير الأكاديمي (المجال الانفعالي) في جميع مجالات مقياس البيئة الصفية.
3. تفوق طلاب المجموعة التجريبية على طلاب المجموعة الضابطة في تفاعل الطلاب مع بعضهم البعض.

7. دراسة (أهيوجا)"Ahuja, 1993":

هدفت الدراسة الكشف عن أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني على التحصيل الأكاديمي، والاتجاه نحو دراسة العلوم، وعمليات العلم لتلاميذ الصف السابع في مدينة كولمبس الأمريكية، حيث تكونت المجموعة التجريبية من ثلاث فصول، في حين تكونت المجموعة الضابطة من فصلين، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. تفوق تلاميذ المجموعة التجريبية على تلاميذ المجموعة الضابطة في التحصيل.
2. تحسن في الاتجاه نحو دراسة العلوم لدى تلاميذ المجموعة التجريبية أكثر من تلاميذ المجموعة الضابطة.
3. عدم وجود أثر إيجابي لاستخدام أسلوب التعلم التعاوني سواء في حل المشكلات أو في عمليات العلم.

8. دراسة(بورون وزملاؤه)"Burron et al., 1993":

هدفت الدراسة إلى مقارنة أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني مع أسلوب التعلم التقليدي لعينة مكونة من 43 طالباً وطالبة تخصص تعليم ابتدائي ومتوسط في مقرر الفيزياء العملي في جامعة شمال كلورادو، وأظهرت النتيجة عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية في درجات التحصيل في الامتحان النهائي للمقرر يعود لنوعية أسلوب التعلم ، إلا أنها أظهرت أن الطلاب في مجموعة أسلوب التعلم التعاوني أبدوا سلوكاً تعاونياً أكثر من الطلاب في مجموعة أسلوب التعلم التقليدي.

9. دراسة(لوننج)"Lonning, 1993":

هدفت الدراسة للكشف عن أثر التعلم التعاوني على التفاعل اللفظي، والتحصيل لعينة مكونة من 36 طالباً وطالبة في الصف العاشر في مقرر العلوم العامة، وهذا المقرر مصمم للطلاب ذوي القدرات الضعيفة، الذين لم يجتازوا مقرر العلوم العام للصف التاسع، قسموا إلى مجموعتين مجموعة تجريبية، ومجموعة ضابطة قبل بدء العام الدراسي عن طريق الحساب الآلي، وأظهرت نتائج الدراسة أن طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستخدام أسلوب التعلم التعاوني أظهروا تفوقاً في التحصيل، واستخدام أنماط التفاعل اللفظي التي لها علاقة بزيادة التعلم، كما أظهرت النتائج أن استخدام أسلوب التعلم التعاوني يعزز تعلم تغير المفاهيم.

10. دراسة (جونسون) "Johnson, 1993":

هدفت الدراسة للكشف عن العلاقة بين الأسلوب التعاوني، والاستقصاء في دروس العلوم لمجموعة مكونة من (108) تلاميذ في المرحلة الابتدائية قسمت إلى ثلاثة فصول، مجموعة تدرس باستخدام الكتاب المدرسي وحده، والمجموعة الثانية باستخدام الكتاب المدرسي مع بعض الأدوات، والمواد التعليمية اللازمة لإجراء الأنشطة العملية، أما المجموعة الثالثة فتدرس باستخدام المختبر وحده، وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعات الثلاث في إدراك هدف التدريس لكل مجموعة، حيث رأى جميع تلاميذ مجموعة طريقة المختبر أن طريقة تدريس العلوم المستخدمة هي أسلوب التعلم التعاوني، و86٪ من تلاميذ مجموعة الكتاب المدرسي مع استخدام بعض الأدوات، والمواد التعليمية أنها أسلوب التعلم التعاوني، في حين رأى 50٪ من مجموعة طريقة الكتاب المدرسي وحده أنها أسلوب التعلم التعاوني.

11. دراسة (واتسون)"Watson, 1991":

هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني، وبرنامج مجموعة الوحدة التربوية على التحصيل الأكاديمي في الأحياء العامة في المرحلة الثانوية لعينة مكونة من 715 طالباً وطالبة تتراوح أعمارهم بين 14 -17 سنة في 36 فصلاً دراسياً من مدارس مختلفة في غرب ولاية فلوريدا الأمريكية، وصممت التجربة على النحو الآتي:

أ - المجموعة الأولى: تكونت من تسعة فصول دراسية استخدمت برنامج مجموعة الوحدة التربوية، وأسلوب التعلم التعاوني.

ب - المجموعة الثانية: تكونت من تسعة فصول دراسية استخدمت برنامج مجموعة الوحدة التربوية، ولم تستخدم أسلوب التعلم التعاوني.

ج - المجموعة الثالثة: تكونت من ثمانية فصول دراسية استخدمت مواد إضافية تقليدية، وأسلوب التعلم التعاوني.

د - المجموعة الرابعة: تكونت من عشرة فصول دراسية استخدمت مواد إضافية تقليدية، ولم تستخدم أسلوب التعلم التعاوني.

هـ - وأظهرت الدراسة النتائج الآتية:

1. وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) في التحصيل لصالح المجموعات التي استخدمت برنامج مجموعة الوحدة التربوية (المجموعة الأولى والثانية).
2. وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة(0.05) في التحصيل لصالح المجموعات التي استخدمت أسلوب التعلم التعاوني (المجموعة الأولى والثالثة).
3. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل عند استخدام برنامج مجموعة الوحدة التربوية، وأسلوب التعلم التعاوني معاً، وكل من المجموعة التي استخدمت برنامج مجموعة الوحدة التربوية

وحده أو استخدمت أسلوب التعلم التعاوني لوحده أو استخدمت المواد الإضافية (الأسلوب التقليدي).

12. دراسة (باسيلي وسانفورد)"Basili and SanFord, 1991":

هدفت الدراسة التعرف على أثر استخدام أسلوب التعلم الجمعي التعاوني في مجموعات صغيرة والأسلوب التقليدي على تعديل وتصحيح الاعتقاد الخاطئ لخمسة من المفاهيم الكيميائية وهي قانون بقاء المادة والطاقة، وخواص الغازات والسوائل والمواد الصلبة (الجوامد)، لعينة قوامها(62) طالباً في إحدى كليات المجتمع منهم 35 طالباً يمثلون المجموعة التجريبية موزعين في مجاميع تتكون كل واحدة من 3 -5 طلاب، في حين تكونت المجموعة الضابطة من 27 طالباً، وأظهرت نتائج الدراسة أن طلاب المجموعة التجريبية أظهروا انخفاضا في نسبة الاعتقاد الخاطئ في أربعة مفاهيم كيميائية وهي مفهوم بقاء المادة، والطاقة والسوائل، والمواد الصلبة (الجوامد) بفرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) أكثر من المجموعة الضابطة، كما أظهروا بشكل عام تحسناً أكثر من المجموعة الضابطة في المفاهيم الكيميائية الخمسة.

13. دراسة (تنجل وجود)" Tingle and Good, 1990":

هدفت الدراسة للتعرف على أثر استخدام أسلوب التعلم الجمعي التعاوني في مجموعات صغيرة غير متجانسة، وأسلوب التعلم الفردي في حل مشكلات قياس الاتحاد العنصري المبني على التناسب في القدرات على التفكير في الكيمياء على عينة مكونة من (178) طالباً تتراوح أعمارهم بين 14.7 -19 سنة يمثلون الصفوف العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر في ثلاث مدارس ثانوية ريفية في جنوب ولاية لويزيانا الأمريكية، واستغرق تنفيذ الدراسة سبعة أسابيع، وأظهرت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اختلاف نسبة قدرات التفكير أو الاستنتاج بين الطلاب الذين استخدم معهم أسلوب التعلم الفردي المبني على حل المشكلات والطلاب الذين استخدم معهم أسلوب التعلم الجمعي التعاوني على حل المشكلات سواء في الفصول العادية أو بالفصول المتميزة.

14. دراسة (بيرج)"Berge, 1990":

هدفت الدراسة للكشف عن أثر حجم المجموعة، والجنس، والقدرات على التحصيل في مهارات عمليات العلم لعينة مكونة من 245 تلميذاً، وتلميذة من الصف السابع، والثامن في اثني عشر فصلاً دراسياً، في ثلاث مدارس من مناطق مختلفة، تم تقسيم التلاميذ في هذه الفصول إلى مجاميع أحادية، وثنائية، ورباعية، وأظهرت النتيجة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل في مهارات عمليات العلم (II,I) يعود لأثر حجم المجموعة أو الجنس، إلا أن التلاميذ ذوي القدرات الضعيفة أظهروا تحسناً في التحصيل في اختبار عمليات العلم(I).

15. دراسة (لندبرج)"Lundeberg, 1990":

هدفت الدراسة لقياس بعض آثار التدريس الإضافي (التكاملي) في الكيمياء العضوية، والحيوية، تبنت فيه برنامج التعلم التعاوني لتطوير فهم المفاهيم الكيميائية لعينة قوامها 108 طالبات

تطوعن للمشاركة في هذا البرنامج، وأظهرت نتائج الدراسة أن الطالبات اللاتي حضرن التدريس الإضافي حصل نسبة كبيرة منهن على تقديرات (أ) و(ب)، في حين حصلت نسبة قليلة على تقرير (د) في الامتحان النهائي، ولم يرسب أحد مقارنة مع أولئك الذين لم يحضروا في هذا البرنامج، كما أظهرت نتائج الاستفتاء فائدة هذا البرنامج.

16. دراسة (أكيبوكولا وجيجد)"Okebukola and Jegede, 1990":

هدفت الدراسة إلى معرفة تأثير نوعية البيئة الثقافية التي يعيش فيها الطلاب على بلوغ وتحقيق المفاهيم العلمية في العلوم على عينة مكونة من (129) طالبا، وطالبة منها (71 طالباً)، و (58 طالبة) من طلاب المرحلة الثانوية من مدارس لاجوس، وولاية أيو النيجيرية، واختيرت أفراد العينة بالتساوي من طلاب الريف، وطلاب المدن، وأظهرت نتائج الدراسة أن الطلاب ساكني الريف يفضلون العمل التعاوني أكثر من طلاب المدن، ويؤدون امتحان المفاهيم العلمية بشكل أفضل عند مقارنتهم بمن يفضلون العمل التنافسي، وكذلك عند مقارنتهم بمن يفضلون العمل الفردي.

17. دراسة (شيرمان)"Sherman, 1989":

هدفت الدراسة إلى مقارنة أثر التدريس بأسلوب التحقق الجمعي التعاوني، والأسلوب التنافسي الفردي على التحصيل الدراسي في مقرر (الأحياء العامة) في الثانوية العامة لمجموعة من الطلاب، الأولى مكونة من 21 طالباً تم تدريسهم باستخدام أسلوب التحقق الجمعي التعاوني، والمجموعة الثانية مكونة من 25 طالباً تم تدريسهم باستخدام أسلوب التعلم التنافسي الفردي، واستغرق تنفيذ التجربة سبعة أسابيع، وأظهرت الدراسة النتائج الآتية:

1. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التحصيل بين المجموعتين تعود لنوعية أسلوب التعلم المتبع.
2. وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين الامتحان القبلي، والامتحان البعدي في كل من أسلوب التعلم الجمعي التحققي التعاوني، وأسلوب التعلم التنافسي الفردي.
3. لم يظهر أي من أسلوبي التعلم تأثيراً أكثر من الآخر على التحصيل.

18. دراسة (أكيبوكولا وجيجد)"Okebukola and Jegede, 1988":

هدفت الدراسة إلى معرفة أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني، وأسلوب التعلم الفردي في استخدام خريطة المفاهيم لعينة مكونة من (145) طالبا، وطالبة في مقرر الأحياء في جامعة لاجوس النيجيرية 55٪ من العينة (المجموعة التجريبية) درسوا بأسلوب التعلم التعاوني حيث يتم في كل محاضرة التوصل إلى الخريطة النهائية بالإجماع، في حين 45٪ (المجموعة الضابطة) درسوا بأسلوب التعلم الفردي، وأظهرت النتيجة تفوق طلاب المجموعة التجريبية في التحصيل، حيث كان المتوسط الحسابي (25.12) وبلغ المتوسط الحسابي للضابطة (18.23).

19. دراسة (لازاروتز)"Lazarowitz, 1988":

هدفت الدراسة للكشف عن أثر التعلم التعاوني في مجموعات صغيرة في وحدة الخلية، والنبات

في مقرر الأحياء في المرحلة الثانوية على عينة قوامها (113 طالباً، وطالبة) قسمت إلى مجموعتين، المجموعة التجريبية تكونت من 52 طالباً، وطالبة، (16 طالباً، 36 طالبة)، في حين تكونت المجموعة الضابطة من 61 طالباً، وطالبة، (32 طالباً، 29 طالبة)، وأظهرت نتيجة الدراسة تفوق طلاب المجموعة التجريبية في التحصيل في وحدة الخلية في حين جاء العكس في وحدة النبات.

20. دراسة (أكيبوكولا)"Okebukola, 1986":

هدفت الدراسة للكشف عن أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني على الاتجاه نحو العمل المخبري في مادة الأحياء لعينة من طلاب الصف الثالث المتوسط في ولاية إندو النيجيرية، تكونت من (113 طالباً، وطالبة)، كمجموعة تجريبية منهم (58) طالباً، و(55) طالبة، ومتوسط أعمارهم 14.3 سنة، في حين تكونت المجموعة الضابطة من (52 طالباً، و 58 طالبة)، ومتوسط أعمارهم 14.1 سنة في مدرسة تبعد 80 كم عن موقع المدرسة التجريبية. قسمت المجموعة التجريبية إلى مجاميع صغيرة غير متجانسة ؛ كل مجموعة تتكون من طالبين، وطالبتين. في حين درست المجموعة الضابطة بالطريقة التقليدية، وطبق على المجموعتين مقياس الاتجاه نحو العمل المخبري كامتحان قبلي، وامتحان بعدي، وأظهرت نتائج الدراسة الآتي:

1. وجود فرق ذي دلالة إحصائية في الاتجاه الإيجابي نحو العمل المخبري لصالح المجموعة التجريبية بغض النظر عن الجنس.
2. تفوق الطلاب على الطالبات في تحسن الاتجاه الإيجابي نحو العمل المخبري في المجموعة التجريبية.
3. وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01) في الاتجاه نحو العمل المخبري بين المجموعة التجريبية ، والمجموعة الضابطة لصالح المجموعة التجريبية بالنسبة للذكور.
4. وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01) في الاتجاه نحو العمل المخبري بين المجموعة التجريبية ، والمجموعة الضابطة لصالح المجموعة التجريبية بالنسبة للإناث.

21. دراسة (أكيبوكولا)"Okebukola, 1986":

هدفت الدراسة إلى معرفة أثر أشكال التعلم المفضلة على التعلم التعاوني في العلوم لعينة من طلاب الصف الثالث المتوسط مسجلين في مادة الأحياء قوامها (491) طالباً في أربعة مدارس متوسطة في أوانيا المحلية الحكومية في ولاية أيو النيجيرية، مدرستين في الريف وتضم (242) طالباً، والمدرستين الأخريين في وسط المدينة، وتضم (251) طالباً، وأظهرت نتائج الدراسة الآتي:

1. الطلاب الذين درسوا بأسلوب التعلم التعاوني حصلوا على متوسط درجات أعلى من الطلاب الذين يفضلون العمل التعاوني لكنهم درسوا بأسلوب التعلم التنافسي.

2. الطلاب الذين يفضلون العمل التنافسي، ودرسوا بأسلوب التعلم التنافسي حصلوا على متوسط درجات أعلى بمقارنتهم مع الطلاب الذين أظهروا تفضيلاً للعمل التنافسي، ودرسوا بأسلوب التعلم التعاوني.
3. الطلاب الذين يفضلون العمل التعاوني، ودرسوا بأسلوب التعلم التعاوني حصلوا على متوسط درجات أعلى من الطلاب الذين يفضلون العمل التنافسي، ودرسوا بأسلوب التعلم التنافسي.
4. الطلاب الذين يفضلون العمل التعاوني، ودرسوا بأسلوب التعلم التنافسي حصلوا على متوسط درجات أقل من الطلاب الذين يفضلون العمل التنافسي، ودرسوا بأسلوب التعلم التعاوني.

22. دراسة (أكيبوكولا وجيجد)"Okebukola and Jegede, 1984":

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني، وأسلوب التعلم التنافسي، وأسلوب التعلم الفردي على التحصيل الدراسي، واكتساب المهارة العملية في العلوم لعينة قوامها (1025) طالباً من طلاب الصف الثالث المتوسط (التاسع) في ولاية أيو النيجيرية، وأظهرت نتائج الدراسية تفوق مجموعة التعلم التعاوني في التحصيل على مجموعتي التعلم التنافسي، والتعلم الفردي، في حين لم تظهر فروق بين مجموعتي التعلم التعاونين والتعلم الفردي، كما أظهرت النتائج أيضاً تفوق مجموعة التعلم التعاوني في اكتساب المهارة العملية.

23. دراسة (لاورنز ومنش)"Lawrenz and Munch, 1984":

هدفت الدراسة إلى الكشف عن أثر المجموعة على التحصيل المعرفي (المحتوى) والقدرة على التفكير وبيئة التعلم والعلاقة بين الأفراد في مقرر الفيزياء العملي لمجموعة قوامها (91) طالباً، وطالبة تخصص تعليم ابتدائي، قسمت إلى ثلاث مجاميع، المجموعة الأولى قسمت إلى مجاميع متجانسة، في حين قسمت المجموعة الثانية إلى مجموعات متجانسة، أما المجموعة الثالثة فقسمت حسب رغبة كل طالب، وأظهرت النتيجة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعات فقط في التحصيل المعرفي (المحتوى)، كما أظهرت النتيجة أن المجموعات التي تم توزيعها حسب رغبة الطالب كانت أقل تحصيلاً مقارنة بالمجموعات المتجانسة، والمجموعات غير المتجانسة، كما لم تظهر فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعات المتجانسة، والمجموعات غير المتجانسة.

تعليق على الدراسات السابقة:

من الملاحظ أن عدد الدراسات العربية في أسلوب التعلم التعاوني، يعد قليلاً مقارنة بالدراسات الأجنبية ومن الملاحظ اختلافاً في نتائج الدراسات السابقة فبعضها أظهرت أثراً ايجابياً لأسلوب التعلم التعاوني، في حين أظهرت أخرى عدم وجود أثر ايجابي لهذا الأسلوب. وقد يرجع اختلاف النتائج إلى عدة عوامل أهمها:

- الاختلاف في المواد الدراسية، ومستواها العلمي، واختلاف مستوى تقبل الطلبة لها، واستيعابهم لها.

- الاختلاف في المعلمين المشرفين على التجارب، مما يعني اختلافاً في المناخ النفسي، والاجتماعي الذي تجرى فيه التجارب.
- الاختلاف في عدد أفراد العينة، ومراحلهم الدراسية، وأعمارهم الزمنية.
- الاختلاف في دور الطالب في عملية التفاعل.

وكلها عوامل تؤثر في عملية التحصيل الدراسي.

إجراءات الدراسة:

أولاً: منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج التجريبي ذو التطبيق القبلي، والبعدي لمجموعتين متساويتين ، إحداهما ضابطة درست بالأسلوب التقليدي، والأخرى تجريبية درست بأسلوب التعلم التعاوني.

ثانياً : أسلوب التعلم التعاوني المتبع في الدراسة :

نتيجة للاستراتيجيات المتعددة ، والمتعلقة بأسلوب التعلم التعاوني. توصل الباحث إلى استعمال استراتيجية التعلم التعاوني التنافسي بتقسيم الطلاب وفقاً لمستويات التحصيل .

ثالثاً: خطوات الدراسة:

1) اختيار الوحدة الدراسية ثم التطبيق عليها. وهي " الكهرباء التيارية" لمادة العلوم للصف الثامن من التعليم الأساسي.
2) صياغة موضوعات الوحدة بما يتناسب مع أسلوب التعلم التعاوني .
3) إعداد أوراق عمل للطلاب في المجموعة التجريبية لتطبيق البحث.
4) إعداد الاختبار الذي يقيس التحصيل الدراسي، والاحتفاظ بالتعلم، وإيجاد صدقه، وثباته.
5) اختيار المدرسة التي تم التطبيق فيها ، وهي مدرسة الوحدة بمديرية النادرة - بمحافظة إب، وتم اختيارها لمبناها الحكومي، ولتوافر العدد المناسب من الطلاب فيها، ولقيام الباحث بالإشراف على التربية العملية فيها، ولاستعداد أحد طلبة التربية العملية في التعاون لتنفيذ هذا التطبيق تحت إشراف الباحث.
6) قيام الباحث بإطلاع المعلم المتعاون لتنفيذ التجربة على أسلوب التعلم التعاوني بشكل تفصيلي مع التوضيح له عن كيفية التنفيذ.
7) قيام المعلم المتعاون تحت إشراف الباحث بشرح أسلوب التعلم التعاوني لطلبة المجموعة التجريبية، وتحديد الأهداف من دراستهم لهذا الأسلوب.
8) قيام المعلم المتعاون بتقسيم طلبة المجموعة التجريبية ، والبالغ عددهم (38) طالباً ، وطالبة إلى مجموعات صغيرة بلغ عدد أفراد كل مجموعة (5) طلاب ماعدا مجموعة واحدة بلغ عددها (3).

9) قيام المعلم المتعاون بتوضيح عمل كل فرد في كل مجموعة بناءً على خطه يسير عليها الطلاب أثناء تعلمهم لتحقيق الأهداف. بحيث يكون طالب قائد يقود الحوار بين أفراد المجموعة ، و طالب مسجل يقوم بتسجيل الملاحظات ، وتدوين النتائج التي يتم التوصل في المجموعة ، وطالب باحث يقوم بتجهيز المصادر التي تحتاجها المجموعة. كما أوضح لهم وقتاً يجتمعون فيه مع بعضهم البعض للشرح والمناقشة لتحقيق الهدف.

10) قيام المعلم المتعاون بتدريب طلبة المجموعة التجريبية على أسلوب التعلم التعاوني بداية قبل البدء بالدراسة.

11) قيام المعلم المتعاون بتبادل الأدوار بين طلبة أفراد كل مجموعة أسبوعياً.

12) استمرار تطبيق الدراسة لمدة (4) أسابيع بواقع حصتين أسبوعياً.

13) تطبيق اختبار التحصيل بعد الانتهاء مباشرة من التدريس.

14) تطبيق اختبار الاحتفاظ بالتعلم بعد (3) أسابيع.

15) القيام بالتحليلات الإحصائية المناسبة للوصول إلى النتائج.

16) تقديم التوصيات، والمقترحات في ضوء ما استقرت عليه النتائج.

رابعاً: عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من (74) طالباً ، وطالبة موزعين على شعبتين اختيرت إحداهما عشوائيا كمجموعة تجريبية، وعدد طلابها (38) طالباً وطالبة ليتم تدريسها بأسلوب التعلم التعاوني، بينما اختيرت الأخرى لتكون مجموعة ضابطة، وعدد طلابها (36) طالباً، وطالبة ليتم تدريسها بالأسلوب العادي في التدريس. وتم التأكد من تكافؤ المجموعتين من حيث: العدد فعدد الطلبة في المجموعتين متقاربين ، ومن حيث العمر: لأنَّ أعمار الطلبة في المجموعتين تراوح مابين (13 -15) . ومن حيث : المستوى الإقتصادي والإجتماعي: لأنَّ طلبة المجموعتين يتواجدون في مدرسة واحدة ، ويقيمون في مديرية واحدة تمثل حياة اجتماعية واحدة ، كما تمَّ التأكد من تكافؤ المجموعتين عن طريق حساب متوسطات الدرجات لهما في الاختبار القبلي، والانحراف المعياري، واختبار (ت) والجدول الآتي يوضح ذلك.

جدول (1) المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، وقيمة "ت" للفروق بين متوسطات المجموعتين التجريبية، والضابطة في الاختبار القبلي.

المجموعة	عدد الطلاب	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
التجريبية	38	18.32	8.78	0.13	غير دال عند مستوى 0.05
الضابطة	36	18.04	8.91		

من الجدول السابق يتبين عدم وجود فروق دالة احصائياً بين متوسطي المجموعتين التجريبية، والضابطة، مما يدل على تكافؤ المجموعتين ابتداءً.

خامساً: أداة الدراسة:

لتحقيق هدف الدراسة، و الإجابة عن سؤاليها، استخدام الباحث، اختبار تحصيلي في مادة العلوم

لوحدة " الكهرباء التيارية". ويتكون في صورته الأولية من (35) سؤالاً، فيه (20) سؤالاً من نوع الاختيار من متعدد، و (15) سؤالاً من نوع الصح والخطأ.

صدق الاختبار :

للتأكد من الصدق الظاهري، وصدق المحتوى للاختبار تم عرضه على عدد من المتخصصين في تدريس العلوم، حيث طلب منهم الباحث إبداء الرأي حول الاختبار من حيث دقة الصياغة اللغوية، و وضوح المصطلحات، والدقة العلمية للفقرات، ومدى ملاءمتها لمستوى طلبة الصف الثامن. وفي ضوء آراء المحكمين تم إجراء التعديلات التي اقترحها المحكمون من حذف، وإضافة، وتعديل لبعض الفقرات .كما أجريت تجربة استطلاعية للاختبار على عينة مكونة من (25) طالبا، وطالبة من غير عينة الدراسة من مدرسة أخرى. وذلك بهدف حساب :

1) متوسط زمن الاختبار: حيث كان متوسط زمن الإجابة عن الاختبار هو(35) دقيقة.
2) ثبات الاختبار: تم حسابه باستخدام معادلة(الفا كرونباخ). للاتساق الداخلي، حيث بلغ الثبات(0.78). وهذه القيمة تعني صلاحية الاختبار التحصيلي، وأنه على درجة مقبولة من الثبات.

سادساً: متغيرات الدراسة:

تتضمن الدراسة المتغيرات الآتية :

1) المتغيرات المستقلة : وهي : أ) أسلوب التعلم الذاتي. ب) أسلوب التدريس التقليدي
2) المتغيرات التابعة : وهي أ) التحصيل في مادة العلوم. ب) الاحتفاظ بالتعلم في مادة العلوم.

سابعاً: تطبيق التجربة:

قام المعلم المنفذ بتحديد أهداف الوحدة والأنشطة وا لوسائل التعليمية اللازمة لتدريسها بأسلوب التعلم التعاوني، مع مراعاة الخطة الدراسية لمقررالعلوم، ثمَ قام بإعداد أوراق عمل لتعطى للتلاميذ باسم تدريبات صفية بواقع تدريبين لكل درس. ثمً قام المعلم المنفذ بتعريف تلاميذ المجموعة التجريبية بأسلوب التعلم التعاوني، وأهميته في حياتهم الدراسية، كما حثهم على إقامة علاقة زمالة مع بعضهم، وأفهمهم أن كل طالب يتحمل مسؤليته تجاه تلاميذ مجموعته، وأن الدرجة التي سيحصل عليها التلميذ ستكون هي متوسط درجات تلاميذ مجموعته. ثم قام بتدريسهم بأسلوب التعلم التعاوني أوضح لهم خلاله المفاهيم الأساسية، والقواعد المتبعة بالدرس. ثمَ قام بتوزيع أفراد المجموعة التجريبية إلى مجموعات غير متجانسة كل مجموعة مكونة من (5) طلاب ماعدا مجموعة واحدة مكونة من (3) طلاب .ثمً حدد الخبرات العلمية في ضوء الأهداف لكل أفراد المجموعات. ثمَ طلب من كل مجموعة دراسة الخبرات التعليمية المطلوبة منهم، ثمَ حدد لهم من (15) دقيقة للتدريس، و(20) دقيقة للشرح، والمناقشة فيما بينهم. ثمً طلب من كل مجموعة تقديم تقرير في نهاية كل تعلم. ثمً يسجل درجات كل مجموعة في دفتر خاص. أما المجموعة الضابطة، فقد تم تدريسها بالأسلوب التقليدي المتبع في التدريس. الذي يعتمد على العرض المباشر

للمادة التعليمية من المعلم ، ولا يكون أثناء ذلك أي دور للطلاب سوى الاستماع فقط . والعلاقة بينهم علاقة تنافسية فردية، ولا يسودها أي مظهر من مظاهر التعاون . وقد روعي تحقيق الأهداف من نفس المحتوى . وبعد الانتهاء من التجربة، طبق الاختبار التحصيلي، وهو نفس الاختبار التحصيلي القبلي على المجموعتين التجريبية، والضابطة. وبعد الانتهاء من تطبيق الاختبار التحصيلي البعدي، تم تصحيحه، ثم حساب الفرق بين درجات كل تلميذ في الاختبار التحصيلي البعدي ، والقبلي لكل مجموعة. وبعد الانتهاء ب(3) أسابيع من التجربة، طبق الاختبار(المؤجل) مرة أخرى على المجموعتين التجريبية، والضابطة، لحساب الاحتفاظ بالتعلم. ثم صحح الاختبار لإيجاد الفرق بين درجات كل تلميذ في الاختبارين البعدي، والاحتفاظ بالتعلم (المؤجل) لكل مجموعة.

ثامناً: المعالجة الإحصائية:

للإجابة عن أسئلة الدراسة، قام الباحث باستخدام المعالجة الإحصائية الآتية:

استخدام اختبار(ت) لحساب الفرق بين متوسط درجات تحصيل الطلبة في الاختبارين البعدي، والقبلي، وكذلك استخدام اختبار(ت) لحساب الفرق بين متوسط درجات تحصيل الطلبة في الاختبارين البعدي، والمؤجل.

مناقشة نتائج الدراسة:

يأتي عرض نتائج الدراسة، ومناقشتها حسب تسلسل أسئلتها:

السؤال الأول:

هل هناك فرق دال إحصائياً بين متوسط درجات الاختبار التحصيلي في مادة العلوم لطلبة الصف الثامن الذين درسوا بأسلوب التعلم التعاوني، ومتوسط درجات الطلبة الذين درسوا بالأسلوب التقليدي؟. وبالعودة إلى الجدول الآتي:

جدول رقم(2) المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، وقيمة(ت) بين المجموعتين التجريبية، والضابطة للاختبارين القبلي، والبعدي.

المجموعة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
التجريبية	23.91	6.26	3.28	دال عند مستوى دلالة 0.05
الضابطة	18.08	8.86		

يتبين من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي لأداء المجموعة التجريبية في الاختبار ككل كان أعلى من المتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة، حيث بلغ المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية (23.91)، بانحراف معياري بلغ (6.26)، بينما كان المتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة (18.08)، بانحراف معياري، وقدره (8.86). وهذا الفرق في المتوسطات الحسابية دال إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05). عند استخدام اختبار "ت" للعينتين المستقلتين. وهذه النتيجة تتفق مع فرضية الدراسة الأولى: والتي تنص على: " وجود فرق دال إحصائيا بين متوسط درجات الاختبار التحصيلي في مادة العلوم لطلبة المجموعة

التجريبية الذين درسوا بأسلوب التعلم التعاوني، ومتوسط طلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا بالأسلوب التقليدي".وقد يرجع سبب ذلك إلى ما يوفره أسلوب التعلم التعاوني من فرص لجميع التلاميذ في المشاركة الفعلية في عملية التعلم الذي يتميز به هذا الأسلوب. كما تتفق هذه النتيجة مع ما أشير له في الإطار النظري لهذه الدراسة من أن أسلوب التعلم التعاوني يعمل على زيادة التحصيل. كما تتفق مع نتائج دراسة. كما تتفق مع نتائج دراسة، السعدني، والعيوني، وأهيوجا، وإليكسومولرنودرايفر، ولوننجن وواتسون، واكبيولا، وأكبيولا وجيجد، ولازاراروونز.

السؤال الثاني:

" هل هناك فرق دال إحصائيا بين متوسط درجات الاختبار التحصيلي في مادة العلوم يعود للاحتفاظ بالتعلم لطلبة الصف الثامن الذين درسوا بأسلوب التعلم التعاوني، ومتوسط درجات الطلبة الذين درسوا بالأسلوب التقليدي. وبالعودة إلى الجدول رقم (3).

جدول رقم (3) المتوسط الحسابية، والانحرافات المعيارية، وقيمة " ت" للمجموعتين التجريبية، والضابطة في الاختبار التحصيلي المؤجل.

المجموعة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة " ت "	مستوى الدلالة
التجريبية	23.55	6.67	2.73	دال عند مستوى دلالة 0.05
الضابطة	18.64	8.67		

يتبين من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي لاحتفاظ طلاب المجموعة التجريبية بالتعلم كان أعلى مقارنة بالمتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية (23.55)، بانحراف معياري (6.67)ز مقارنة بالمتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة، والذي بلغ (18.64)، وانحراف معياري (8.67). وهذا الفرق في المتوسطات الحسابية دال إحصائيا عند مستوى دلالة (0.05) عند استخدام اختبار " ت " للعينتين المستقلتين.

وهذه النتيجة تتفق مع فرضية الدراسة الثانية والتي تنص على: " وجود فرق دال إحصائياً بين متوسطات درجات الاحتفاظ بالتعلم في مادة العلوم لطلبة المجموعة التجريبية الذين درسوا بأسلوب التعلم التعاوني، ومتوسط درجات طلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا بالأسلوب التقليدي".

وقد يرجع سبب ذلك إلى أن أسلوب التعلم التعاوني يعتمد على تعاون الطلبة مع بعضهم، وما يترتب عليه من تفاعل إيجابي بين الطلبة يؤدي إلى الاحتفاظ أكثر بالتعلم، وتتفق هذه النتيجة مع ما أشير إليه في الإطار النظري لهذه الدراسة من أن أسلوب التعلم التعاوني يعمل على زيادة الاحتفاظ بالتعلم. كما تتفق مع دراسة (شير، 1995).

الخلاصة:

يمكن إيجاز نتائج الدراسة بالآتي:

3) وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الاختبار التحصيلي في مادة العلوم لطلبة المجموعة التجريبية الذين درسوا بالتعلم التعاوني، ومتوسطات درجات التحصيل لطلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا بالأسلوب التقليدي، ولصالح المجموعة التجريبية.

4) وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الاختبار المؤجل للاحتفاظ بالتعلم في مادة العلوم لطلبة المجموعة التجريبية الذين درسوا بأسلوب التعلم التعاوني، ومتوسطات درجات طلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا بالأسلوب التقليدي، ولصالح المجموعة التجريبية.

التوصيات والمقترحات:

أولاً التوصيات:

في ضوء النتائج أعلاه، والتي توصلت إليها هذه الدراسة، والتي أظهرت أن أسلوب التعلم التعاوني له أثر إيجابي على كل من التحصيل، والاحتفاظ بالتعلم في مادة العلوم. يوصي الباحث بما يأتي:

1) تشجيع معلمي العلوم في المرحلة الأساسية على استخدام أسلوب التعلم التعاوني في تدريس العلوم.
2) تضمين أسلوب التعلم التعاوني ضمن مقررات طرق تدريس العلوم في كليات التربية.
3) تدريب طلبة التربية العملية - تخصص علوم - على استخدام أسلوب التعلم التعاوني.
4) طرح مقرر دراسي بأسلوب التعلم التعاوني: مفهومه، عناصره، خصائصه، طريقة تعلمه، ودور المعلم فيه لمعلمي المرحلة الأساسية.
5) تنظيم البيئة الصفية بشكل يساعد على استخدام أسلوب التعلم التعاوني.

ثانياً المقترحات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة يقترح الباحث إجراء الدراسات الآتية:

1) دراسة مماثلة عن أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني على كل من التحصيل، والاحتفاظ بالتعلم في المراحل المختلفة (الثانوية والجامعية).
2) دراسة مماثلة عن أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني على كل من التحصيل، والاحتفاظ بالتعلم للطالبات.
3) دراسة مماثلة عن مدى معرفة استخدام معلمي العلوم أسلوب التعلم التعاوني في تدريس العلوم.
4) دراسة عن الصعوبات التي تواجه معلمي العلوم في استخدام أسلوب التعلم التعاوني.

المراجـــــع

أولاً: المراجع العربية:

1 - ابراهيم ، فاضل خليل ، (1997)، أثر استخدام التعلم التعاوني على تحصيل التلاميذ في مادة التاريخ ، وميولهم نحوها، المجلة العربية للتربية ، تونس ، العدد (1) .

2 - الحدابي، داود عبد الملك، (1996)، أثر استخدام استراتيجية التعلم التعاوني على التحصيل في مادة الفيزياء لدى طلبة الدبلوم المتوسط – كلية التربية - جامعة صنعاء – مجلة الدراسات الاجتماعية ، جامعة العلوم والتكنولوجيا، العدد(2)، يوليو - ديسمبر.

3 - الخليلي، خليل يوسف وآخرون، (1996)، تدريس العلوم في مراحل التعليم العام، دبي، دار العلم للنشر، والتوزيع.

4 - السعدني، عبد الرحمن محمد، (1993)، فاعلية استخدام التعلم التعاوني على تحصيل طلاب الصف الأول الإعدادي في العلوم، ودافعيتهم للانجاز، مجلة كلية التربية، جامعة طنطا، العدد(28).

5 - السميري، لطيفة صالح، (2003)، فاعلية استخدام استراتيجية التعلم التعاوني في تنمية المهارات الاجتماعية لدى طالبات كلية التربية في جامعة الملك سعود في مدينة الرياض، المجلة التربوية، الجامعة الكويتية، ع (68)، المجلد (17).

6 - اللقاني، أحمد، والجمل، علي، (1996)، معجم المصطلحات التربوية - المعرفة في المناهج وطرق التدريس، القاهرة، عالم الكتب.

7 - العمر، عبد العزيز بن سعود، (2001)، أثر استخدام التعلم التعاوني على تحصيل طلاب العلوم في المرحلة الجامعية، رسالة الخليج العربي، الرياض، السنة (22) العدد(80).

8 - العيوني، صالح محمد (2003)، أثر استخدام أسلوب التعلم التعاوني غلى التحصيل في مادة العلوم، والاتجاه نحوها لتلاميذ الصف السادس الابتدائي (بنين) بمدينة الرياض، المجلة التربوية، الجامعة الكويتية، العدد(66)، المجلد(17).

9 - الموسوي، علي بن شرف بن علي، (1992)، التعلم التعاوني صرح تربوي حديث، مسقط مطبعة جامعة السلطان قابوس.

10 -جونسون ، ديفيد وآخرون(1993)، التعلم التعوني، ترجمة مدارس الظهران الأهلية، الظهران، مطابع الظهران الأهلية.

11 -حريري، هاشم بكر، (2001)، إدارة الفصل بأسلوب التعلم التعاوني وأثره في تحصيل الطلاب الدراسي، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، العدد(2)، المجلد (13).

12 - خطاب وحسن عبد المنعم، (1993)، أثر أسلوب التعلم التعاوني على تحصيل تلاميذ الصف الثاني الإعدادي في العلوم مقارناً بالأسلوب العادي في منطقة العين بالإمارات العربية المتحدة، المجلة التربوية، جامعة الكويت، المجلد(17)، العدد(66).

13 - شبير، خليل ابراهيم، (1995)، أثر استخدام التعلم التعاوني في تدريس مادة العلوم على التحصيل الدراسي لطلبة الصف الأول الإعدادي. مجلة كلية التربية، جامعة عين شحس، مجلد(3)، العدد(19).

14 - عبد الحميد، جابر(1999)، استراتجيات التدريس، والتعلم، ط، القاهرة، دار الفكر **العربي**

15 - . محمد علي، محمد عمر، (2004)، أثر استخدام طريقتي التعلم الجمعي، و التعلم التعاوني الجمعي على تحصيل الطلاب في الرياضيات، والاحتفاظ بالتعلم ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ذمار .

ثانياً: المراجع الأجنبية:

16- Adams, D. M. and Hamm, M. E. (1994). Cooperative Learning, Critical Thinking and collaboration across the curriculum. Spring-field, Ilinois, USA Charles C, Thomas publisher.

17- Ahuja, A. (1994). The effects of a cooperative learning instructional strategy on the academic achievement, attitudes toward science class and process skills, of Middle Schools Science students doctoral dissertation, Ohio state university, UMI Dissertation service. A Bell and Howell Company.

18- Alexopoulou, E. and Driver, R. (1996). Small group discussion in physics; peer interaction Modes in Pairs and Fours. Journal of Research in Science Teaching, 33(10), 1099-1114.

19- Artzt, A. F. and Thomas, E. R. (1990). A Cooperative learning, Mathematics Teacher, 6 (2).

20- Basili, P. A. and Sanford, J. R. (1990). Conceptual changes strategies and cooperative group work in chemistry. Journal of research in Science Teaching, 28(4), 293-304.

21- Berge, Z. L. (1990). Effects of group size gender and ability grouping in learning science process skills using Microcomputers, Journal of Research in Science Teaching, 27(8), 747-759.

22- Chang, H. and Ledermann, N. G. (1990). The effect of levels of cooperation within physical science laboratory groups on physical Science Achievement. Journal of Research in Science Teaching 31(2), 162-181.

23- Dori, Y., Yersolvaski, O., and Lazarrowitz, R. (1995). Paper Presented at NARST Annual Meeting, San Francisco, Ca.

24- Ellis, S.S. (1981\ 1990). Introducing Cooperative Learning. Educational Leadership, 47(4).

25- Johnson, D. W. et al (1993). Interdependence and Interpersonal Attraction among Heterogeneous and Homogeneous Individuals; a Theoretical Formulation and a Meta-analysis of the Research. Review of Educational Research, 53(3), 5-54.

26- Lazarowitz, R. (1984). Student-student interaction in science classrooms; Anaturalistic study. Science Education, 68(5), 603-619.

27- Lazarowitz, R. (1988). Academic Achievement and on-task behavior of High School Biology students instructed in a cooperative small investigative group. Science Education. 72(4), 475-487.

28- Lazarowitz, R. (1994). Learning science in a cooperative setting; Academic Achievement and affective outcomes. Journal of Research in Science Teaching, 31(10), 1121-1131.

29- Lawerenz, F. and Munch, Th.(1984). The Effect of grouping of laboratory Students on Selected Educational outcomes. Journal of Research in Science Teaching, 21(7), 699-708.

30- Lonning, R. A. (1993). Effect of cooperative Learning strategies on student verbal Interactions and achievement during con conceptual change instruction in 10^{th} grade general science. Journal of Research in Science Teaching, 30(9), 1087-1101.

31- Lump, A. T. and Staver, J. R. (1995). Peer collaboration and group development; learning about photosynthesis. Journal of Research in Science Teaching, 32(1), 71-98.

32- Lundeberg, M. A. (1990). Supplemental instruction in chemistry. Journal of Research in Science Teaching, 27(2), 145-155.

33- Matthew, M. (1992). Gifted students talk about cooperative learning. Educational Leadership, 50(2), 48-50.

34- Okebukola, P. A. (1986). The influence of preferred learning styles on cooperative learning and students' attitudes to laboratory works. School science and Mathematics, 86(7), 509-517.

35- Okebukola, P. A. and Jegede, O. J. (1988). Cognitive preference and learning Modes as Determinants Meaningful learning through concept Mapping. Science Education, 72(4), 489-500.

36- Okebukola, P. A. and Jegede, O. J. (1990). Ecocultral influence upon students' concept attainment in science. Journal of Research in Science Teaching, 27(7), 661-669.

37- Okebukola, P. A. and Ogunniyi, M. B. (1984). Cooperative, competitive and individualistic science laboratory interaction Patterns-Effects on student and acquisition of practical skills. Journal of Research in Science Teaching, 21(9), 875-884.

38- Schultz, J. L. (1989\1990). Cooperative learning in Refining the Process. Educational Leadership, 47(4), 43-45.

39- Sharan, Sh. (1980). Cooperative learning in small groups; report methods and effects on achievement, attitudes, and Ethnic Relation. Review of Educational Research, 50(2). 241-271.
40- Sherman, L. W. (1989). A comparative study of cooperative and competitive achievement in two secondary biology classrooms; the group investigation Model Versus an individually competitive goal structure. Journal of Research in Science Teaching, 26(1), 55-64.
41- Slaven, R.E. (1989/1990). Research on cooperative learning: consensus and controversy. Educational leadership, 47(4), 52-54
42- Shroyer, G. (1988\1989). Learning outcomes from cooperative learning, Bscs Middle School project Field-test workshop, Colorado spring, co. Bscs.
43- Stephen, B. (1992). Cooperative learning Eric Office of Educational Research and improvement.
44- Tingle, T. B. and Good, R. (1990). Effects of cooperative grouping on stoichiometric problem solving in high school chemistry. Journal of Research in Science Teaching, 27(7).
45- Towns, M.H. and Grant, E. R. (1997). Believe, I will go out of this class actually knowing something. Journal of Research in Science Teaching, 34(8), 819-835.
46- Watson, S. B. (1991). Cooperative learning and group educational Modules Effects on cognitive achievement of high school biology students. Journal of Research in Science Teaching, 18(2), 141-146.
47- Watson, S. B. and Marshall, J. E. (1995). Effects of cooperative incentives and Hetero generous arrangement on achievement, and interaction of cooperative learning groups in college life science course. Journal of Research in Science Teaching, 32(3), 290-299.

أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته
لدى طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة
جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا
(دراسة استطلاعية)

د/ عبد العزيز مهيوب الوحش
أستاذ الصحة النفسية المساعد – قسم الإرشاد النفسي – كلية التربية – جامعة إب

الملخص :

وتلعب أساليب ومهارات الاستذكار دوراً مهماً في تنشيط الذاكرة للاحتفاظ بالمعلومات حيث يتفق علماء النفس على أن أساليب الاستذكار السليمة هي التي تجعل ذاكرة الطالب منظمة ومرتبة ونشطة وقادرة على الاحتفاظ بالمعلومات لفترة طويلة ، ولذلك فان الطالب الذي يستذكر بهدوء ، ويركز انتباهه اثناء الاستذكار يستطيع أن ينقل المعلومات المهمة من الذاكرة الحسية إلى الذاكرة قصيرة المدى فوراً ، وعن طريق الفهم والتكرار ، والتسميع ، والتفكير في معاني المادة التي يستذكرها ، يستطيع نقلها إلى الذاكرة طويلة المدى والاحتفاظ بها لفترة طويلة واسترجاعها بسهولة ويسر عند الاحتياج إليها .

وتلعب المشكلات الشخصية والقلق الدراسي وصعوبة أو سهولة المادة الدراسية والدافع إلى التحصيل والانجاز ، وميل الطالب نحو المادة الدراسية وغيرها دوراً مهماً في الاستيعاب والفهم أثناء الاستذكار ، وفي ضوء هذه الأفكار خلص البحث إلى النتائج الآتية :

1) إن طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا يستخدمون بصفة عامة أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته .
2) إن الطلبة لا يعيرون الوقت اهتماماً ، فهم لا ينظمون أوقات استذكارهم ولا يتهيئون للمذاكرة منذ بداية الفصل الدراسي.
3) إن طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا يجيدون مهارات القراءة التي تمكنهم من فه م أفكار الدرس ويسجلون ملخصات لما يقرؤونه ، ويركزون على الجمل أكثر من الكلمات ، ويبدؤون بقراءة الأجزاء السهلة .
4) الطلبة يتبعون الطريقة الكلية والجزئية ، ويحاولون معرفة العلاقة بين أجزاء الدرس عند استذكارهم ، ويربطون ما يتعلمونه بالواقع ويقومون ، بالتسميع لأنفسهم بعد الانتهاء من استذكار الدرس ، ويهتمون بمراجعة الموضوعات غير الواضحة في الدرس .

مقدمـــــــة :

تعد طريقة الاستذكار احد الفنون العقلية التي يتقنها بعض الطلاب ويفشل في إتقانها البعض الأخر لأنها ذات طبيعة خاصة تتم بتوجيه ذاتي تستلزم من الطالب الانفراد بنفسه وقتا معينا لكي تتحقق فعالية هذه العملية ، كما تحتاج اختيار الأساليب والمهارات اللازمة لتحقيق مستوى مناسب من التعلم ، بالإضافة إلى الإرادة والتصميم لبذل الجهد المطلوب لتحقيق الهدف ، فالاستذكار لا يعتبر فقط عملية معرفية بل أيضا عملية وجدانية تتطلب إرادة قوية من المتعلم لانجاز المهام ، ولذلك فان كمية ونوعية الأنشطة التي يبذلها الطالب تعتمد على العوامل الوجدانية كأحد مكونات الشخصية Personal Efficiency ، كما تعتمد إطار الموقف الذي يوجد فيه الطالب حيث نجد اختلاف فعالية الاستذكار باختلاف الأفراد ، وباختلاف شروط العمل أو الأساليب المطلوب التمكن من استخدامها لهذا العمل . (الشرقاوي ، 1998 : 201 - 203)

وتشير الدراسات إلى أهمية الدور الذي تلعبه أساليب ومهارات الاستذكارومهاراته في اكتساب أنماط سلوكية ضرورية لعملية التعلم الذاتي ، ولذلك نجد أن الطلاب في المراحل الدراسية المتقدمة - غالبا ما يلجئون أثناء استذكار دروسهم إلى التكرار المنظم والموجه ذاتيا لمجموعة من أساليب الأداء السلوكي المكتسبة والمتسمة بالثبات النسبي ، والتي تبنوها مع مرور الوقت وفضلوها لانجاز مهامهم الدراسية . (نجاتي ،1985 : 196)

وتلعب أساليب ومهارات الاستذكار دوراً مهماً في تنشيط الذاكرة للاحتفاظ بالمعلومات حيث يتفق علماء النفس على أن أساليب الاستذكار السليمة هي التي تجعل ذاكرة الطالب منظمة ومرتبة ونشطة وقادرة على الاحتفاظ بالمعلومات لفترة طويلة ، ولذلك فان الطالب الذي يستذكر بهدوء ، ويركز انتباهه اثناء الاستذكار يستطيع أن ينقل المعلومات المهمة من الذاكرة الحسية إلى الذاكرة قصيرة المدى فوراً ، وعن طريق الفهم والتكرار ، والتسميع ، والتفكير في معاني المادة التي يستذكرها ، يستطيع نقلها إلى الذاكرة طويلة المدى والإحتفاظ بها لفترة طويلة واسترجاعها بسهولة ويسر عند الاحتياج إليها . (دافيد وف ، 1983 : 333 - 335) ، ومن ثم فان الاحتفاظ بالمعلومات لفترة طويلة يعتمد على الطريقة المتبعة في عملية الاستذكار ، وقدرة الطالب على ربط المعلومات الجديدة بالخبرات السابقة ، وإيجاد علاقات بين عناصر الدرس ، بالإضافة إلى سهولة أو صعوبة المادة التي يقوم الطالب باستذكارها ، كما أن التهيؤ النفسي للاستذكار ، والدافع للتحصيل الأكاديمي ، والميل إلى المادة الدراسية ، والتوافق مع النظم والقواعد الأكاديمية يلعب دوراً في الاستيعاب والفهم والحفظ السريع .

وتؤدي طريقة الاستذكار التي يتبعها الطالب من حيث الانتباه ، والتخطيط ، والتنظيم ، والدقة ، والإعداد ، والترتيب ، واستغلال الوقت ، والجهد ، والقدرة إلى أقصى درجة ممكنة إلى جعل

الطالب يكمل مهامه الأكاديمية بفاعلية ونجاح ، و يتطلع إلى معرفة المزيد من المعلومات لأنه يستمتع بها الأمر الذي يؤدي إلى نمو ثقته بنفسه ويجعله يشعر بالفخر بكل انجاز حققه . (رزق ، 2004 : 1 - 5)

وتتطلب عملية الاستذكار السليمة تحديد موضوع الدرس الذي ينوي الطالب استذكاره ، وتهيئة مكان الاستذكار ، وتنظيم الوقت ، والتخلص من المشكلات ، واستحضار الذهن ، ومعالجة مشتتات الانتباه ، واستعراض المادة أو الموضوع بشكل إجمالي ، ثم التعرف على العناوين الفرعية قبل البدء باستذكار التفاصيل ، والجمع عند الاستذكار بين الطريقة الكلية والطريقة الجزئية ، وكتابة ملخصات للأفكار الرئيسية التي يفهمها الطالب من فقرات الموضوع ، والتسميع الذاتي ، ومراجعة ما تم استذكاره من وقت لأخر ، كما أن المشاركة الإيجابية في القاعة الدراسية ومناقشة الأساتذة والزملاء في الموضوعات التي يجد فيها صعوبة ، والرجوع إلى كتب أخرى يمكن أن تثري الموضوع وتبدد الصعوبات التي تواجه الطالب أثناء استذكار دروسه . (نجاتي ، 1985 : 190 - 200)

والحقيقة أن عملية الاستذكار ليست قدرة معرفية عقلية فقط ، بل تتوقف أيضا على عوامل أخرى صحية ومزاجية وظروف اجتماعية ، وشخصية وغيرها، فاعتلال الصحة العامة، والانفعالات، والتعب، والسكن غير المناسب ، والضوضاء المحيطة بالطالب ، والمشاكل الأسرية ، والاجتماعية ، والعاطفية من العوامل التي تؤثر على قدرة الطالب في تركيز الانتباه ، والمثابرة أثناء الاستذكار ، وبالتالي عدم قدرته على استيعاب وتنظيم وتخزين المعلومات واستدعائها أثناء الاختبار . (أبو العلا ، 1976 : 11 - 14)

وتلعب المشكلات الشخصية والقلق الدراسي وصعوبة أو سهولة المادة الدراسية والدافع إلى التحصيل والانجاز ، وميل الطالب نحو المادة الدراسية وغيرها دوراً مهماً في الاستيعاب والفهم أثناء الاستذكار ، ولذلك نجد (سبيلبرجر) يؤكد على أن الطلاب الذين لديهم مشاكل شخصية وغير متوافقين مع الظروف البيئية الأكاديمية يكونون أكثر توتراً وقلقاً ، وأقل إنجازا أثناء مذاكرتهم للمواد الدراسية كما أنهم أقل كفاءة لمزاولة أنشطتهم الأكاديمية ، ويحققون أقل درجات في الاختبارات التحصيلية . (Spielberger , 1972 : 27)

أما (هانسلي وميدن) فيؤكدان على أن صعوبة المادة الدراسية تزيد من مستوى القلق لدى بعض الطلبة أثناء الاستذكار ، ومن ثم ينخفض اداؤهم وأستيعابهم للمادة الدراسية ، بينما يندفع آخرون إلى البحث والتنقيب عن مصادر المعلومات ، ويسألون أساتذتهم ويناقشون زملاءهم حتى يتمكنوا من الفهم والإستيعاب . (Hunsley and Median , 1985: 19)

وهناك باحثون آخرون اعتبروا أن وجود القلق بدرجة متوسطة قبل وأثناء الاستذكار يعد دافعا للطالب من شأنه أن يزيد من قوة العادة على الاستذكار في المواقف التعليمية المختلفة ، بل ويدفعه إلى سرعة التعلم وتحسين الأداء والإنجاز .(Leavitt , 1980 : 90 - 91)

ولذلك يمكن القول أن الطالب الذي لديه دافع قوي للاعمال الأكاديمية ، ومستوى طيب من المثابرة والإصرار، ويبذل جهداً كبيراً في استذكار دروسه وينجز ما كلف به من مهام من أساتذته أو ممن لهم علاقة بالعملية التعليمية ، ينال رضاهم ويحقق أكبر قدر من الإنجاز وفقاً لقدراته وإمكانياته ويرضى بأدائه ونجاحه في الاختبارات .

ويرى (أتكنسون) أن الدوافع المرتبطة بالأجتهاد والسعي إلى التفوق تستثير كل من الرجاء في النجاح ، والخوف من الفشل ، ومن شأن ذلك أن يحدد ما إذا كان الطالب سوف يسعى باتجاه المهام والأعمال المرتبطة بالاستذكار أو بعيدا عنها ، غير أنه من المؤكد أن الطلبة الذين لديهم دوافع إيجابية لإحراز النجاح والتفوق ، يسعون إلى تجنب الفشل من خلال سعيهم نحو المهام والأعمال المرتبطة بالاستذكار متجاوزين في ذلك كل مايمكن أن يعيقهم عن تحقيق أهدافهم . (قشقوش ومنصور ، 1979 : 40 - 43)

ومن الملاحظ أن بعض الطلبة الذين يؤجلون استذكار دروسهم حتى موعد الاختبارات تسيطر عليهم وساوس أثناء الاستذكار ، ويعيشون حالة صراع بين خيارين إما استذكار الدروس دفعة واحدة - كما لو أنهم سيلتهمونها التهاماً - وإما ترك عملية الاستذكار بحيث لا يعيرونها الاهتمام الكافي ، ومع ذلك قد نجدهم يتحمسون للاستذكار من وقت لأخر ، ولكن سرعان ماتفتر هممهم ويذبل حماسهم بل وتجرهم الأفكارالوسواسية ، وأحلام اليقظة دون تحقيق أي تقدم في فهم واستيعاب دروسهم بسبب تلك الأفكار الو سواسية .

ويلعب ميل الطالب نحو المادة الدراسية دوراً مؤثراً في تكيفه مع الظروف المصاحبة لعملية الاستذكار واستيعاب موضوعات المادة الدراسية . فالطالب الذي لديه ميل إيجابي نحو المادة الدراسية ، يكون أكثر تكيفا مع الظروف والمشكلات المحيطة به أثناء الاستذكار وأكثر مثابرة واستيعاباً ويكون تحصيله مناسباً لما بذله من جهد ، بعكس الطالب الذي لديه ميل سلبي نحو المادة الدراسية إذ لا يستطيع التكيف مع الظروف ، ويبذل جهداً أقل في المادة التي لا يميل لدراستها ، ويكون غير قادر على الاستذكار بشكل منتظم ، وقد يتركها ويرسب في الاختبار أو يحصل على تقدير منخفض . (الوحش ، 1991 : 43)

وقد كشفت دراسات عديدة أن الطلبة الذين يستخدمون أساليب وعادات دراسية خاطئة - كالحفظ عن ظهر قلب مثلاً - يلجئون إلى زملائهم الطلبة لمساعدتهم في فهم المادة العلمية عندما يجدون صعوبة في فهمها ، بينما الطلبة الذين اعتادوا على ألأساليب والعادات الدراسية الصحيحة ويستخدمون استراتجيات التفكير الناقد لفهم المادة العلمية وتحليلها لا يلجئون إلى زملائهم بقدر لجوئهم لأساتذة المقررات الدراسية عندما تواجههم صعوبة في فهمها واستيعابها . (سليمان ، 1989 : 26)

ولاشك أن هناك عادات سلوكية مشتركة بين الطلاب والطالبات فيما يتعلق بالاستذكار اليومي غير أن الطالبات يستخدمن عادات دراسية أفضل من الطلاب ومن بين هذه العادات التركيز والفهم الدقيق للأفكار

والمفاهيم العلمية ، وكيفية التعامل مع الكتاب المقرر ، ومراجعة الدروس، وتخصيص وقت أكثر من الطلاب للاستذكار ، والاستعداد للاختبارات ، أما الطلاب فهم أقل تركيزاً من الطالبات حيث يوجهون جهودهم أثناء الاستذكار نحو فهم المفاهيم والحقائق العلمية الأقل أهمية ، كما يركزون على الأفكار العامة أكثر من التركيز على الأفكار الدقيقة والخاصة ، وقد يدخلون الاختبار وهم أقل استعداداً لأدائها .(الصراف، 1992: 260 -261)

وتعد القراءة السليمة وسرعتها ضمن مهارات الاستذكار السليمة إن لم نقل أهمها على الإطلاق حيث ركز التربويون عليها في مختلف العصور لأنها تلعب دورا مهما في توفير الوقت ، والجهد ، والفهم والاستيعاب ، والربط بين أفكار المادة ، والتركيز ، والاستمرار في الاستذكار ، وقد أكد بعض الباحثين على أن القراءة بصمت ، والقراءة الناقدة تجعل الطالب يركز على المعنى أكثر من الكلمات ، كما أن سرعة القراءة مهمة لأنها توصل القارئ إلى فهم أسرع . (الزير وشراب ، 1997 : 68 - 89)

كما انصب اهتمام وتركيز التربويين على مهارة سرعة القراءة كمهارة مهمة من مهارات الاستذكار في هذا العصر الذي نعيشه عصر تفجر المعلومات والثورة التكنولوجيا ، وتقاس هذه السرعة بمعرفة مقدار الزمن الذي يستغرقه الفرد في قراءة النص بالثواني مع تذكر واستيعاب أهم الأفكار والمعاني المتضمنة فيه ، وان كان بعض المربين يرون بأن القارئ في مرحلة معينة من النضج القرائي يميل إلى أن يكون قارئاً مرناً في إحساسه بضرورة تغيير سرعته القرائية في ضوء صعوبة المادة ووفق الغرض منها والزمن المتاح لقراءة الموضوع ، إلا أن معدل سرعة القراءة يزداد بزيادة سهولة النص وبتوفر مسافات مناسبة ، كما يتأثر بمستوى التحصيل اللغوي واستمرار القراءة والاطلاع . (رزق ، 2004 : 12)

وبهذا الصدد كشفت نتائج العديد من الدراسات أن الطلبة الجامعيين الذين لديهم عادة الانتظام في قراءة موضوعات الكتاب المقرر أو الكتب المساعدة وتدوين الملاحظات أثناء استذكار دروسهم اليومية وأثناء الاستماع للمحاضرات ، يكونون أكثر قدرة على تذكر هذه المعلومات أثناء الاختبارات من الطلبة الذين يكتفون بقراءة الموضوعات وسماع المحاضرة دون تدوين الملاحظات ، ولذلك فان تدوين الملاحظات يعتبر من المهارات الدراسية المهمة في البيئة التعليمية. ومن جانب أخر يرى باحثون آخرون أن الطلبة الجامعيين يشعرون بضيق الوقت وعدم القدرة على تنظيمه بل لا يستخدمون غالبا وقت الاستذكار للاستفادة منة في رفع تحصيلهم الأكاديمي ، وأن عملية الاستذكار لديهم لا تخضع عاده إلى تخطيط علمي دقيق .
(الصراف ،1992: 63 -62)

وتلعب مشتتات الانتباه دوراً سلبياً في عدم القدرة على التركيز والفهم وربط أفكار الدرس بحيث تؤدي إلى الاستيعاب المناسب للوقت والجهد المبذول أثناء عملية الاستذكار ، ولذلك فان التغلب على مشتتات الانتباه لدى الطالب يتطلب استحضار الذهن ، وتكوين اتجاه إيجابي نحو المادة الدراسية ، وتحديد

أهـداف واضـحة قابلـة للتحقيـق ، واختيـار المكـان الهـادئ ، واسـتذكار الـدروس أولاً بـأول ، وعـزل الموضوعات أو المشكلات التي لا علاقة لها بالدرس أو حلها قبل البدء بالاستذكار ، والتهيؤ للاستذكار ، وترك ما يصعب فهمة لاستشارة أستاذ المقرر، والتوقف عن الاستذكار أثناء التعب ، والتخلص من أحلام اليقظة ، ومحاولة فهم الأفكار الأولى في الدرس ، والقيام بعملية التلخيص ، والإصرار على تحقيق الأهداف ، والاقتناع بأهمية المادة وفهم ما يتم استذكاره وعدم الانشغال بالأ صوت وتهيئة مكان الاستذكار ، وتقدير قيمة الوقت ، والمحافظة على الصحة العامة والغذاء ، وعدم التنقل من مادة إلى أخرى قبل استيعاب المادة السابقة ، وأخذ فترات استراحة قصيرة أثناء المذاكرة لان ذلك يجدد النشاط ويزيل الملل . (الزير، و شراب : 124 - 131)

مشكلة الدراسة :

يلاحظ الباحث أن أساتذة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا يبذلون جهوداً طيبة في سبيل نقل المعرفة لطلابهم ، وتقدم جهات متعددة في إدارة الجامعة وكلياتها خدمات متعددة للطلبة ، وينفق الآباء مبالغ مالية كثيرة في سبيل تعليم أبنائهم وبناتهم ، ويقضي المرشدون الأكاديميون في الجامعة وقتاً طويلاً في توجيه طلابهم نحو واجباتهم الأكاديمية ، ومع ذلك نلاحظ في كل فصل دراسي عدداً غير قليل من الطلبة الذين يحصلون على معدلات منخفضة ، وآخرون يتلقون إنذارات أكاديمية بسبب انخفاض معدلاتهم التراكمية عن الحد الأدنى للنجاح الأمر الذي قد يؤدي إلى معاناة نفسية وتكاليف مالية ووقتاً وجهداً إضافيين لهم ولأسرهم . ومن الملاحظ أن الكثير من الطلبة الجامعيين يبذلون جهوداً كبيرة ويقضون أوقاتٍ طويلة في الاستذكار إذ لا يستطيع أي فرد أن يتصور أن الطالب الجامعي يمكن أن يدخل الاختبار دون استذكار مقرراته الدراسية ، ودون استيعاب قدر من المعرفة من حضور المحاضرات ، وأثناء تفاعله مع المثيرات المعرفية المختلفة في البيئة الجامعية ، غير أن نتائج الطلبة في كل فصل دراسي تطلعنا بتدني التحصيل الدراسي لدى الكثيرين منهم. وتذكر بعض الدراسات أن كثيراً من الطلاب لا يحصلون على النتائج التي يرجونها من مذاكرتهم ليس لأنهم لا يبذلون الجهد الكافي ، بل لأنهم لا يحسنون تنظيم أوقات الاستذكار ، أو لأنهم يستذكرون دروسهم بطريقة خاطئة ، أو لأنهم لا يقرؤون بطريقة جيدة ، أو لأنهم لا يستعدون للاختبار كما يجب ، أو لعدم تأكدهم من فهم ما ينبغي فهمه ، أو عدم التركيز أثناء الاستذكار على الأفكار الهامة ، ومن هنا يمكن القول بأنهم يفتقرون إلى استخدام الأساليب والمهارات الدراسية السليمة . (إبراهيم وصالح ، 2005: 4 -8)

وعلى الرغم من أن عوامل عديدة قد تسهم في انخفاض معدلات التحصيل الدراسي لدى الطلبة أو فشلهم في بعض المقررات الدراسية ، كالقدرات العقلية ، ومستوى الدافعية ، وعوامل انفعالية واجتماعية واقتصادية مختلفة ، ولاشك أن من بين هذه العوامل التي تسهم في انخفاض معدلات العديد من الطلبة

أساليب وعادات الاستذكار الخاطئة .

فالطالب عند دخوله الجامعة يكون قد أعتاد على أساليب دراسية في المراحل الدراسية السابقة للدراسة الجامعية دون معرفة ما إن كانت تلك الأساليب والعادات سليمة أو خاطئة في ظل انعدام الإرشاد المدرسي والتربوي والنفسي في الكثير من المدارس قبل الالتحاق بالجامعة (سليمان ، 1989 : 25) ، وهذا يعني أن الدراسة الجامعية الناجحة تحتاج بجانب القدرات العقلية الملائمة إلى توافر أساليب ومهارات دراسية ربما لم يتح للطالب اكتسابها في مراحل التعليم السابقة ، وربما يؤدي ذلك إلى التعثر في الدراسة الجامعية بسبب قلة الوعي بمتطلباتها .

وعلى الرغم من أن بعض الطلاب من المتفوقين في الشهادة الثانوية ، إلا أننا قد نجد مستويات البعض منهم متدنية في الجامعة ، كما قد نجد البعض الأخر يتعثر نتيجة الرسوب في بعض المقررات ، وقد يترك البعض الدراسة أو يغير التخصص ، وهذا ليس راجعا إلى قصور في قدرتهم العقلية وإنما قد يكون مرده قصور في السلوك التكيفي مع الدراسة الجامعية ، وقد يأتي ذلك بسبب جهل البعض منهم بمعرفة الأساليب والعادات والمهارات الفعالة في الدراسة وما تتطلبه الجامعة منهم ، أو بسبب وجود اتجاهات سالبة نحو الدراسة والتعلم أو التخصص ، أو بسبب نقص الاستعدادات في مجال التخصص ، وبالتالي تدني الدافعية الدراسية كنتيجة حتمية لكل هذه الممارسات غير المناسبة . (إبراهيم وصالح ، 2005 : 10)

وقد لاحظ الباحث أثناء تدريسه مقرر علم النفس العام ، وعلم النفس التربوي ، في كلية التربة بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا أن الطلبة يصغون جيدا أثناء الحديث عن أساليب الاستذكار السليمة ، وتكثر أسئلتهم حول هذا الموضوع الأمر الذي يعني أنهم بحاجة إلى معرفة أساليب ومهارات الاستذكار السليمة التي تمكنهم من تحسين مستوياتهم التحصيلية ،هذا بالإضافة إلى مقابلات شخصية إرشادية كثيرة مع الطلاب والطالبات في مكتب الباحث أثناء الساعات المكتبية وأثناء العملية الإرشادية ، يتم توجيههم وتزويدهم خلالها ببعض أساليب ومهارات الاستذكار السليمة ، كما لاحظ الباحث أن نتائج الطلبة في كل فصل دراسي متدنية ، والبعض يتلقى إنذارات أكاديمية ، وآخرون يتم فصلهم بعد إعطائهم الفرص المناسبة لتجاوز الإنذارات الأكاديمية ، وعند مناقشة اللجنة العلمية بحضور عميد كلية التربية والعلوم الأساسية لأسباب تدني التحصيل الدراسي تم استعراض العديد من الأسباب من بينها عدم معرفة الطلبة لأساليب ومهارات الاستذكار ، وتم الاتفاق على انجاز مجموعة من الأبحاث المتعلقة بأسباب انخفاض مستويات الطلبة خلال الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي 2007 – 2008 م .

ومن هذا المنطلق كان إحساس الباحث بمشكلة الدراسة الحالية ، وتم تحديدها بالتساؤلات الآتية :

أ - هل يستخدم طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته وفق الأسس السليمة المتمثلة بالاتي :

1 - تنظيم وقت الاستذكار والتهيئة له منذ بداية الفصل الدراسي .
2 - القراءة التي تمكنهم من فهم أفكار الدرس ، وتسجيل ملخصات لها .
3 - التغلب على مشتتات الانتباه أثناء الاستذكار .
4 - مدى استخدم الأساليب والمهارات العلمية للاستذكار .
5 - مدى توفر دافع للاستذكار ، والبحث عن مصادر المعلومات .
6 - مدى الشعور بالقلق الدراسي .

ب -هل هناك فروق دالة إحصائيا في أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته وفقا للمتغيرات الآتية :

1 – النوع (ذكوراً – إناثاً)
2 – التخصص (عربي إسلامي – انجليزي – رياضيات)
3 – المستوى الدراسي (الأول – الرابع)

أهمية الدراسة :

تعد عملية الاستذكار ومهاراته من عمليات التعلم الهامة التي لا غنى للطالب عنها في أي مجال من مجالات العلوم المختلفة ، فهي عملية ملازمة للطالب يكتسب من خلالها أنماطاً سلوكية خاصة تؤدي إلى تعدد أساليب الاستذكار ومهاراته بحسب مواقف التعلم ، غير أن تعدد هذه الأساليب والمهارات أو العادات التي اكتسبها الطالب ، لا يعني بالضرورة أنها سليمة بل قد نجد بعضا منها خاطئة ، وقد يترتب عليها الشعور بالملل ، وكره الاستذكار ، وضعف التحصيل الدراسي ، وانخفاض مستوى دافعية التحصيل ، فأساليب الاستذكار السليمة هي تلك التي تشجع المداومة على الاستذكار ، والفشل في الاستذكار يدفع الطالب إلى الهروب منها وانخفاض مستوى التحصيل ، كما أن أساليب ومهارات الاستذكار السليمة لا تعود بالنفع على الطلبة فحسب ، بل على المجتمع وعلى الأجيال القادمة. (سليمان ، 1989 : 25)

وتشير بعض الدراسات إلى أن الجامعات في كثير من الدول العربية ليس لها دور في تدريب الطلبة على اتباع نوعية معينة من السلوك الدراسي والمهارات أو الأساليب والعادات الدراسية المرغوبة ، ولذلك نجد أن الطالب الجامعي في المستويات العليا لا يختلف كثيراً عن زملائه في المستويات الدنيا أو عن الطالب في المراحل السابقة ، وهذا يعني أن التدرج في المستوى الأكاديمي للطالب الجامعي ليس من شأنه أن يؤدي بالضرورة إلى زيادة ملحوظة في النشاط المتعلق بالأساليب والمهارات والعادات الدراسية ، وهذا يرجع إلى أن العادات الدراسية متى ما تأصلت في الطالب يمكن أن تلازمه مدى الدهر إذا لم توجد مراكز إرشادية في الجامعات وغير الجامعات تدرب الطلبة على الأساليب والمهارات العلمية للاستذكار إلى جانب مهام إرشادية أخرى من شأنها مساعدة الطالب على حل مشكلاته . (الصراف ، 1992 : 275)

ويدعو علماء التربية وعلم النفس في العصر الراهن إلى ضرورة التركيز على أساليب ومهارات الاستذكار التي يتبعها الطلاب أثناء عملية التعلم الذاتي باعتبار أن اتباع الطالب أساليب ومهارات دراسية سليمة سوف يمكنه من استثمار قدراته وإمكاناته إلى أقصى درجة ممكنة ، وسوف يصبح بإمكانه النجاح في المستويات التعليمية المختلفة ، كما سيصبح بمقدوره مواصلة النجاح في مهامه المستقبلية .
(نجاتي ، 1985 : 193)

وتؤكد العديد من الدراسات أن أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته لها صلة وثيقة بالتحصيل الدراسي إذ أن الطلاب الذين يحصلون على درجات مرتفعة في مقاييس الاستذكار يتفوقون في تحصيلهم الدراسي ، عن أقرانهم الذين يحصلون على درجات منخفضة ، ولذلك فان العناية بهذه الأساليب والمهارات الدراسية تعد مدخلاً هاماً لتحسين مستوى الإنجاز الأكاديمي للطلبة فهي أبقى على الزمن مما يحفظون من معلومات ومعارف لأنها المد خل إليها والدافع لها . (سليمان ، 1989 : 25)

وتذكر بعض الدراسات أن الطالب الذي يسعى للتفوق والارتفاع بمستوى تحصيله الأكاديمي لابد وأن يكون لدية أساليب ومهارات فاعلة في مختلف المواقف التعليمية ، ولذلك لابد له من أن يتمكن من إدارة الوقت ويستثمره إلى أقصى قدر ممكن ، وأن يكون قادراً على التخطيط والتحضير لاستذكار دروسه ، وان يمتلك أساليب ومهارات فاعلة في الاستعداد للاختبار ، وان يعمل على تقوية قدرات ذاكرته بالوسائل المتنوعة التي تساعدها على الاحتفاظ بالمعلومات واسترجاعها ، ويكون لديه قدرة على التلخيص وتدوين الملاحظات الرئيسية والأفكار الهامة في الموقف التعليمي ، ويواظب على القراءة الصحيحة ، ويحل الوجبات التي يكلف بها ويجري البحوث المطلوبة ويستعد للاختبارات ، ويتسم بدافعية مرتفعة نحو التعلم ، ويتحلى باتجاهات إيجابية نحو كافة المهام الدراسية التي تتطلبها الجامعة . (إبراهيم وصالح ، 2005 : 34)

مما تقدم يمكن القول أن أهمية الدراسة الحالية تتمثل بالنقاط الآتية :

أولا : تعتبر دراسة أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته مدخلاً مهما لفهم سلوك الطالب الجامعي في مواقف التعلم الجامعي المختلفة باعتبار أن هذا الطالب يقبل على الدراسة الجامعية وهو مزود بحصيلة من الأساليب والمهارات والعادات المتعلقة بالاستذكار التي لازمته طوال دراسته السابقة لدخول الجامعة وارتاح لاستخدامها دون معرفته ما إذا كانت صحيحة أم خاطئة ، وقد يجد صعوبة في التخلي عنها ، ومن ثم فان نتائج الدراسة الحالية ستكشف عن طبيعة أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته التي يتبعها طلبة كلية التربية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا ، كما ستكشف عما إذا كانت الدراسة الجامعية تكسبهم أساليب ومهارات دراسية جديدة وتمكنهم من تعديل أساليبهم وعاداتهم الدراسية القديمة ، باعتبار أن الطلاب الذين لديهم أساليب خاطئة ينبغي أن يكونوا على وعي بها ليلتحقوا بأحد البرامج الإرشادية التي تنوي الكلية إعدادها لمساعدة الطلبة الذين يحتاجون لمثل هذا النوع من المساعدة .

ثانيا : تسعى كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا إلى التعرف على " أسباب انخفاض مستوى التحصيل لدى طلبة الكلية " وذلك من خلال سلسة أبحاث يقوم بها أعضاء هيئة التدريس بالكلية تحت شعار عام عنوانه " البحث ومسيرة كلية التربية والعلوم الأساسية نحو الإصلاح والتطوير " ولذلك فان هذه الدراسة ستساعدنا على معرفة أساليب ومهارات الاستذكار لدى طلبة الكلية أثناء دراستهم الجامعية ، وستقدم معطيات ميدانية علمية تمكن المهتمين بوضع الخطط والبرامج التعليمية الجامعية أن تراعي احتياجات هؤلاء الطلبة ، وتساعد صناع القرار الأكاديمي التربوي في الجامعة بان يتعرفوا على أحد أسباب انخفاض التحصيل الأكاديمي لدى الطلبة ، كما ستمكنهم من اتخاذ قرارات من شأنها أن تؤدي إلى تحسين مستوى الطلبة الأكاديمي ، وبالتالي تحسين مخرجات المؤسسة التربوية الجامعية .

ثالثا : هناك عدد كبير من الدراسات التي تناولت الأساليب أو العادات أو المهارات أو الاتجاهات الدراسية التي يستخدمها الطلبة أثناء دراستهم غير" أن أغلب هذه الدراسات تتركز في مجال التعليم العام ، دون التعليم الجامعي ، الأمر الذي يترك الساحة خالية من الدراسات المرتبطة بأساليب ومهارات الاستذكار في مجال التعليم الجامعي"(الصراف ، 1992: 259) ، كما أن الدراسات التي تناولت الموضوع في التعليم الجامعي قد تباينت في الأدوات والنتائج ، وهناك عدد كبير من هذه الدراسات " اعتمدت على مقاييس معربه ، وهذا بحد ذاته يمثل مشكلة منهجية في القياس ، ذلك أن الأداة التي قد تصلح لعينة ومرحلة دراسية وبيئة ثقافية معينة ، قد لا تصلح لعينات ومراحل وبيئات ثقافية أخرى حتى وان كانت صادقة في قياس بعض الممارسات التي اشتملت عليها هذه الأدوات إلا أنها قد لا تغطي جميع مهارات الدراسة التي يمارسها المتعلمون " (إبراهيم وصالح ، 2005 : 8) ، بالإضافة إلى أن مثل هذه الدراسات ينبغي أن تتكرر بحكم الموقف التعليمي الذي يتطلبها خصوصا إذا كانت استطلاعية يتم على ضوئها بناء برامج إرشادية لتعديل الأساليب والمهارات أو العادات لدراسية الخاطئة لدى فئة أو مرحلة دراسية بذاتها كما هو الحال في هذه الدراسة .

رابعا : بالرغم من كثرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع على المستوى العالمي إلا أنها تكاد تكون منعدمة في دولة الإمارات العربية المتحدة على مستوى التعليم الجامعي وقبل الجامعي - حسب حدود علم الباحث - كما أنها أول دراسة تتناول هذا الموضوع بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا ، الأمر الذي يعني أن نتائجها سوف تسهم في الكشف عن جانب هام من سلوكيات الطلبة في المواقف الدراسية الجامعية ، كما تظهر أهميتها من الأداة التي تم اشتقاق العديد من عباراتها من استجابات الطلبة الجامعيين أنفسهم عبر الأسئلة المفتوحة ، عوضا عن أنها ستكون نواه لبرنامج إرشادي لمساعدة هؤلاء الطلبة على اتباع أساليب ومهارات الاستذكار السليمة .

<u>هدف الدراسة</u> : تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته التي

يستخدمها طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا ، وكذلك التعرف على الفروق بينهم بحسب الجنس (طلاب - طالبات) والتخصص (عربي إسلامي – انجليزي – رياضيات) ، والمستوى الأكاديمي (الأول – الرابع) .

حدود الدراسة : تتحدد الدراسة الحالية بالعينة المكونة من (113) طالباً وطالبة من المستوى الأول والرابع بكلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا المسجلين في العام الدراسي 2007 / 2008م ، كما تتحدد بالأداة التي تستخدم في هذه الدراسة ، والإطار النظري ، والتعريفات الإجرائية ، والأساليب الإحصائية المستخدمة فيها .

مصطلحات الدراسة : تشتمل هذه الدراسة على المصطلحات الآتية :

المذاكرة والاستذكار: Studying

استخدم بعض الباحثين مصطلح المذاكرة بينما استخدم آخرون مصطلح الاستذكار قاصدين بهما العملية التي من خلالها يتم استيعاب محتوى الموضوعات التي يدرسها الطلاب ذاتيا لاسترجاعها أثناء الاختبارات أو عند الحاجة إليها ، وبالرجوع إلى معاجم اللغة العربية وجدنا فرقاً بين المصطلحين حيث ورد في لسان العرب (ابن منظور ، م1 ، بدون : 1071) اشتقاقات المصطلح من الفعل" ذكر " والذكر : الحفظ للشيء تذكره ، والذكر أيضا : الشيء يجري على اللسان . . . ، وفي قوله تعالى : " وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين " . والذكر والذكرى ، بالكسر نقيض النسيان . . . واستذكر الرجل : ربط في إصبعه خيطا ليذكر به حاجته . والتذكرة : ما تستذكر به الحاجة . واستذكر الشيء : درسه للذكر . والاستذكار : الدراسة للحفظ .

ولم يختلف (المعجم الوسيط ، ج1 ، 1973 : 313) كثيرا عن لسان العرب حيث وجدنا للمصطلح اشتقاقات مشابهة فقصد بالفعل " ذكر " الشيء – ذكرا ، وذكرا ، وذكرى ، وتذكارا : حفظه . واستحضره .وجرى على لسانه بعد نسيانه . . . (استذكر) فلانا : ربط في إصبعه خيطا ليذكر حاجته ، والشيء : ذكره . والكتاب : درسه للحفظ . و(الذاكرة) : قدرة النفس على الاحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها .

ونفس الشيء ورد عند (مسعود ، ج1 ، 1986 : 106 ، 696 - 697) اشتقاقات المصطلح " ذكر يذكر : ذكرا وتذكارا وذكراٌ وذكرى . الشيء : حفظه في ذهنه .... وفطن له بعد نسيانه ... . واستذكر استذكارا: ذكر - الشيء : تذكره .. . وربط في أصبعه خيطا ليذكر حاجته ، والكتاب : درسه للحفظ .

غير أن (المنجد في اللغة والإعلام ، ط44 ، 1986 : 236) قد أضاف اشتقاقات أخرى فأورد مصطلح " ذاكر مذاكرة في أمر : خاض معه في حديثه . اذكره .الشيء : جعله يذكره . تذكرة الشيء بمعنى ذكره . تذكروا الشيء : ذكروه ، وفي الأمر تفاوضوا . اذكر ادكر وأذد كر الشيء : بمعنى ذكر .

❖استذكر الشيء : بمعنى ذكر درسه وحفظه ، والرجل ربط في إصبعه خيطا ليذكر به حاجته .

مما تقدم نستطيع القول أن مصطلح المذاكرة يقصد به المناقشة والمجادلة في أمر معين يخص طرفي الحديث بقصد الوصول إلى نتيجة وقد لا يوصل إلى ذلك ، بل وقد يكون تبادل حديث عادي ، وهو بعيد عما يتم تداوله بين الطلبة والمربين ، بينما مصطلح الاستذكار يقصد به استيعاب محتوى موضوع ما وتخزينه في الذاكرة لاسترجاعه أو استخدامه في مواقف متعددة عند الحاجة لها .

أساليب الاستذكار : Studying Styles

مصطلح أسلوب في اللغة العربية يقصد به الطريق والوجهة والمذهب وجمعه أساليب (ابن منظور ،م2، بدون : 178) ، والأسلوب الفن من القول أو العمل (المنجد في اللغة والإعلام ، ط44 ، 1986 : 343) ، ويقابله مصطلح Style في اللغة الانجليزية ، ويقصد بها الطريقة المميزة التي تلازم الفرد ، ويستخدمها لمساعدة ذاته في تعلم المواد الدراسية .

ويعرف (بترو فسكي وآخرون ، 1996 : 190) أساليب الاستذكار بأنها الطرق التي تساعد الطالب على نقل وتنظيم وحفظ المعلومات في الذاكرة طويلة المدى ، والقدرة على استرجاعها وتعمل على زيادة مدى الذاكرة من خلال إقامة علاقات بين الموضوعات التي يتم مذاكرتها ، وبينها وبين الخبرات السابقة وتوزيعها في مساحة مألوفة في الذاكرة وتقسيمها وفقاً لمبدأ محدد هو طريقة تقوية الذاكرة .

أما (الصراف ، 1992 : 67) فقد عرفها بأنها " الطرق المتبعة في كيفية الاستعداد للاختبار من حيث تكريس وقت للمذاكرة والتركيز على دراسة المعلومات الهامة وإعادة قراءة بعض نقاط المحاضرة والاستعانة بالكتاب المقرر أو كراسة المحاضرات لفهم المادة العلمية واستخدام وسائل خاصة تعينه وتساعده على حفظ واسترجاع المعلومات المطلوبة " .

ويعرف الباحث أساليب الاستذكار بأنها التزام الطالب أثناء الاستذكار بطرق التعلم العلمية القائمة على التنظيم والفهم والتكرار والتسميع الذاتي والمناقشة والاستيعاب والمراجعة والربط بين أجزاء المادة والخبرات السابقة ، وغيرها من الطرق التي تؤدي إلى تنمية قدرة الطالب على تخزين المعلومات في الذاكرة طويلة المدى بطريقة يسهل عليه استرجاعها أثناء الاحتياج إليها .

التعريف الإجرائي :

يعرف الباحث أساليب الاستذكار إجرائيا بأنها الدرجة التي يحصل عليها الطالب / الطالبة في استبيان أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته المستخدمة في هذه الدراسة . (إعداد الباحث)

المهارة والعادة : Skills & Habits

كما اختلف الباحثون العرب في استخدام مصطلح (المذاكرة والاستذكار) نجدهم أيضا يختلفون في استخدام مصطلح (المهارة والعادة) حينما تقترن مع عملية الاستذكار فمنهم من يستخدم مصطلح عادات الاستذكار ومنهم من يستخدم مصطلح مهارات الاستذكار ، وهذا الاختلاف قادنا أيضا للرجوع إلى

المعاجم العربية وموسوعات وكتب علم النفس لمعرفة الفرق بين المصطلحين لنستخدم المصطلح الدقيق . فالعادة هي نمط من السلوك أو التصرف يعتاد حتى يفعل تكرارا من غير جهد أو حالة تتكرر على نمط واحد (مسعود ، ج2، 1986 : 991) أما مصطلح المهارة فيقصد بها الحذق ، والبراعة . (نفس المرجع : 1450)

وفي لسان العرب (ابن منظور ، م2 ، بدون : 920 – 921) جاء مصطلح ❖ العادة : جمعها عاد وعادات وعيد .. وتعود الشيء وعاده .. واستعاده وأعاده أي صار عادة له .... ، والمعاودة الرجوع إلى الأمر الأول ، والاعتياد في معنى التعود ، وهو من العادة . يقال عودته فاعتاد وتعود .

أما مصطلح ❖ المهارة : فقصد بها الحذق في الشيء . والماهر : الحاذق بكل عمل ، وأكثر ما يوصف به السابح المجيد ، والجمع مهرة . . . . ويقال : مهرت بهذا الأمر أمهر به مهارة أي صرت به حاذقا .....

وقالوا : لم تفعل به المهرة ولم تعطه المهرة ، وذلك إذا عالجت شيئا فلم ترفق به ولم تحسن عمله . . . والماهر: الحاذق بالقراءة . (ابن منظور ، بدون ، م3 : 541)

أ ما (المنجد في اللغة والإعلام ، ط44 ، 1986 : 536) فاعتبر مصطلح ❖ العادة : جمع عادات وعاد وعيد وعوائد : ما يعتاده الإنسان أي يعود إليه مرارا متكررة . تعود تعودا الشيء : جعله عادة لنفسه.

أما مصطلح ❖ المهارة : مهر مهرا ومهورا ومهاراً ومهارة الشيء وفيه وبه : حذق ، فهو ماهر يقال مهر في العلم أي كان حاذقا عالما به . وفي صناعته أتقنها معرفة . (ص777)

وجاء في (المعجم الوسيط ، ج2 ، 1973 : 635 ، 889) مصطلح ❖ العادة : كل ما أعتيد حتى صار يفعل من غير جهد . والحالة تتكرر على نهج واحد .

أما مصطلح ❖ المهارة : (مهر) الشيء : وفيه وبه . مهارة : أحكمه وصار به حاذقا . فهو ماهر ، ويقال مهر في العلم وفي الصناعة وغيرها .

ويعرف (صالح ، 1983 : 66) العادة بأنها نمط من السلوك المكتسب الذي تعلمه الفرد أثناء حياته وفقا للظروف المختلفة التي عاش فيها ، وتؤدي غرضاً حيوياً هاماً في حياته ، وتساعده على التوافق وإجراء أكثر ما يمكن من الأفعال بطريقة آلية .

وعرفت (سليمان ، 1989 : 27) العادة بأنها شكل من أشكال النشاط كان في بادئ الأمر خاضعا للإرادة ولكنه أصبح أليا بالتكرار ، ومن المحتمل أن تظل مستمرة بعد اختفاء الهدف الأصلي ، وهي نوع من السلوك المكتسب يتكرر في المواقف المشابهة .

وعرف (الحفني 1975 : 343) العادة بأنها " استجابة تلقائية لمواقف معينة مكتسبة نتيجة التكرار والتعلم " .

أما (الصراف ، 1992 : 264) فقد عرف عادات الاستذكار بأنها " الممارسات السلوكية التي يستخدمها الطلبة والمتمثلة في الطرق والأساليب والاستراتيجيات المختلفة التي يستخدمونها في مذاكرتهم اليومية أو مذاكرتهم للامتحان "

أما المهارة فقد عرفها (رزق ، 2004 ، ص 4) " بأنها مجموعة الأنماط السلوكية المتعلمة من الآخرين إما عن طريق التقليد أو الاسترشاد أو المحاولة والخطأ ، أو من مصادر التعلم التي يستخدمها المتعلم في الإنجاز الأكاديمي للمواد الدراسية المختلفة وفي مراحله العمرية المختلفة ، وتتباين بتباين مواقف التعلم وتختلف باختلاف التخصصات الدراسية ، وتتطور بتتابع المراحل العمرية للمتعلم "

ويعرف (إبراهيم وصالح ، 2005 : 13) مهارات الدراسة باعتباره " تكرار لأنماط سلوكية حركية وعقلية بصورة دقيقة ومنظمة ، وموجهة نحو تحقيق الأهداف الدراسية المرجوة " .

ومما سبق يعرف الباحث عادات الاستذكار بأنها مختلف الأنشطة والأساليب والمهارات والحيل التي يقوم بها الطالب تلقائيا وبصورة متكررة وتم اكتسابها في مواقف سابقة مشابهة بهدف فهم واستيعاب وحفظ واسترجاع المقررات الدراسية عندما يطلب منه ذلك بصرف النظر عما إذا كانت الإجراءات التي يقوم بها سليمة أو خاطئة لأنه أعتاد عليها .

كما يعرف الباحث المهارات الدراسية بانها مختلف الوسائل والأنشطة المعبرة عن قدرة الطالب على استيعاب المواد الدراسية التي يقوم باستذكارها ، بدرجة إتقان مقبولة وفق المرحلة التعليمية والعمرية التي وصل إليها وتلقى فيها التدريب الكافي حتى صارت لديه عادة ، كالقدرة على تنظيم الوقت ، والقدرة على الاستماع ، والقدرة على القراءة السليمة والسريعة والهادفة ، والقدرة على كتابة الملخصات ، والقدرة على تركيز الانتباه والربط بين أفكار الدرس ، والقدرة على النقد والتحليل والتفسير .

التعريف الإجرائي :

يعرف الباحث مهارات وعادات الاستذكار إجرائيا بأنها الدرجة التي يحصل عليها الطالب / الطالبة في استبيان أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته المستخدمة في هذه الدراسة . (إعداد الباحث)

الدراسات السابقة :

هناك العديد من الدراسات التي تناولت المهارات والعادات والاتجاهات الدراسية في مراحل تعليمية مختلفة على المستويين العربي والعالمي ومن هذه الدراسات ما يأتي :

دراسة (إبراهيم ، وصالح : 2005)

وموضوعها مهارات الدراسة وعلاقتها ببعض المتغيرات الدراسية لدى عينة من طلاب الجامعة ، وهدفها التعرف على أبعاد مهارات الدراسة السائدة وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى عينة من طلاب الجامعة ، وتكونت عينة الدراسة من (457) طالباً وطالبة من الفرقتين الأولى والرابعة ومن التخصصات

العلمية والأدبية بكلية التربية بأسوان جامعة جنوب الوادي ، واستخدمت الدراسة مقياس مهارات الدراسة إعداد الباحثين، وتوصلت الدراسة في نتائجهاإلى وجود علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا عند مستوى (0,01) بين درجات أفراد العينة في التحصيل الدراسي ودرجاتهم في جميع أبعاد مقياس مهارات الدراسة المتمثلة بمهارات الموقف التعليمي ، والدافعية الدراسية ، وإدارة الوقت ، والتخطيط للدراسة ، والاختبار ، والاتجاهات نحو الدراسة ، ومعينات الذاكرة ، والتلخيص وتدوين الملاحظات ، والتدريب والمران ، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات طلاب الأقسام العلمية ومتوسطات درجات طلاب الأقسام الأدبية في جميع أبعاد مهارات الدراسة . بينما وجدت فروق دالة إحصائيا عند مستوى (0,01) بين متوسطات درجات الطلبة البنين ومتوسط درجات الطالبات في أبعاد مهارات الدراسة الخاصة بالموقف التعليمي ، والاتجاهات نحو الدراسة ، والتلخيص وتدوين الملاحظات لصالح الطالبات ، ولم توجد فروق بينهما في بقية الأبعاد . كما وجدت فروق دالة إحصائيا عند مستوى (0,01) بين متوسطات درجات طلاب الفرقة الأولى ومتوسطات درجات طلاب الفرقة الرابعة في بعدي مهارات الموقف التعليمي ، ومهارات المكتبة لصالح طلاب الفرقة الأولى ، وعند مستوى (0,01) بينما وجدت فروق دالة إحصائيا في أبعاد الدافعية الدراسية ، والاختبار ، والاتجاهات نحو الدراسة ، ومعينات الذاكرة ، والتلخيص وتدوين الملاحظات ، والتدريب والمران ومهارات التخطيط للدراسة لصالح طلاب الفرقة الرابعة ، ولم توجد فروق دالة إحصائيا بينهما في المجموع الكلي لمهارات الدراسة .

دراسة (أديبي : 2001)

وموضوعها قدرات التفكير الابتكاري في علاقاتها بعادات الاستذكار وقلق الاختبار لدى طلاب التعليم الثانوي والجامعي ، وتهدف إلى التعرف على العلاقة بين قدرات التفكير الابتكاري وعادات الاستذكار وقلق الاختبار، وتكونت عينة الدراسة من (227) طالباً وطالبة من مرحلتي التعليم الثانوي العام والجامعي بدولة البحرين واستخدمت الدراسة مقياس عادات الاستذكار وقائمة قلق الاختبار، واختبار القدرة على التفكير الابتكاري ، ومن بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين مرتفعي الابتكاريه ومنخفضي الابتكاريه في عادات الاستذكار واتجاهاته وإن كان هناك ارتفاع في المتوسطات لصالح مرتفعي الابتكارية ، كما جاءت الفروق غير دالة إحصائيا بين طلاب مرحلة التعليم الثانوي والجامعي في عادات الاستذكار واتجاهاته وإن كانت تميل إلى الارتفاع لصالح عينة طلاب مرحلة التعليم الجامعي . وجاءت الفروق دالة إحصائيا بين البنين والبنات عند مستوى (05 , 0) لصالح البنات في عادات الاستذكار واتجاهاته .

دراسة (العبد الله، والخليفي : 2001)

وموضوعها أثار كل من الاتجاهات نحو الدراسة ودافعية الإنجاز وعادات الاستذكار على الأداء

الأكاديمي لدى عينة من طالبات جامعة قطر ، وهدفها معرفة العلاقة الوظيفة بين الأداء الأكاديمي وكل من الاتجاهات نحو الدراسة ودافعية الإنجاز وعادات الاستذكار ، وتكونت عينة الدراسة من(242) طالبة قطرية منهم (98) طالبة من التخصص العلمي ، و(144) طالبة من التخصص الأدبي مسجلين بكلية التربية بجامعة قطر ، واستخدمت الدراسة أداتين هما : استخبار الدافع للانجاز للراشدين ومقياس عادات الاستذكار والاتجاهات نحو الدراسة . ومن بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن الأداء الأكاديمي ارتبط بشكل إيجابي بدافعية الانجاز وعادات الاستذكار والاتجاهات نحو الدراسة وذلك بالنسبة لطالبات التخصص العلمي والأدبي .

كما أن الأداء الأكاديمي ارتبط بشكل إيجابي بمتغير طرق العمل (أحد متغيرات عادات الاستذكار) أكثر من ارتباطه بمتغير دافعية الانجاز ومتغيرات الاتجاهات نحو الدراسة لطالبات التخصصين العلمي والأدبي في الكلية بالإضافة إلى أن الأداء الأكاديمي قد تم التنبؤ به من خلال كل المتغيرات .

دراسة (حمود : 1999)

وموضوعها " العادات الدراسية لدى طلبة المرحلة الثانوية ، دراسة ميدانية في مدارس دمشق الرسمية " واستهدفت الكشف عن العادات الدراسية الشائعة لدى طلبة المرحلة الثانوية وبيان الصحيح والخاطئ منها . وتكونت عينة الدراسة من (300) طالبٍ وطالبة من طلبة المرحلة الثانوية من مدارس مدينة دمشق الرسمية منهم (150) طالباً و(150) طالبةً تم اختيارها بشكل عشوائي من طلبة القسمين العلمي والأدبي ، واستخدم الباحث استخبار(غلبرت) للعادات الدراسية والتي عدلته (لينا عنبر) لتلائم طلبة المرحلة الإعدادية السورية ، وتوصلت النتائج إلى أن ثلثي أفراد العينة يتبعون عادات دراسية صحيحة وأن الثلث الآخر يتبع أفراده عادات دراسية خاطئة . كما وجدت فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0,05) بين طلبة الثالث ا لثانوي والثاني الثانوي لصالح طلبة الثاني الثانوي ، ولم توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث من طلبة المرحلة الثانوية في العادات الدراسية بوجه عام .كما لم توجد فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث لدى طلبة الفرعين العلمي والأدبي وذلك في عادات القراءة واخذ المذكرات . ولا بين الذكور والإناث في تقنية التركيز ، كما أن الفروق دلالة إحصائية بين طلبة الفرع العلمي وطلبة الفرع الأدبي لصالح العلمي في تقنية التركيز . ولم توجد فروق دالة إحصائيا بين طلبة الفرعين العلمي والأدبي وكذلك بين الذكور والإناث فيما يتصل بتقنية توزيع الوقت والعلاقات الاجتماعية . ولا في تقنية العادات العامة والمواقف من العمل ، ولم توجد فروق بين طلبة العلمي والأدبي في التقنية ذاتها .

دراسة (الورافي : 1996)

وموضوعها تقويم العادات الدراسية لدى طلبة الجامعة المستنصرية وعلاقتها ببعض المتغيرات ، وكان هدفها تقويم العادات الدراسية لدى طلبة الجامعة المستنصرية من خلال التعرف على العادات الدراسية

الايجابية والسلبية ، وتكونت عينة البحث من (269) طالباً وطالبة من التخصصات العلمية والإنسانية واستخدم مقياس الاستذكار من إعداده وتوصلت النتائج إلى أن أداء الطلبة متجانس ومتقارب في جميع المجالات وكان أفضل أداء في مجالات الانتباه في الدرس وتدوين الملاحظات وتنظيم وقت ومكان المذاكرة وأسلوب المذاكرة ، وكانت نسبة الممارسات الدراسية عالية حيث بلغت 73٪ من مجموع الأنماط السلوكية . كما أن هناك نسبة واضحة للعادات الدراسية السلبية بلغت33٪ . ووجدت فروق دالة إحصائيا بلغت 0,05 لصالح الطالبات فالطالبات لديهن عادات دراسية أفضل من الطلاب ولم توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين طلبة التخصص العلمي وطلبة التخصص الإنساني . ووجدت فروق بين متوسط درجات طلبة الصف الأول ومتوسط درجات طلبة الصف الرابع لصالح طلبة الصف الأول .

دراسة (الجمل : 1991)

وموضوعها العادات الدراسة واتجاهاتها لدى الطلاب والطالبات في مرحلة البكالوريوس والدبلوم في كلية التربية من الجامعة الأردنية ، وهدفها التعرف على عادات الدراسة والاتجاهات نحوها لدى طلاب وطالبات مرحلة البكالوريوس والدبلوم في كلية التربية بالجامعة الأردنية ، وتكونت عينة الدراسة من(220) طالباً وطالبة من طلبة البكالوريوس والدبلوم . وقد استخدمت الباحثة مقياس (سامس) المكون من ستة أبعاد هي :

(الاهتمام العلمي ، الالتزام الأكاديمي ، طرق الدراسة ، قلق الدراسة ، التحايل / التلاعب ، التباعد عن السلطة / الاغتراب) . وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن النسب المئوية التي حصل عليها الطلبة كانت عالية إلى حد ما (لبعد الاهتمام العلمي ، الالتزام الأكاديمي ، وطرق الدراسة) حيث تقع أعلى من المتوسط بقليل مما يشير إلى أن هؤلاء الطلاب عامة متوسطو الاهتمام بالأمور الأكاديمية ولا يجدون متعة عند القيام بواجباتهم الدراسية ، بينما كانت النسب المئوية لبعد قلق الدراسة والتحايل /التلاعب والاغتراب عن السلطة عالية تبين وضعا سلبيا.

دراسة (سليمان : 1989)

وموضوعها ، دراسة لتنمية عادات الاستذكار ومهاراته لدى تلاميذ المدرسة الابتدائية ، وهدفها تنمية عادات الاستذكار ومهاراته السليمة وتعديل العادات غير السليمة لدى بعض تلاميذ الصف السادس بالمدرسة الابتدائية ، وتكونت عينة الدراسة من (26) تلميذاً من تلاميذ الصف السادس الابتدائي بإحدى مدارس محافظة القاهرة بمصر وتم تقسيمها إلى مجموعتين : تجريبية وعدد أفرادها (17) ، وضابطة وعدد أفرادها (9) تلاميذ ، واستخدمت اختبار عادات الاستذكار ، وبرنامجاً إرشادياً لتنمية عادات الاستذكار ومهاراته ، لتلاميذ مرحلة التعليم الأساسي ، وتوصلت النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائياً بين درجات أفراد المجموعة التجريبية على اختبار عادات الاستذكار ومهاراته قبل تطبيق البرنامج وبعد تطبيقه ، مما يعني

أن البرنامج قد حسن ونمى عادات الاستذكار ومهاراته السليمة وارتفعت درجات أفراد العينة على المقياس بعد تطبيق البرنامج . ولم توجد فروق ترتقي لمستوى الدلالة بين درجات أفراد المجموعة الضابطة في التطبيق الأول والثاني حيث أن هذه المجموعة لم تتعرض للبرنامج ، وبناء على ذلك يمكن إرجاع التحسن الذي طرأ على المجموعة التجريبية إلى فاعلية البرنامج وتأثيره . كما لم توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الإناث والذكور من المجموعة التجريبية بعد تطبيق البرنامج فكل من الجنسين استفاد من البرنامج . وظهر تحسن ملحوظ في مستوى التحصيل الدراسي لدى المجموعة التجريبية أفضل من المجموعات الضابطة نتيجة تطبيق البرنامج الإرشادي ، وهذا بدوره يؤكد أهمية اتباع عادات الاستذكار السليمة في رفع مستوى التحصيل .

دراسة (القاضي : 1987)

وموضوعها " العوامل المؤثرة في المعدل التراكمي كما يراها الطلاب الجامعيون"

وهدفها التعرف على بعض العناصر المنهجية واللامنهجيه التي يعتقد الطلاب أنها تؤثر في الحصول على المعدلات المطلوبة في المواد التي يدرسونها ، تكونت عينتها من (624) طالباً . ، وكانت أدوات الدراسة عبارة عن استبيان يحتوي على (54) سؤالا مع عدد الإجابات بعد كل سؤال يختار الطالب واحد اًمنها . وتوصلت النتائج إلى أن الطلاب الذين تقل معدلاتهم التراكمية يعتقدون أن للسكن تأثير على المعدلات التراكمية ، بينما الطلاب الذين ترتفع معدلاتهم التراكمية لا يرون أن للسكن أي تأثير اً، كما اتضح أن سكن الطالب مع شخص أو أكثر يؤثر إيجابياً في التحصيل ، وليس هناك تأثير كبير لكون الطالب قريباً من أسرته أو بعيداً عنها على معدله التراكمي . كما لم تدل النتائج على وجود علاقة واضحة بين المعدل التراكمي والمذاكرة في المكتبة . واتضح أن ثقة الطالب في التوجيه والإرشاد الذي يتلقاه تتحكم في انطباعه عن هذا النشاط الذي تؤديه الجامعة .

دراسة (عيسوي : 1985)

وموضوعها " أساليب التحصيل الأكاديمي الجيد " وهدفها التعرف على ظروف التحصيل الأكاديمي لطلبة الجامعة وظروف الاختبارات ، واهتمام الطلبة بالدراسة ، ومدى اتباعهم أساليب التحصيل الجيد ، وتكونت عينة الدراسة من (244) طالباً وطالبةً من طلاب جامعة بيروت العربية ممن تتراوح أعمارهم بين (18 – 35) عاما شملت طلبة البكالوريوس والدراسات العليا ، وكانت أدوات الدراسة عبارة عن استخبار أعده الباحث لهذا الغرض . وتكليف أفراد العينة بكتابة تقريرعن مشاعرهم وارائهم الخاصة بموضوع البحث .

و توصلت نتائج الدراسة إلى إن الذكور أكثر تفوقاً عن الإناث بالتحصيل الدراسي ، وأكثر اتباعاً لطرق التحصيل الجيد ، حيث وجد أن الإناث أقدر على الحفظ أكثر من الأساليب الأخرى ، كما أن صغار السن من الذكور أكثر أتباعاً لأساليب التحصيل الجيد من كبارهم ، أما الإناث فقد كان على العكس من

الذكور ، وتبين أن الطلبة لا يستفيدون من مدة بقائهم في الجامعة في تغيير أسلوب التحصيل ، وأنه كلما زاد اتباع الطلبة لأسلوب التحصيل الجيد كلما ارتفع التقدير العلمي في امتحانات نهاية العام الدراسي ، كما أن اتباع الأسلوب الجيد يساعده على الشعور بالرضا عن التقدير العلمي الذي يحصل عليه أخرالعام ، وإن الشعور بالقلق من الاختبار يتأثر به كبار السن وصغارهم ، حيث وجدت علاقة ارتباط بين أسلوب الاستذكار والشعور بالقلق من الاختبارات ، فكلما اتبع الطلبة أسلوباً جيداً في التحصيل كلما قل شعورهم بالقلق إزاء الاختبار، ووجدت الدراسة أن الإناث أكثر ميلاً إلى القلق من الذكور .

دراسة (جابر ، وعبد الحميد : 1984)

وموضوعها : العلاقة بين الأساليب المعرفية وكل من النمط المعرفي المفضل والعادات الدراسية والاتجاهات نحو الدراسة والتحصيل لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بدولة قطر ، وهدفها التعرف على الأنماط المعرفية ، وعادات الاستذكار لدى طلبة الثاني الثانوي العلمي بدولة قطر واتجاهاتهم نحو الدراسة باختلاف الجنس ، وعلاقة ذلك بالنمط المعرفي ، المفضل لديهم ، واشتملت عينة الدراسة على (69 طالبة، 85 طالباً من طلبة الصف الثاني الثانوي القسم العلمي من الذكور والإناث تم اختيارهم بشكل عشوائي من مدارس دولة قطر، أما الأدوات التي استخدمتها الدراسة فكانت (اختبار التفضيل المعرفي إعداد هيث Heath " 1964 " ومقياس عادات الاستذكار والاتجاهات نحو الدراسة .

وتوصلت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلاله (0,05) في متوسط درجات بعدي عادات الاستذكار والاتجاهات نحو الدراسة بين مجموعة الذكور والإناث من ذوي الأسلوب المعرفي الواحد ، وكذلك بين الأسلوب المعرفي المستقل وغير المستقل من نفس الجنس رغم وجود فروق في متوسط الدرجات بين المجموعات المختلفة . وليس للتقدير الذي يحصل عليه الطالب في بعدي عادات الاستذكار والاتجاهات نحو الدراسة (مرتفع / منخفض) أثر دال عند مستوى دلاله (0,05) على تفضيله لنمط معرفي معين عند تقبله للمعلومات الفيزيائية. وأن هناك فروق ذات دلاله إحصائية عند مستوى (0,05) بين أفراد العينة الحاصلين على تقدير عالي في بعد عادات الاستذكار بين مجموعة الذكور والإناث . وهذه الفروق دالة لصالح ، الإناث في حالة نمط المبادئ ، ودالة لصالح الذكور في حالة نمط التطبيقات .

دراسة (كولر وهو لهان : 1980 Ralph E.culler&charles j.holhan)

وموضوعها قلق الاختبار والأداء الأكاديمي وآثار السلوكيات المتعلقة بالمذاكرة ، وهدفها معرفة الفروق بين طلاب الجامعة ذوي قلق الاختبار المرتفع ، والمنخفض ، والأداء الأكاديمي ، وآثار السلوكيات المتعلقة بالمذاكرة ، واشتملت العينة على (96) طالبا من طلاب السنة الأولى بقسم علم النفس منهم (65) طالباً من ذوى قلق الاختبار المرتفع ، و(31) طالباً من ذوي قلق الاختبار المنخفض وقد تم اختيار العينة عشوائيا من بين طلبة الجامعة .

واشتملت أدوات الدراسة على مقياس قلق الامتحان لسارا سون ، ومقياس دراسة العادات والاتجاهات الدراسية لهولتزمان الذي اشتمل على (ساعات الدراسة - عادات المذاكرة - المحاضرات التي لم يحضرها الطلاب - الامتحان النهائي - المذاكرة السريعة قبل الامتحان)

ومن بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن الطلاب ذوى قلق الاختبار المرتفع يقضون ساعات للمذاكرة أكثر من الطلاب ذوى قلق الامتحان المنخفض كما مارس الطلاب ذووا قلق الاختبار المرتفع عادات دراسية أفضل من الطلبة ذوى قلق الاختبار المنخفض ، أما المذاكرة السريعة قبل الامتحان فقد كانت سالبة لكلتا المجموعتين حيث لم توجد فروق ذات دلالة إحصائية هامة ، كما ارتبط العدد الكلي لغياب المحاضرات سلبا بالتحصيل الدراسي لكل من الطلاب ذوى قلق الاختبار المرتفع والمنخفض ، بالإضافة إلى أنة وجد ارتباط سالب لدى الطلاب ذوى قلق الاختبار المرتفع وبين تحصيلهم الدراسي في نهاية العام الدراسي .

فروض الدراسة :

الفرض الأول : لا يستخدم طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا أساليب وعادت الاستذكار ومهاراته العلمية .

ويتفرع من هذا الفرض الفروض الستة الآتية :

1 - لا ينظم طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا أوقاتهم ولا يتهيئون للاستذكار منذ بداية الفصل الدراسي .

2 - لا يجيد طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا مهارات القراءة التي تمكنهم من فهم أفكار الدرس ولا يسجلون ملخصات .

3 - لا يستطيع طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا التغلب على مشتتات الانتباه أثناء الاستذكار .

4 - لا يستخدم طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا الأساليب العلمية للاستذكار .

5 - لا توجد لدى طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا دافعية للاستذكار ، والبحث عن مصادر المعلومات .

6 - لا يشعر طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا بالقلق الدراسي .

الفرض الثاني : توجد فروق دالة إحصائيا في أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته بين طلاب وطالبات في كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا لصالح الطالبات.

الفرض الثالث : توجد فروق دالة إحصائيا في أساليب وعادات الاستذكار ومهارته بين طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا في المستوى الأول والمستوى الرابع لصالح المستوى الرابع .

الفرض الرابع : لا توجد فروق دالة إحصائيا في أساليب وعادات الاستذكار ومهارته بين طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا بحسب التخصص .

إجراءات الدراسة :

تشتمل إجراءات الدراسة على العينة ، والأدوات وخطواتها الإجرائية ، والأساليب الإحصائية وصولا للنتائج وتفسيرها ، وتوضيح ذلك فيما يأتي :

عينة الدراسة :

تكونت عينة الدراسة الحالية من (113) طالباً وطالبة من طلبة المستوى الأول والرابع بكلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا المسجلين في العام الدراسي 2007م/2008م ، منهم (27) طالباً وطالبة تخصص لغة انجليزية ، (49) طالباً وطالبة تخصص لغة عربية ، (37) طالباً وطالبة تخصص رياضيات ، وقد قام الباحث باختيار عينة الدراسة بطريقة عشوائية من بين

(1147) طالب وطالبة وهم مجموع الطلبة المسجلين بالكلية حتى نهاية الفصل الأول من العام الدراسي 2007 / 2008 م ، منهم (278) طالباً وطالبة لغة انجليزية ، (495) طالباً وطالبة لغة عربية ودراسات إسلامية ، (374) طالباً وطالبة علوم ورياضيات .

أدوات الدراسة :

تشتمل الدراسة الحالية على استبيان أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته " إعداد الباحث " ولبناء هذه الأداة اتبع الباحث الخطوات الآتية .

❖ الخطوات الإجرائية لبناء الأداة :

بعد اطلاع الباحث على التراث النظري ، والدراسات السابقة ، وجد أن الأدوات التي استخدمها الباحثين من قبل لا تلبي احتياج الدراسة الحالية الأمر الذي جعله يقوم ببناء استبيان يمكنه من التعرف على مختلف أساليب وعادات الاستذكار التي يستخدمها طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان ، ولإنجاز ذلك قام الباحث بالخطوات الإجرائية الآتية :

1 - تطبيق استفتاء مفتوح[1] :

(1) تم تطبيق الاستفتاء المفتوح على (100) طالب وطالبة من طلبة كلية التربية الذين يدرسون مساق علم النفس العام ، وعلم النفس التربوي في الفصل الأول من العام الدراسي 2007 / 2008م باعتبار أن هذين المساقين من المتطلبات الإلزامية عليهم في التخصصات الأربعة بالكلية .

قام الباحث باستطلاع أراء بعض الطلبة والطالبات من تخصصات كلية التربية والعلوم الأساسية المختلفة في الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي 2007 / 2008 م . وذلك من خلال ثلاثة أسئلة مفتوحة الطرف حول الطريقة التي يتبعونها في المذاكرة منذ أول درس يتلقونه في الفصل الدراسي حتى أدائهم للاختبار النهائي ، والصعوبات التي يجدونها أثناء المذاكرة ، وكيف يتغلبون عليها ، وما هي مشكلات المذاكرة لديهم ، وقد حصل الباحث من هذا الاستفتاء المفتوح على مجموعة من الاستجابات الأولية .

2 - تصنيف استجابات الطلبة :

قام الباحث بتصنيف استجابات الطلبة على الأسئلة التي قدمت لهم ونجم عن ذلك ظهور ستة أبعاد رئيسية يشتمل كل بعد منها على مجموعة عبارات أو فقرات وتعريف هذه الأبعاد فيما يأتي :

البعد الأول : مهارات وعادات تنظيم الوقت وخلق مناخ مناسب للاستذكار :

هي مجموعة من الأنماط السلوكية المتكررة التي يقوم بها الطالب للاستفادة من الوقت إلى أقصى درجة ممكنة ، وخلق أنسب الظروف المساعدة للاستذكار كتنظيم الوقت ، ووضع جدول زمني للاستذكار يلتزم به ويستفيد من أوقات الفراغ ومن العطلات الأسبوعية والموسمية وترتيب المكان والتهيؤ للاستذكار . ويشتمل هذا البعد على (12) فقرة .

البعد الثاني : مهارات وعادات القراءة والاستماع وكتابة الملخصات :

يقصد بها مجموعة من الأنماط السلوكية المتكرر التي تمكن الطالب من الاستيعاب والفهم مثل حضور المحاضرات والاستماع والقراءة السليمة وكتابة وتلخيص الأفكار والنقاط الهامة التي تمكنه من تذكر ما استذكره بسهولة ويسر فيما بعد . يشتمل هذا البعد على (12) فقرة .

البعد الثالث : مهارات وعادات تركيز الانتباه والتغلب على مشتتاته :

يقصد بهذا البعد تلك المثيرات التي تعيق قدرة الطالب على التركيز الذهني أثناء الاستذكار كالأصوات المزعجة والضوضاء والإحساس بالإرهاق والشعور بالنوم وأحلام اليقظة والتفكير بتراكم الدروس وبالنجاح والفشل . يشتمل هذا البعد على (12) فقرة .

البعد الرابع : ألأساليب العلمية للاستذكار :

يقصد بهذا البعد طرق التعلم العلمية التي يلتزم بها الطالب أثناء استذكار دروسه ويكيفها بحسب المادة العلمية ، وتشمل هذه الطرق التنظيم والتكرار والتسميع الذاتي والمناقشة والفهم والاستيعاب والمراجعة والربط بين أجزاء المادة والخبرات السابقة وإدراك العلاقات بين أجزاء الدرس ، وغيرها من الطرق التي تؤدي إلى تنمية قدرة الطالب على تخزين المعلومات في الذاكرة طويلة المدى بطريقة يسهل عليه استرجاعها عند الاحتياج إليها . يشتمل هذا البعد على (12) فقرة .

البعد الخامس : الدافع للاستذكار والتغلب على الصعوبات :

يتناول هذا البعد الدافعية باعتبارها طاقة تتولد لدى الطالب وتحفزه على الإصرار وبذل الجهد منذ بداية العام الدراسي وتجعله مستمتعاً بعملية الاستذكار وتمكنه من التغلب على الصعوبات التي قد تعترضه . ويشتمل هذا البعد على (12) فقرة

البعد السادس : القلق الدراسي والاستعداد للاختبار :

القلق الدراسي حالة وجدانية موقفية يزول بزوال الموقف وقد يكون دافعاً أو محبطاً ، ولذلك فهو يتناول مستوى القلق والتوتر لدى الطالب أثناء الاستذكار وأثناء الاستعداد للاختبارات ، وما يتبع ذلك من استيعاب أو عدم استيعاب وخوف من الفشل وفقدان المعلومات أثناء الاختبارات .

3 - صياغة فقرات الاستبيان :

قام الباحث بصياغة أولية لعبارات الاستبيان وتكونت لدى الباحث (83) عبارة موزعة على الأبعاد الستة المذكورة سابقا .

4 - عرض الاستبيان على المحكمين :

تم عرض فقرات الاستبيان بصيغته الأولية على (10) محكمين* من الأساتذة المختصين بعلم النفس ومناهج البحث وطرائق التدريس بكلية التربية بشبكة جامعة عجمان (مقر عجمان + مقر الفجيرة)، وطلب منهم الباحث إبداء ملاحظاتهم حول وضوح العبارة وسهولة فهمها للطالب ، وانتماء العبارة إلى البعد من عدمه ، ومدى قياسها للظاهرة موضوع الدراسة ، كما طلب منهم تعديل العبارات التي تحتاج إلى تعديل أو تصحيح . وإضافة أو حذف العبارات التي يرون ضرورة إضافتها أو حذفها ، مع إبداء ملاحظاتهم على مفتاح تصحيح الاستبيان الذي اشتمل على خمس استجابات هي : (تنطبق على تماما ويعطي (5) درجات ، وتنطبق على كثيرا وتعطى (4) درجات ، تنطبق على إلى حد ما وتعطى (3) درجات، تنطبق على قليلا وتعطى درجتان ، لا تنطبق على وتعطى درجة واحدة) .

5 - صياغة الاستبيان بشكله النهائي :

قام الباحث بحذف العبارات التي تعددت فيها ملاحظات السادة المحكمين واستبقى المفردات التي اتفق عليها جميع المحكمين . كما أجرى التعديلات الخاصة بالأخطاء المطبعية واللغوية في الفقرات ، وأسفر الاستبيان بشكله النهائي عن (72) فقرة موزعة على الأبعاد الستة بالتساوي ، وذلك كما هو موضح بالجدول رقم (1) .

* المحكمون هم : 1 - د. شاملة العبيدي 2 - د. إبراهيم الاسطل 3 - أ.د. محمد رضوان الداية 4 - د. أمين عبد الله المخلافي
- 5 - د. صلاح صالح عبد الحي - 6 - د. ياسين ألقطري - 7 - د. يوسف شراب - 8 - د .احمد عبد الرحمن شمسان - 9
- د . احمد بن دانية - 10 - - أ.د. عبد التواب عبد الإله .

جدول رقم (1) يوضح توزيع فقرات كل بعد من أبعاد الاستبيان الستة .

أبعاد الاستبيان	أرقام عبارات كل بعد كما وردت في الصورة النهائية للاستبيان	المجموع
البعد الأول : مهارات وعادات تنظيم الوقت وخلق مناخ مناسب للاستذكار.	12-11-10-9-8-7-6-5-4-3-2-1	12
البعد الثاني : مهارات وعادات القراءة والاستماع وكتابة الملخصات.	24-23-22-21-20-19-18-17-16-15-14-13	12
البعد الثالث : مهارات وعادات تركيز الانتباه والتغلب على مشتتاته .	36-35-34-33-32-31-30-29-28-27-26-25	12
البعد الرابع : ألأساليب العلمية للاستذكار.	48-47-46-45-44-43-42-41-40-39-38-37	12
البعد الخامس : الدافع للاستذكار والتغلب على الصعوبات.	60-59-58-57-56-55-54-53-52-51-50-49	12
البعد السادس : القلق الدراسي والاستعداد للاختبار .	72-71-70-69-68-67-66-65-64-63-62-61	12

صدق الاستبيان :

قام الباحث بحساب صدق هذا الاستبيان بعدة طرق هي :

1 – الصدق الظاهري :

عرض الباحث الاستبيان على عشرة من المختصين بعلم النفس والتربية ، وأبدى 90٪ من المحكمين موافقته على وضوح العبارات من حيث الصياغة ، ومن حيث صلتها بأبعاد الاستبيان ، وصلتها بالظاهرة المراد قياسها . وقد ذكرت بعض الملاحظات التي أخذها الباحث في الاعتبار ، كما تم حذف العبارات التي لم يتفق حولها المحكمون وعددها إحدى عشرة عبارة ، وذلك عند الصياغة النهائية للاستبيان ، ومما تقدم فان الاستبيان صادق من وجهة نظر الثقاة في علم النفس والتربية .

2 - الصدق الذاتي :

حسب صدق الاختبار - مرة ثانية – بطريقة الصدق الذاتي وذلك بحساب الجذر التربيعي لمعامل ثبات الاستبيان ، وبما أن معامل الثبات = 0,857 ، إذن معامل الصدق الذاتي = 0,93 وهذا دليل على أن الاستبيان صادق بدرجة كبيرة .

3 – صدق الاتساق الداخلي : يرى البعض أن ثمة ملاحظات على النوعين السابقين للصدق ، ولذلك قام الباحث باستخدام نوع ثالث لحساب الصدق هو صدق الاتساق الداخلي حيث تم حساب معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة من فقرات الاستبيان ، ودرجة الاستبيان الكلية والجدول التالي يوضح ذلك .

جدول رقم (2) يوضح معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة من فقرات الاستبيان والدرجة الكلية للاستبيان .

جدول رقم (2) يوضح معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة من فقرات الاستبيان بالدرجة الكلية للاستبيان .

ع	ن	ر	ع	ن	ر	ع	ن	ر	ع	ن	ر	ع	ن	ر	ع	ن	ر	ع	ن	ر
1	113	0,855	13	113	0,860	25	113	0,853	37	113	0,852	49	113	0,854	61	113	0,857

0,859	113	62	0,850	113	50	0,853	113	38	0,854	113	26	0,863	113	14	0,852	113	2
0,854	113	63	0,852	113	51	0,852	113	39	0,864	113	27	0,859	113	15	0,854	113	3
0,862	113	64	0,855	113	52	0,855	113	40	0,853	113	28	0,856	113	16	0,858	113	4
0,858	113	65	0,854	113	53	0,857	113	41	0,852	113	29	0,858	113	17	0,855	113	5
0,855	113	66	0,855	113	54	0,855	113	42	0,851	113	30	0,855	113	18	0,855	113	6
0,857	113	67	0,853	113	55	0,853	113	43	0,852	113	31	0,860	113	19	0,856	113	7
0,857	113	68	0,852	113	56	0,854	113	44	0,852	113	32	0,853	113	20	0,854	113	8
0,857	113	69	0,854	113	57	0,853	113	45	0,854	113	33	0,853	113	21	0,856	113	9
0,855	113	70	0,851	113	58	0,854	113	46	0,862	113	34	0,853	113	22	0,851	113	10
0,861	113	71	0,852	113	59	0,859	113	47	0,853	113	35	0,853	113	23	0,853	113	11
0,856	113	72	0,864	113	60	0,855	113	48	0,854	113	36	0,851	113	24	0,858	113	12

ومن خلال هذا الجدول يتضح وجود علاقات ارتباط عالية بين عبارات الاستبيان ودرجته الكلية ، وبذلك يمكن القول أنه يتمتع بمستوى عال من القدرة على الصدق ، حيث وصلت كل معنويات الارتباط بين فقرات الاستبيان معدل (0,85) ، ومن ثم فهو صالح لقياس وتشخيص الظاهرة التي صمم من أجلها.

ثبات الاستبيان :

قام الباحث باستخدام طريقة التجزئة النصفية لحساب ثبات هذا الاستبيان ، وذلك بحساب معامل الارتباط بين نصفي الاستبيان (الفقرات الفردية ، والزوجية) وذلك باستخدام معادلة - Spearman Brawn وكان معامل ارتباط = 0,857 ، وهذا يدل على أن معامل ارتباط الاستبيان عالية . ومن ثم فهو يتمتع بصدق وثبات عاليين .

المعالجات الإحصائية : تمت جميع المعالجات الإحصائية لهذا البحث بالحاسب الآلي بواسطة برنامج Spss 10, for Windows

وهو من البرامج المشهورة والمتبعة للتحليل الإحصائي في العلوم الاجتماعية وغيرها ، حيث استخدم الباحث اختبار " T-test " لمعرفة الفروق بين متوسطات الطلبة في جميع أبعاد الاستبيان ، وفي كل بعد على حده ، بالإضافة إلى استخدام تحليل التباين الأحادي " One –Way ANOVA" لمعرفة الفروق بين درجات الطلبة في الأقسام الثلاثة (عربي إسلامي - انجليزي – رياضيات) .

نتائج الدراسة وتفسيرها :

للإجابة على الفرض الأول " لا يستخدم طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا أساليب وعادت الاستذكار " استخدم الباحث اختبار " T-test " لمجموعة واحدة ذات الوسط الفرضي (216) للاستبيان بشكل عام لكل أفراد العينة ، والجدول رقم (3) ، يوضح نتائج التحليل الإحصائي .

جدول رقم (3) يوضح نتائج التحليل الإحصائي بالنسبة للفرض الأول بشكل عام .

العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قمة " t "	مستوى الدلالة	الدلالة عند مستوى 0,05 فاقل
113	230,956	27,8149	112	5,716	0,000	دالة

بالنظر في الجدول رقم (3) يلاحظ أن متوسط أفراد العينة الذين أجابوا على الاستبيان كانت (230,956) كما بلغت قيمة " t " (5,716) عند مستوى دلالة (0,000) وتدل هذه النتيجة على أن طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا يستخدمون بصفة عامة أساليب وعادت الاستذكار ومهاراته ، وهو ما يدحض الفرض الأول بشكل عام . وتتفق هذه النتيجة مع نتائج

إبراهيم ، وصالح (2005) ، وجابر ، وعبد الحميد (1984) ، والورافي (1996) ، ولكنها لا تتفق مع كثير من الدراسات الأخرى ، وربما يرجع السبب في هذه النتيجة إلى أن الطلبة قد اكتسبوا بعض المهارات الصحيحة أثناء دراستهم في المراحل الدراسية السابقة واعتادوا عليها ، وهم الآن يستخدمونها في دراستهم الجامعية ، وقد يكتسب الطلبة عند بداية دراستهم الجامعية بعض الأساليب والمهارات الدراسية من المرشدين الأكاديميين ومن أساتذتهم ، وكذلك عند اختلاطهم بزملائهم الذين سبقوهم في الدراسة ، ولكن رغم دلالة هذه النتيجة نجد عند مقارنة المتوسط الحسابي بالوسط الفرضي للاستبيان أن الفارق يكاد يكون بسيطا ، الأمر الذي يعني أن الطلبة قد لا يجيدون بشكل كامل كل مهارات الاستذكار ، وهذا ما أكدت عليه دراسة حمود (1999) التي خلصت إلى أن ثلثي الطلبة يتبعون عادات دراسية صحيحة بينما الثلث الأخر يتبعون عادات دراسية خاطئة ، وربما تعود هذه النتيجة التي توصلت إليها الدراسة الحالية إلى أن الطلبة لم يعيروا اهتماماً كبيراً لقراءة فقرات الاستبيان بسبب كثرة المقاييس والاستبيانات التي تعرض عليهم ولم يجدوا بعد الإجابة عليها البرامج الإرشادية المفيدة لهم ، ولذلك تعاملوا مع فقرته كما لو كان الأمر تأدية واجب فرض عليهم لاسيما أن الاستبيان عرض عليهم أثناء محاضراتهم ، رغم أن الباحث وضح لهم أن نتائج إجاباتهم ستنعكس إيجابا عليهم ، بوضع برنامج إرشادي لتحسين أساليب ومهارات الاستذكار ، ومهما كانت هذه النتيجة العامة لا تتفق مع فرض الباحث إلا أن النتائج الفرعية للفرض الأول تشير إلى أن الطلبة لا يتبعون كافة المهارات الدراسية أثناء استذكار دروسهم ، وهذا يقودنا إلى ملاحظة النتائج الفرعية الخاصة بكل بعد من أبعاد الاستبيان الموضحة في الجدول رقم (4) .

جدول رقم (4) يوضح نتائج التحليل الإحصائي لكل بعد من أبعاد الاستبيان .

أبعاد الاستبيان	العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قمة " t "	مستوى الدلالة	الدلالة عند مستوى 0,05 فاقل
تنظيم الوقت	113	37,00	7,53	112	1,424	0,157	غير دالة
القراءة وتسجيل المعلومات	113	36,56	5,31	112	7,140	0,000	داله
مشتتات الانتباه	113	37,28	7,97	112	1,712	0,090	غير داله
الأساليب العلمية	113	42,61	7,88	112	8,918	0,000	داله
دافعية التحصيل	113	37,61	7,27	112	2,367	0,020	داله
القلق الدراسي	113	36,87	5,84	112	1,578	0,117	غير داله

1 : جاء في الفرضية الفرعية رقم "1 " التابعة للفرض الأول والخاصة بالبعد الأول الخاص بتنظيم الوقت .

(لا ينظم طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا أوقاتهم ، ولا يتهيئون للاستذكار منذ بداية الفصل الدراسي) .

وقد استخدم الباحث اختبار " T-test " لمجموعة واحدة ذات الوسط الفرضي (36) لكل بعد من أبعاد الاستبيان المستخدم في هذه الدراسة .

ومن خلال ملاحظة الجدول رقم (4) الخاص بنتائج كل بعد من أبعاد الاستبيان نجد أن نتائج البعد الأول من أبعاد الاستبيان تشير إلى أن متوسط درجات الطلبة بلغت (37,00) وقيمة " t " (1,424) ومستوى الدلالة (0,157) وهي غير دالة ، مما يؤيد فرضية الباحث ، ووفقا لهذه النتيجة فإن الطلبة لا يعيرون الوقت اهتماماً ، فهم لا

ينظمون أوقات استذكارهم ولا يتهيئون للمذاكرة منذ بداية الفصل الدراسي . والحقيقة أن الوقت هو العامل الحاسم في حياة الإنسان بل وفي كل الانجازات البشرية ، فالطالب الذي لا يعير الوقت اهتماما كافيا ، ولا يستذكر دروسه أولا بأول منذ بداية الفصل الدراسي حتما ستكون محصلته النهائية وإنجازاته الأكاديمية ، أقل مما هو متوقع منه حتى وإن كان يتمتع بمستوى عال من الذكاء ، وقد يقول البعض من الطلبة أنهم لا يقضون وقتاً طويلاً في الاستذكار ومع ذلك يستوعبون ما يستذكرون ، وهذا صحيح لكنهم بلا شك ينتظمون في محاضراتهم ويسجلون ملاحظاتهم أثناء المحاضرات ويستوعبون ما يقوله أساتذتهم ، بل وينظمون أوقاتهم منذ بداية الفصل الدراسي ، فالعبرة ليست بقضاء الوقت الطويل ولكن في تنظيمه والاستفادة منه ، والحقيقة أن طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بجامعة عجمان وفقا لما توصلت إليه هذه النتيجة ، لا يمتلكون مهارة تنظيم الوقت فهم لا ينظمون ولا يستغلون أوقات فراغهم أثناء الدراسة ولا أثناء العطل الرسمية ولا يتهيئون للاستذكار قبل البدء بها و غالبا ما يبدؤون استذكارهم قبل الامتحانات ، وهذا يتطلب وضع البرامج الإرشادية التي تساعدهم على تنظيم واستغلال أوقاتهم في كل ما يفيدهم .

2 : نصت الفرضية الفرعية رقم "2 " التابعة للفرض الأول والخاصة بالبعد الثاني الخاص بمهارة القراءة وتسجيل الملخصات :

(لا يجيد طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا مهارة القراءة التي تمكنهم من فهم أفكار الدرس ولا يسجلون ملخصات لها)

وبالنظر في نتائج البعد الثاني من أبعاد الاستبيان الموضحة في الجدول رقم (4) نجد أن متوسط إجابات الطلبة على فقرات الاستبيان في هذا البعد (36,56) و قيمة " t " (7,140) ومستوى الدلالة (0,000) ، وهو ما يشير إلى عدم تحقق صحة الفرضية الفرعية الثانية ، إذ أن هذه النتيجة توضح أن طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا يجيدون مهارات القراءة التي تمكنهم من فهم أفكار الدرس و يسجلون ملخصات لما يقرؤونه ، ويركزون على الجمل أكثر من الكلمات ، ويبدؤون بقراءة الأجزاء السهلة ، ولكن عند مقارنة المتوسط بالوسط الفرضي نجد الفارق ضئيلاً جداً مما يدل على أن الطلبة يحسنون بدرجة بسيطة جداً مهارة القراءة التي تمكنهم من فهم أفكار الدرس ، والواقع أن هذه النتيجة تنسجم مع ما هو مأمول من الطالب الجامعي حيث لا يعقل بعد مروره بثلاث مراحل دراسية سابقة أن يكون غير قادر على القراءة الصحيحة ، ومع ذلك كانت هذه النتيجة مفاجئة للباحث الذي يلاحظ باستمرار أن الكثير من طلبته في الكلية لا يحسنون القراءة ولا الكتابة بخط واضح وجميل ، ومع ذلك فإن الباحث يعتقد أن من بين الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه النتيجة بصورتها الإيجابية هو اعتقاد الطلبة أن إجابتهم على بعض فقرات الاستبيان بسلبية ستجعل أساتذتهم ينظرون إليهم بأنهم لا يستحقون هذا المستوى الدراسي الجامعي ، بتعبير أخر أن الطلبة قد فسروا بعض فقرات هذا البعد بطريقة تجعل غيرهم ينتقص من مستواهم فأجابوا عليها بطريقة مغايرة لما هم عليه في الواقع .

3 : ونصت الفرضية الفرعية رقم " 3 " المشتقة من الفرض الأول على أن :

(لا يستطيع طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا التغلب على مشتتات الانتباه أثناء الاستذكار)

وقد جاءت نتائج الجدول رقم (4) لتؤكد صحة الفرضية ، فمتوسط درجات الطلبة في هذا البعد

بلغت (37,28) ، وقيمة " T" (1,712) ، ومستوى الدلالة (0,090) ، وهذه الدرجة غير دالة عند مستوى(0,05) ، ومعنى ذلك أن الطلبة فعلاً لا يستطيعون التغلب على مشتتات الانتباه أثناء الاستذكار ، فشرود ذهن الطالب لأي سبب ولفترة طويلة أو لفترات متقطعة ، واستغراقه في أحلام اليقظة ، والضوضاء التي يجدها حوله ، حتما تستغرق وقته ، وتضعف طاقته ، وتشتت جهده فتجعله يعزف عن الاستذكار عندما يقضي الكثير من الوقت ولا ينجز إلا القليل ، بل وتجعله يدخل في صراع نفسي ، وقد تتسبب الضوضاء وعدم الاستفادة من الوقت الذي يقضيه بهدف الاستذكار دون الوصول إلى نتيجة إلى توتره ، وتجعله عصبياً ، وربما عدوانيا على غيره ممن يعتقد أنهم سببوا له المتاعب الأمر الذي يحتم على إدارة الجامعة تقديم حلول سريعة للطلبة وخاصة الذين يقيمون في السكن الجامعي ، ولن تكون هذه الحلول إلا من خلال الاهتمام بالإرشاد النفسي إلى جانب الإرشاد الأكاديمي وإقامة مركز إرشادي داخل الجامعة لإفادة الطلبة ومساعدتهم على التغلب على جميع المشكلات التي قد تعترضهم وتعيق إنجازهم .

4 : أما الفرضية الفرعية رقم (4) المنبثقة من الفرض الأول والخاصة بالأساليب العلمية للاستذكار فقد نصت على أن : (لا يستخدم طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا الأساليب العلمية للاستذكار)

وبملاحظة نتائج البعد الرابع الخاص بالأساليب العلمية التي يتبعها الطلبة أثناء استذكار دروسهم نجد أن المتوسط درجات الطلبة في هذا البعد بلغت (42,61) وقيمة " T" (8,918) ومستوى الدلالة (0,000)، وتدل هذه النتيجة على أن طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان يستخدمون الأساليب العلمية للتعلم والاستذكار ، وهو ما يدحض صحة فرضية الباحث للبعد الرابع ، فالطلبة يتبعون الطريقة الكلية والجزئية ، ويحاولون معرفة العلاقة بين أجزاء الدرس عند استذكارهم ، ويربطون ما يتعلمونه بالواقع ويقومون بالتسميع لأنفسهم بعد الانتهاء من استذكار الدرس ، ويهتمون بمراجعة الموضوعات غير الواضحة في الدرس ، والحقيقة أن افتراض الباحث قد نبع من الدراسات السابقة التي أشارت بعضها إلى عدم استخدام الطلبة للأساليب العلمية للاستذكار، كدراسة البعد الله والخليفي (2001) ودراسة عيسوي (1985) ، ودراسة جابر، وعبد الحميد (1984) ، ومن المعروف أن نتائج الدراسات في المجال النفسي والإنساني عادتا ما تكون ما تختلف نتائجها من بيئة اجتماعية إلى بيئة أخرى ، كما نجد أن هناك تغيراً يحدث في حياة الإنسان في البيئة ذاتها ، وقد نجد أن الدراسة ذاتها إذا تكررت على نفس الأفراد من في أوقات مختلفة قد تؤدي إلى نتائج مختلفة ، هذا بالإضافة إلى أن قياس الظاهرة النفسية بالمقاييس السيكومترية لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون دقيقة 100٪ وإنما تقربنا من التعرف بصفة عامة على الظاهرة موضوع الدراسة ، ومن هذا المنطلق لا غرابة أن نجد طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية يستخدمون الأساليب العلمية أثناء استذكارهم لدروسهم ، لكن في الوقت نفسه لا يمكن الجزم بأن جميع

أفراد العينة يتبعون نفس الأساليب .

5 : تضمنت الفرضية الفرعية رقم (5) التابعة للفرض الأول الخاصة بدافعية الاستذكار ، والبحث عن مصادر المعلومات بأنه (لا توجد لدى طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا دافعية للاستذكار ، والبحث عن مصادر المعلومات)

تشير نتائج البعد الخامس من أبعاد الاستبيان الموضحة في الجدول رقم (4) إلى أن متوسط درجات الطلبة (37,61) ، وقيمة " T" (2,367)، ومستوى الدلالة (0,020) ، وهذه الدلالة تشير إلى عدم تحقق الفرضية الفرعية رقم (5) التابعة للفرض الأول الخاصة بدافعية الاستذكار ، وهذه النتيجة لا تتفق مع ما جاء في بعض الدراسات كدراسة الجمل (1991)التي توصلت إلى أن الطلبة عامة في البكالوريوس والدبلوم في كلية التربية الأردنية متوسطو الاهتمام بالأمور الأكاديمية ولا يجدون متعة عند القيام بواجباتهم الدراسية ، مما يعني أن الدافع الدراسي منخفض لديهم ، غير أن هذه النتيجة اتفقت مع دراسة إبراهيم ، وصالح (2005) التي أشارت إلى وجود علاقة ارتباط دالة إحصائيا عند مستوى (0,01) بين درجات أفراد العينة في التحصيل الدراسي ودرجاتهم في الدافعية الدراسية ، ومن هنا نجد أن الدافعية الدراسية تختلف عند الطلبة من طالب لأخر ، كما قد نجدها مختلفة من مجتمع لأخر ، وفي اعتقادي أن الطلبة الذين يدرسون وهم على أمل بممارسة مهنتهم بعد تخرجهم وان ذلك سيؤدي إلى تحسين أوضاعهم ومكانتهم الاجتماعية ستكون دافعتيهم أقوى من الطلبة الذين يعرفون بأنهم سينتظرون وقتاً طويلاً حتى يحصلون على الوظيفة التي تمكنهم من مزاولة مهنتهم ، ولما كان معظم طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية من الطلبة العمانيين ، ويبتعدون عن أسرهم من أجل التحصيل العلمي وفوق ذلك يدفعون مصاريف دراستهم ، ويشعرون أن مجتمعهم بحاجة إليهم ، وسوف يستوعبهم في مجال تخصصهم ، فلا غرابة أن نجد الدافعية الدراسية مرتفعة لديهم . وربما أن شعورهم بانخفاض معدلاتهم في الثانوية العامة لم يمكنهم من الدراسة في جامعة السلطان قابوس وفي مجتمعهم قد أدى إلى رفع هممهم ودفعهم إلى التحصيل العلمي لاسيما أنهم أيضا يخضعون إلى مفاضلة في الدرجات من أجل شغل الوظائف بعد التخرج .

6 : تناولت الفرضية الفرعية رقم (6) وهي الفرضية الأخيرة المنبثقة من الفرض الأول على أن :

(لا يشعر طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا بالقلق الدراسي)

تشير نتائج الجدول رقم (4) إلى صحة الفرضية رقم (6) التابعة للفرض الأول ، فمتوسط درجات الطلبة في هذا البعد من أبعاد الاستبيان بلغت (36,87) ، وقيمة " T" (1,578) ، ومستوى الدلالة

(0,117) ، وهذه النتيجة تدل على أن الطلبة ليس لديهم قلق دراسي ، والحقيقة أن القلق الدراسي ذو مستويات ثلاثة (المنخفض ، والمتوسط ، والمرتفع) فالطالب الذي لديه قلق منخفض معناه أنه لا يقدم

على الدراسة بشكل دائم ومستمر وإنما كثيراً ما يترك دروسه ، ويتغيب عن محاضراته ولا يبحث عن المعلومات بنفسه ولا يسأل أساتذته إذا استعصى عليه فهم موضوع معين ، وبالتالي يرضى بالنتيجة التي يحصل عليها مهما كانت مرتفعة أو منخفضة ، وقد يستجدي من أساتذته رفع درجاته إذا كان بإمكانهم مساعدته ، وهذا ما تشير إليه نتيجة هذه الدراسة ، ويؤكده واقع بعض الطلبة في كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة الجامعة إذ نلاحظ بعضهم يتغيبون عن المحاضرات ولا يهتمون بتسجيل ملاحظات عن الدرس أثناء المحاضرة إلا إذا لفت انتباههم أستاذ المقرر ، كما نلاحظهم لا يستذكرون دروسهم إلا قرب امتحانات المقررات الدراسية ، وقد يترددون على أساتذة المقررات يطلبون المساعدة ، ولا يريدون بذل الجهد المطلوب منهم . وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه نتائج دراسة كولر وهولهان (1980) يخص القلق المنخفض. أما المستوى المتوسط من القلق فهو ذلك الذي يدفع صاحبة إلى التحصيل والمستمر ومتابعة كل جديد ، فهو قلق دافع يدفع صاحبه للانجاز ولا يعيقه عن بذل مزيد من الجهد والمثابرة والإصرار لتحقيق أعلى مستوى من النجاح ، ويختلف المستوى الثالث من القلق فهو قلق عصبي يعطل صاحبه عن أن ينجز شيئا بل يجعله أثناء الامتحانات ويجعله يفقد كثيراً من المعلومات التي يعرفها، وبعد الانتهاء من الامتحان يتذكرها ولكن بعد فوات الأوان .

الفرض الثاني : توجد فروق دالة إحصائيا في أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته بين الطلاب والطالبات في كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا لصالح الطالبات . للإجابة على الفرض الثاني من فروض الدراسة استخدم الباحث اختبار " T-test ، والجدول رقم (5) يوضح نتائج التحليل الإحصائي .

جدول رقم (5) يوضح نتائج التحليل الإحصائي باستخدام اختبار " ت "

الجنس	العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قمة "T "	مستوى الدلالة	الدلالة عند مستوى 0,05
ذكور	36	223,056	25,509	111	2,095-	0,038	دالة
إناث	77	234,649	28,233				

تؤكد النتائج في الجدول رقم (5) ما ذهب إليه الباحث في الفرض الثاني حيث تشير المتوسطات للطلاب والطالبات إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0,05) لصالح الطالبات مما يعني أن الطالبات أكثر التزاما بأساليب ومهارات الاستذكار من الطلاب . وتتفق هذه النتيجة مع معظم الدراسات السابقة التي تؤكد وجود دلالة إحصائية عند مستوى (0,05) في مهارات وعادت الاستذكار أو الاتجاه نحو الاستذكار لصالح الإناث ، ولعل السبب في ذلك أن الطالبات يرغبن في المنافسة والتفوق وإثبات وتوكيد الذات وخاصة في مجتمع تلعب فيه الذكورة الدور الأساسي في مختلف مجالات الحياة ، بالإضافة إلى أن الطالبات أكثر تفرغا للدراسة من الطلاب الذين يجدون أنفسهم مرتبطين بأعمال مهنية أخرى قبل إتمام

الدراسة ، بل نجد بعضهم يتحمل مسئوليات الأسرة ، وتكاليف الدراسة ، وهو ما لم تتحمله الطالبات ، فا لطلبات عادة ما يتركن كل ما يتعلق بالرسوم الدراسية ومصارف أخرى تتعلق بالدراسة الجامعية على أولياء أمورهن ، وينظر أولياء الأمور إلى أنه من الواجب عليهم تدريس البنات حتى يعلن أنهن إذا قدر الله أن فقدن آباءهن أو أزواجهن فيما بعد . بالإضافة إلى أن المرأة في دول الخليج تتطلع إلى المساواة بالرجل ، وترى أن خير وسيلة للوصول إلى ذلك هو النجاح في التعليم العالي الذي يمكنها من شغل الوظيفة المناسبة .

الفرض الثالث : توجد فروق دالة إحصائيا في أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته بين طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا بين طلبة المستوى الأول والمستوى الرابع لصالح المستوى الرابع . استخدم الباحث اختبار " T-test ، للإجابة على الفرض الثالث ، والجدول رقم (5) يوضح نتائج التحليل الإحصائي .

جدول رقم (6) يوضح نتائج التحليل الإحصائي باستخدام اختبار " ت "

المستوى	العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قمة " t "	مستوى الدلالة	الدلالة عند مستوى 0,05
الأول	51	228,471	25,513	110	0,759-	0,449	غير دالة
الرابع	61	232,475	29,578				

بالنظر إلى الجدول رقم (6) يتضح أن نتائج اختبار " ت " تشير إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً بين طلبة المستوى الأول والمستوى الرابع مما يعني عدم تحقق الفرض الثالث ، وهذا بخلاف دراسة الورافي (1996) التي توصلت إلى أن طلبة المستوى الأول يستخدمون عادات دراسية أفضل من طلبة المستوى الرابع ، ولذلك فإن النتيجة التي توصلت إليها الدراسة الحالية تؤكد أن الطلبة لا يغيرون الأساليب والمهارات الدراسية عند دخولهم الجامعة بل يستمرون على تلك الأساليب والمهارات التي اعتادوا عليها أثناء دراستهم السابقة ، فعدم وجود فروق دالة إحصائيا بين طلبة المستوى الأول والمستوى الرابع يعني عدم استفادة طلبة المستوى الرابع خلال سنوات دراستهم في الجامعة الأمر الذي يعني أن الجامعة لا تقدم للطلبة الخدمات الإرشادية المناسبة للطلبة منذ بداية دخولهم الجامعة كما أن الأساتذة لا يهتمون بتوجيه الطلبة إلى استخدام الطرق الصحيحة للاستذكار أو أن الطلبة لا يهتمون بتوجيه أساتذتهم ويكتفون بما تعودوا عليه من أساليب ومهارات ، ومن المؤكد أن عملية تغيير ما اعتاد عليه الطلبة يحتاج إلى جهد ووقت وبرامج إرشادية تمكنهم من تغيير أساليبهم ومهاراتهم السابقة التي اعتادوا عليها وهذا ما لم يتوفر في شبكة جامعة عجمان ، فالعملية الإرشادية التي نقصدها ليست هي التي يقوم بها المرشد الأكاديمي الحالي ، ولا هي النصائح التي قد يعطيها هذا الأستاذ أو ذاك آو تلك المحاضرات التي تلقى على مسامع الطلبة عند بداية دخولهم الجامعة ولكنها عملية مخططة يقوم بها متخصص يستهدف من خلالها مساعدة الطلبة للتغلب على بعض المشكلات التي تعترضهم في حياتهم الدراسية وغير الدراسية ، بل هي عملية لتغيير السلوك غير المرغوب الذي تم اكتسابه في السنوات السابقة من الحياة الدراسية وغير الدراسية ، ولذلك لابد من التركيز

على وضع البرامج الإرشادية التي تهدف على تغيير العادات الدراسية غير المرغوب فيها لدى الطلبة وإحلال العادات الدراسية المرغوبة أثناء الدراسة الجامعية ، وهذا ما تؤيده الدراسات التي استخدمت برامج إرشادية لتحسين مهارات وعادات الاستذكار كدراسة سليمان (1989) .

الفرض الرابع : لا توجد فروق دالة إحصائياً في أساليب وعادات الاستذكار ومهاراته بين طلبة كلية التربية والعلوم الأساسية بشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا بحسب التخصص .

وللإجابة على الفرض الرابع من فروض الدراسة استخدم الباحث تحليل التباين الأحادي " One –Way ANOVA" للكشف عن الفروق القائمة بين التخصصات الثلاثة (عربي إسلامي – انجليزي – رياضيات) والجدول رقم (7) يوضح ذلك .

جدول رقم (7) يوضح نتائج تحليل التباين " One –Way ANOVA" لمتغير التخصص

المصدر	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات (التباين)	قيمة F	مستوى الدلالة	الدلالة عند مستوى 0,05
بين المجموعات	1254,212	2	627,106	0,808	0,448	غير دالة
داخل المجموعات	85396,567	110	776,332			
المجموع	86650,779	112				

يتضح من الجدول رقم (7) أن قيمة " F " (0,808) ، ومستوى الدلالة (0,448) وهي غير دالة و هو ما يؤيد صحة الفرض الرابع من فروض الدراسة فالطلبة من مختلف التخصصات(عربي إسلامي – انجليزي – رياضيات) متساوون في استخدام أساليب ومهارات الاستذكار وتعودوا عليها ، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج بعض الدراسات السابقة ، كدراسة الورافي 1996 التي توصلت إلى أن طلبة الأقسام العلمية يتساوون مع طلبة الأقسام الإنسانية في العادات الدراسية ، وكذلك دراسة إبراهيم ، وصالح (2005) ودراسة حمود (1999) التي لم تجد فروقاً بين التخصصات العلمية والأدبية في مهارات وعادات الاستذكار ، وهذا يعكس واحدية نمط البيئة التعليمية التي نشؤوا فيها وتعلموا من خلالها ، كما يعكس العلاقات التبادلية من حيث تأثير وتأثر الطلبة بعضهم ببعض واستخدام ذات المهارات والأساليب والتي اعتادوا عليها في المراحل التعليمية السابقة ، ومن المعروف في علم النفس أن العادة عندما يكتسبها الفرد يصبح من غير اليسير عليه التخلي عنها بسهولة ، والحقيقة أن البيئة التعليمية وغير التعليمية في البلاد العربية لازالت مقصرة في استخدام الأساليب الإرشادية العلمية التي تساعد الأفراد على اكتساب العادات الدراسية، وغير الدراسية السليمة على الرغم من توافر المختصين في مجال الإرشاد النفسي والتربوي بأعداد كبيرة ، ويتم توظيف بعضهم في مجالات أخرى غير مجال تخصصهم ، بينما الكثير منهم عاطلون عن العمل، ومن المؤسف حقا أن نجد معظم المدارس والجامعات العربية لم تولِ حتى الان اهتماماً بهذا الجانب .

التوصيات :

توضح نتائج هذه الدراسة ، أن الطلبة يستخدمون عادات دراسية بعضها سليمة وأخرى خاطئة ،

ولذلك يوصي الباحث بالآتي :

1 – إنشاء مركز إرشادي نفسي في شبكة الجامعة يضم بداخله وحدة القياس النفسي لمساعدة الطلبة على التغلب على مشكلاتهم الدراسية وغير الدراسية ، وتنمية السلوك الدراسي وغير الدراسي المرغوب ، وتعديل السلوك غير المرغوب ، وذلك وفق المعايير التربوية بدولة الإمارات العربية المتحدة .

2 – تعيين عدد من المرشدين والأخصائيين النفسيين في المركز الإرشادي بحيث توكل إليهم المهام الإرشادية الحالية التي يتولاها المرشدون الأكاديميون الحاليون (أعضاء هيئة التدريس غير المختصين بالإرشاد) ، والعمل على مساعدة الطلبة على تجاوز مشكلاتهم المختلفة ، وتصميم برامج إرشادية وفقا لحاجات طلبة الجامعة ، ومن بينها برامج تعديل الأساليب والمهارات والعادات الدراسية الخاطئة ، والتنمية السليمة منها .

3 – الاهتمام بالقياس النفسي عند بداية دخول الطالب إلى الجامعة لمعرفة العديد من الخصائص والحاجات النفسية ، والمهارات الدراسية التي يحتاجها الطلبة .

المراجع :

1 – ابراهيم ، احمد محمد المهدي ، ومسعد عبد العظيم محمد صالح : (2005) ، مهارات الدراسة وعلاقتها ببعض المتغيرات الدراسية لدى عينة من طلاب الجامعة ، مجلة كلية التربية ، جامعة أسيوط ، المجلد الحادي والعشرون – العدد الأول يناير .

2 – أحمد ، محمد أبو العلاء : (1976) الاستذكار الجيد ، القاهرة ، صحيفة المكتبة ، المجلد الثامن ، أبريل ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة .

3 – أديبي ، عباس عبد علي : (2001)، قدرات التفكير ألابتكاري في علاقتها بعادات الاستذكار وقلق الاختبار لدى طلاب التعليم الثانوي والجامعي ، مجلة العلوم التربوية والنفسية ، كلية التربية ، جامعة قطر ، المجلد الثاني ، العدد الثالث ، سبتمبر .

4 –الحفني ، عبد المنعم (1970) موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، الجزء الأول ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .

5 – حمود ، محمد الشيخ :(1999) العادات الدراسية لدى طلابه المرحلة الثانوية ، دراسة ميدانية في مدارس دمشق الرسمية ، مجلة جامعة دمشق لأدآب والعلوم الانسانة والتربوية ، المجلد الخامس عشر العدد الأول .

6 – – دافيدوف،لندال. ل: (1983) مدخل علم النفس ، ترجمة سيد الطواب وآخرون، دار المريخ للنشر بتعاون مع المكتبة بالقاهرة ، الرياض

7 – رزق ، محمد عبد السميع : (2004) الاتجاهات الحديثة في دراسة مهارات الاستذكار
www.uqu.edu.sa/majalat/humanities/vol13/a04.htm

8 – الزيات ، فتحي مصطفى : (1987) أثار التكرار ومستويات معالجه وتجهيز المعلومات على الحفظ والتذكر، الرياض، مجلة رسالة الخليج العربي ، العدد الثامن عشر

9 – سليمان ، سعاد محمد : (1989) دراسة لتنمية عادات الاستذكار ومهاراته لدى بعض تلاميذ المدرسة الابتدائية ، مجلة علم النفس الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد الحادي عشر ، السنة الثالثة ، سبتمبر .

10 – الشرقاوي ، أنور محمد : (1998) التعلم نظريات وتطبيقات ، ط5 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة

11 – صالح ، احمد زكي : *(1983) نظريات التعلم ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة*

12 – الصراف ، قاسم علي: (1992)، العادات الدراسية وعلاقتها بالجنس والتخصص والمستوى الأكاديمي للطالب الجامعي ، حولية كلية التربية ، كلية التربية جامعة قطر ، السنة التاسعة ، العدد التاسع

13 – العبد الله ، يوسف محمد ، والخليفي،سبيكة يوسف : (2001) ، أثر كل من الاتجاهات نحو الدراسة ودافعية الانجاز وعادات الاستذكار على الأداء الأكاديمي لدى عينة من طالبات جامعة قطرالمجلة التربوية ،العدد 60 ، المجلد الخامس عشر، جامعة الكويت

14 – عبد المنعم ، ثروت محمد : (1991)، إعزاءات المتفوقين والمتأخرين دراسيا للنجاح والفشل ، بحوث المؤتمر السابع لعلم النفس في

مصر ، الجمعية المصرية للدراسات النفسية 2 -4 سبتمبر .
15 - عيسوي ، عبد الرحمن محمد: (1985) القياس والتجريب في علم النفس التربوي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر .
16 - القاضي ، صبحي عبد الحفيظ : (1986) العوامل المؤثرة في المعدل التراكمي كما يراها الطلاب الجامعيون ، رسالة الخليج العربي ، العدد الثاني والعشرون ، السنة السابعة
17 - قشقوش ، إبراهيم ، وطلعت منصور : (1979) ، دافعية الانجاز وقياسها ، ط1 ، مكتبة لأنجلو المصرية ، القاهرة .
18 - الكامل ، حسنين : (1975) ، دراسة القدرة التذكرية وعلاقتها في التحصيل في المدرسة الثانوية ، القاهرة ، صحيفة التربية ، السنة السابعة والعشرون، العدد الثالث يونيو
19 - مجمع اللغة العربية: (1973) . المعجم الوسيط ، ج1 ، ج2 ، ، مطابع دار المعارف بمصر
20 - مسعود ، جبران: (1986) ، الرائد ، معجم لغوي ، ج1 ، ج2 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .
21 - المنجد في اللغة والإعلام : (1986) ، ط44 ، دار المشرق بيروت ، لبنان
22 - ابن منظور :(بدون) لسان العرب المحيط ، م1 ، م2، م3 . إعداد وتصنيف يوسف خياط ، بيروت ، لبنان.
23 - نجاتي ، محمد عثمان : (1985) ، علم النفس والحياة ، دار القلم ، الكويت
24 -الوحش ، عبد العزيز مهيوب: (1991) قلق الامتحان وأثرة على التحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة الثانوية في الجمهورية اليمنيّة ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة الزقازيق - فرع بنها كلية التربية قسم الصحة النفسية
25 - الورافي ، حسن ناجي علي : (1996) ، تقويم العادات الدراسية لدى طلبة الجامعة المستنصرية وعلاقتها ببعض المتغيرات ،(رسالة ماجستير غير منشورة) تربية في الإرشاد التربوي ، الجامعة المستنصرية ، بغداد .
26 - بترو فسكي ، أ.ف ، ياروسفكس، و. م.ج : (1996) معجم علم النفس المعاصر ، ترجمة حمدي عبد الجواد ، وعبد السلام ورضوان ، دار العالم الجديد ، القاهرة

27- Culler; R.E., & Holahan ; (1980): " Test Anxiety and Academic Performance; The Effects of study – Related Behaviors , Journal Educational psychology, vol. 72, No. 1. pp. 16-19 .
28- Gohn, Hensley, (1985) :" Test Anxiety Academic Performance and Cognitive Appraisals "; Journal of Educational psychology , Vol., 70 ,No . 2 .pp.248-253.
29- Levitt, Eugene, E., (1980) : The psychology of Anxiety , 2 nd.Ed.; Lawrence Eriban Associates, Publishers Hillsdale, New Jersey.PP.78-109.
30- Spielberger,C.D., (1972) :" Anxiety Current Trends" ,theory and Research , Vol., 1, new York

النماذج الإحصائية في تصحيح التوزيع العمري لسكان اليمن

د . عبدالحكيم عبدالرحمن المنصوب
أستاذ الإحصاء التطبيقي المشارك – كلية التجارة والعلوم الإدارية ، جامعة إب

ملخص الدراسة .
يكتسب التوزيع العمري للسكان أهمية بالغة عند تخطيط التنمية ، وإعداد الاستراتيجيات المتعلقة بالتعليم والصحة والدفاع وخلافه ، إلا أنه يعاني من أخطاء تتعلق بدقة الأعمار . وقد هدفت هذه الدراسة إلى تصحيح التوزيع العمري المسجل ، في التعداد اليمني لعام 2004 م ، من تلك الأخطاء . حيث تم استخدام 13 أنموذجاً ، وأفرزت المفاضلة ، بين هذه النماذج ، نموذجاً يشير إلى أن أكثر من 55% من السكان يقعون تحت العمر 20 سنة ، الأمر الذي يجعل معدل النمو السكاني مرتفعاً لعقود قادمة .

مقدمة .

يكتسب التوزيع العمري للسكان أهمية بالغة عند تخطيط التنمية ، وإعداد الاستراتيجيات المتعلقة بالتعليم والصحة والتوظيف والدفاع وخلافه . إلا أن إدلاء الأفراد ببيانات أعمارهم ، في التعدادات والمسوح ، غالباً ماتعتريه أخطاء عمدية وأخرى غير عمدية [عبدالغني وآخرون : 1991] . فمن مصادر هذه الأخطاء :

1 – التحيز لآحاد معينة في رقم العمر . مثل تفضيل الأعمار التي تبدأ بأرقام زوجية ، أو بالصفر أو بالخمسة .

2 – محاولة تحقيق مزايا معينة وإن كانت أدبية . مثل كسب الاحترام في المجتمعات التي توّقر كبار السن .

3 – محاولة تجنب التزامات معينة ، مثل التهرب من سن التقاعد ، أو من سن الأهلية ، إذا كان سيترتب عليه التزام معين .

4 – عدم معرفة الفرد لعمره الحقيقي ، وهذا غالباً ما يكون أكثر انتشاراً في المجتمعات ذات نسب الأمية العالية ، ومنها المجتمع اليمني الذي وصلت فيه نسبة أمية الكبار (10 سنوات فأكثر) إلى أكثر من 60% في مسح 1997 الخاص بصحة الأم والطفل في اليمن [Central Statistical Organization : 1998] وانخفضت إلى 45.3% في تعداد 2004 م [الجهاز المركزي للإحصاء : ديسمبر 2006] .

وعلى ذلك ، فإن هذه الدراسة لاتهتم بدقة التوزيع العمري للسكان من حيث الشمول ، وإنما من حيث المحتوى . حيث تقوم على فرضية hypothesis أن أخطاء الإدلاء ببيانات الأعمار قد رافقت آخر تعداد نُفذ في اليمن ، وهو تعداد 2004 م . ومن ثم فإن هذه الدراسة تهدف إلى تصحيح التوزيع العمري للسكان في التعداد المذكور . وفي سبيل ذلك تضمنت الدراسة – بالإضافة إلى هذه المقدمة – الأجزاء الآتية :

1 – **خلفية نظرية .** حيث الإشارة السريعة إلى أهم طرق تقييم التوزيع العمري للسكان ، وإلى أهم طرق

ونماذج تصحيحه .

2 - **المعالجة الإحصائية .** وتتضمن تقييم التوزيع العمري المسجل للسكان في تعداد 2004 م ، ومن ثم تصحيحه بأكثر من أ نموذج .

3 - **النتائج والتوصيات .** حيث المفاضلة بين نتائج النماذج واختيار النموذج الأكثر قبولاً ، وحيث أهم التوصيات التي أمكن الخروج بها **-الجداول . -الأشكال - المراجع .**

1 - **خلفية نظرية .**

أولاً : أهم طرق تقييم التوزيع العمري للسكان .

تتعدد طرق تقييم التوزيع العمري للسكان ويصنّفها البعض في ثلاثة أساليب [عبدالغني وآخرون : 1991]:

1 - أساليب الاتساق (المقارنات الداخلية) .

2 - أساليب المقارنات الخارجية .

3 - أساليب التحقق المباشر .

وسيتم التركيز في هذه الدراسة على أهم أساليب الإتساق ، وذلك للأسباب :

أ - أن أساليب المقارنات الخارجية تعتمد بصفة أساسية على المقارنة بتوزيع عمري خاص بمجتمع مشابه لمجتمع الدراسة . ولاشك أن تحديد المجتمع المشابه لايخلو تماماً من التحكمية .

ب - حتى وإن توفرت مسوح تقييم البيانات (من أجل التحقق المباشر) فإن الأخطاء المرافقة لبيانات الأعمار تظل قائمة ، وإن كانت اقل حدةً ، خاصةً في المجتمعات الزراعية ذات نسب الأمية المرتفعة .

وعليه ، فإن أهم الأساليب التي تندرج ضمن أساليب الاتساق : نسبة العمر age ratio ، ودليل " ويبل " Weibull ، ودليل " مايرز " Meyers ، ودليل سكرتارية الأمم المتحدة الذي سيتم الاكتفاء به في هذه الدراسة للأسباب :

أ - أن مقياس نسبة العمر هو أحد مكونات هذا الدليل .

ب - أن دليل " ويبل " ودليل " ماير " يهملان فئة عريضة من السكان . فالأول يهمل السكان في العمر أقل من 23 سنة وكذا السكان في العمر أكبر من 62 سنة . ويهمل الثاني السكان في العمر أقل من 10 سنوات.

ج - أن تقييم التوزيع العمري ليس هدفاً في حد ذاته ، خاصةً مع التوقع القوي بأن هذا التوزيع يحتوي على أخطاء في أغلب دول العالم النامي عامةً ، وفي المجتمعات الأمية منها بصفة خاصة .

وعلى ذلك ، فإن دليل سكرتارية الأمم المتحدة I الذي يُقدر للسكان في العمر أقل من 75 سنة ، يشير إلى عدم دقة التوزيع العمري إذا كانت قيمته 20 فأكثر . وهذه القيمة تُقدر من العلاقة :

$$I=3I_s+I_{am}+I_{af} \qquad (1)$$

حيث :

I_s : مقياس النوع . ويُحسب كمتوسط للفروق المطلقة لنسب النوع في الفئات العمرية . ونسبة النوع في كل فئة تُحسب بقسمة عدد الذكور في الفئة على عدد الإناث في نفس الفئة .

I_{am} : مقياس العمر للذكور . ويُحسب كمتوسط للإنحرافات المطلقة الخاصة بنسب العمر عن 100 . فإذا كانت C_i هي نسبة الذكور في الفئة العمرية i ، فإن نسبة العمر في هذه الفئة هي :

$$[\frac{C_i}{0.5\ (C_{i-1}\ +\ C_{i+1})}]\ (100)$$

I_{af} : مقياس العمر للإناث . ويُحسب بنفس طريقة حساب مقياس العمر للذكور .

ثانياً : اهم طرق تصحيح التوزيع العمري .

إن تصحيح التوزيع العمري باستخدام كلٍ من التمهيد اليدوي وطرق التصحيح الخارجية (استخدام توزيع عمري لمجتمع مشابه لمجتمع الدراسة ، وأسلوب اللوجيت Logit) يمثل معالجةً لاتخلو من التحكمية . حيث يعتمد التمهيد اليدوي على خبرات الباحث حول المجتمع الذي يقوم بتنعيم منحنى توزيعه العمري ، ويدوياً، مما تعتريه من تشوهات أو خشونة . أما طرق التصحيح الخارجية ، فإنها تعتمد بصفة أساسية على استخدام توزيع عمري خاص بمجتمع مشابه لمجتمع الدراسة .

وعلى ذلك ، فإن هذه الدراسة تعتمد على النماذج الإحصائية التي تناسب المجتمعات الفتية ، التي تتصف بذلك معظم مجتمعات دول العالم النامي [Khorazaty : 1999] . وبهذا ، فإن هذه الدراسة ربما تكون من الدراسات القلائل التي تخالف ما درج عليه أغلب الديوجرافيين .

حيث يمكن - مبدئياً - تصحيح التوزيع العمري (النسبي أو العددي) للسكان بأنموذج معادلة الدرجة الثانية ذات المجهول الواحد :

$$Y_i = b_0 + b_1 X_i + b_2 X_i^2 + e_i \qquad (2)$$

حيث :

Y_i : نسبة (أو عدد) السكان في الفئة العمرية (أو العمر) i .

X_i : مركز الفئة العمرية (أو العمر) i .

b_j : ثوابت النموذج حيث $j = 0 , 1 , 2$.

e_i : خطأ التقدير عند الفئة العمرية (أو العمر) i

وللحصول على أكثر من توزيع عمري مصحح ، بغرض تعديد البدائل ، ومن ثم المفاضلة واختيار التوزيع الأكثر قبولاً ، يمكن إستخدام نماذج أخرى . فبنفس تعريف Y_i و X_i و b_j ، e_i يمكن إستخدام

النموذج الأسي التالي [عودة : 1411 هـ - 1991 م] :

$$Y_i = b_0 \exp (b_1 X_i) + e_i \qquad (3)$$

والنموذج اللوغاريتمي :

$$Y_i = b_0 + \text{Lin } X_i + e_i \qquad (4)$$

بالإضافة إلى نماذج أخرى ، مثل النماذج الآتية: [كنجو - الواصل : 1425 هـ - 2004 م ، Koutsoyiannis : 1987] :

$$Y_i = (1 / X_i) + e_i \qquad (5)$$

$$Y_i = (1 / X^2_i) + e_i \qquad (6)$$

$$Y_i = (1 / \sqrt{X_i}) + e_i \qquad (7)$$

$$Y_i = b_0 ^{(\frac{1}{X_i - 1})} + e_i \qquad (8)$$

$$Y_i = b_0 + (b_1 / X_i) + e_i \qquad (9)$$

$$Y_i = b_0 X_i^{b_1} + e_i \qquad (10)$$

$$Y_i = b_0 b_1^{X_i} + e_i \qquad (11)$$

$$Y_i = \exp [b_0 + (b_1 / X_i)] + e_i \qquad (12)$$

$$Y_i = \exp (b_0 + b_1 X) + e_i \qquad (13)$$

2 - المعالجة الإحصائية .

من واقع التوزيع العمري المسجل لسكان اليمن في تعداد 2004 م ، يمكن القول بتحقق فرضية الدراسة . وهي أن أخطاءً قد رافقت الإدلاء ببيانات الأعمار من قبل الأفراد في التعداد المذكور . وهذا القول يمكن التدليل عليه بما يلي :

1 - من الجدول رقم (1) الخاص بالتوزيع العمري المسجل في تعداد 2004 م ، أمكن تقدير دليل سكرتارية الأمم المتحدة I (المشار إليه بالعلاقة رقم 1) ووصل إلى أكثر من 44 ، وذلك بالمكونات : $I_s = 6.6$ و $I_{am} = 14.217$ و $I_{af} = 17.509$.

2 - خشونة منحنيات التوزيعات العمرية النسبية النوعية ، وذلك كما هو مبين في الشكل رقم (1) .

وعلى ماسبق ، فقد تم ، وبإستخدام البرنامج الإحصائي الجاهز SPSS ، توفيق النماذج السابقة ، لأجل

تصحيح التوزيع العمري النسبي النوعي (لكلٍ من الذكور والإناث والإجمالي ، على حدة) الوارد في الجدول رقم (1) ، وذلك بعد إستبعاد كلٍ من الفئة العمرية الأخيرة المفتوحة (85 سنة فأكثر) وفئة غير المبينين .

فوفقاً للنموذج الأول (المعبر عنه بالعلاقة رقم 2) تم الحصول على :

$$Y_{if} = 17.90953 - 0.44495\ X_i + 0.00285\ X_i^2$$
$$Y_{im} = 18.39630 - 0.47416\ X_i + 0.00316\ X_i^2 \qquad (14)$$
$$Y_{it} = 18.14231 - 0.45910\ X_i + 0.00300\ X_i^2$$

حيث :

Y_i : نسبة السكان في الفئة العمرية i ، والرمز الجانبي الآخر يشير إلى النوع : f للإناث ، m للذكور ، t للإجمالي .

X_i : مركز الفئة العمرية i .

ونتائج هذا النموذج مضمنة في الجدول رقم (2) وفي الشكل رقم (2) الذي يبين أن منحنيات التوزيع العمري النسبي النوعية ، أصبحت أكثر تمهيداً ومن ثم أكثر قبولاً .

بالإضافة إلى ذلك ، فقد تم ضرب نسب السكان المصححة في إجماليات أعداد السكان النوعية (إناث ، ذكور ، جملة) وتم حساب كلٍ من :

1 - معامل الارتباط بين التوزيع العمري الإجمالي المسجل وبين نظيره المصحح ، ووُجد أنه يصل إلى حوالى 0.98 . وهذا يعني عدم الإخلال كثيراً بالتوزيع العمري المسجل عند تصحيحه .

2 - دليل سكرتارية الأمم المتحدة (المشار إليه بالعلاقة رقم 1) للتوزيع العمري المصحح ، ووُجد أنه يصل إلى 18.3 ، مما يعني تحقيق دقة عالية في التوزيع العمري المصحح (خاصةً وأن قيمة الدليل في التوزيع المسجل تزيد على 44) .

وعلى ذلك ، يمكن الإطمئنان - مبدئياً - إلى قبول هذا التصحيح ؛ لأنه أفرز قيماً مقبولة لمعيارين ؛ يعملان في اتجاهين متضادين . فكلما زاد معامل الارتباط المذكور ؛ فإن ذلك يشير إلى اقتراب القيم المصححة ؛ من القيم المسجلة التي بدورها تحتوي على أخطاء بشكل كبير ؛ مما يعني تزايد فرص الخطأ في القيم المصححة ، ومن ثم ينعكس الأمر على دليل السكرتارية الخاص بالتوزيع المصحح ، حيث تصبح فرص تزايده أكبر .

وبالرغم من دلالة هذين المعيارين على قبول التصحيح ، بالإضافة إلى المنحنيات المهدة الخاصة بالتوزيع المصحح ، إلا أن ذلك لايمنع من الحصول على أكثر من توزيع مصحح ، بغرض المفاضلة واختيار الأكثر

قبولاً . فقد تم توفيق جميع النماذج الأخرى المذكورة في العلاقات السابقة : من العلاقة رقم (3) حتى العلاقة رقم (13) ، ولم يتم قبول النتائج باستثناء نتائج النموذج اللوغاريتمي فقط (المشار إليه بالعلاقة رقم 4) . وهو النموذج الذي تمثل في العلاقة التالية ، وبنفس تعريف مكونات نموذج العلاقة رقم (14) :

$$Y_{if} = 24.53989 - 5.39634 \ \text{Lin} \ X_i$$
$$Y_{im} = 24.91989 - 5.50607 \ \text{Lin} \ X_i \qquad (15)$$
$$Y_{it} = 24.70497 - 5.44401 \ \text{Lin} \ X_i$$

حيث أفرز هذا النموذج توزيعاً عمرياً نسبياً ممهداً (الجدول رقم 2 والشكل رقم 3) . كما أفرز قيماً مقبولة لكلٍ من معامل الارتباط (بين التوزيع العمري الإجمالي المسجل وبين نظيره المصحح) ودليل سكرتارية الأمم المتحدة (للتوزيع المصحح) . حيث وصل الأول إلى حوالى 0.94 ووصل الثاني إلى حوالى 14.66 .

أما بقية النماذج التي رُفضت ، فقد تنوعت أسباب رفضها . فعلى سبيل المثال :

1 - النموذج الأسي (المعبر عنه بالعلاقة رقم 3) أفرز نتائج مرفوضة ، بالتقدير :

$$Y_{if} = (24.61305) \exp(-0.04671 \ X_i)$$
$$Y_{im} = (23.71856) \exp(-0.04565 \ X_i)$$
$$Y_{it} = (23.99986) \exp(-0.04592 \ X_i)$$

حيث زاد مجموع نسب السكان في العمر أقل من 85 سنة عن 100% ، ولكلٍ من الذكور والإناث والإجمالي .

2 - أنموذج القوى (المعبر عنه بالعلاقة رقم 10) المقدر بـ :

$$Y_{if} = 141.04056 \ X_i^{-1.07044}$$
$$Y_{im} = 136.53642 \ X_i^{-1.06570}$$
$$Y_{it} = 136.97179 \ X_i^{-1.06652}$$

أفرز قيماً متناقضة لمعياري المفاضلة بين النماذج (المشار إليهما سابقاً بمعامل الارتباط ودليل سكرتارية الأمم المتحدة) .

3 - أنموذج التزايد (المعبر عنه بالعلاقة رقم 13) أفرز نتائج مرفوضة ، بالتقدير :

$$Y_{if} = \exp(3.20328 - 0.04671 \ X_i)$$
$$Y_{im} = \exp(3.16626 - 0.04565 \ X_i)$$
$$Y_{it} = \exp(3.17805 - 0.04592 \ X_i)$$

حيث أدى إلى إرتفاع نسب السكان في الأعمار المتقدمة .

3 - النتائج والتوصيات :

اهتمت هذه الدراسة بتصحيح التوزيع العمري ، المسجل في تعداد 2004 م ، من أخطاء إدلاء الأفراد ببيانات أعمارهم ، بصرف النظر عن مدى شمولهم بالعد . بل وأُفترض أن تلك الأخطاء قد حدثت وتم إثبات هذه الفرضية .

وخلافاً لما درج عليه أغلب الديموجرافيين ، فقد تم تصحيح التوزيع العمري بالنماذج الإحصائية الموفقة من واقع التوزيع العمري المسجل ، وذلك تجنباً لأي تحكمية قد ترافق استخدام طرق التصحيح الأخرى .

وبسبب تعدد النماذج الموفقة ، كان قبول نتائج النماذج التي أفرزت قيماً أكثر قبولاً لمعياري المفاضلة بينها : معامل الارتباط (بين التوزيع العمري المسجل وبين نظيره المصحح) ودليل سكرتارية الأمم المتحدة لدقة الأعمار . وهما معياران يعملان في إتجاهين متضادين . ووفقاً لهذه المفاضلة تم قبول نتائج : أنموذج معادلة الدرجة الثانية ذات المجهول الواحد ، والنموذج اللوغاريتمي .

وإذا كان هذان الأنموذجان قد حققا قيماً مقبولة لدليل سكرتارية الأمم المتحدة (أقل من 20) وذلك كما هو وارد في الجدول رقم (3) إلا أن الأنموذج الأول يمكن قبوله بدرجةٍ أكبر ، حيث أن تقديراته تقترب أكثر من القيم المسجلة . وهذا ما يُستدل عليه من معامل الارتباط الأعلى (الجدول رقم 3) ومن التقارب الأكبر بين منحيي التوزيع النسبي الإجمالي : المسجل والمقدر (الشكل رقم 4) . مما يعني أن توفيق هذا النموذج لم يغير كثيراً في البيانات الأصلية ، وهذا إجراء محمود في عموم التحليل الإحصائي [Neter - Wasserman : 1996] . وعلى ماسبق ، فإن نسبة السكان في العمر أقل من خمس سنوات تصل إلى حوالى 17% ، وفي العمر أقل من عشر سنوات تصل إلى أكثر من 31% ، وفي العمر أقل من 15 سنة تزيد هذه النسبة إلى أكثر من 44% . بل أن أكثر من 55% من السكان ، تقل أعمارهم عن 20 سنة . هذه النسب المرتفعة للسكان في الأعمار أقل من 20 سنة ، تجعل من المتوقع - وبقوة - أن يظل معدل النمو السكاني مرتفعاً لعقود قادمة ، وذلك بمرور هؤلاء السكان بحيواتهم الإنجابية .

فإذا كان معدل الزيادة الطبيعية للسكان ، المسجل في تعداد 2004 م ، هو 3.07% بمكونيه : 3.97% لمعدل المواليد ، 0.9% لمعدل الوفيات [الجهاز المركزي للإحصاء : ديسمبر 2006] وإذا كان من المتوقع تناقص معدل الوفيات بفعل تنفيذ برامج التنمية المختلفة ، فإن معدل الزيادة السكانية سيشكل ، ولفترات طويلة ، عائقاً أمام الموارد المتواضعة في اليمن ، خاصةً وأن الإنجاب هو سلوك مجتمعي من الصعب إحداث تغيير سريع في مستوياته ، و في المجتمعات الزراعية المحافظة على وجهٍ أخص .

وعلى ذلك يمكن التوصية بضرورة الحملات الإعلامية المستمرة على المدى الطويل ، أو الدورية على الأقل ، الداعية إلى تنظيم الإنجاب ، مع مراعاة :

1 - إمكانية استخدام منابر المساجد في هذه الحملات . فهذا الأمر يحقق :

أ - وصول الرسالة إلى أغلب السكان في الريف .

ب - الإقناع بعدم تعارض تنظيم الإنجاب مع المعتقد الديني .

2 - توفير وسائل تنظيم الإنجاب وبأسعار زهيدة ، وكذلك خدمات استخداماتها إلى أغلب السكان في الريف اليمني .

4 - **الجداول .**

الجدول رقم (1) : التوزيع العمري النوعي العددي والنسبي تعداد 2004 م

الفئة العمرية	عدد السكان			نسبة السكان (%)		
	ذكور	إناث	إجمالي	ذكور	إناث	إجمالي
- 0	1501298	1436849	2938147	15.0	14.9	14.9
- 5	1567172	1487392	3054564	15.6	15.4	15.5
- 10	1513478	1355285	2868763	15.1	14.0	14.6
- 15	1264913	1211237	2476150	12.6	12.6	12.6
- 20	965999	925662	1891661	9.6	9.6	9.6
- 25	729636	741437	1471073	7.3	7.7	7.5
- 30	487497	479480	966977	4.9	5.0	4.9
- 35	430521	477260	907781	4.3	4.9	4.6
- 40	354770	373041	727811	3.5	3.9	3.7
- 45	283611	301099	584710	2.8	3.1	3.0
- 50	254737	244090	498827	2.5	2.5	2.5
- 55	150106	137360	287466	1.5	1.4	1.5
- 60	170406	154213	324619	1.7	1.6	1.6
- 65	96560	86521	183081	1.0	0.9	0.9
- 70	114141	104478	218619	1.1	1.1	1.1
- 75	50940	43129	94069	0.5	0.4	0.5
- 80	51584	48225	99809	0.5	0.5	0.5
+ 85	42250	36531	78781	0.4	0.4	0.4
غير مبين	7334	4919	12253	0.1	0.1	0.1
إجمالي	10036953	9648208	19685161	100	100	100

- المصدر : الجهاز المركزي للإحصاء (ديسمبر 2006) النتائج النهائية للتعداد العام للمساكن والسكان والمنشآت ، ديسمبر 2004م ، التقرير الثاني ، الخصائص الديموجرافية للسكان ، صنعاء ، الجدول (10) ، ص 115 .

الجدول رقم (2) : التوزيع العمري النسبي النوعي المصحح - تعداد 2004 م

حسب نموذج التصحيح

الفئة العمرية	نموذج معادلة الدرجة الثانية (العلاقة رقم 14)			النموذج اللوغاريتمي (العلاقة رقم 15)		
	ذكور	إناث	إجمالي	ذكور	إناث	إجمالي
- 0	17.23065	16.81496	17.01331	19.87472	19.59527	19.71668
- 5	15.01793	14.73264	14.86788	13.82568	13.66679	13.73582
- 10	12.96331	12.79272	12.87252	11.01304	10.91020	10.95488
- 15	11.06680	10.99523	11.02724	9.16040	9.09448	9.12312
- 20	9.32838	9.34014	9.33204	7.77664	7.73831	7.75496
- 25	7.74807	7.82748	7.78692	6.67174	6.65542	6.66251
- 30	6.32585	6.45722	6.39187	5.75193	5.75394	5.75306

4.97402	4.98172	4.96400	5.14690	5.22939	5.06174	- 35
4.29263	4.30629	4.27484	4.05201	4.14396	3.95573	- 40
3.68712	3.70608	3.66243	3.10720	3.20095	3.00782	- 45
3.14226	3.16600	3.11136	2.31246	2.40036	2.21801	- 50
2.64701	2.67508	2.61046	1.66780	1.74218	1.58630	- 55
2.19308	2.22513	2.15136	1.17322	1.22642	1.11269	- 60
1.77410	1.80982	1.72761	0.82872	0.85307	0.79719	- 65
1.38508	1.42420	1.33415	0.63429	0.62214	0.63978	- 70
1.02201	1.06432	0.96694	0.58994	0.53362	0.64048	- 75
0.68165	0.72693	0.62270	0.69567	0.58751	0.79928	- 80
0.40000	0.40000	0.40000	0.40000	0.40000	0.40000	+ 85
0.10000	0.10000	0.10000	0.10000	0.10000	0.10000	غير مبين
100	100	100	100	100	100	إجمالي

الجدول رقم (3) :

القيم الاكثر قبولاً لمعايير المفاضلة بين نماذج التصحيح تعداد 2004 م

النموذج	المعيار	
	r	I
معادلة الدرجة الثانية (العلاقة رقم 14)	0.98	18.3
اللوغاريتمي (العلاقة رقم 15)	0.94	14.66

5 - **الأشكال .**

الشكل رقم (1) : التوزيع العمري النسبي المسجل - تعداد 2004 م

حسب النوع

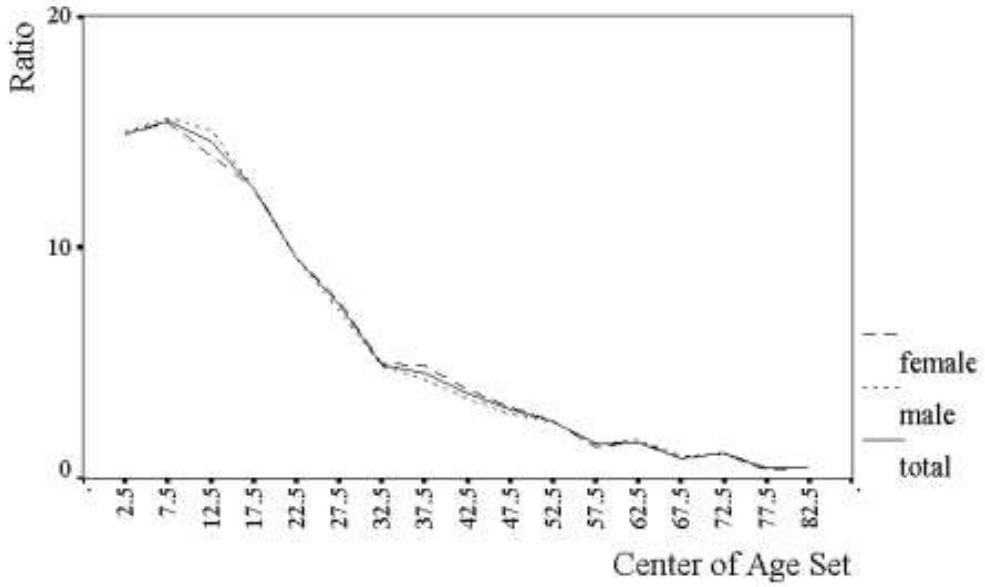

الشكل رقم (2) : التوزيع العمري النسبي المصحح بالنموذج الاول - تعداد 2004 م

حسب النوع

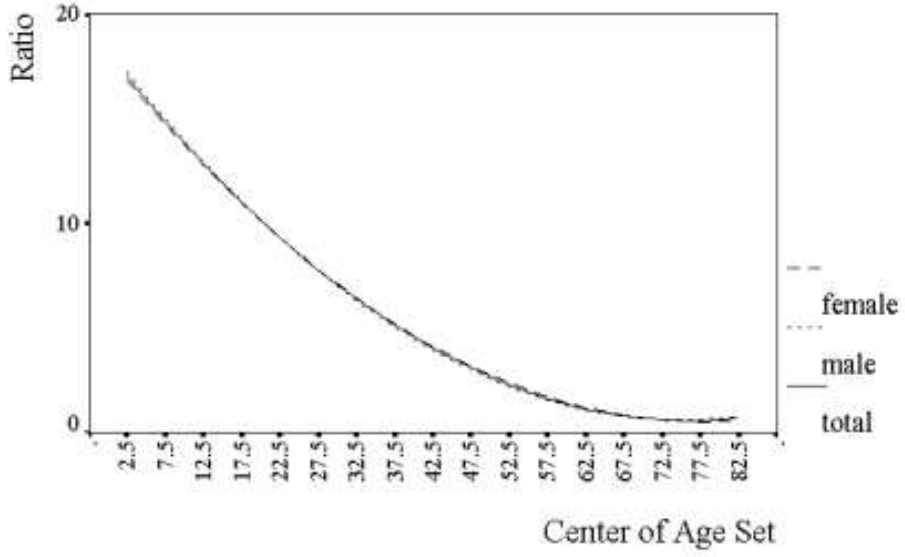

الشكل رقم (3) : التوزيع العمري النسبي المصحح بالنموذج الثاني - تعداد 2004 م حسب النوع

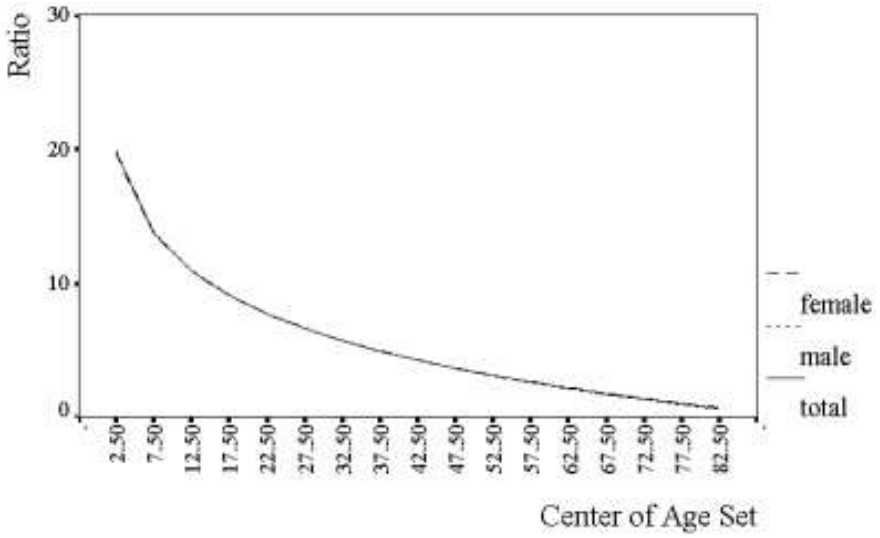

الشكل رقم (4) : التوزيع العمري النسبي الاجمالي المسجل والمصحح - تعداد 2004 م

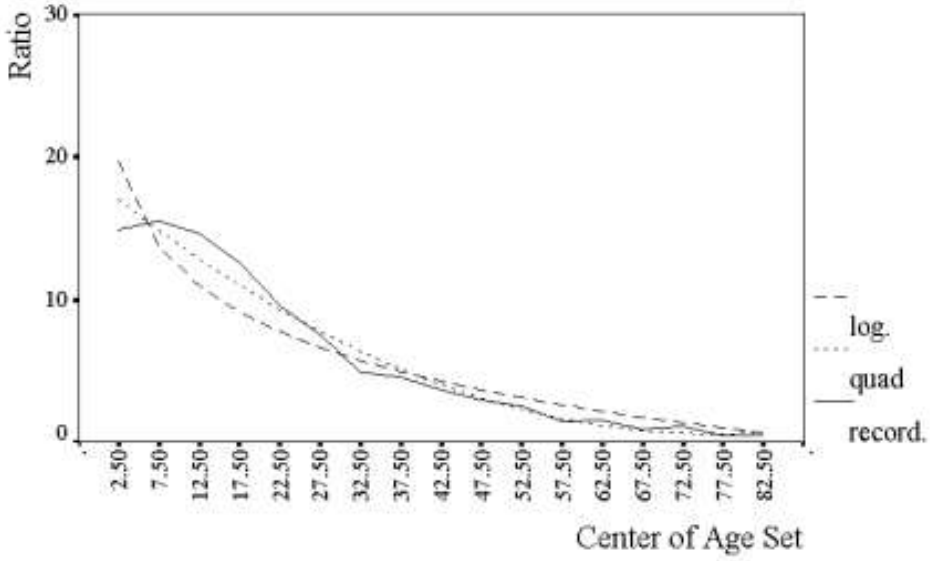

6 - **المراجع .**

- **الجهاز المركزي للإحصاء (ديسمبر** 2006) . النتائج النهائية للتعداد العام للمساكن والسكان والمنشآت ، ديسمبر 2004م ، التقرير الثاني ، الخصائص الديموجرافية للسكان . صنعاء .

- **عبدالغني** ; محمد عبدالغني **وأخرون** (1991) . مشروع تقييم البيانات السكانية مع التركيز على تعداد

1986 – التقرير النهائي. معهد الدراسات والبحوث الإحصائية ، جامعة القاهرة ، القاهرة .

– **عودة**; أحمد (1411 هـ – 1991 م) . مقدمة في النظرية الإحصائية ، جامعة الملك سعود ، الرياض.

– **كنجو** ; انيس اسماعيل – **الواصل** ; إبراهيم بن عبدالعزيز (1425 هـ – 2004 م) . طرق رياضية للإحصائيين. جامعة الملك سعود . الرياض .

- Central Statistical Organiazation (1998) . Demographic and Maternal and Child Health Survey 1997 " Sana'a .
- Khorazaty ; M. N. (1999) . Family Planning in Arab Contries on the Eve of 21st Century . Arab Conference on Maternal & Child Health , Cairo 7-10 June 1999 , League of Arab States , Population Research Unit .
- Koutsoyiannis; A. (1987) " Theory of Econometrics : An Introductory Exposition of Econometrics Methods " Second Edition , Macmillan , London .
- Neter; John & Wasserman; William (1996) " Applied Linear Statistical Models : Regression , Ananlysis of Variance and Experimental Designs " Richard D. Irwin ,Inc . Georgetown , Illinois .

Statistical Models for Correcting Population Age Distribution in Yemen

Abstract

The population age distribution is one of the most important inputs for development planning and strategies preparing . By using 13 models , this study aims to correct the recorded age distribuiton in the 2004 census of Yemen . The acceptted model explains that more than 55% of population are aged less than 20 . So , the population growth rate will stay in high levels for many next years .

دور مصـــرفي الثورة اليمنية
1962ـ1967م
دراسة تاريخية

د/ عبد الوهاب آدم العقاب
أستاذ التاريخ اليمني المشارك – كلية الآداب – جامعة إب

الملخص :

يمكن القول بأن المتغيرات السياسية في اليمن في الفترة1962 -1967م، كانت فترة حاسمة من النضال والدفاع المستميت من أجل الثورة وكان لعبد الناصر، الدور المميز والكبير في درء أخطار المتهالكين على استثمار الحرب الأهلية اليمنية، لاستبقاء اليمن على هامش التاريخ.. ولولا الدور القيادي للزعيم جمال عبد الناصر، ودعمه العسكري، لما طال عمر الثورة بل كان مقدراً لها أن تموت بين فكي المنظومة القبلية المتدثرة بفكرة الإمامة، والنظام السعودي بوجه خاص الذي حارب الثورة بماله وعتاده.

وكان من نتائج ذلك النضال العظيم والكريم الذي قدمته، مصر في عهد عبد الناصر، لليمن لا يقدر بثمن، والذي ضحت مصر بفلذات أكبادها، إيمانا صادقا، بفكرها القومي العروبي، الذي مازال أبناء اليمن يتنسمون عبيرها الخلاق. خلق هذا النظام جسورا بين اليمن، والعالم، وتمكن اليمنيون من الانخراط في المشاركة في العلاقات بينهم وبين العالم من حولهم..

لقد عاشت اليمن فترة أمل ونهوض تعليمي وعمراني خلال فترة النضال ثم حصل انكسار ثوري تمثل ذلك بحركة الخامس من نوفمبر1967م، عندما تصالحت القوى المحافظة في الصف الجمهوري مع القوات الملكية التي ناهضت الثورة طوال سبع سنوات، وزاحمت هذه القوى المحافظين، وفرض النظام السعودي آلية جديدة تمثلت بدعم غير مسبوق للقوى الملكية، وأدى ذلك إلى حصار صنعاء، لمدة سبعين يوما، ثم انتكست القوى الملكية وحقق الشباب الثوار الانتصار..

إلا أن مخالب الماضي، وقوى الحقد داخل الصف النوفمبري، قام بتصفية هؤلاء الشباب في اغسطس1968م، وتم استدراج من تبقى منهم أواخر عام 1969م، وتصفيتهم، وكان آخر هؤلاء المناضلين، الشيخ أحمد عبد ربه العواضي، الذي كسر حاجز الطوق في حصار صنعاء.. ومع ذلك فأن اليمن حقق تقدماً مشهوداً رغم أنف أعدائه بفضل أبنائه المخلصين. ولم يكن عبد الناصر بعيدا عن الأحداث التي تلت انسحاب قواته من اليمن، فقد أرسل معدات حربية أثناء حصار صنعاء وحرص على متابعة الأحداث بنفسه خوفا من تكالب القوى الرجعية على ثورة سبتمبر التي ارتوت بدماء مصرية ويمنية، ونجحت القوات اليمنية في ردع قوى البغي والارتداد مستلهمة من عبد الناصر، الإرادة والصمود..//

المقدمة:-

تولى الإمام احمد مقاليد الحكم في اليمن بعد مقتل والده الإمام يحي حميد الدين..وحاول أن يتخذ نمط سياسي مختلف عن والده.. إلا أن ذلك النمط السياسي القائم على الديكتاتورية الصلفة، دفعت الكثير من المثقفين إلى القيام بنشاط معارض للنظام الحاكم.. ولم تكن مصر عبد الناصر في غياب عن الساحة اليمنية، ونجحت المعارضة اليمنية عام 1955م في تغذية الخلاف داخل الأسرة الحاكمة، لان العرش كان مطمح كل أبناء الإمام يحيى منذ بداية الخمسينات.

وأيدت المعارضة محمد احمد حميد الدين، وترشيحه لولاية العهد على حساب أعمامه الطموحين حيث أدى ذلك إلى أن يسرع ثلاثة من الأمراء" سيوف الإسلام" بزعامة الأمير عبد الله إلى تدبير انقلاب فاشل عام1955م.

وكان الانقلابيون مرتبطين بقوى رجعية بريطانية وأمريكية، لذلك انحازت جبهة الأحرار المعارضة بالقاهرة إلى البدر، وأذاع محمد محمود الزبيري(ابرز أعمدة قوى المعارضة)، من إذاعة صوت العرب من القاهرة بيانا حث فيه كل اليمنيين على تأييد جهود محمد احمد حميد الدين الرامية إلى محاولة إنقاذ والده.وأرسل عبد الناصر وفدا مصريا إلى الإمام احمد، برئاسة حسين الشافعي، هنأ ه بالنصر الذي حققه ضد الانقلابيين..وكان إمام الانقلابيين من مؤيدي حلف بغداد، وعلى علاقة جيدة بالمندوب السامي البريطاني بعدن.

أن الحركة التي قضى عليها الإمام احمد، لم يكن لديها مسوغ سياسي مشروع، مع أنهم كانوا قادرين على أن يكون لهم مشجب يعلقوا عليه أخطاء النظام الحاكم.. لذلك لم تحظ بشعبية سواء من العامة أو المثقفين.

وقد قدم الإمام احمد، عندما قابل الوفد المصري الشكر والامتنان لموقف مصر عبد الناصر، وإذاعة صوت العرب، من الانقلاب.. وانه كان يغتبط بتعليقات" احمد سعيد" وتنديدات" محمد محمود الزبيري"، بالانقلاب والقائمين به، وتأييدهم لابنه" البدر"والسؤال الذي نطرحه هنا هو: هل كانت حركة1955م مصرية الإخراج والإعداد كما يرى بعض الباحثين؟ أم أمريكية الاتجاه والتخطيط كما روج لها آخرون؟ أم هي وليدة أبعاد سياسية داخلية أسرية وخارجية أمريكية وبريطانية؟.و يرى الباحث أن التنافس الأسري الداخلي والمرتبط با لاماني في الدعم الخارجي الأمريكي والبريطاني هو الذي يشير من بعد، إلى قبول الإمام عبد الله بدليل محاولته الاتصال بالحكومة البريطانية بدعمه عسكريا لولا رفض العسكريين ذلك.

وفي مواجهة أي موقف أوروبي من خلال حلف بغداد أجريت اتصالات بين كل من اليمن والسعودية ومصر في ابريل1956م وتم عقد مؤتمر قمة ثلاثية في مدينة جدة بالمملكة السعودية. وتبلور المؤتمر على بحث المسائل التي تهم الدول الثلاث..وفي الجلسة الأخيرة من المباحثات، استعرض الإمام احمد،

والرئيس جمال عبـــــد الناصر الموقف العربي كله.. وكذلك الموقف العسكري.. وتم التفاهم على إقامة ميثاق ثلاثي يضم اليمن والسعودية ومصر.تلك الاتفاقية العسكرية جاءت في ظروف كانت اليمن المستفيدة منها بحكم بنيتها العسكرية الضعيفة وتهديدات القوات البريطانية لها على الحدود.. وإسقاط دور المعارضة في مصر من خلال تفعيل الدور اليمني في المشاركة السياسية العربية لاحتواء دور المعارضة في الداخل أو التقليل من فاعليتها.

ونتيجة أن اليمن كانت تعيش على هامش القرن العاشر الميلادي، فقد حاول الإمام احمد، الالتحاق باتحاد مصر مع سوريا عام 1958م، وفق مفهوم أن تبقى اليمن محتفظة بسياستها الداخلية والخارجية، ولم ترض المعارضة بالأدوار التي حاول الإمام احمد، القيام بها لأنها كانت محاولة امتصاص لادوار المعارضة.لذلك كان للشباب العسكريين القيام ببناء تنظيم الضباط الأحرار برعاية سرية من قبل عبد الناصر ابتداء من عام1961م وحتى قيام الثورة اليمنية1962م.

وينقسم البحث إلى ثلاثة محاور: -

المحور الأول:- إعلان الثورة اليمنية وأهدافها.

المحور الثاني: -يناقش المرتكزات الأساسية لبناء اليمن الجديد، من خلال الجانب التعليمي والعسكري، والجانب الاجتماعي والوعي الوطني.

المحور الثالث: - دور عبد الناصر في الدفاع عن الثورة اليمنية.

وينتهي هذا البحث، بخاتمة، توضح نتائج البحث..

عبد الناصر.. والثورة اليمنية
1962-1967م

إن ثورة 26سبتمبر1962م التي أطاحت بالنظام الحاكم في اليمن لم تكن ضد أسرة حاكمة بقدر ما كانت ضد نظام قميء ومتخلف يرفض التغيير إلى الأفضل، ومعظم الذين قاموا بالثورة اليمنية هم من الهاشميين المستنيرين، وكان لهم دور نضالي كبير في قيام الثورة والدفاع عنها، وحصدت الحروب معظمهم.. فلم تكن الثورة قحطا نية ضد العدنانية كما كان يحلو لبعض الكتاب تسميتها و منهم" البيضاني" الذي تلحف برداء الثورة والنضال وما هو منهم.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو..من أشعل هذه الثورة التي أخرجت اليمن من عهود القرون الوسطي إلى القرن العشرين؟ هذا ما سنجيب عليه في بحثنا هذا لتوضيح الحقائق.

المحور الأول:- إعلان الثورة وأهدافها.

في منتصف عام1959 م سافر الإمام احمد إلى ايطاليا للعلاج، وترك الساحة لولي عهده محمد البدر، وتحركت القبائل تطالب منحها حق المشاركة في الحكم وتبنت اجتماعات، أدارها رؤساءهم من المشايخ، واضطر ولي العهد محمد البدر، أن يقدم لهم بعض التنازلات وان يرضي المعارضة كذلك بتقديم برنامج

إصلاحي، وتمثل بإصلاحات مالية وإدارية، وأبرزها زيادة المرتبات للعسكريين بشكل عام بواقع25٪ وانعطافا نحو المضي قدما باليمن فقد أعلن عن تشكيل تنظيم سياسي يسمى" منظمة الشباب" تكون تابعة للإمام، وكذلك تشكيل" حرس خاص "بولي العهد، تقوم البعثة المصرية بتدريبهم، [1]وانعكست هذه الرؤية الإصلاحية على القوى المعارضة بشيء من الارتياح. مما أثار ضغينة الأمير الحسن وأنصاره. وولدَ قلقا لدى أصحاب الاتجاه الراديكالي الحسني، وكان بالساحة ثلاث قوى.

الأولى: - هم البدريون الإصلاحيون ومنهم بعض قوى المعارضة سرا، كالقاضي احمد السياغي، نائب الإمام في تعز، والقاضي عبد الرحمن الارياني، وكان النعمان ينظر بعين الرضا لهذه المشاريع المزمع القيام بها من قبل تلميذه، محمد البدر.

الثانية: - هي القوى الراديكالية الممثلة بالأمير الحسن وأنصاره وهم أصحاب اتجاه اتحاد القوى الشعبية- بيت الوزير وأنصارهم -.

الثالثة: - هي القوى الشابة التي بدأت تؤطر مواقفها بشكل معاصر وتنظر للتركيبية السياسية كسرطان يجب اجتثاثه عن طريق مغامرة انقلابية تقضي على القوتين الأخريين وإقامة النظام الجمهوري.

وفي صيف1962م تحركت الطلائع الطلابية، والخريجون محليا وخارجيا' [2]في مظاهرة تطالب بتحديث المناهج وتحسين التعليم.[3]، ورفع الطلاب صور جمال عبد الناصر، ومروا بها في شوارع صنعاء، وحطم الطلاب زجاج مبنى وزارة المعارف، وفي تعز أصر الطلاب على البقاء داخل أسوار المدينة[4]، وفي إب تم قمع المظاهرات بالاعتقالات، بنفس الأساليب الإجرائية التي تمت في صنعاء وتعز.

وبوفاة الإمام احمد، في19سبتمبر1962م أعلن الإمام الجديد محمد البدر، في خطاب ألقاه في الجامع الكبير بصنعاء، بأنه سينهج سياسة والده، وانه سيضرب بلا هوادة كل من تسول له نفسه مناهضة حكمه، مهددا بذلك" عمه الحسن وأنصاره"، والمنافسين له على السلطة.

وفي خطاب التتويج أعلن البدر عن برنامجه الإصلاحي لتطوير البلاد، حيث أكد انه سوف يعمل بحزم مطلق من اجل مساواة الحقوق بين المواطنين. وأعلن البدر نفسه رئيسا للوزراء.[5]

وفي يوم السادس والعشرين من سبتمبر تسابق كل من الضباط الأحرار، وأنصار الحسن للاستيلاء على السلطة. ونجح العسكريون في ثورتهم، في حين اخفق أنصار الحسن.

وأعلنت إذاعة صنعاء أن الثورة قامت ضد الحكم الإقطاعي الاستبدادي الذي مارسه بيت حميد الدين، وأنها تستهدف تحقيق الوحدة العربية والإصلاح الاجتماعي.[6]

في نفس الوقت كان الأمير الحسن شقيق الإمام احمد وعم الإمام البدر، قد غادر" نيويورك"، عند وقوع الثورة- وكان مندوبا لليمن لدى الأمم المتحدة - ولجأ إلى السعودية واعترف به الملك سعود إماما لليمن في المنفى. وأعلن عن حكومة إمامية في المنفى في الأسبوع الأول من شهر أكتوبر عام 1962م إلا أن وصول

البدر إلى السعودية، دفع الحسن إلى الإعلان عن ولاءه للبدر إماما..وشكلت حكومة برئاسة الحسن[7] بينما أذاعت حكومة الثورة بصنعاء بيانا هاما صدر عن مجلس قيادة الثورة في 27سبتمبر1962م تضمن معالم السياسة الداخلية والخارجية[8] كما تضمن البيان السياسي الإطار التنظيمي للجمهورية، والأهداف التي تعالج الشؤون الداخلية بالقضاء على الحكم الفردي المطلق ، والقضاء على النفوذ الأجنبي الاستعماري في جنوب اليمن، وإنهاء الحكم الملكي، وإقامة حكم جمهوري ديمقراطي إسلامي، ثم اختصرت الأهداف إلى ستة معالم هامة تمثلت بالآتي: -

1 -التحرر من الاستبداد والاستعمار ومخلفاتهما، وإقامة حكم جمهوري عادل، وإذابة الفوارق والامتيازات بين الطبقات.

2 - بناء جيش وطني قوي لحراسة البلاد وحماية الثورة ومكاسبها.

3 - رفع مستوى الشعب اقتصاديا وسياسيا وثقافيا.

4 - إنشاء مجتمع ديمقراطي تعاوني يستمد من روح الدين الحنيف.

5 - العمل على تحقيق الوحدة الوطنية في نطاق الوحدة العربية.

6 - احترام مواثيق الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية، والتمسك بمبدأ التعايش السلمي بين الأمم.

وتشير معلومات احد الباحثين[9]، أن فروع تنظيم الضباط الأحرار في المدن اليمنية قد تحركوا بسرعة في السيطرة على المؤسسات الحكومية وخاصة في مدينة" حجة"وتم القبض على نائب الإمام والعناصر المؤيدة له، وتم الإفراج على المعتقلين السياسيين من عهد الإمام احمد.. كما تم قطع خطوط المواصلات لمنع لجوء البدرالى معتقل أنصاره في " حجة" وبالتالي فقد أرغم على تحويل اتجاهه نحو المملكة السعودية.

وأعلنت صنعاء عن تشكيل مجلس الثورة وتشكيل محكمة الشعب، من ثلاثة ضباط عسكريين[10].

وفي القاهرة أصدر الطلاب بيانا ناشدوا فيه الشعب اليمني أن يساند الثورة، ويقف إلى جانب الجيش وتحدث" احمد بهاء الدين "بحماس في جريدة أخبار اليوم[11] حيث قال: - "بان انفجار ثورة وإقامة جمهورية في الجزيرة العربية، نذير حاسم للملك سعود، فهو صاحب مصلحة في إخماد نار الثورة في اليمن".

وتشير بعض المعلومات، [12] إلى أن الذين قاموا بالثورة هم مجموعة شبابية عسكرية متأثرة بالفكر الناصري، واهم ملامح البعد القومي للثورة اليمنية هو انفتاح اليمن الكامل على الواقع العربي وقضاياه وأنظمته المختلفة بعد سقوط نظام الحكم الأمامي.

وترتب على اعتراف الجمهورية العربية المتحدة بالجمهورية العربية اليمنية، قراراً خطيراً لأول مرة يتخذ في تاريخ العلاقات العربية ببعضها، وهو تلبية طلب القيادة العسكرية في اليمن من مصر، تقديم مساعدة عسكرية وفنية[13].

وقدمت مصر عبد الناصر منذ البداية مساعدات مالية وعسكرية لليمن..والملاحظ أن مصر كانت هي أول دولة عربية تعترف باليمن الجمهوري، وأرسلت صنعاء برقية باسم قيادة الثورة إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر، تبلغه فيها عن سقوط النظام الملكي، وإعلان الجمهورية.. وجاء في البرقية الجوابية للرئيس جمال عبد الناصر، الموجهة إلى الزعيم السلال، أن شعب مصر يتتبع باهتمام فائق تطور الأحداث العظيمة في اليمن، ورغبة الشعب والجيش في بناء حياة جديدة على الأرض اليمنية تليق بكرامة الإنسانية والشرف.(14)

وأعلنت مصر أن الثورة في اليمن تتعرض لغزو عسكري من وراء الحدود، وان مصر ستسحق أي عدوان خارجي ضد الثورة اليمنية.(15)

وفي الحادي عشر من شهر نوفمبر1962م، تم عقد اتفاق الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية اليمنية والجمهورية العربية المتحدة، وبمقتضى هذا الاتفاق تشكلت قيادة مشتركة

وجاء في نص الاتفاق على النحو الأتي: -

"..تعتبر الدولتان كل اعتداء مسلح على أية دولة منها، أو على قواتها اعتداء عليها، ولذلك فانه عملا بحق الدفاع الشرعي الفردي أو الجماعي على كيانها تلتزمان بأن تبادر كل منها إلى معونة الدولة المعتدي عليها وان تتخذ على الفور جميع التدابير وتستخدم جميع ما لديها من وسائل بما في ذلك استخدام القوات المسلحة كما يقضي بتأليف مجلس أعلى، ومجلس حربي، ويختص المجلس الأعلى بوضع التوجهات العليا للسياسة العسكرية..أما المجلس الحربي فيختص بتقديم التوصيات فيما يتعلق بالخطط الدفاعي، واستخدام القوات المسلحة في العمليات الحربية المشتركة، ومدة الاتفاق خمس سنوات، يجدد تلقائيا لمدة خمس سنوات أخرى.ما لم تخطر إحدى الدولتين الأخرى بعدم رغبتها في تجديده قبل إنتهاء المدة بعام واحد." (16)

و بهذه المعاهدة وضع الإطار القانوني لوجود القوات المسلحة المصرية، التي استمرت في اليمن حتى اكتوبر1967م(17) لكي تكون مصر عبد الناصر قد وفت بالتزامها تجاه الثورة بما وقعته من اتفاق كانت مدته خمس سنوات تنتهي في نوفمبر 1967م.

وقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحصول على التزام معلن بالتعهدات الدولية، وإعادة العلاقات الودية بين اليمن وجيرانها وبذلك تعترف الولايات المتحدة الأمريكية فورا بجمهورية اليمن.(18) وجاء ذلك في رسالة بعث بها" جون كندي" لعبد الناصر". ورد عبد الناصر، على كيندي، برسالة أوضح فيها قبوله دون تردد.. وفي 18 ديسمبر أصدرت الحكومة اليمنية بيانا التزمت باقتراحات كيندي، وعقب ذلك صدر من القاهرة بيانا يؤكد ما جاء بالبيان اليمني.(19)

مما سبق يمكن القول إن الأقدار التي مكنت اليمن من النهوض من سباته المفروض عليه من قبل نظام كان

يتناغم مع القرن العاشر الميلادي، وبنفس القياس الجانب الإداري الرتيب، ولذلك كانت الضرورة المنطقية لدى مجاميع شبابية يمنية آمنت بمبدأ التغيير، وحملت رؤوسها على اكفها، وأعلنت الثورة كمغامرة لم يكن بالحسبان نجاحها لولا تدخل مصر عبد الناصر بمد يد المساعدة للنهوض بالثورة اليمنية، وقد مت مصر خيار رجالها كما قدمت المال والخبرات الإدارية لانتشال اليمن من كبوتها..

المحور الثاني:ـ بناء اليمن الجديد:-

يكاد البناء الاجتماعي لشطري اليمن أن يكون متقاربا رغم المؤثرات الاجتماعية التي أفرزها الاستعمار البريطاني في اليمن الجنوبي، فقد بقيت التقسيمات الإجتماعية متقاربة ومتماثلة مع اليمن الشمالي، إلا أن اليمن الشمالي فرضت عليه تكويناً طبقية بحكم النظام الحاكم فيه، ويبدو أن الموقع الجغرافي لشطري اليمن عكس تأثيراته أيضا، على البناء الاجتماعي في كل شطر على حده، فالقبيلة في شمال اليمن أو جنوبه تعتبر امتدادا تاريخيا، متضمنة في إطارها نزعات قرابية وعصبية وكان من مهام الثورة في شمال اليمن في بداية مراحلها الأولى العمل على تخفيف وطأة الضغط القبلي من خلال وضع إطار تنظيمي. لذلك أصدرت القيادة السياسية قراراً حدد مهام واختصاصات وزارة شؤون القبائل التي تمارس سيطرتها عن طريق لجنة مركزية لها اختصاصات تتمثل في الإشراف على مجالس الشيوخ في الجمهورية، ودراسة مقترحات مشاريع يخص شانها مع وضع خطط وبرامج لنشر الوعي بين القبائل.. كما تقرر إنشاء مجلس شيوخ في كل قبيلة، وفي كل محافظة أيضا على أن ينشأ في العاصمة مجلس أعلى للشيوخ. مع وجود مجالس فرعية في المحافظات، لكن الأعراف القبلية لم تتغير ولم تستطع الدولة فرض مركزيتها، وإزالة ركام التخلف من القبائل، فلم يتغير شيء مما خططت له الدولة منذ أيامها الأولى.

الجانب التعليمي:- من المألوف في القول إن التعليم هو القيمة الحقيقية للإنتاج الاقتصادي في حدود ما يضمن توفير متطلبات الإدارة المدنية والعسكرية من المؤهلين مهنيا، ومستخدمين في الجيش والشرطة الأقل تأهيلا، وما يتطلبه البنوك.. والأعمال التجارية الخاصة وكانت كلية بلقيس في عدن. تمثل مدرسة عليا متكاملة ذات اهتمامات تعليمية مختلفة.[20]

ففي اليمن الشمالي كانت أول بعثة تعليمية مصرية في عهد الإمام يحي، عام1945م. وأبرزهم(د/مصطفى الشكعة)و(د/ احمد فخري)والذي مثل اليمن في مؤتمرات الآثار خارج اليمن.وآخرين كثيرين.كما أوفدت اليمن إلى لبنان بعثة مكونة من أربعة وثلاثين طالبا دون المتوسط في المستوى التعليمي لإلحاقهم بمدرسة المقاصد الإسلامية بفرعيها في صيدا وطرابلس من اجل الاستزادة في المذاهب الشيعية وعلومها..وبعد حركة 1948م تم نقلهم إلى القاهرة نتيجة أزمة سياسية حدثت بين حكومة اليمن والحكومة اللبنانية بسبب منح لبنان حق اللجوء السياسي للفضيل الورتلاني ـ جزائري الجنسية ـ ، والذي ساهم في التخطيط في انقلاب1948م، ورفضت حكومة رياض الصلح تسليمه للإمام احمد.[21] وكانت البعثة الثانية في عهد الإمام يحي أيضا إلى القاهرة عام1948م، وبعثة عسكرية محدودة إلى العراق

عام1936م من بين أعضائها "عبد الله السلال" الذي تقلد منصب رئاسة الجمهورية اليمنية1962م وفي عام1954م أرسلت بعثة تعليمية في عهد الإمام احمد، إلى القاهرة للتعليم مكونة من خمسين طالبا، وتشير بعض المعلومات، [22] إلى أن عدد المبعوثين إلى خارج اليمن يزيد تعدادهم عن" ستمائة طالب" موزعين على النحو التالي[مصر318/الكويت20/ روسيا36/ الصين الشعبية76/ ألمانيا الشرقية 50/ تشيكوسلوفاكيا40/ هنغاريا6/ رومانيا 4/ ألبانيا 4/ يوغسلافيا20/ أمريكا الشمالية15/ ايطاليا25/ فرنسا25/ـ الاجمالي639طالبا ـ].

أما عدد المدارس في الشمال قبل الثورة هي الآتي:-

المدرسة الصناعية: - (1) – المدرسة الصحية، (1) – المدرسة الثانوية، لإعداد المعلمين، (1) – المدرسة الزراعية الثانوية، (1) – المدرسة الإعدادية، (1) المدرسة الثانوية، (3) – مدرسة التعليم العلمي(1). [23] كان هذا البناء التعليمي متواضعا قياسا بالمتغيرات الفكرية والعلمية في الساحة العربية لذلك تحمل عبد الناصر عبء ،إعادة النظر في البناء التعليمي بما يواكب الحدث الثوري والقرن العشرين، وتظافرت الجهود بعد قيام ثورة سبتمبر1962م.

كان لا بد من استعمال المنهج التعليمي التربوي المصري ابتداء من رياض الأطفال وحتى الثانوية العامة ومنحت الدولة معظم خريجي الثانوية العامة، منحا تعليمية خارج الوطن منذ 1963م وحتى عام1972م عندما بدأت جامعة صنعاء، وجامعة عدن، تستوعب كثيراً من خريجي الثانوية العامة بمالايزيد عن 20٪ لان انخراط أعداد كبيرة من الشباب في سلك التعليم العام، وعملت الدولة على تنظيمه ❖.

وتم إيفاد آلاف الطلاب من أبناء الشمال، والجنوب.. ووصل ما يقرب من أربعة آلاف طالب وطالبة منهم قرابة ألفي طالب إلى مصر وحدها، في مختلف التخصصات.[24] ووصل عدد المدرسين في التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي، في عام1983م إلى(2254 معلما يمنيا) اما الوافدين المعارين فقد وصل عددهم حوالي (16957) كلهم من دول عربية، وفي عام 1990م زاد عدد المعارين من المدرسين من الأقطار العربية الذين تحتاج إليهم اليمن إلى ستين ألف مدرس.[25]

وحقق عبد الناصر في اليمن إنجازات ضخمة في بناء القوات المسلحة والأمن في كل المستويات أضف إلى ذلك بعثت إلى مصر في مطلع عام 1963م كتيبتين للتدريب.

❖) كان الباحث احد الطلاب الذين استفادوا من التعليم منذ بداية الثورة السبتمبرية1962م ابتداء من المراحل التعليمية الأولى من الابتدائية وحتى نهاية مراحل التعليم العالي، وكان المصريون يقدمون للطلاب الأقلام والدفاتر، والكتب والملابس التي كانت موحدة والتي كان قبلا من الصعب الحصول عليها في تلك الأيام وخاصة الطلاب الغير ميسورين.. فكان عبد الناصر، لأمثالي في ذلك التاريخ، اسماً له نوع من القداسة، فقد توفرت لأمثالي كل سبل وسائل التعليم.. لقد كانت الثورة بالنسبة لي وأمثالي حياة جديدة، اشرأبت لها أعناقنا، فتلقفنا العلم بكل حب وإعظام لمصر عبد الناصر، الذي كنا نتباهى برسم صوره مع الزعيم السلال، وأحيانا كنا نتسابق لرسم صورة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، بأشكال متعددة، وخاصة عندما توفرت لنا دفاتر الرسم، والأقلام أملونه..ولن تمحى من الذاكرة تلك الأيام الجميلة البريئة..وقد أوجد المصريون، في تلك الأيام المبكرة، مركزا ثقافيا فيه مكتبه، واهم ما يتوفر فيه بعض الأدوات الرياضية البسيطة، فكنا أطفالاً لا يسمح لنا باللعب، ولكن بالمشاهدة لألعاب القوى .. وهكذا كان لعبد الناصر أعظم الأثر في نفسي منذ ذلك التاريخ../

ـ الجانب الاجتماعي والوعي الوطني:ـ

تعد القبيلة أهم مؤسسة اجتماعية في اليمن، فالقبيلة تقوم على وحدة القرابة بينما الدولة التي تضم جميع فئات الشعب تقوم على وحدة المكان والجوار، ويقوم على رأس القبيلة" شيخ" ويسري ذلك في كل ربوع اليمن شماله، وجنوبه، شرقه، وغربه.. والشيخ هو صاحب الكلمة العليا، بين أفراد القبيلة..وتنقسم القبيلة إلى عشائر، وبطون، وأفخاذ.. واتحادها القبلي لا يحكم وجوده نظام ثابت باعتبار أن للقبيلة نظاما عرفيا.يمنحها حرية البقاء أو الانسحاب، والقبيلة التي ترأس الاتحاد القبلي، تقوم إمكانيتها على مدى خضوع القبائل الأخرى لها.

والقبيلة في شمال اليمن أو جنوبه تعتبر امتدادا تاريخيا متضمنة في تاريخها نزاعات قرابية وعصبية.. وكان من مهام الثورة السبتمبرية، العمل بتوجيهات الزعيم عبد الناصر، بالتخفيف من وطأة الضغط القبلي. فوضعت نظاما، صدر به قرارا جمهوريا، حدد به مهام واختصاصات إنشاء وزارة شئون القبائل، ومن خلالها تم إنشاء لجنة مركزية، تتمثل في الإشراف على مجالس الشيوخ في الجمهورية، ودراسة مقترحات وضع خطط وبرامج لنشر الوعي الوطني بين القبائل، والعمل على تحقيق عمل نهضوى يحقق النفع لإفراد القبيلة، كما تقرر إنشاء مجلس شيوخ في كل قبيلة وفي كل محافظة أيضا على أن ينشأ في العاصمة مجلس أعلى للشيوخ، وأصدرت الدولة قرارا بقانون رقم/1/عام1962م.في شأن مجالس الشيوخ، نظم هذا القانون الكيفية التي يمكن من خلالها وضع القبائل تحت المجهر للدولة، ومن ثم تتمكن الدولة من رصد حركاتهم وإذابة العصبية التي ولدتها العزلة، ولكن الأعراف القبلية لم تتغير، ولم تتمكن الدولة من فرض مركزيتها، وإزالة ركام التخلف، من القبائل فلم يتغير شيء مما خططت له الدولة منذ أيامها الأولى.

المحور الثالث:ـ عبد الناصر والدفاع عن الثورة اليمنية:ـ

كان لعبد الناصر دور كبير في دعم وحماية الثورة اليمنية، وكانت الجمهورية اليمنية بحاجة ضرورية لهذا الدعم الذي عمل على إرساء الوضع الثوري فيها.

كانت اليمن تشكل صورة من صور التخلف في العالم، ترجمها" رالف بانش" بعد زيارته لليمن، أوفد ته الأمم المتحدة بالقول، ".. يا إلهي.. عندما رأيت الكونغو، رأيت جريمة الاستعمار.. ولكن عندما وصلت إلى اليمن آمنت بأن من سوء الحظ أنها لم تعرف ولو قدرا ضئيلا من الاستعمار".(26)

كان عبد الناصر يراقب عن كثب المستجدات التي يمكن لليمن أن تعيشه، بعد وفاة الإمام احمد ولم يكن متفائلا بالأمير البدر، رغم عواطف البدر قبل الثورة نحو عبد الناصر.(27)

وعند\ما قامت الثورة اليمنية تبين للثوار انه لا مفر من خوض معارك ضد القوى الأمامية مما دفع الرئيس السلال لإرسال طلب إلى الرئيس عبد الناصر، لتقديم المساعدة للثورة اليمنية. وبعد مناقشة الموضوع بين عبد الناصر، وعبد الحكيم عامر، وأنور السادات، قرر عبد الناصر إرسال قوات مصرية لدعم النظام الجمهوري اليمني، وعين عبد الحكيم عامر، مسئولا عن المجهود الحربي، والسادات، عن الشؤون

السياسية في اليمن.

ويشير الفريق أول محمد فوزي، [28] إلى انه ولشح المعلومات لدى القيادة السياسية المصرية اعد الرئيس عبد الناصر لجنة لدراسة المساعدات التي يمكن تقديمها لليمن برئاسة

أنور السادات. توجهت اللجنة إلى اليمن لدراسة الموقف. وعادت باقتراحات عسكرية تتمثل بدعم سريع بكتائب صاعقة، وسرب طائرات معونة لقذف قنابل وصواريخ واستطلاع جوي، كما أمكن استخدام النقل الجوي(اليوشين14) بعد تركيب حاملات نقل قنابل زنة (500 كيلوجرام) أيضا. ونجحت القوات المسلحة المصرية في نقل أفراد الصاعقة والطائرات والإمدادات إلى اليمن بعد أيام من قيام الثورة.

ويضيف احمد حمر وش، [29]".. إلى أن القوات المصرية التي توجهت إلى اليمن ارتبطت بعدة عوامل لم تكن محسوبة أو مدروسة، وكان جمال عبد الناصر، يجد في ثورة اليمن فرصة لإذكاء الروح الثورية والقومية العربية. وكذلك للخروج من أزمة الانفصال بين سوريا، ومصر، في عام1961م، وكسر حاجز العزلة بين مصر ومعظم الدول العربية."

ويوضح الرئيس جمال عبد الناصر، موقفه في خطاب سياسي ألقاه أمام جمع كبير من العسكريين والمدنيين، بالقول: -".. أنكم تعرفون الظروف التي قررت فيها الجمهورية العربية المتحدة التدخل عسكريا لمساعدة الشعب اليمنى، فقد جاء التدخل بعد مؤتمر شتورة، الذي عقد في آب1962م، عندما شنت القوى الانفصالية في سوريا بمساعدة القوى الرجعية والانهزامية والانعزالية في العالم العربي حربا مضادة على القومية العربية، وفي هذا الجو المرعب تفجرت الثورة في جزء من العالم العربي، حيث لم تكن متوقعة، والمعنى العظيم لهذا الحدث هو انه لم يكن في مقدور أية قوة مهما عظمت أن تكبت التطلعات المشروعة للشعب اليمني وتمكينه من تحمل مسؤوليته".[30]

وقد كلف التدخل المصري أعباءاً اقتصادية باهضة، ويشير الباحث الأمريكي(wenner.w. Manfred) ، ، [31] إلى أن التقديرات تشير إلى التكلفة اليومية التي كانت تنفقها الحكومة المصرية لقواتها المرابطة في اليمن بنحو مليون دولار، بينما مصادر أخرى ترى أن التكلفة اليومية كانت تتراوح ما بين (350،000) ونصف مليون دولار يوميا. وقد أشار الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه في عيد النصر السادس 23ديسمبر1962 م، عن الأرقام التي تقدر إنفاق مصر اليومي على الجيش المصري في اليمن بمليون جنيه من ألعمله الصعبة.. فقد أذاع البيانات المتعلقة بكل الرصيد المصري من ألعمله الصعبة، وقدرت بـ (130) مليون جنيه إسترليني وإنفاقها على مجالات مختلفة بحيث لا يبقى للشؤون الخارجية والمتنوعات الأخرى سوى سبعة مليون جنيه، ([32]".. إلا أن هذا الرقم والتقدير لايعتدبه لأنه قيل في معرض التخفيف من أعباء مصر المالية لسحب البساط من المعارضة المتزايدة، وقد أوضح الرئيس جمال عبد الناصر، فكرة تأييد مصر للثورة اليمنية بقوله: -"..كان واجبنا أن نؤيد ثورة اليمن وإحنا ما نعر فش مين الناس اللي قاموا

بثورة اليمن.. فأنا أيدت ثورة اليمن وأعلنت هنا في أول يوم بعد ثورة اليمن يوم 27سبتمبر أن إحنا نؤيد هذه الثورة بعد ما سمعنا البيان الأول ما كناش نعرف أسماء قادة الثورة، ما كانوش أعلنوا، كان التوقيع على البيان، القيادة العليا للثورة. إحنا إذن أيدنا مبادىء"[33].

وفي مناسبة أخرى أكد عبد الناصر، هذا المعنى مضيفا.." لقد أرسلت سرية إلى اليمن واضطررت إلى تعزيزها بسبعين ألف جنديا"[34] . ومن الملاحظ أن اليمن ممثلة بزعيمها عبد الله السلال وقع اتفاقاً للدفاع المشترك بين الجمهورية العربية اليمنية والجمهورية العربية المتحدة،[35] ، وجاء في الاتفاق الذي وقع بين السلال من جهة، والسيد أنور السادات عضو مجلس الرئاسة المصرية"..تعتبر الدولتان كل اعتداء مسلح على أي دولة منهما أو على قواتها اعتداء عليها. ولذلك فأنه عملا بحق الدفاع الشرعي الفردي أو الجماعي عن كيانيهما تلتزمان بان تبادل كل منهما إلى معونة الدولة المعتدي عليها، وان تتخذ على الفور جميع التدابير وتستخدم جميع ما لديها من وسائل بما في ذلك استخدام القوة المسلحة"[36]

على أن القوات المصرية وصلت في نهاية1962 م، إلى(1500) مقاتل، وحتى نهاية عام1963م، إلى حوالي(36000مقاتل) ثم تتابعت الزيادة لتصل في نهاية عام 1964م، إلى حوالي (خمسين ألفا)، حتى عام1965م إلى(خمسة وخمسون ألفا) [37]

إن التدفق المستمر للقوات المصرية إلى اليمن الجمهوري، تطلب إبرام اتفاق، بين البلدين لتبرير الوجود المصري في اليمن حيث عقدت اتفاقية في 10نوفمبر1962م، وسميت اتفاقية اتحاد وتعاون بين اليمن ومصر، وبموجب هذا الاتفاق، اعتبر كل من الطرفين أي هجوم على الطرف الآخر بمثابة هجوم عليه والتزام في مثل هذه الحالة تقديم كل ما يمكن من العون والمساعدة[38]

وفي الثالث والعشرين من ابريل1964م، ألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا هاماً ، في صنعاء، هاجم فيه، الاحتلال البريطاني في جنوب اليمن ويشير احد الباحثين[39] إلى أن عبد الناصر اعد خطة لمهاجمة القوات البريطانية في جنوب اليمن، واختار بنفسه الرجال الذين سيتولون العمل الفدائي، بغرض تخفيف الضغط على القوات المصرية الموزعة في مواقع المواجهة العسكرية في اليمن.وقد جاء في خطاب، عبد الناصر الموجه للقوات المسلحة المصرية في اليمن."..واليوم يتاح لي أن أرى بعيني ما كنت اتابعه بقلبي وفكري، يتاح لي أن التقي بكتائبكم، طلائع المستقبل العربي، ويتاح لي أن أرى مواقع معاركم، مواقع الحرية، ويتاح لي حيث تقدم الأبطال وحيث أرى الدور الحضاري الذي تقوم به طلائعكم بالتعاون مع الطلائع المجيدة للثورة اليمنية لكي يزاح الظلم والظلام عن آفاق هذا الوطن العربي الثائر الحر"[40].

لقد فرض الصراع العسكري في اليمن بين النظام الجمهوري، والمدعوم عسكريا وماليا من مصر عبد الناصر والقوى القبلية المتمردة الملكية، والمدعومة عسكريا وماليا من المملكة السعودية، والمملكة الأردنية الهاشمية، وقوى أجنبية أخرى على أن يكون للمنظمات الدولية والإقليمية جهودا في الفصل بين

المتحاربين، وعلى ضوء ذلك عقد مؤتمر قمة في (آركويت ـ في السودان)، بين الرئيس جمال عبد الناصر، والأمير فيصل آل سعود واتفق ممثلو الدولتين:ـ

1 - التعاون بين مصر والسعودية في حل الخلافات القائمة بين الأطراف المتنازعة في اليمن.

2 - توسط الدولتين في التهيئة للوصول لحل الخلافات القائمة في اليمن بالطرق السلمية.

3 - الاتفاق على التعاون المتبادل بين الدولتين في جميع الميادين.(41)

ويمكن القول إن أسلوب المحاكمات والأبعاد، أسفرت عن تصدع الصف الجمهوري، وبدأت المعارضة السرية تحيك خيوط مؤامراتها ضد النظام القائم.وكان الرئيس السلال، قد قام بتسريح حوالي مائة من كبار ضباط الجيش اليمني، ويعتقد أن سبب ذلك هو معارضتهم للإجراءات السياسية التي نفذها السلال، وكان الخلاص منهم أمرا يقتضي مصلحته وأنصاره. كما أصدر السلال، قرارا يقضي بتسريح ثلاثة وأربعين ضابطا، في وقت لاحق، وأحال عشرة من كبار العسكريين إلى التقاعد ونقل بعضهم من السلك العسكري إلى السلك المدني.(42)

وفي اكتوبر1966م عقد بين القيادات الملكية والقوة الثالثة، مؤتمرحضره مندوبين عن اتحاد الجنوب العربي من السلاطين والأمراء، وحزب الرابطة، واشترك ممثلون سعوديون لتشكيل جبهة ضد المصريين، إلا أن القوات الجوية المصرية قامت بهجوم مفاجيء على جيزان أدى إلى خسائر فادحة.

وسعت دولة الكويت، لأ يجاد حلول مناسبة، في السابع عشر من أغسطس عام1966م، وتم عقد اللقاء في العاصمة الكويتية، حضره كل من وزير خارجية الكويت وممثلي السعودية، والجمهورية العربية المتحدة، ، واستمر الاجتماع ثلاثة أيام، وتم الاتفاق في التاسع عشر من أغسطس على خطة سلام تقوم على أساس مقترحات قدمتها حكومة الكويت.(43) وهي مقترحات قدمت إلى كل من مصر والسعودية، بغرض مناقشتها والموافقة عليها وتتضمن الآتي:ـ

1 -تكوين حكومة انتقالية من الجمهوريين، والملكيين بأغلبية جمهورية، مع استبعاد أعضاء أسرة حميد الدين، تحكم البلاد، في فترة انتقالية، مدتها تسعة أشهر، وتسمى اليمن خلالها بدولة اليمن.(44)

2 -تسحب القوات المصرية خلال الفترة الانتقالية وتحل محلها قوات عربية مشتركة تظل موجودة لتشرف على الاستفتاء الشعبي.(45) بشأن مستقبل الحكم في اليمن.(46)، وأعلن الرئيس السلال، رفضه لفكرة إحلال قوات عربية مشتركة محل القوات المصرية.

والملاحظ أن المقترح الكويتي حاول أن يخضع الجانبين المتنازعين لسياسة توفيقية تقوم على اشتراك الجمهوريين، والملكيين، بأغلبية جمهورية في تكوين حكومة انتقالية مع استبعاد أسرة، حميد الدين، والأخذ برأي الأغلبية في استفتاء عام مباشر حول نظام الحكم الذي يريده الشعب، كما وافقت مصر

على الاستفتاء خلال الفترة الانتقالية، تحت اسم الدولة اليمنية وقبلت سحب قواتها بعد تسعة اشهر.[47] ووافقت المملكة العربية السعودية على إبعاد بيت حميد الدين، عن حدود المملكة السعودية، وطرأ خلاف حول مسألة الانسحاب والإبعاد، حيث أصر الجانب المصري على استبعاد بيت حميد الدين، نهائيا في المرحلة الانتقالية وما بعدها، بعد سحب نصف قواتها.. بينما رأى الجانب السعودي أن استبعاد بيت حميد الدين يتم بعد الجلاء النهائي للقوات المصرية من اليمن.

وانهار اتفاق الكويت نتيجة الخلاف في وجهات النظر، وفي السابع والعشرين من سبتمبر، أكد حسن صبري الخولي، الممثل الشخصي للرئيس عبد الناصر، في تصريح له من صنعاء، إن اتفاقية الكويت لا تزال سارية إلا أن مصر، ملتزمة بالدفاع عن اليمن الجمهوري.[48]

لقد كانت سياسة النفس الطويل التي أعلن عنها عبد الناصر، في مارس1966م، مرتبطة بالهجوم الملكي الذي بدأ في النصف الأول من عام1965م، وكان الهدف منها احتمال بقاء القوات المصرية في اليمن لفترة طويلة، من خلال تخفيض عدد القوات المصرية في اليمن، إلى اقل حجم ممكن، ويرتبط ذلك بتجميعها في مراكز قوية تمكنها من تفادي الآثار الضارة لحرب العصابات القبلية. وفي نفس الوقت توفر لها القدرة على توجيه ضربات مؤثرة ضد الأهداف الملكية. وبالفعل تمت تحركات واسعة للقوات المصرية خلال شهري مارس وابريل إلى مواقعها الجديدة، وفي الوقت نفسه بدأت وحدات من القوات المصرية المرابطة في اليمن بالعودة إلى مصر.[49]

وما أن حل عام1967م حتى حلت معه متغيرات سياسية كثيرة في الساحة العربية والإقليمية واليمن بوجه خاص.وفي يونيو1967م هجمت القوات الصهيونية الإسرائيلية بدعم أمريكي عسكري على مصر العروبة ودارت رحى الحرب، وكانت النكسة، القاسية لمصر العروبة، وعلى كل عربي مؤمن بعروبته، وانعكست أحداثها على الأحداث العسكرية في اليمن. وفي الأول من أغسطس67م، عقد وزراء خارجية الدول العربية في الخرطوم اجتماعا تمهيديا لعقد قمة عربية بالسودان، للتباحث في إزالة العدوان الإسرائيلي على البلاد العربية، وتقدمت باقتراح إحياء اتفاق " جدة" وإحالة الخلافات المتعلقة بتفسير هذا الاتفاق، إلى التحكيم أمام لجنة عربية ثلاثية.[50] وكان الانسحاب المصري، يعد بداية حصار اقتصادي ضد اليمن الجمهوري، فقد اتخذت الحكومة السعودية إجراءات صارمة لوقف التحويلات إلى اليمن، وأغلقت مكاتب" شولق"ـ كان الصراف اليمني الوحيد، يحمل الجنسية السعودية ـ وكانت تتم التحويلات عن طريقه، وكان لمصر عبد الناصر دوراً رئيسي، بالنسبة للوضع المالي، وموازنة الدولة، من خلال الاتفاقيات التي كان آخرها اتفاقية التسوية المالية، بين الجمهوريتين، المصرية، واليمنية.. تقدم مصر بموجبها الدعم والإنفاق على الجانب العسكري، بما في ذلك شؤون القبائل، وتموين العمليات العسكرية، ويتحمل الجانب المصري كل النفقات، وخاصة بدل السفر اليومي للوافدين، والتي تقدر ما بين(3 - 6) جنيه إسترليني

للفرد يوميا، وقدر حجم الإنفاق أثناء الوجود المصري 120 مليون جنيه مصري، و50 مليون جنيه إسترليني. كما وان مصر كانت تمنح البنك اليمني، 50 ألف جنيه إسترليني حر في البنك اليمني، يدفع للقوات المصرية بالريال إضافة إلى تصدير السلع الاستهلاكية بكميات كبيرة وحصيلتها تخصص للإنفاق على القوات المسلحة، كان مثل ذلك الدعم المالي يعزز ميزانية الحكومة اليمنية ويساعدها على تغطية الاستيراد للمواد الضرورية[51]، ومن الملاحظ أن الانسحاب المصري من اليمن كان قرارا اتفق عليه في مؤتمر الخرطوم، وان كانت الحكومة السعودية، تعد ذلك انتصارا لمطالبها، لكن المنظور السياسي المصري، كان يرى أن من أهم أسباب هزيمة يونيو1967م، هو سيادة بريطانيا على مضيق باب المندب، والجزر الإستراتيجية القريبة منه، لذلك عمل عبد الناصر، على دعم جبهة التحرير، في جنوب اليمن.. من اجل الاستقلال، والسيطرة على مدخل البحر الأحمر، والجزر التي تقع على مقربة من باب المندب. لتضمن مصر في حروبها القادمة ضد إسرائيل، التحكم العسكري في المضيق، من خلال قوات عربية أو يمنية.

الخاتـــــمة :

مما سبق يمكن القول إن المتغيرات السياسية في اليمن في الفترة1962 -1967م، كانت فترة حاسمة من النضال والدفاع المستميت من اجل الثورة وكان لعبد الناصر، الدور المميز والكبير في درء أخطار المتهالكين على استثمار الحرب الأهلية اليمنية، لاستبقاء اليمن على هامش التاريخ.. ولولا عبد الناصر، ودعمه العسكري، لما طال عمر الثورة بل كان مقدرا لها أن تموت بين فكي المنظومة القبلية المتدثرة بفكرة الإمامة، والنظام السعودي بوجه خاص الذي حارب الثورة بماله وعتاده.

وكان من نتائج ذلك النضال العظيم والكريم الذي قدمته، مصر عبد الناصر، لليمن لا يقدر بثمن، والذي ضحت مصر بفلذات أكبادها، إيمانا صادقا، بفكرها القومي العروبي، الذي مازال أبناء اليمن يتنسمون عبيرها الخلاق. خلق هذا النظام جسورا بين اليمن، والعالم،

وتمكن اليمنيون الانخراط في المشاركة في العلاقات بينهم وبين العالم من حولهم..

صحيح عاشت اليمن فترة أمل ونهوض تعليمي وعمراني خلال فترة النضال ثم حصل انكسار ثوري تمثل ذلك بحركة الخامس من نوفمبر1967م، عندما تصالحت القوى المحافظة في الصف الجمهوري مع القوات الملكية التي ناهضت الثورة طول سبع سنوات، وزاحمت هذه القوى المحافظين، وفرض النظام السعودي آلية جديدة تمثلت بدعم غير مسبوق للقوى الملكية، وأدى ذلك إلى حصار صنعاء، لمدة سبعين يوما، ثم انتكست القوى الملكية وحقق الشباب الثوار الانتصار..

إلا أن مخالب الماضي، وقوى الحقد داخل الصف النوفمبري، قام بتصفية هؤلاء الشباب في اغسطس1968م، وتم استدراج من تبقى منهم في اواخر1969م، وتصفيتهم، وكان آخر هؤلاء المناضلين، الشيخ احمد عبد ربه العواضي، الذي كسر حاجز الطوق في حصار صنعاء.. ومع ذلك أن اليمن

يتجدد رغم انف أعدائه بفضل أبنائه المخلصين.

.ولم يكن عبد الناصر بعيدا عن الأحداث التي تلت انسحاب قواته من اليمن، فقد ساهم بإرسال معدات حربية أثناء حصار صنعاء وحرص على متابعة الأحداث بنفسه خوفا من تكالب القوى الرجعية على ثورة سبتمبر التي ارتوت بدماء مصرية ويمنية، ونجحت القوات اليمنية في ردع قوى البغي والارتداد مستلهمة من عبد الناصر، الإرادة والصمود..//

والله ولي التوفيق..//

الهوامش

1 - صادق عبده علي: - الحركات الاجتماعية والسياسية في اليمن1918 -1967م، الإمارات العربية المتحدة، دار الثقافة العربية، ط1992،1م، ص139. انظر: - د/عبد الوهاب آدم: - تطور العلاقات اليمنية السعودية، 1948 -1970م، إصدارات جامعة عدن، 1998م، ص76.

2 - عبد الله البردوني: - اليمن الجمهوري، دمشق، مكتبة الكاتب العربي، ط1983،1م، ص428.انظر أيضا: - la monde paris,4 /9/1962.

3 - أيلينا جولوبوفسكيا: - - ثورة26سبتمبر في اليمن، ترجمة(قائد محمد طربوش)، بيروت، دار ابن خلدون، ط1982،1م، ص267.

4 - مجموعة من المؤلفين السوفييت: - تاريخ اليمن المعاصر1917 -1982م، ترجمة/محمد علي البحر، القاهرة، مكتبة مدبولي1991م، ص115.

ومن ضمن من تم اعتقالهم هم: عبد السلام صبرة، وعبد الرحمن الارياني، وعبد الغني مطهر.

Holen.d.farewell to Arabia, new York, 1966,p.94-95.

5 - بطرس بطرس غالي: جامعة الدول العربية وتسوية المنازعات المحلية، القاهرة، دار الطباعة الحديثة، مركز البحوث والدراسات العربية، 1977، ص107 -ص108.

6- Mgrms,Harold; the yemen,imams,rulers and revolutions, london'2',1963 p.132.

7 - د/صادق عبده علي: - الحركات السياسية والاجتماعية في اليمن 1918 -1967م، مرجع سابق، ص174 -ص175.

سعيد احمد الجناحي: - الحركة الوطنية اليمنية من الثورة إلى الوحدة، عدن، مركز الدراسات والنشر، ط1، 1992م، ص229.

8 - أخبار اليوم ـ العدد934 الموافق29 سبتمبر1962م ، ص.1

9 - أخبار اليوم29 سبتمبر1962م.

10 - مركز الدراسات والبحوث اليمني: ثورة26سبتمبر دراسات وشهادات للتاريخ(فردها اليدي: الثورة ولثورة المضادة) " ترجمة: محمد الرميحي" بيروت، مكتبة الجماهير، ط1982،1م، ص74 -ص75.

11 - د/ محمد سعيد العطار: - الخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، الجزائر، المطبوعات الوطنية، ط1، 1965م، ص303. ويشير المرجع إلى انه لولا ميناء الحديدة المعد حديثا، لكان على الثوار أن يلجأوا إلى استعمال ميناء عدن، لكانت الحكومة البريطانية قد طرحت موافقتها على بديل سياسي، مقابل استعمال ميناء عدن.

12 - ايلينا جولوبوفسكيا: - التطور السياسي للجمهورية العربية اليمنية1962 -1985م(ترجمة: محمد على البحر)، صنعاء مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط1، 1994م، ص30.

13 - عبد الله احمد الثور: - ثورة اتليمن1948 -1967م، بيروت دار ألهنا للطباعة، 1968م، ص136.

14 - نفس المرجع، ص135. وقد وقع الاتفاق عن الجانب اليمني—الرئيس عبد الله السلال، رئيس الجمهورية العربية اليمنية، وعن الجانب المصري، السيد انور السادات، انظر: الاهرام، العدد 27729/الموافق1962/11/11م.

15 - احمد صالح الصياد: السلطة والمعارضة في اليمن المعاصر، بيروت، دار الصداقة، ط1 ،1992م ،ص276.

16 - عبد الله الثور: ثورة اليمن، مرجع سابق، ص137.

17 - الأهرام (1962/12/19م).

18 - د/حمود ألعودي: - المثقفون في البلاد النامية، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1981م، ص.164

19 - د/حمود ألعودي: المرجع السابق، ص.167

20 - د/محمد سعيد العطار: - مرجع سابق، ص108 - ص109.

21 - د/ حمود ألعودي: مرجع سابق، ص193.

22 - الجهاز المركزي للتخطيط ـ صنعاء، كتاب الإحصاء، 1976م، ص151. ص159.

23 - د/حمود ألعودي، مرجع سابق، ص166.
24 - نظام شرابي: - أمريكا والعرب، السياسة الأمريكية في الوطن العربي، في القرن العشرين، لندن، رياض الريس، للكتب والنشر، ص166.
25 - نظام شرابي: مرجع سابق، ص168 . نقلا عن: مذكرات صلاح نصر، انظر : هيكل عبد الناصر والعالم، بيروت دار النهار، 1972م، ص292. حيث يشير هيكل إلى انه، بعد وفاة الإمام احمد، خلفه ابنه الأمير محمد البدر، الذي كان أبوه يستخدمه دائما في البعثات التي يوفدها إلى مصر..
26 - الفريق أول : محمد فوزي: - حرب الثلاث سنوات، 1967 -1970م،ج1، بيروت، دار المستقبل العربي، ط5، 1990م، ص23.. ويضيف: - وعضوية كل من : عبد الرحمن البيضاني، ومحمد محمود الزبيري، وهما من مؤيدي الثورة اليمنية، ومثل العسكريين كل من العميد على عبد الخبير، والعميد طيار مهندس احمد نوح، ومقدم من الصاعقة.
27 - احمد حمر وش: - قصة ثورة 23يوليو: عبد الناصر والعرب، القاهرة، مكتبة مد بولي، ط2، 1976م، ص228.
28 - فردها ليداي: مرجع سابق، ص79.
29 - Wenner.w.manfred;modern Yemen ,1918-1966 the johns Hopkins press, Baltimore,usa. 1967.p 198.
30 - د/احمد يوسف احمد: - الدور المصري في اليمن1962 -1967م، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ط1، 1981م، ص128.
31 - خطاب الرئيس جمال عبد الناصر: في الاحتفال بالعيد الثالث للسد العالي في (1963/1/10م.
32 - انظر: منصور عزيز الزنداني: العلاقات اليمنية بالدولتين العظميين، رسالة دكتورة في العلوم السياسية، مقدمة إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة، 1988م، ص87.
33 - الأهرام القاهرية، (1962/11/11م)
34 - نفس العدد.
35 - محمود عادل احمد: - ذكريات حرب اليمن 1962. 1967م، القاهرة، مطبعة الإخوة، ط1، 1967، ص290.
36 - د/عبد الوهاب العقاب: -مرجع سابق، ص124.
37 - وجيه ابوذكرى: - الزهور تدفن في اليمن، القاهرة، مطابع دار الشعب، 1977م، ص109.
38 - الوثائق العربية1964م؛ دائرة الدراسات السياسية والإدارة العامة، بيروت، الجامعة الأمريكية، خطاب ألقاه للقوات المصرية - بصنعاء في يوم1964/4/23م، ص179..
39 - الأهرام، /5سبتمبر/1964م، البيان الرسمي عن المحادثات التي أجريت بين الرئيس عبد الناصر والأمير فيصل.
40 - الأهرام (1966/8/13م).
41 - بطرس بطرس غالي: - جامعة الدول العربية، وتسوية المنازعات المحلية، مرجع سابق، ص124.
42 - د/العقاب: مرجع سابق، ص 178.
43 - ادجار اوبالانس: اليمن الثورة والحرب، حتى عام1970م، ترجمة(د/عبد الخالق لاشين) ،القاهرة، مكتبة مدبولي، 1985م، ص272.
44 - بطرس غالي: مرجع سابق، ص124.
45 - د/ العقاب، مرجع سابق، ص.179
46 - د/بطرس غالي: مرجع سابق، ص124.
47 - د/احمد يوسف احمد: مرجع سابق، ص439.
48 - الأهرام(2اغسطس1967م).
49 - سعيد الجناحي: مرجع سابق، ص435.

استخدام مخطط السبب – الأثر
في تحليل أسباب ارتفاع نسبة الرسوب في الجامعة

فواز أحمد أحمد النظاري
كلية التجارة والعلوم الإدارية ، جامعة إب

الملخص :

يهدف البحث إلى التعرف على أسباب المشكلة وأكثرها تأثيراً ، وتحديد الطرق والوسائل التي تساعد الإدارة على التغلب والحد من ظاهرة الرسوب .

في ضوء مشكلة البحث وأهدافه فقد حقق النتائج الآتية :

1 - تبين من خلال التحليل أن الطالب يمثل أهم الأسباب الرئيسية لارتفاع نسبة الرسوب تليها الوسائل المساعدة للعملية التعليمية والتربوية ، وتبين أن أهم الأسباب الثانوية تأثيراً في السبب الرئيسي يرجع إلى المستوى التعليمي عند الطالب والتي تؤثر فيها الأسباب من الدرجة الثالثة (الفرعية) والمتمثلة بعدم الحضور في القاعة الدراسية ، كما تبين أن أهم الأسباب الثانوية تأثيراً على السبب الرئيسي (الوسائل التعليمية التربوية) هي المكتبة بنسبة (95٪) تليها الخدمات التعليمية .

2 - من خلال تحليل الأسباب يمكن ترتيب أهم الأسباب الثانوية الأكثر تأثيراً على نسبة الرسوب كالآتي :

أ) المكتبة

ب) الخدمات التعليمية.

ج) محدودية التوزيع الأمثل للمواد الدراسية.

د) المستوى التعليمي .

هـ) عدم الربط بين مفردات المواد الدراسية من مستوى إلى آخر.

و) الجوانب الاقتصادية .

ز) الخدمات الطلابية .

ح) كثرة مفردات المادة الواحدة .

ط) القاعات الدراسية .

ي) التخصص الدقيق للمدرسين.

مقدمة:

يُعد الطالب الجامعي من أهم الفئات التي ترفد خطط التنمية لأي مجتمع ، لذلك نجد المجتمعات

المتقدمة تعمل على الاهتمام والرعاية لهذه الفئات من عمر الإنسان ، باعتبار مساعدة هؤلاء الطلاب وحل مشاكلهم ضرورة تحتمها مصلحة أي مجتمع من المجتمعات ، والطالب الجامعي في هذه المرحلة يتميز بخصائص نفسية وانفعالية تتخللها بعض المعاناة والإحباطات والضغوط المختلفة بوصفها مرحلة النضج الجسمي والعقلي والطالب الجامعي في أمس الحاجة إلى تقديم بعض التوجهات المختلفة التي تساعدهم في رسم الخطط لمستقبل أكاديمي مميز ، وظاهرة الرسوب عند الطلاب الجامعيين إحدى هذه المعاناة والإحباطات التي يعاني منها.

وانطلاقاً مما سبق واستجابة للمشاكل التي يعاني منها الطالب وتجاوباً من الباحث مع مشكلات الواقع الجامعي ، فقد قمنا باستخدام مخطط السبب -الأثر كونها أداة معتمدة عالمياً لتشخيص جذور مشكلة الرسوب وأسبابها عند الطلاب وكذلك مخطط (باريتو) في تحليل الأهمية النسبية لهذه المشكلة .

أولاً: مشكلة البحث:

تعد ظاهرة الرسوب إحدى المشكلات التي يعاني منها الوسط التربوي والتعليمي ، نظراً لانتشارها وتفشيها في مختلف المرافق والمراحل التعليمية ونظراً لانتشارها وخطورة وجودها في أوساط الطلبة بالجامعة ، حيث أصبحت هذه الظاهرة تمثل مشكلة كبيرة تؤرق رجال التعليم في عملية مواجهتها والتخفيف من حدوثها ، الأمر الذي يؤدي إلى انخفاض مستوى الثقة بالنفس وتجعل الطلاب يشعرون بضعف الجدارة والكفاءة في الأداء .

لذا فإن مشكلة البحث تكمن في التحري عن أسباب ارتفاع نسبة الرسوب لطلبة كلية التجارة والعلوم الإدارية للفصل الدراسي الأول من العام الجامعي 2004/2003م .

ثانياً: أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في جانبين :

الأول : تقديم جهد نظري باستخدام أداة تحليلية لتشخيص جذور الأسباب المؤدية للمشاكل ومنها مشكلة البحث وهذه الأداة تمثل مخطط (السبب والأثر) وفي استبانة تعالج أسباب رسوب الطلاب ، وكذلك بيان الأهمية النسبية للأسباب المؤدية للرسوب باستخدام مخطط باريتو .

الآخر : المساعدة في تشخيص أسباب المشكلة ومعالجتها وتقديم مقترحات لحلها .

ب) تقديم مقترحات من الناحية العملية لحل المشكلة.

ج) معالجة المشكلة حسب الأهمية النسبية للأسباب المؤدية لها.

ثالثاً: أهداف البحث: يهدف البحث إلى التعرف على أسباب المشكلة وأكثرها تأثيراً ، وتحديد الطرق والوسائل التي تساعد الإدارة على التغلب والحد من ظاهرة الرسوب .

رابعاً: تساؤلات البحث:

في ضوء مشكلة البحث وأهدافه فإن تساؤلات البحث تركزت حول الطالب ، المقررات ، وعضو هيئة التدرريس ، والوسائل المساعدة للعملية التعليمية والتربوية .

خامساً: مجتمع وعينة البحث:

تم تطبيق البحث في كلية التجارة والعلوم الإدارية ، جامعة إب ، وبالتحديد في الأقسام الموجودة في الكلية (إدارة الأعمال ، المحاسبة ، العلوم المالية والمصرفية) ، حيث شملت مستويين :

1) المستوى الأول : أقسام الكلية (مجتمع البحث) : حيث تم توزيع الاستبانة على بعض الطلاب المعنيين في هذه الأقسام إضافة إلى اختيار مجموعة من أعضاء هيئة التدريس .
2) المستوى الثاني : تم اختيار المستوى الثاني من قسم إدارة الأعمال (كعينة للبحث) : حيث تم توزيع الاستبانة على معظم الطلاب الموجودين في القسم بمختلف حالاتهم (مستجد ، باقي ، فرصة) ، واقتصر التحليل على نتائج الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي 2004/2003م وهي فترة التكليف بإجراء البحث .

سادساً: أساليب جمع وعرض البيانات:

تم الاعتماد على المصادر الآتية في جمع البيانات :

1 – المصادر النظرية : الكتب ، المقابلات ، الملاحظة

2 – الجانب الإجرائي واعتمدنا ثلاثة مصادر وهي : الاستبانة للحصول على البيانات الخاصة بموضوع البحث من العينة ، ومخطط (السبب الأثر) كأداة علمية لتشخيص المشكلة ، ومخطط باريتو لحساب الأهمية النسبية لأسباب المشكلة .

بهدف استكمال الجانب العلمي فإن المصادر المعتمدة هي :

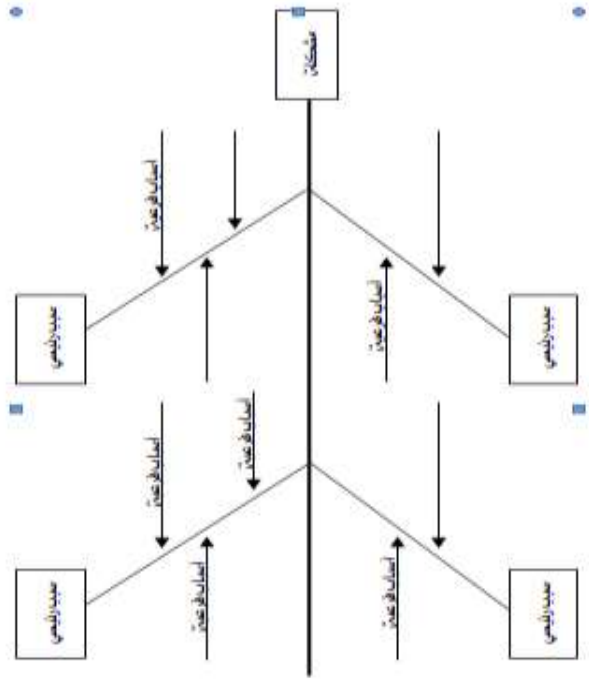

شكل (٤)
مخطط السبب – الأثر بصيغة الشكل العمودي

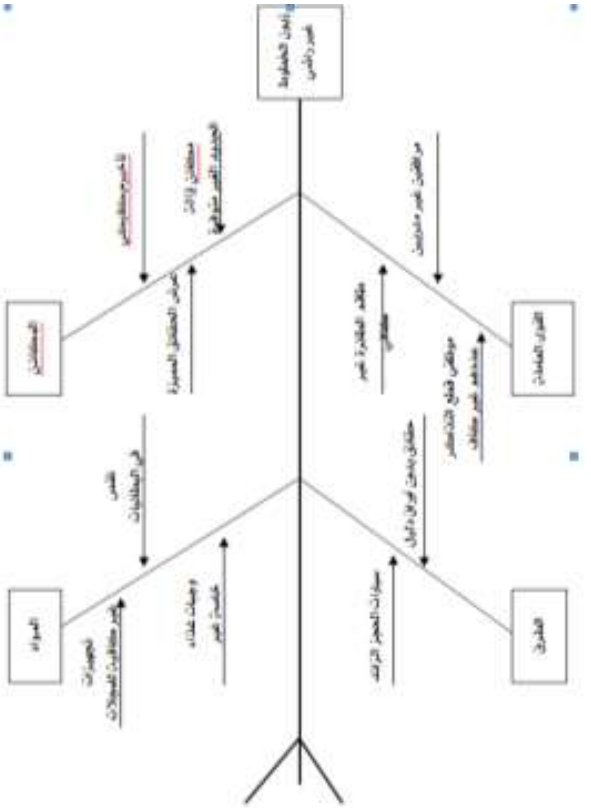

شكل (٥)
مخطط السبب – الأثر لزيون الخطوط الجوية

سابعاً : شكل مخطط السبب – الأثر: Cause-effect diagram

يعتبر تحليل السبب والنتيجة مفيداً في تقسيم العوامل التي تؤثر في جهود تحسين الجودة يستخدم رسم عظام السمكة لإظهار العلاقة بين تأثير الجودة وكل المسببات الممكنة التي ينتج عنها هذا الأثر .

راجع الرسم الكلي لاستكماله ، ولو أنه من المهم أن نتوسع في علاقات السبب والنتيجة بقدر الإمكان تجنب أن يكون الرسم مبسطاً. (باديرو : 1997، 102، 103)

ثامناً : خرائط السبب – الأثر:

تساعد هذه الخريطة على تنظيم جهود حل المشاكل عن طريق تقديم تصنيف الأسباب التي تؤدي إلى حدوث مشاكل ، وعادة يستخدم هذا المخطط بعد اجتماعات قاعات الانطلاق الفكري لتنظيم الأفكار التي تم التوصل إليها. انظر شكل (6). (البكري : 2002 : 257 - 258)

فكل سبب من تلك الأسباب الموجودة في الشكل السابق يعد مصدراً محتملاً لأخطاء حدثت وبعض الأسباب يكون أكثر مسئولية عن الأخطاء ويتوقف هذا على طبيعة كل خطأ فإن لم يكن السبب واضحاً تماماً بمطالبة الخريطة أو المخطط يتعين إجراء مراجعة لتحديد السبب الجذري ويتطلب هذا معلومات أكثر تفصيلاً وتحليل أكثر عمقاً سنجزأ

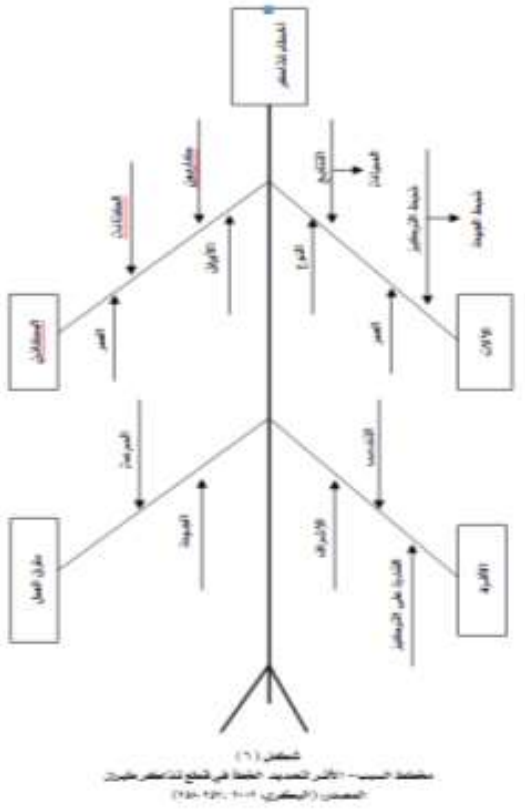

المعلومات من خلال تساؤلات (من ، ماذا، وأين ، ومتى ، ولماذا ، وكيف) بشأن عوامل تبدو مسئوليتها مرجحة عن المشكلات أو الأخطاء التي وقعت. (مصطفى: 594،1998)

وسيلة أخرى يمكن من خلالها تحديد الأماكن المحتملة لمشاكل الجودة ونقاط الفحص وهو ما يدعي مخطط السبب والنتيجة أيضاً يعرف بمخطط (Ishikawa) يوضح الخارطة المشكلة يومية من مشاكل الرقابة على الجودة – حالة عدم الرضاء لزبون الخطوط الجوية – وبالتالي من أجل البدء بمخطط السبب والنتيجة يجب أن يكون لدينا معلومات عن أربعة مجموعات وهي: (المواد ، المكائن والمعدات ، القوى العاملة ، والطرق) وهي ما يطلق عليها بـ 4 M's ، هذه المجموعات تساعد على التزويد بقائمة تدقيق جيدة للتحليل الأولي وعندما يتم إعداد هذا المخطط بشكل منتظم فإن هناك إمكانية لتسليط الضوء على مشاكل الجودة والفحص. (التميمي: 594،1997 -596)

المبحث الثاني

مخطـط باريتـــو
Pareto Diagram

أولاً: المفهـــوم:

يشير (Ishikawa, 1989, P: 118) إلى أن مخطط (باريتو) هو أحد الوسائل الإحصائية التي تستخدم لتحديد الأهمية النسبية لمسببات الانحراف وتحديد أولوية الإجراءات الواجب معالجتها وهو يحمل اسم عالم الاقتصاد الإيطالي الفريد باريتو ، حيث تصنف مسببات الانحراف بموجب هذا التحليل إلى: القلة المؤثرة (Vital Few) ، الكثرة قليلة التأثير (Trivial Many).

وفي هذا الصدد يوضح (Ebert, 1992, 367) أن مخطط باريتو هو عملية تصنيف للمشاكل مع نسبة تكرارها حسب الأهمية ابتداءً من المشكلة الأولى إلى الثانية...الخ ، أي من النسب أو الكلفة

العالية الأقل . ويضيف (Evans, 1997, P:260) أنه عند النظر إلى المخطط يمكن تحديد قيمة العيب على شكل نسبة مئوية أو بدلالة الكلف حيث يمكن الاستفادة من هذه القيم في عملية التحسين وذلك عن طريق البدء بالمشاكل التي تشكل كلفة عالية .

ويقول (Markland, et.al, P: 260) أن مخطط (باريتو) مفيد جداً ويستخدم في تحليل المشكلات وتصنيفها وغالباً ما يستخدم من قبل حلقات النوعية (Quality Circles) .

ثانياً: الأهميـــة:

يعتبر مخطط باريتو بمثابة الخطوة الأولى في عملية إجراء التحسينات ذات التأثير الكبير الملموس التي تمثل هدفاً ثابتاً للمنشأة والتي تطلب تعاون جميع أقسامها ودوائرها ، ومن فوائد المخطط كونه يسهل التعاون بين جميع المعنيين لأن مجرد إلقاء النظر عليه يوضح المشكلة المتمثلة بالمستطيل الأكثر الارتفاع . ولا يقتصر تطبيق مخطط باريتو على تحسين النوعية بل يمكن استخدامه للارتفاع بكفاءة التنفيذ وللحفاظ على المواد والطاقة والاقتصاد في التكاليف ، ومهما كان نوع المشكلة يمكن رسم وتطبيق المخطط وإيجاد الحل المناسب . ويعبر (Schroeder, 1989, P: 622) عن أهمية مخطط باريتو يساعد على اتخاذ القرار وأنه مفيد جداً عندما يتم دراسة مشاكل النوعية لأول مرة لأنه يساعد في تجزئة المشكلة إلى أجزاء أصغر. (نجم ، 2001 ، 829)

الفصل الثالث
الجانـــب العملـــي
المبحث الأول :
النتائج الامتحانية للفصل الدراسي الأول 2004/2003م

حسـب الأقسـام والمستـوى الدراسـي

يتناول هذا المبحث نتائج طلبة كلية التجارة والعلوم الإدارية – جامعة إب ، حيث تم إعداد نتائج الأقسام لكافة المستويات الموجودة في الكلية ولمختلف المقررات الدراسية للثلاثة الأقسام الموجودة هي (إدارة ، محاسبة ، مصرفية) وفيما يلي استعراض النتائج على الثلاثة الأقسام وهي :

أولاً: قسم إدارة الأعمـــال:

يضم هذا القسم ثلاثة مستويات هي (الثاني ، الثالث ، الرابع) وهي كما يلي :

1 – نتائج المستوى الثاني/ إدارة أعمال:

فيما يلي جدول (1) نتائج الفصل الدراسي الأول للمستوى الثاني/ إدارة أعمال :

م	المـادة	الحاضرون		الناجحون		الراسبون		ملاحظات
		رقم	نسبة	رقم	نسبة	رقم	نسبة	

1	محاسبة شركات الأشخاص	47	%37	17	%36	28	%94	
2	لغة إنجليزية (102)	44	%34	17	%39	27	%61	
3	إدارة أفراد	55	%43	19	%35	36	%65	
4	مبادئ تسويق	45	%35	19	%42	26	%58	
5	حاسب آلي	50	%39	29	%58	21	%42	
6	مناهج البحث العلمي	34	%26	25	%74	9	%26	

2 – نتائج المستوى الثالث/ إدارة أعمال:

جدول (2) فيما يلي جدول يوضح نتائج الفصل الدراسي الأول للمستوى الثالث/ إدارة

م	المـادة	الحاضرون		الناجحون		الراسبون		ملاحظات
		رقم	نسبة	رقم	نسبة	رقم	نسبة	
1	إدارة مبيعات	65	%63	60	%92	5	%8	
2	محاسبة شركات أموال	64	%62	29	%45	35	%55	
3	رياضة مالية	71	%68	60	%85	11	%15	
4	محاسبة تكاليف (أ)	68	%65	47	%69	21	%31	
5	إدارة مالية	69	%66	67	%97	2	%3	
6	إدارة إنتاج	65	%62.5	59	%91	6	%9	

3 – نتائج المستوى الرابع/ إدارة أعمال:

جدول (3) فيما يلي نتائج المستوى الرابع / إدارة للفصل الدراسي الأول

م	المـادة	الحاضرون		الناجحون		الراسبون		ملاحظات
		رقم	نسبة	رقم	نسبة	رقم	نسبة	
1	إدارة أعمال معاصرة	58	%79	51	%88	7	%12	
2	محاسبة إدارية (أ)	54	%74	42	%78	12	%22	
3	إدارة منشآت مالية	56	%77	51	%91	5	%9	
4	دراسة جدوى	62	%85	58	%94	4	%6	
5	رقابة إدارية	60	%82	48	%80	12	%20	
6	علاقات عامة	57	%78	55	%96	2	%4	

ثانياً: قسم المحاسبـــة:

يضم هذا القسم في الكلية ثلاثة مستويات ابتداءً من المستوى الثاني وحتى الرابع وهي كما يلي:

1 – نتائج المستوى الثاني/ محاسبة:

جدول (4) نتائج الفصل الدراسي الأول/ للمستوى الثاني/ محاسبة

م	المـادة	الحاضرون		الناجحون		الراسبون		ملاحظات
		رقم	نسبة	رقم	نسبة	رقم	نسبة	
1	إنجليزي (102)	147	%62	127	%86	20	%14	
2	محاسبة شركات أشخاص	159	%67	124	%78	35	%22	
3	رياضة مالية	160	%68	150	%94	10	%6	
4	حاسب آلي	151	%64	140	%93	11	%7	
5	نقود وبنوك	156	%66	140	%90	16	%10	
6	مناهج البحث العلمي	154	%65	132	%86	22	%14	
7	إدارة إنتاج	160	%68	143	%89	17	%11	

2 – نتائج المستوى الثالث/ محاسبـة:

وفيما يلي نتائج الفصل الدراسي الأول للمستوى الثالث كما يلي:

جدول (5) نتائج الفصل الدراسي الأول المستوى الثالث/ محاسبة

م	المـادة	الحاضرون		الناجحون		الراسبون		ملاحظات
		رقم	نسبة	رقم	نسبة	رقم	نسبة	
1	نظام محاسبي موحد	177	%77	138	%78	39	%22	
2	إدارة مالية	191	%83	177	%93	14	%7	
3	محاسبة تكاليف (أ)	187	%82	150	%80	37	%20	
4	محاسبة ضريبية (أ)	184	%80	173	%94	11	%6	
5	محاسبة حكومية	181	%79	149	%82	32	%18	

3 – نتائج المستوى الرابع/ محاسبـة:

وفيما يلي نتائج الفصل الدراسي الأول للمستوى الرابع/ محاسبة ، كما يلي:

جدول (6) نتائج الفصل الدراسي الأول المستوى الرابع/ محاسبة

م	المـادة	الحاضرون		الناجحون		الراسبون		ملاحظات
		رقم	نسبة	رقم	نسبة	رقم	نسبة	
1	دراسات محاسبية خاصة	130	%92	126	%97	4	%3	
2	نظم معلومات محاسبية	130	%92	121	%93	9	%7	
3	محاسبة منشآت مالية	130	%92	129	%99	1	%1	
4	محاسبة إدارية (أ)	129	%91	114	%88	15	%12	
5	مراجعة (أ)	130	%92	125	%96	5	%4	

ثالثاً: قسم العلوم المالية والمصرفية:

ويضم هذا القسم ثلاثة مستويات هي (الثاني ، الثالث ، الرابع) ، وهي كما يلي :

1 – نتائج المستوى الثاني/ علوم مالية ومصرفية:

وفيما يلي نتائج المستوى الثاني للفصل الدراسي الأول :

جدول (7) نتائج الفصل الدراسي الأول المستوى الثاني/ مصرفية

م	المـادة	الحاضرون		الناجحون		الراسبون		ملاحظات
		رقم	نسبة	رقم	نسبة	رقم	نسبة	
1	إنجليزي (102)	43	%42	27	%63	16	%37	
2	محاسبة شركات أشخاص	47	%46	23	%49	24	%51	
3	رياضة مالية	49	%48	42	%86	7	%14	
4	حاسب آلي (أ)	47	%46	37	%79	10	%21	
5	نقود وبنوك	42	%41	35	%83	7	%17	
6	إدارة مالية	50	%49	41	%82	9	%18	
7	مناهج البحث العلمي	39	%38	31	%79	8	%21	

2 – نتائج المستوى الثالث/ علوم مالية ومصرفية:

وفيما يلي نتائج المستوى الثالث/ مصرفية للفصل الدراسي الأول

جدول (8) نتائج الفصل الدراسي الأول المستوى الثالث/ مصرفية

م	المـادة	الحاضرون		الناجحون		الراسبون		ملاحظات
		رقم	نسبة	رقم	نسبة	رقم	نسبة	
1	محاسبة ضريبية	24	%88	24	%100	-	-	
2	إدارة استثمارات	24	%88	11	%46	13	%54	
3	بنوك إسلامية	24	%88	24	%100	-	-	
4	مصطلحات مالية	23	%85	20	%87	3	%13	
5	مبادئ تسويق	23	%85	23	%100	-	-	

3 – نتائج المستوى الرابع/ علو مالية ومصرفية:

وفيما يلي نتائج المستوى الرابع/ مصرفية للفصل الدراسي الأول :

جدول (9) نتائج الفصل الدراسي الأول المستوى الرابع/ مصرفية

م	المـادة	الحاضرون		الناجحون		الراسبون		ملاحظات
		رقم	نسبة	رقم	نسبة	رقم	نسبة	
1	تسويق مصرفى	39	%95	37	%95	2	%5	
2	إدارة منشأة	39	%95	36	%92	3	%8	
3	دراسات جدوى	39	%95	38	%97	1	%3	
4	محاسبة منشآت مالية	39	%95	35	%90	4	%10	
5	عمليات مصرفية	39	%95	39	%100	-	-	

ومـن خـلال اسـتعراض النتـائج السـابقة تـبين أن نسـبة الرسـوب المرتفعـة في المسـتوى الثاني/ إدارة أعمال ، حيث أظهرت الفروق واضحة ، إذا ما قورنت مع نتائج المستويات الثانية لكل الأقسام ، فمثلاً لو تلاحظ في مادة شركات الأشخاص أو الإنجليزي أو الرياضة المالية وغيرها لكل من المستوى الثاني في جميع الأقسام (إدارة ، محاسبة ، مصرفية) نجد أن نسبة الرسوب الكثيرة موجودة في

هذا القسم (المستوى الثاني) إدارة أعمال ، مع العلم أن مفردات المواد هي نفسها بين الثلاثة الأقسام والقاعة الدراسية هي نفسها كذلك مدرس المادة هو نفس الأستاذ في قسم المحاسبة والمصرفية ، مما لفت الانتباه في القيام بدراسة الأسباب التي تكمن وراء هذه المشكلة من أجل تقديم دراسة متكاملة عن كافة الأسباب وتقديمها إلى عمادة الكلية لغرض الاستفادة منها .

المبحث الثانـي
عرض الأسباب الرئيسة والثانوية والفرعية
باستخدام مخطط السبب ـ الأثر

يتنـاول هـذا المبحـث أداة دراسـة الأسـباب وهـي عبـارة عـن مخطـط وأداة معـترف بهـا عالميـاً هي (مخطط السبب - الأثر) لكي تسهل دراسة الأسباب والمشكلة في المستوى الثاني (إدارة أعمال) لغرض معرفة كثرة الرسوب في هذا المستوى ، كما يعتمد على مخطط (باريتو) في بيان الأهمية النسبية للأسباب ، حيث تم تشخيص أسباب المشكلة على ثلاثة مستويات هي :

1) المستوى الأول: الأسباب الرئيسية لمشكلة الرسوب .
2) المستوى الثاني: الأسباب الثانوية (المتفرعة من السبب الرئيسي) .
3) المستوى الثالث: الأسباب الفرعية (أي المؤدية للسبب الثانوي المتفرع من الرئيسي).

وكانت هذه الأسباب هي محور الدراسة لهذا البحث ، حيث تتضمن هذه الدراسة الآتي :

أولاً: تحديد المشكلـة:

تتمثل المشكلة في ارتفاع نسبة الرسوب في المستوى الثاني قسم إدارة أعمال.

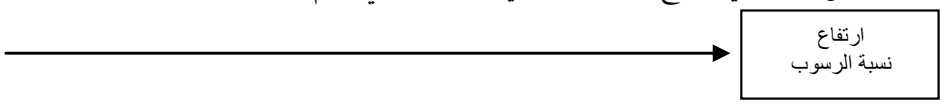

شكل (7) مخطط يبين العمود الفقري للمشكلة

ثانياً: الأسباب الرئيسية للمشكلة:

وتتضمن خمسة أسباب رئيسية للمشكلة هي: الطالب ، أعضاء هيئة التدريس ، المقررات الدراسية ، الوسائل المساعدة للعملية التعليمية والتربوية ، اللوائح والقوانين .

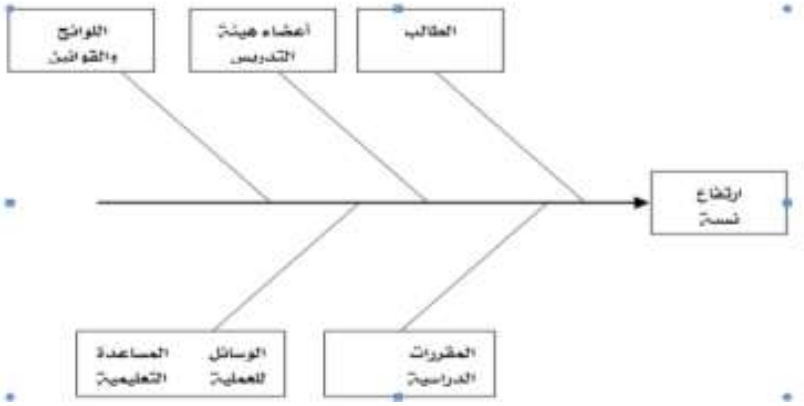

شكل (8) المسببات الرئيسية للمشكلة

ثالثاً: الأسباب الثانوية المتفرعة من السبب الرئيسي:

1 – الطالب: ويتضمن ثلاثة أسباب ثانوية متفرعة عن السبب الرئيسي وهي: المستوى التعليمي عند الطالب ، الجوانب الاقتصادية للطالب ، الجوانب الاجتماعية للطالب.

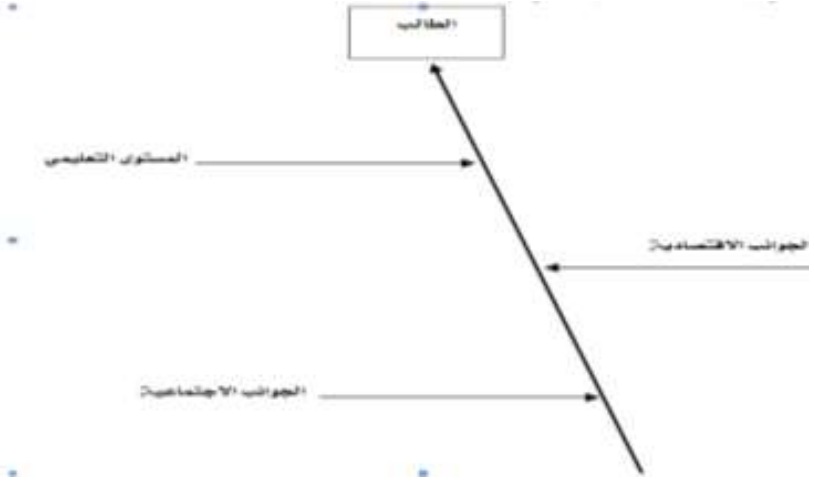

شكل (9) الأسباب الثانوية المتفرعة من السبب الرئيسي الأول (الطالب)

2 – أعضاء هيئة التدريس: ويتضمن خمسة أسباب ثانوية متفرعة من السبب الرئيسي وهي: المؤهلات ، التخصص الدقيق، نقص في أعضاء هيئة التدريس ، عبء العمل خارج الكلية، كثرة المواد التي يدرسها أعضاء هيئة التدريس.

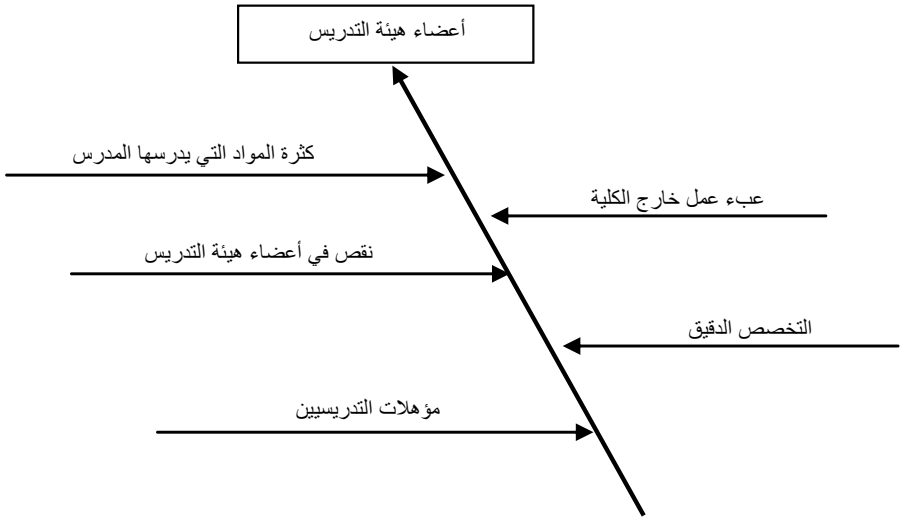

شكل (10) الأسباب الثانوية المتفرعة من السبب الرئيسي الثاني

3 – المقـررات الدراسيـة: ويتضـمن سـتة أسـباب ثانويـة متفرعـة مـن السـبب الرئيسـي وهـي : أ) محدودية التوزيع الأمثل للمواد الدراسية. ب) صعوبة مفردات المقررات الدراسية. ج) إعداد المقررات على شكل ملازم. د) ارتفاع أسعار الملازم . هـ) كثرة مفردات المادة الواحدة. و) عدم الربط بين مفردات المواد خلال المراحل الدراسية.

شكل (11) الأسباب الثانوية المتفرعة من السبب الرئيسي الثالث

4 – الوسائل المساعدة للعملية التعليمية والتربوية:

ويتضمن أربعة أسباب ثانوية متفرعة من السبب الرئيسي وهي :

أ) الخدمات التعليمية ب) القاعات الدراسية ج) الخدمات الطلابية د) المكتبة

شكل (12) الأسباب الثانوية المتفرعة من السبب الرئيسي الرابع

5 – اللوائـح والقوانيـن:

ويتضمن سببين متفرعة من السبب الرئيسي وهي:

أ) اللوائح والقوانين الخاصة بالطالب.

ب) اتساع طول فترة الدراسة عند الطالب الراسب.

شكل (13) الأسباب الثانوية المتفرعة من السبب الرئيسي الخامس

رابعاً: الأسباب الفرعية المتفرعة من الأسباب الثانويـة:

ويتضمن ثلاثة أنـواع هي: :

النـوع الأول: **الأسباب الفرعية المتفرعة من الأسباب الثانوية للسبب الرئيسي (الطالب):**

أ) المستوى التعليمي عند الطالب (سبب ثانوي):

ويتضمن ستة أسباب فرعية مؤدية للسبب الثانوي وهي: 1 - غياب روح المنافسة عند الطالب. 2 – سوء تقدير التخصص. 3 – تحمل الطالب أكثر من مادة. 4 – عدم الاهتمام والمثابرة. 5 – عدم الحضور في القاعة الدراسية. 6 – محدودية تكريم الطلاب المتفوقين.

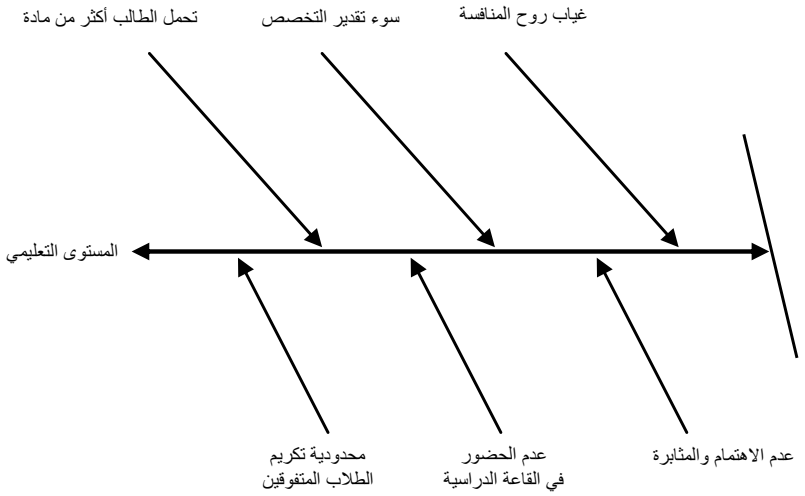

شكل (14) الأسباب الفرعية المؤدية للسبب الثانوي (المستوى التعليمي)

ب) الجوانب الاقتصادية (سبب ثانوي):

ويتضمن ثلاثة أسباب فرعية مؤدية للسبب الثانوي وهي :

1 – سوء الحالة المعيشية عند الطالب.

2 – بعد السكن عن الجامعة.

3 – عدم القدرة على توفير متطلبات الجامعة.

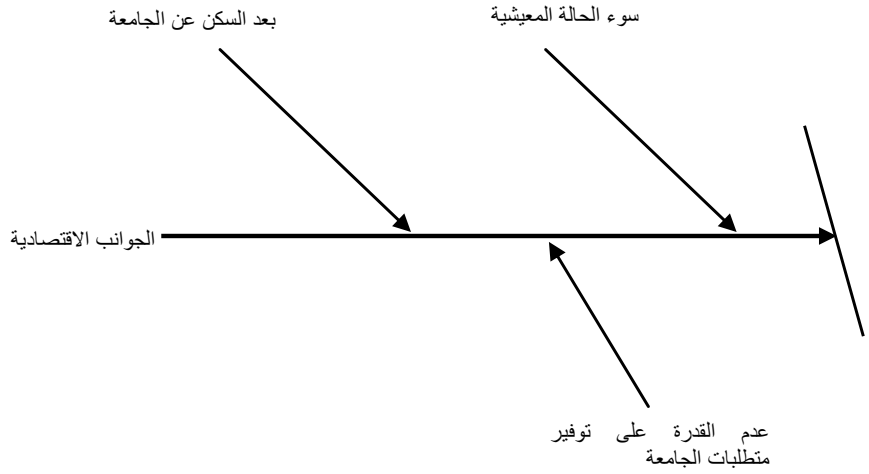

شكل (15) الأسباب الفرعية المؤدية للسبب الثانوي (الجوانب الاقتصادية)

ج) الجوانب الاجتماعية (سبب ثانوي):

ويتضمن ثلاثة أسباب فرعية مؤدية للسبب الثانوي وهي :

1 – الزواج المبكر 2 – تحمل مسؤولية الأسرة 3 – الممازجة بين الوظيفة والدراسة في نفس الوقت.

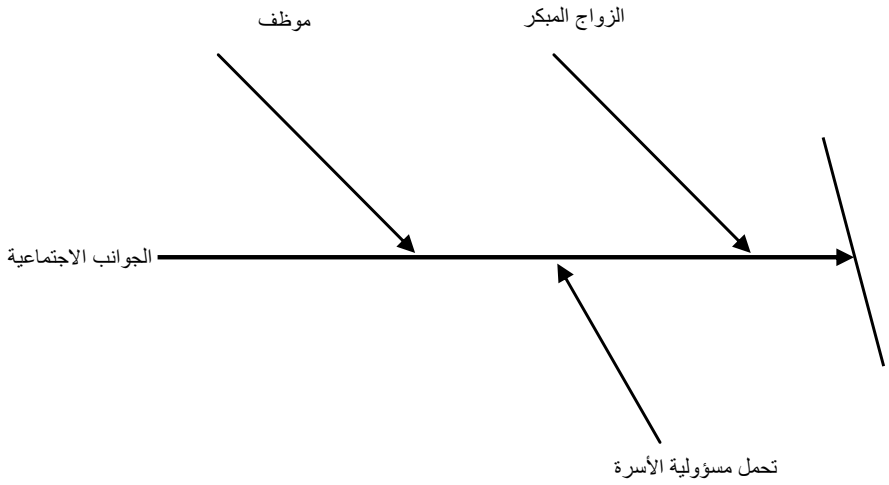

شكل (16) الأسباب الفرعية المؤدية للسبب الثانوي (الجوانب الاجتماعية)

النوع الثاني: الأسباب الفرعية المتفرعة من الأسباب الثانوية للسبب الرئيسي (أعضاء هيئة التدريس):

أ) مؤهلات المدرسين:

ويتضمن أربعة أسباب فرعية مؤدية للسبب الثانوي وهي :

1 – نقص الخبرة التدريسية.

2 – التأهيل والتدريب.

3 – أسلوب المحاضرة.

4 – محدودية المتابعة والاطلاع على المستجد في حقل الاختصاص.

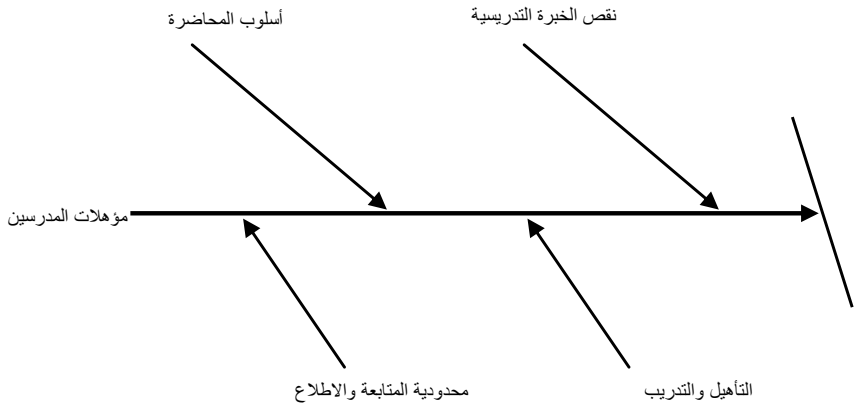

شكل (17) الأسباب الفرعية المؤدية للسبب الثانوي (مؤهلات المدرسين)

النوع الثالث: الأسباب الفرعية المتفرعة من الأسباب الثانوية للسبب الرئيسي (الوسائل المساعدة للعملية التعليمية التربوية):

أ) الخدمات التعليميـة:

ويتضمن أربعة أسباب فرعية مؤدية للسبب الثانوي وهي :

1 – نقص في تبادل الخبرات والقدرات الطلابية.

2 – عدم الربط بين الواقع العملي والكلية.

3 – ورش عمل – الندوات– الزيارات.

4 – عدم توفر الجو الملائم في القاعة الدراسية.

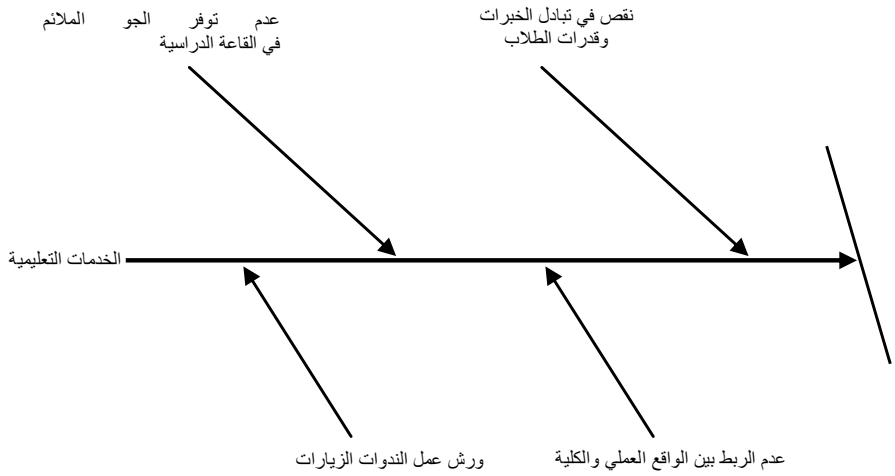

شكل (18) الأسباب الفرعية المؤدية للسبب الثانوي (الخدمات التعليمية)

ب) القاعـات الدراسيـة:

ويتضمن سببين فرعيين مؤدية للسبب الثانوي وهي :

1 – ازدحام القاعات الدراسية.

2 – وجود أكثر من تخصص في القاعة الواحدة.

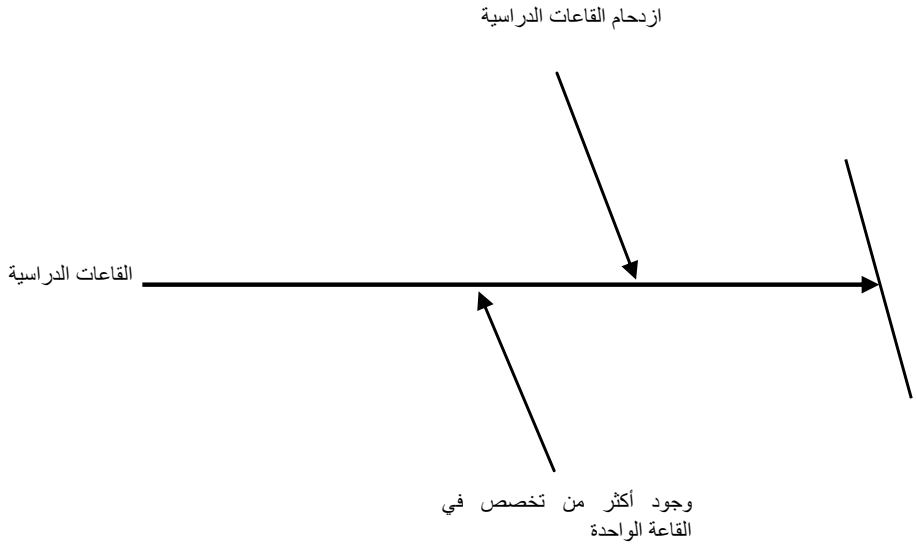

شكل (19) الأسباب الفرعية المؤدية للسبب الثانوي (القاعات الدراسية)

ج) الخدمـات الطلابيـة:

ويتضمن أربعة أسباب فرعية مؤدية للسبب الثانوي وهي :

1 – نقص الخدمات الصحية.

2 – الأنشطة اللاصفية .

3 – الرحلات العلمية.

4 – خدمات الإطعام.

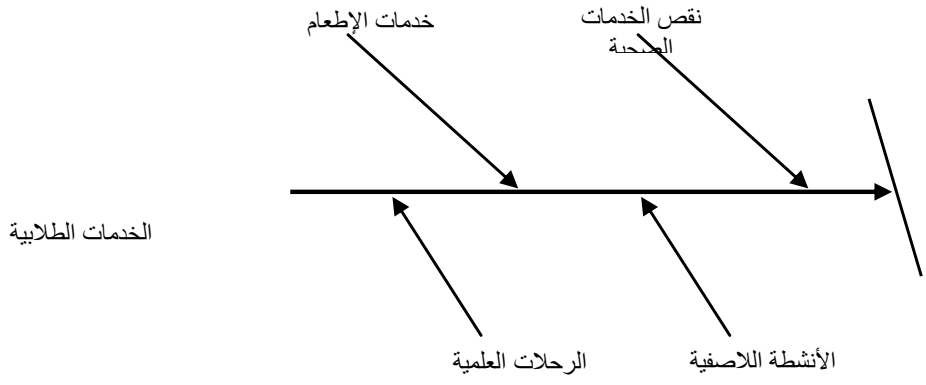

شكل (20) الأسباب الفرعية المؤدية للسبب الثانوي (الخدمات الطلابية)

د) المكتبــة:

ويتضمن سببين فرعيين مؤدية للسبب الثانوي وهي :

1 – عدم توفر مكتبة في الكلية.

2 – صعوبة الحصول على المراجع.

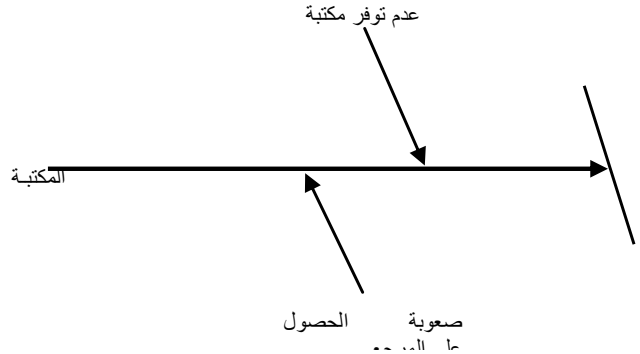

شكل (21) الأسباب الفرعية المؤدية للسبب الثانوي (المكتبة)

المبحث الثالث
تحليل الأهمية النسبية لأسباب المشكلة
باستخـدام مخطـط باريتـو

أولاً: الأسباب الرئيسة للمشكلـة:

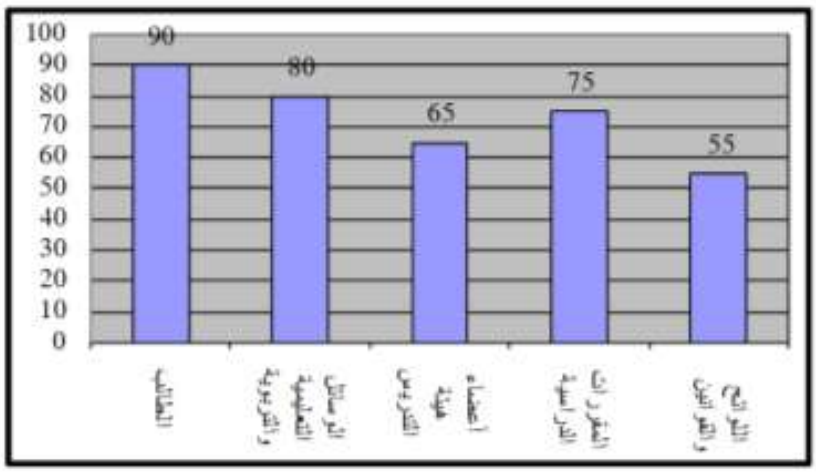

شكل (23): الأسباب الرئيسية لمشكلة ارتفاع نسبة الرسوب في المستوى الثاني/ إدارة

من خلال إجابة العينة والرسم الموضح أعلاه نجد أن أهم الأسباب الرئيسة لمشكلة الرسوب هي الطالب وهو ما يدلل أهمية هذا العامل وأثره في الحد من ارتفاع نسبة الرسوب وقد كانت نسبة هذا

السبب (الطالب) (90٪) تليها الوسائل المساعدة للعملية التعليمية والتربوية بنسبة (80٪) .

أما المقررات الدراسية فكانت نسبتها (75٪) مما يتطلب من الإدارة والقسم المختص إعادة النظر في التوزيع الأمثل للمقررات الدراسية خلال السنوات الدراسية ، بينما جاء أعضاء هيئة التدريس (65٪) واللوائح والقوانين بنسبة (55٪) .

إلا أن أهم الأسباب الرئيسة تأثراً تتمثل في الطالب ومن ثم الوسائل المساعدة للعملية التربوية والتعليمية وهي أسباب يمكن تحسينها بسهولة إذا ما قامت الإدارة برسم ووضع سياسات وإجراءات لكي تحقق مصلحة الطالب أولاً والنهوض بالحصيلة التعليمية ثانياً .

ثانياً: الأسبـاب الثانويـة: * **سبب ثانوي (الطالب):**

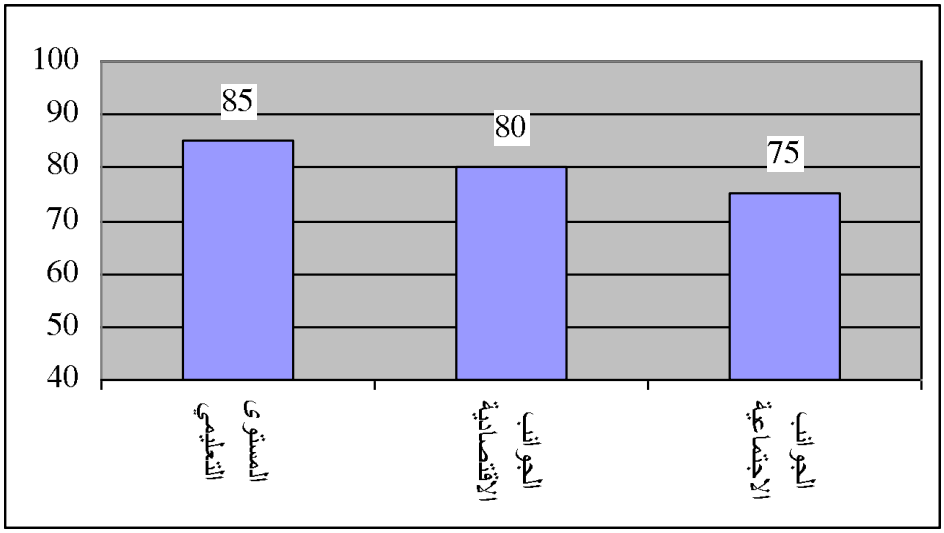

شكل (24): يبين الأسباب الثانوية من السبب الرئيس الخاص بالطالب

من خلال الأسباب الثانوية للسبب الرئيسي الخاص (بالطالب) نجد أن أهم هذه الأسباب تأثيراً على السبب الرئيسي وبالتسلسل هي المستوى التعليمي عند الطالب والذي حصل على نسبة (85٪) تليها الجوانب الاقتصادية بنسبة (80٪) ، وأخيراً الجوانب الاجتماعية بنسبة (75٪) أي أن أكثر التأثير على الرسوب هو المستوى التعليمي والذي يتطلب من الطالب الإلمام والجهد الكبير حتى يحصل على مستوى أفضل من التعليم .

*** سبب ثانوي: (المقررات الدراسية)**

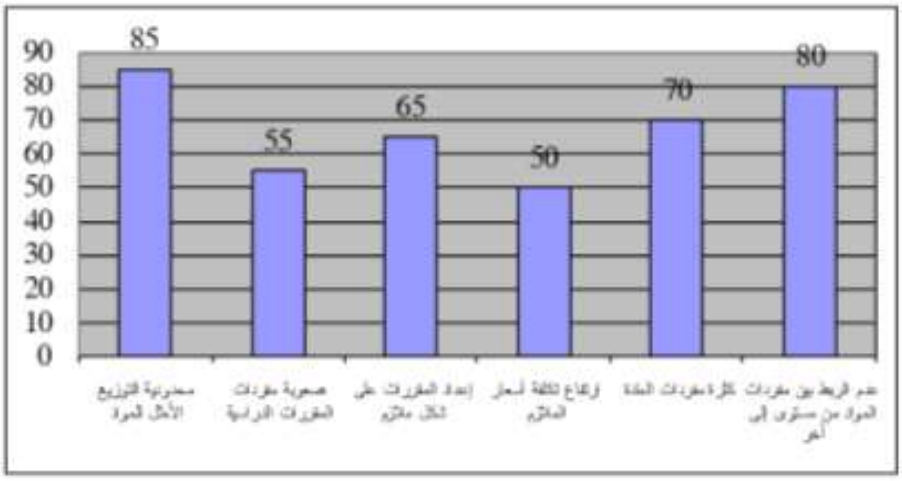

شكل (25): يبين الأسباب الثانوية للسبب الرئيسي الخاص بالمقررات الدراسية

وجد أن أهم الأسباب الثانوية تأثيراً على السبب الرئيسي هو محدودية التوزيع الأمثل للمواد الدراسية بنسبة (85٪) تليها عدم الربط بين مفردات المواد من مستوى إلى آخر بنسبة (80٪) ثم كغيره مفردات المادة بنسبة (70٪) وهذا يعني أن محدودية التوزيع الأمثل للمواد الدراسية من أهم الأسباب الفرعية للسبب الرئيسي المتمثل بالمقررات الدراسية . بينما نجد أن السبب الفرعي في إعداد المقررات الدراسية على شكل ملازم وقد حصل على نسبة (65٪) وصعوبة مفردات المقرات الدراسية على نسبة (55٪) وارتفاع أسعار تكلفة الملازم قد حصل على نسبة (50٪) .

*** سبب ثانوي: (الوسائل المساعدة للعملية التعليمية والتربوية)**

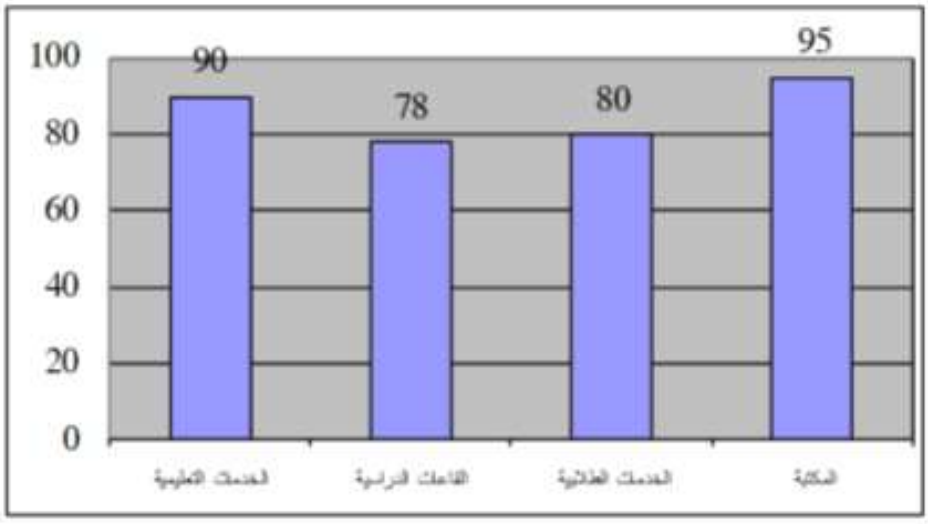

شكل (26): يبين الأسباب الثانوية للسبب الرئيسي الخاص بالوسائل التعليمية والتربوية

لوحظ من خلال إجابات العينة والرسم البياني أن المكتبة تأتي في مقدمة الأسباب والأكثر تأثيراً على السبب الرئيسي (الوسائل التعليمية والتربوية) بنسبة (95٪) تليها الخدمات التعليمية بنسبة (90٪) ثم الخدمات الطلابية (80٪) .

وأخيراً القاعات الدراسية بنسبة (78٪) مما يعني ذلك أن المكتبة هي من أحد المتطلبات الأساسية توفرها في الكلية حتى تسهل الكثير أمام الطلاب .

*** سبب ثانوي : (أعضاء هيئة التدريس)**

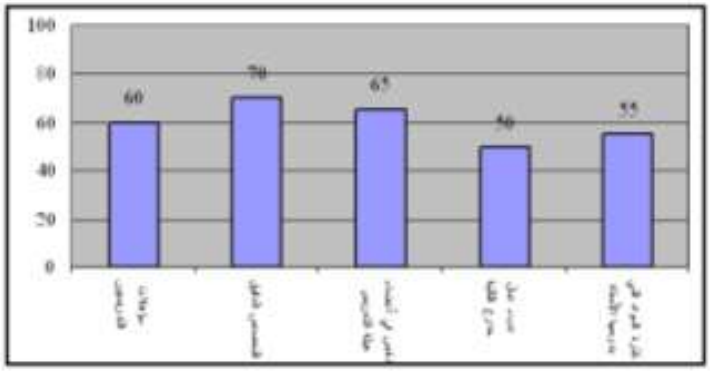

شكل (27): يبين الأسباب الثانوية للسبب الرئيسي الخاص بأعضاء هيئة التدريس

من خلال الأسباب الثانوية للسبب الرئيسي الخاص بأعضاء هيئة التدريس نجد أن أهم الأسباب تأثيراً على السبب الرئيسي بالتسلسل هي التخصص الدقيق والحاصل على نسبة (70٪) تليها نقص في أعضاء هيئة التدريس نسبة (65٪) ، بينما حصل مؤهلات المدرسين على نسبة (60٪) أما كثرة المواد التي يدرسها الأستاذ فقد حصل على نسبة (55٪) ، وأخيراً عبء عمل خارج الكلية كانت بنسبة (50٪) .

*** سبب ثانوي : (اللوائح والقوانين)**

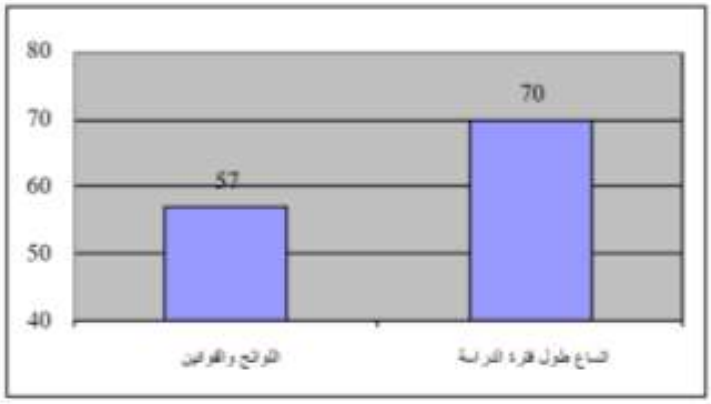

شكل (28): يبين الأسباب الثانوية للسبب الرئيسي الخاص باللوائح والقوانين

من خلال الرسم البياني يتبين أن هناك سببين يؤثران على السبب الرئيسي المتمثل بـ (اللوائح والقوانين) وهماي اتساع طول فترة الدراسة عند الطالب الراسب واللوائح والقوانين التي تنظم سير عمل الطالب داخل الكلية ويأتي سبب طول فترة الدراسة في مقدمة الأسباب المؤثرة على السبب الرئيسي بنسبة (70٪) ثم اللوائح والقوانين بنسبة (57٪). وهو ما يعني أهمية اتساع طول فترة الدراسة بالمقارنة باللوائح والقوانين .

ثالثاً: الأسبـاب الفرعيــة:

*** سبب فرعـي (المستوى التعليمي):**

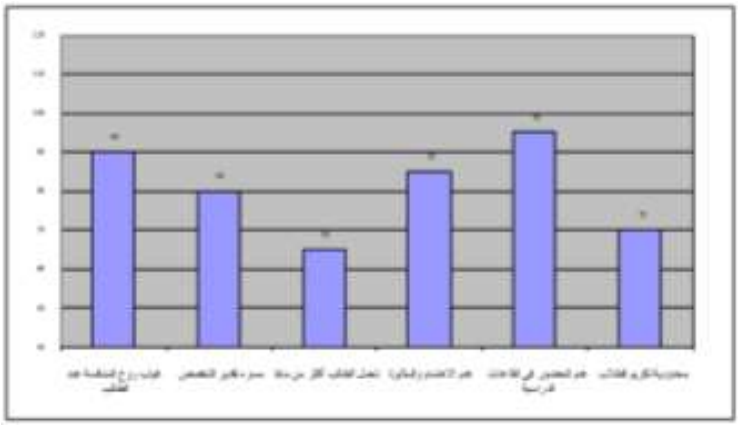

شكـل (29) يبين الأسباب الفرعية من السبب الثانوي الخاص بالمستوى التعليمي عند الطالب

من خلال الأسباب الفرعية للسبب الثانوي الخاص بالمستوى التعليمي نجد أن أهم هذه الأسباب تأثيراً على السبب الثانوي بالتسلسل هي عدم الالتزام بالحضور في القاعات الدراسية ومتابعة المقررات، حيث حصلت على نسبة (95٪) ، تليها غياب روح المنافسة عند الطالب بنسبة (90٪) ، بينما حصل عدم الاهتمام "المثابرة" من قبل الطالب على نسبة (85٪) . أما سوء تقدير الطلاب للتخصص المناسب فقد حصل على نسبة (80٪) ، في حين حصل محدودية تكريم الطلاب على نسبة (70٪) ، وأخيراً تحمل الطالب أكثر من مادة بنسبة (65٪) .

*** سبب فرعـي (الجوانب الاقتصادية):**

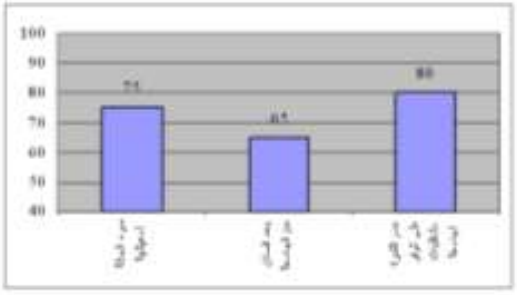

شكـل (30): يبين الأسباب الفرعية من السبب الثانوي الخاص بالجوانب الاقتصادية

مـن خـلال تحليـل الأسـباب الثانويـة للسـبب الفرعـي الخـاص بالجوانـب الاقتصـادية نجـد أن نسبة (80٪) كانت لعدم القدرة على توفر متطلبات الجامعة ، و (75٪) لسوء الحالة المعيشية عند الطالب ، و (65٪) لبعد السكن عن الجامعة .

مما يعني أن عدم القدرة على توفر متطلبات الجامعة من أهم الأسباب المؤثرة على السبب الفرعي الخاص بالجوانب الاقتصادية ، تليها سوء الحالة المعيشية عند الطالب ، وأخيراً بعد السكن عن الجامعة .

*** سبب فرعي (الجوانب الاجتماعية) :**

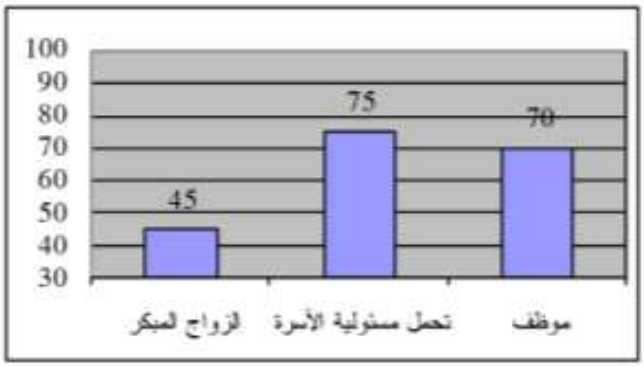

شكل (31) : يبين الأسباب الفرعية من السبب الثانوي الخاص بالجوانب الاجتماعية

لوحظ من خلال إجابات العينة أن تحمل الطالب مسؤولية الأسرة تأتي في مقدمة الأسباب الأكثر تأثيراً على السبب الثانوي والمتمثل بالجوانب الاجتماعية بنسبة (75٪) ، بينما شغل الطالب أعمال أخرى (موظف) بنسبة (70٪) .

وأخيراً الزواج المبكر حصل على نسبة (45٪) مما يوضح أن تحمل الطالب مسؤولية الأسرة له تأثير كبير على السبب الفرعي الخاص بالجوانب الاجتماعية .

*** سبب فرعي (مؤهلات المدرسين) :**

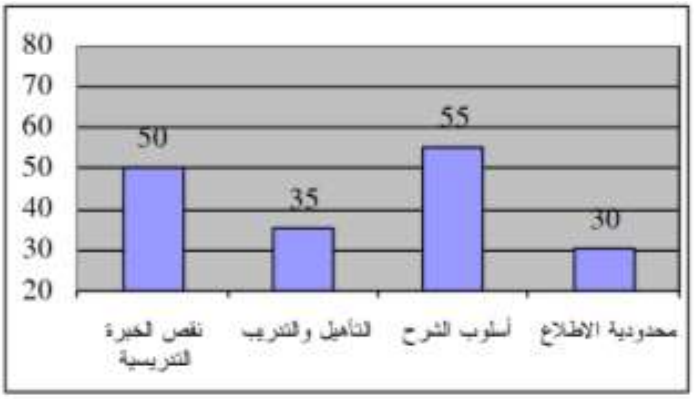

شكل (32) : يبين الأسباب الفرعية للسبب الثانوي الخاص بمؤهلات التدريسيين

من خلال تحليل إجابات العينة وجد أن أهم الأسباب الفرعية وأكثرها تأثيراً على السبب الثانوي هو أسلوب الشرح عند التدريسيين والتي كانت نسبتها (55٪) تليها نقص الخبرة التدريسية بنسبة (50٪) ، ثم التأهيل والتدريب بنسبة (35٪) ، وأخيراً محدودية الاطلاع بنسبة (30٪) مما يعني أن أسلوب الشرح له تأثير كبير على السبب الفرعي وكذلك الخبرة التدريسية .

*** سبب فرعي (الخدمات التعليمية):**

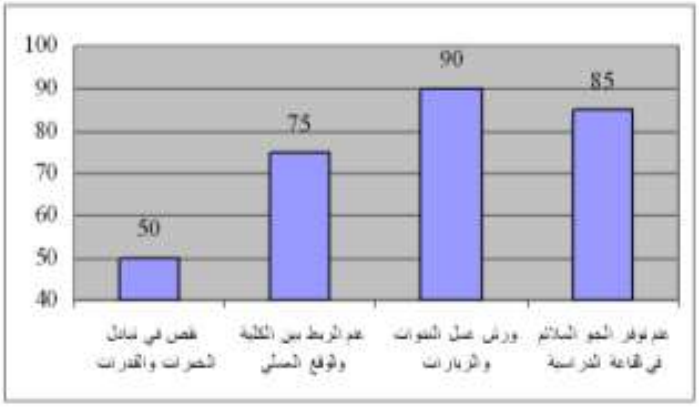

شكل (33) يبين الأسباب الفرعية للسبب الثانوي الخاص بالخدمات التعليمية

كانت نسبة من أكدوا أن نقص القيام بعمل الندوات وورش العمل والزيارات أحد الأسباب الفرعية المؤثرة على السبب الثانوي الخاص بالخدمات التعليمية (90٪) ، بينما عدم توفر اللجوء الملائم في القاعة الدراسية (85٪) وعدم الربط بين الكلية والواقع العملي (75٪) ، ونقص في تبادل الخبرات والقدرات الطلابية بين الجامعات (50٪) وهذا يدلل على أن الندوات والزيارات وكذلك ورش العمل من أهم الأسباب تأثيراً على السبب الثانوي المتمثل بالخدمات التعليمية تليها عدم توفر الجو الملائم في القاعة من حيث الضوء والحرارة... ثم عدم الربط بين الكلية والواقع العملي وأخيراً نقص تبادل الخبرات بين الجامعات .

*** سبب فرعي (القاعات الدراسية):**

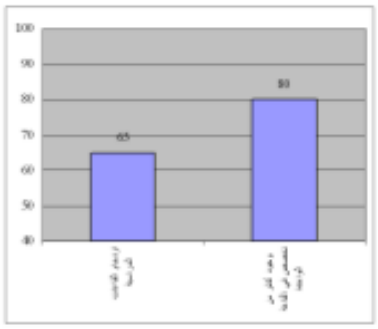

شكل (34) يبين الأسباب الفرعية للسبب الثانوي الخاص بالقاعات الدراسية

وكما مبين في الشكل البياني نجد أن نسبة وجود أكثر من تخصص في القاعة الواحدة (80٪) ، بينما ازدحام القاعات الدراسية (65٪) وهو ما يبين أن أهم الأسباب المؤثرة على السبب الثانوي وجود أكثر من تخصص في القاعة الواحدة كونها تمثل إزعاجاً كبيراً للطلاب أثناء عملية الشرح من قبل المدرس .

*** سبب فرعي (المكتبة) :**

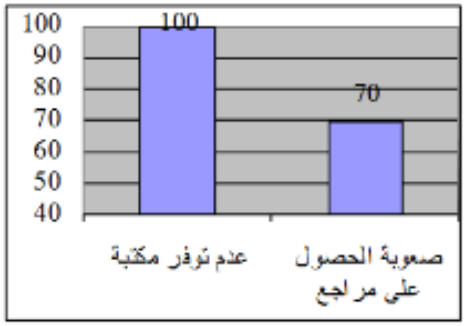

شكل (35) يبين الأسباب الفرعية للسبب الثانوي الخاص بالمكتبة

من خلال تحليل إجابات العينة يلاحظ أن عدم توفر مكتبة ملائمة تأتي في مقدمة الأسباب والأكثر تأثيراً على السبب الثانوي والمتمثل بالمكتبة بنسبة (100٪) .

مما يعني أن للمكتبة تأثيراً كبيراً في أسباب رسوب الطلاب ، تليها صعوبة الحصول على مراجع بنسبة (70٪) .

*** سبب فرعي (الخدمات الطلابية) :**

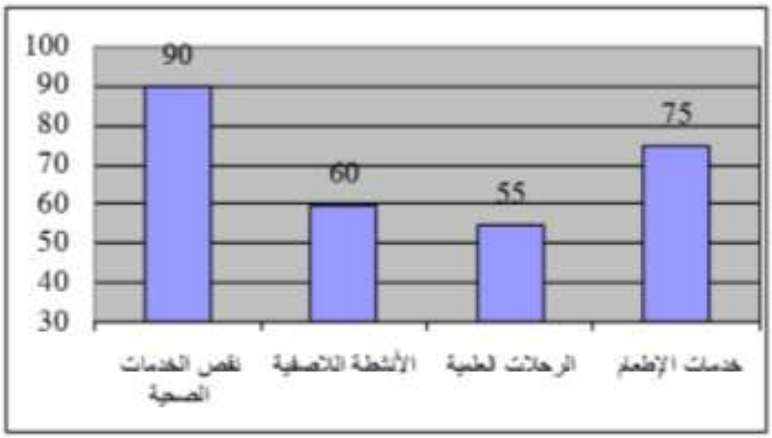

شكل (36) يبين الأسباب الفرعية للسبب الثانوي الخاص بالخدمات الطلابية

من خلال الرسم البياني شكل (35) نلاحظ أن نقص الخدمات الصحية تمثل (90٪) ، بينما خدمات الإطعام كانت بنسبة (75٪) ، أما الأنشطة اللاصفية تمثل (60٪) ، وأخيراً الرحلات العلمية

بنسبة (55٪). وهو ما يبين أن الخدمات الصحية من أهم الأسباب المؤثرة على السبب الثانوي بالخدمات الطلابية لما له من أهمية في تهيئة الطالب للدراسة دون أي عارض آخر قد يعيقه في عملية الدراسة .

النتائـــــج

يتناول هذا المبحث النتائج التي توصل إليها الباحث وهي كما يأتي :

3 - أظهر التحليل بأن الطالب من أهم الأسباب الرئيسية تأثيراً على نسبة الرسوب وهو ما يدعم تساؤلات البحث الأولى ، حيث أظهرت إجابات العينة مدى تأثير المستوى التعليمي والجوانب الاقتصادية والاجتماعية عند الطالب على الرسوب .

4 - تبين من التحليل أن الوسائل المساعدة للعملية التعليمية والتربوية من الأسباب التي تؤثر في الرسوب عند الطالب وهو ما يثبت فرضية البحث الرابعة .

5 - تبين من خلال التحليل تأثير المقررات الدراسية على نسبة الرسوب وهو ما يؤكد تساؤلات البحث الثانية .

6 - أظهر التحليل تأثير أعضاء هيئة التدريس على نسبة الرسوب وهو ما يثبت التساؤلات الثالثة ولكن بنسبة محدودة بالمقارنة بالأسباب الأخرى ، حيث أتت طريقة عضو هيئة التدريس قبل الأخيرة من بين الأسباب الرئيسية المؤدية للرسوب ، في حين كانت اللوائح والقوانين من الأسباب في التأثير على نسبة الرسوب ولكن في المرتبة الأخيرة .

7 - تبين من خلال التحليل أن من أهم الأسباب الرئيسية لارتفاع نسبة الرسوب هو الطالب تليها الوسائل المساعدة للعملية التعليمية والتربوية ، وتبين أن أهم الأسباب الثانوية تأثيراً في السبب الرئيسي (الطالب) هي المستوى التعليمي عند الطالب والتي تؤثر فيها الأسباب من الدرجة الثالثة (الفرعية) والمتمثلة بعدم الحضور في القاعة الدراسية من قبل الطالب ، كما تبين أن أهم الأسباب الثانوية تأثيراً على السبب الرئيسي (الوسائل التعليمية التربوية) هي المكتبة بنسبة (95٪) تليها الخدمات التعليمية .

8 - من خلال تحليل الأسباب يمكن ترتيب أهم الأسباب الثانوية الأكثر تأثيراً على نسبة الرسوب كالتالي : أ) المكتبة ب) الخدمات التعليمية. ج) محدودية التوزيع الأمثل للمواد الدراسية. د) المستوى التعليمي . هـ) عدم الربط بين مفردات المواد الدراسية من مستوى إلى آخر. و) الجوانب الاقتصادية . ز) الخدمات الطلابية . ح) كثرة مفردات المادة الواحدة . ط) القاعات الدراسية . ي) التخصص الدقيق للمدرسين.

بينما كانت أقل الأسباب الثانوية تأثيراً على نسبة الرسوب هي :

أ) مؤهلات المدرسين. ب) ارتفاع تكلفة أسعار الملازم. ج) صعوبة مفردات المقررات الدراسية.

د) اللوائح والقوانين .

9 - أظهر التحليل أن أهم الأسباب الفرعية تأثيراً على نسبة الرسوب كانت حسب ترتيب الأهمية كالتالي : أ) عدم توفر مكتبة في الكلية. ب) عدم الحضور في القاعة الدراسية. ج) غياب روح المنافسة بين الطلاب. د) الندوات –

الزيارات العلمية – ورش العمل. هـ) نقص الخدمات الصحية . و) عدم الاهتمام والمثابرة . ز) عدم توفر الجو الملائم في القاعة الدراسية. ح) وجود أكثر من تخصص في القاعة الواحدة.

بينما كانت أقل الأسباب الفرعية تأثيراً على نسبة الرسوب هي :

أ) محدودية الاطلاع من قبل الأستاذ/ المدرس . ب) التأهيل والتدريب للمدرسين . ج) الزواج المبكر للطالب . د) الرحلات العلمية . هـ) ازدحام القاعات الدراسية. و) تحمل الطالب أكثر من مادة. ز) محدودية تكريم الطلاب .

التوصيـــــــات

من خلال استعراض النتائج المستخلصة يمكن أن نخرج بالتوصيات الآتية :

1 - العمل على بث روح المنافسة التعليمية والعلمية عند الطلاب من خلال تكريم الطلاب المتفوقين وإعلان أسمائهم على لوحة الإعلانات والمنشورات الموجودة داخل الكلية وإعطائهم بعض المميزات .

2 - جعل المستوى الثاني في جميع الأقسام محطة تصفية لجميع المواد الدراسية ، على أن لا يصعد إلى المستوى الثالث إلا وهو (ناجح) بجميع المواد التي تم دراستها في المستوى الأول والثاني .

3 - تشكيل لجنة متخصصة من رؤساء الأقسام وأعضاء هيئة التدريس يقومون بالآتي :

أ) إعداد المناهج الدراسية (مادة علمية مركزة) تفيد الطالب أولاً ومرتبطة بالواقع العملي.

ب) إعادة النظر في توزيع المقررات الدراسية على السنوات الدراسية بما يتناسب مع قدرات الطالب .

ج) تنسيق المواد في كل قسم وترابطها مع بعضها البعض من أجل عرض الفكرة بالتسلسل المنطقي .

4 - العمل على توفير ملاك تدريسي متخصص ومؤهل يستطيع التعامل مع مختلف شرائح الطلاب والمستويات ، وإعطائه المواد في حدود تخصصه من أجل تنفيذ المادة على الطلاب بشكل جيد وصحيح ، مع مراعاة أن كثرة العبء التدريسي (عدد المقررات الدراسية) على الأستاذ لا تخدم الطالب .

5 - العمل على توفير مبنى مستقر وخاص بكلية التجارة ومستقل بذاته يحوي كافة شرائح الطلاب والأقسام الموجودة في الكلية والإدارة وكذلك توفير مكاتب لكل قسم ولأعضاء هيئة التدريس من أجل تسهيل التقاء الطالب بالأستاذ .

6 - ضرورة توفير القاعات الدراسية لكافة الأقسام مزودة بكافة الوسائل التعليمية من الإضاءة والتهوية ومكبرات الصوت والسماعات وسعة القاعة ، مع مراعاة عدم دمج المحاضرة لأكثر من قسم أو مستوى .

7 - ضرورة توفير مكتبة خاصة للكلية مزودة بكافة الإصدارات والكتب والمنشورات والدوريات العلمية وذلك من أجل تزويد الأستاذ والطالب بكل جديد وكذلك سهولة الحصول على المرجع .

8 - إقامة الرحلات العلمية والندوات وورش العمل واستقطاب محاضرين من بعض الجهات المعنية من أجل ربط الكلية بالواقع العملي وتحقيق الاستفادة لكلا الطرفين .

9 - نوصي باعتماد مؤشرات هذه الدراسة لتشمل نتائج الفصل الدراسي الثاني .

المصـــــــادر

أولاً: الكتب العربية:

1) بادبرو ، اديدجي ، "الدليل الصناعي إلى آيزو 9000" ترجمة فؤاد هلال ، ط (1) ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، مصر ، 1997.
2) البكري ، سونيا محمد "إدارة الجودة الكلية" ، الدار الجامعية ، الاسكندرية ، 2002.
3) البكري ، سونيا محمد "نظم المعلومات الإدارية: المفاهيم الأساسية" الدار الجامعية ، الاسكندرية ، 2003م.
4) التميمي ، حسن عبدالله "إدارة الإنتاج والعمليات: مدخل كمي" ، ط (1) ، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، 1997.
5) زين الدين ، فريد عبدالفتاح ، "إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات العربية" ، القاهرة ، 1996م.
6) زين الدين ، فريد عبدالفتاح ، "فن الإدارة اليابانية – حلقات الجودة – المفهوم والتطبيق" القاهرة ، دار الكتب للطباعة والنشر ، 1998.
7) مصطفى ، سيد أحمد ، "إدارة الجودة الشاملة والآيزو 9000" ، ط (1) ، القاهرة ، دار شعاع ، 1998م.
8) مصطفى ، سيد أحمد ، "إدارة الإنتاج والعمليات في الصناعة والخدمات" ، ط (3) ، بنما ، 1998م.
9) نجم ، عبود نجم ، "إدارة العمليات: النظم والأساليب والاتجاهات الحديثة" ، الجزء الثاني ، المملكة العربية السعودية ، معهد الإدارة العامة ، الرياض ، 2001.
10) الهيتي ، خالد عبد الرحيم ، "إدارة الموارد البشرية: مدخل استراتيجي" عمان ، دار وائل للطباعة والنشر ، 2000.

ثانياً: الكتب الأجنبية:

11) Dilworth, J.B., "Operations Management: Design, planning and Control of Manufacturing Services", Mc-Graw Hill, New York, 1993.
12) E.Adam, Jr. and R.J. Ebert, "Production and operations management", printice-Hall of india, Newdeihi, 1993.
13) Evans, J.R., "Production Operations Management Quality, performance, and value", 5th, ed, New York, West publishing Co., 1997.
14) Ishikawa, K., "Guide to Quality Control", Asian productivity organization, Tokyo, 1989.
15) Markland, R.E., Vickery, S.K. Davis, R.A, "Operations Management Concepts in Manufacturing and Services", New York, west publishing Co., 1995.
16) Schroeder, R.G., "Production and operations Management", Mc-Graw Hill Book Co., New York, 1989.
17) Schonberger, R.J. "World class Manufacturing", Free press, New York, 1991.
18) Weiss, A., "Simple Truths of Japanese Manufacturing", Harvard Business Reviewe, July, August, 1993

العمارة التقليدية في مدينة إب القديمة
وتلاؤمها مع البيئة المحيطة

د.م. محمد أحمد حسن الحدأ
أستاذ الهندسة المعمارية المساعد - كلية الهندسة جامعة إب

الملخص :

تعرف العمارة التقليدية بأنها تلك العمارة التي ارتبطت ظروف نشأتها بمنطقة جغرافية معينة، واكتسب منحى تطورها طابعه الديناميكي المميز من خلال استخدام المواد والأساليب المحلية، والتفرد بحلول تطبيقية للمشكلات البيئية الموجودة بمجتمعاتها، وتندرج العمارة التقليدية في مدينة إب القديمة تحت أطار هذا التعريف فقد نشأت وتطورت من خلال التفاعل الفكري بين الإنسان وبيئته الحضرية حيث تمكن الإنسان في مدينة إب القديمة من تطويعذ الفراغ المحيط به وأن يكيفه وفقاً للثوابت العمرانية من نظم بيئية وإسلامية إلى جوانب العوامل الطبيعية، ومواد البناء المتوفرة محلياً، وبالتالي أستنبط نسيجاً عمرانياً بسيطاً متميزاً بملامحه المعمارية والعمرانية وملبياً لمتطلبات الناس واحتياجاتهم الاجتماعية والاقتصادية والبيئية. وظلت مدينة إب القديمة متكيفة داخل سورها ومحتفظة بوحدتها وتكاملها معمارياً وبشرياً حتى قيام الثورة المباركة عام 1962م والتي مثلت نقطة البداية للتوسع العمراني خارج سورها، ودخول العمارة الحديثة بموادها وأشكالها المتنوعة، وشهدت مدينة إب في الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين توسعاً عمرانياً كبيراً لاستقبال الأعداد المتزايدة من سكان المدينة الأمر الذي أدى إلى ظهور مبانٍ سكنية بإشكال تقليدية وحديثة نظامية وعشوائية تحمل مواصفات غير ملائمة لظروف البيئة المحيطة. يتوصل البحث إلى أن العمارة التقليدية في مدينة إب القديمة قد توافقت وتلائمة مع الظروف البيئية بجوانبها المتعددة وحققت حالة من التوازن التي تفتقد إليها العمارة الحديثة في مدينة إب الحالية، ويخلص البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات التي تفيد قطاع الإسكان الحديث والمعاصر في مدينة إب.

1- المقدمة : إب مدينة يمنية عريقة وتاريخها موغل في القدم، وهي حاضرة كمثلها من الحواضر في شتى بقاع الأرض بنشأتها وتطورها، و إب هي اسم المحافظة واسم عاصمتها. نشأت مدينة إب القديمة على ربوة عالية من جبل بعدان وظلت فترة من الزمن محتفظة بشكلها وتكاملها معمارياً وبشرياً حتى قيام الثورة عام 1962م حيث شهدت مدينة إب القديمة توسعاً معمارياً كبيراً خارج سورها، أمتد إلى مسافات كبيرة، وأتسم هذا الامتداد باتخاذ الربى المحيطة بالمدينة القديمة موضعاً للتوسع العمراني حيث بدأ البناء في مواقع غير زراعية في أعالي الربى مثل ربوة المنظر وجرافة، ثم انحدر البناء ليشمل الأراضي الزراعية في وادي الظهار غرباً وخاصة في مرحلة السبعينات من القرن العشرين ثم أخذ التوسع العمراني في اتجاه السحول شمالاً ووادي ميتم جنوباً مع بقاء الزحف العمراني غرباً بشكل كبير.[1، ص 81] حالياً يحيط بمدينة إب القديمة

طريق مسفلت من جهتها الشرقية والجنوبية يسمى الدائري الشرقي يربطها بالتوسعات العمرانية خارج سورها، وهذه التوسعات التي لم يحكمها نظم ولا محددات، فقد التهمت البساط الأخضر الذي عرفت به مدينة إب قديماً وصارت المدينة اليوم شبه واحة للمباني الأسمنتية المشوهة التي فقدت كثيراً من القيم والعناصر المعمارية التي ميزت العمارة التقليدية في مدينة إب القديمة ولهذا جاءت أهمية هذا البحث.

1-1. المشكلة البحثية : نتيجة لعدم وجود دراسات متخصصة تتناول بالبحث العمارة التقليدية في مدينة إب ونموذجها السكني التقليدي الذي تميز بقدرته العالية على التوافق والتلاؤم مع ظروف البيئة المحيطة، التي افتقدت إليها العمارة الحديثة ونظامها السكني خلال مراحل التوسع العمراني للمدينة لذا فإن هذه الدراسة تأتي كضرورة ملحة للتطرق إلى بعض جوانب هذه المشكلة لتخلص إلى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات التي تفيد في تحقيق عمارة معاصرة متواصلة مع التراث المعماري وتتلاءم مع الظروف مع الضروف البيئية لمدينة إب.

1- 2 . هدف البحث : يهدف البحث إلى دراسة العمارة التقليدية والوحدة الأساسية المكونة لبنية مدينة إب القديمة (المجموعة السكنية) ونموذجها السكني التقليدي المتميز لاستخلاص القيم والمفاهيم والمعالجات المعمارية للظروف البيئية والمناخية التي تميزت بها العمارة التقليدية في مدينة إب القديمة، للاستفادة منها في قطاع الإسكان الحديث في مدينة إب بما يتفق مع المفاهيم التقليدية ويلبي الاحتياجات الوظيفية الجديدة والمعاصرة.

1-3 . فرضيات البحث : هناك عدد من الدراسات السابقة التي تناولت الخصائص المناخية وأثرها على الخصائص المعمارية في المدن اليمنية، وكذا الخصائص العمرانية والمعمارية الإبداعية للعمارة السكنية التقليدية بالجمهورية اليمنية ولم تتطرق هذه الدراسات إلى الحلول والمعالجات المعمارية لظروف البيئة المختلفة التي تميزت بها العمارة التقليدية ونموذجها السكني في مدينة إب القديمة.

1 - 4 . منهجية البحث : اعتمد البحث على الدراسة الميدانية والنظرية وعلى منهج التحليل المقارن للعمارة والعمران التقليدي في مدينة إب القديمة ومراحل التوسع العمراني الحديث خارج سورها بنظمه وأشكاله المختلفة بهدف الوصول إلى تحقيق هدف البحث.

2- موقع مدينة إب القديمة : قامت التجمعات السكنية في اليمن عامه و إب خاصة في أماكن ذات قيمة استراتيجية اقتصادية (زراعية، تجارية) ودفاعية في نفس الوقت. [2، ص 159] وتعد مدينة إب القديمة إحدى التجمعات السكنية الواقعة في قلب اليمن السعيد وفي مكان متوسط وهام يربط أهم المدن الحيوية في اليمن قديماً وحديثاً وقد اتخذت مدينة إب القديمة من بعض قمم السفح الغربي لجبل بعدان موضعاً لها وكانت في نشأتها الأولى متحصنة داخل سور على هضبة(ربوة) ذات الشكل المربع الغير متساوي الأضلاع المرتفع نسبياً بين خطي الكنتور 2050، 2000 م عن مستوى سطح البحر وتحتل مساحة تقدر بـ 140 , 13 هكتار،

يطل عليها من الشرق سفح ريمان من جبل بعدان ويفصل بين الربوة التي تقع عليها وسفح ريمان وادي ضيق تسيل منه مياه الأمطار يطلق عليها أسم السائله، كما يحيط بمدينة إب القديمة جبال مهمة هي جبل بعدان الشامخ يظللها من جهة الشرق، وجبل التعكر الذي يفصله عنها وادي ميتم من جهة الجنوب، وجبل المسواد من جهة الجنوب الشرقي بين بعدان و التعكر، أما من جهة الغرب فتطل المدينة القديمة على وادي الظهار وعلى وادي السحول من جهة الشمال. [3، ص 21] إن اختيار موقع مدينة إب القديمة على ربوة عالية قد خدم أغراضاً وحاجات إنسانية واستراتيجية عديدة منها الابتعاد عن مجرى السيول الجارفة التي تنحدر من الجبال المحيطة بها وخاصة جبل بعدان وكذا تجنب الاعتداء على الأراضي والوديان الزراعية مثل وادي الظهار ووادي ميتم هذا بالإضافة إلى الحفاظ على الثروة الوطنية من خلال استصلاح الأراضي الجبلية والمرتفعات لأغراض السكن والمعيشة، وكل هذا قد أسفر عن توزيع ملائم للقوى البشرية وبصورة تلقائية تتناسب مع مرافق المدينة الاقتصادية [4، ص 36] بحيث تتوزع الوظائف الحضرية على كافة المراكز الحضرية الكبيرة منها والمتوسطة والصغيرة، وبما يساعدها على القيام بدورها في التنمية الحضرية، كما منح ارتفاع المدينة ميزة دفاعية داخل سورها لصد الهجمات الخارجية التي كانت تهدد المدينة أحيانا.

3 - تخطيط مدينة إب القديمة : ساهمت مجموعة من العوامل في إعطاء مدينة إب القديمة تخطيطها الحالي منها ما يتعلق بالموقع وطبيعة الأرض ومنها ماله علاقة بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدفاعية إضافة إلى العامل البيئي والمناخي وتعتبر مدينة إب القديمة من المدن الدفاعية حيث يحيط بها من جميع الجهات سور من الحجر المنجور يبلغ طوله 1450م ويتراوح ارتفاعه مابين 6 -9 أمتار، [5، ص152] تتوزع على طول السور أبراج دائرية مرتفعة ذات فتحات صغيرة تسمى النوب، تستخدم هذه الأبراج للحراسة والاستطلاع خارج السور. ولمدينة إب القديمة خمسة أبواب موزعة في اتجاهات مختلفة تؤدي مداخل هذه الأبواب إلى ممرات مبلطة بالحجارة ، تمر بالحارات السكنية والأسواق والمساجد وصولاً إلى الجامع الكبير في وسط المدينة، وكما نجد الجامع الكبير والمساجد والمدارس الإسلامية فإننا نجد ايضاً العديد من السماسر (الخانات) والأسواق الرئيسية التي تميزت بعزلها عن المناطق السكنية وهذه الأسواق قد تكون ملتصقة أو متفرعة ذات فتحات صغيرة تزاول فيها مختلف الأنشطة التجارية والحرف المتنوعة، وترتفع الدور الكبيرة ذات الطوابق المتعددة على جانبي الطرق والممرات مما يوفر الظل وخلق الراحة الحرارية للمشاة على هذه الطرق والممرات التي تتميز بضيقها وتعرجاتها وعدم انبساطها، كما يحتوي تخطيط مدينة إب القديمة على العديد من الساحات التي تلعب دوراً كبيراً في إقامة الأنشطة الاجتماعية المختلفة، (انظر شكل1) بالإضافة إلى ساقية لإيصال المياه من أعالي جبل بعدان إلى مساجد مدينة إب القديمة ومساكنها المختلفة.

3-1. نمط النسيج العمراني لمدينة إب القديمة :

يسود مدينة إب القديمة النسيج العمراني المتراص عالي الكثافة الذي يشبه الكتلة الواحـدة الأمـر الـذي أدى إلـى جعل شوارع مدينة إب أزقة وممرات ضيقة تمتد بين البيوت والحارات السكنية، ويعبر النسيج العمـراني عــن التجانس والتكامل بين المجتمع من حيث الارتفاع المناسب للمباني والأحجام المتقاربة للمساكن وقـد جـاء هـذا الحل متجاوباً مع صغر مساحة المدينة كونها تقع على ربوة مرتفعة عن محيطها الأمر الـذي أدى إلـى جعـل توسعها وانتشارها أفقياً أمراً صعباً للغاية فاتجهت المدينة للتوسع الراسي.

2-3. تلاؤم تخطيط مدينة إب القديمة مع الظر وف المناخية :

نجحت العمارة التقليدية في مدينة إب القديمة إلى حد كبير في تحقيق قدر كبير من الملاءمة تجاه الظروف المناخية حيث اعتمدت على عناصر المناخ الطبيعية وحققت بذلك الراحة الحرارية للإنسان وساعدت على حركة الهواء والإشعاع وكانت موفقة في التقليل من الظواهر السلبية والاستفادة من العناصر الايجابية من المناخ[6، ص79] وذلك كالآتي :

● توجيه المدينة – الملاحظ من موقع المدينة أنها تتجه بالاتجاهات الأربعة الرئيسية حيث تطل واجهاتها الأساسية على وادي ميتم والظهار من جهة الجنوب والغرب وعلى جبل بعدان ووادي السحول من جهة الشرق والشمال كما أن محاور الحركة الرئيسية متجهة بشكل مرن وانسيابي تسمح بمرور حركة الرياح الجنوبية الغربية وتتجه الساحـة الرئيسية (ساحة الجاءة) نحو الجنوب الغربي لاستقبال الريـاح الجنوبية الغربية الحميدة، و يعـمل جـبل بعدان وارتفاعات المباني في الجهة الشمالية الشرقية على حماية مدينة إب القديمة مــن الريـاح الشمالية الشرقية الباردة شتاءً كما تم توجيه المباني السكنية التقليدية في مدينة إب القديمة نحو الجنوب كونه التوجيه الأمثل من حيث التعرض للأشعة الشمسية الشتوية فكمـا هــو معروف أن الجهة الشمالية لأتسقط عليها أشعة الشمس لأنها تميـل بزاويـة °(33,5) ثلاثة وثلاثين درجة ونصف الدرجة في منتصف النهار وشروقها وغروبها بزاوية معينة تختلف عن زوايا الصيف حيث لا تزيد زاوية الميل عن خمس درجات °(5) عند منتصف النهار وبالتالي تعتبر أشعة الشمس عنصراً مرغوباً جداً في مدينة إب القديمة نظراً لاعتدال مناخها الدائم وهي مرغوبة أكثر في الشتاء عنها في الصيف. [7، ص8] وبما أن الجزء الشمالي من المبنى هو الجزء الأكثر برودة لذا فقد وضعت الأجزاء الخدمية مثل المطابخ والحمامات والمخازن والسلالم في الاتجاه الشمالي للمباني السكنية التقليدية فيما احتلت الغرف الهامة بقية الاتجاهات.

● **الشوارع والأزقة** - في مدينة إب القديمة ضيقة تتضح فيها المحورية وتنتهي بمساحة صغيرة أمام مجموعة البيـوت والتي هي منطقة التقاء أكثر من طريق حركة، تمثل الساحات مـا يشبه الأحـواش الـممتدة أفقـياً في المدن الإسلامية والبساتين الخضراء (المقشامة) في مدينة صنعاء القديمة فهي تشكل متنفساً للمباني المحيطة بها و تعمـل على تشجيع حركة الرياح خلال الأزقة والممرات الضيقة المظللة إلى هـذه الساحات مما يساعد على التهوية الطبيعية داخل التجمعات السكنية لمدينة إب القديمة. [2، ص117]

● **نمط النسيج العمراني** - يسود مدينة إب القديمة النسيج العمراني المتراص المتقارب مع سيادة الاتجاه

الراسي للمباني السكنية التقليدية بسبب ضيق مساحة مدينة إب القديمة مما يساعد على زيادة مسطحات الإظلال على واجهات المباني وعلى الممرات البينية غير المنتظمة بينهما مما يقلل الكسب الحراري المباشر عبر الجدران الخارجية خلال أيام الصيف.

3- 3. العناصر التخطيطية الرئيسية المكونة لمدينة إب القديمة :

● **المباني السكنية** : تمثل المباني السكنية التقليدية الوحدة التكوينية الأساسية لمدينة إب القديمة فهي تشكل النسبة الكبرى من مساحة المدينة وتتميز بصغر مساحتها وارتفاع طوابقها التي تتراوح بين (4– 6 طوابق).

● **الحارة** : هي فضاء ناتج عن تجمع عدة مباني سكنية، وهي من أهم مميزات مدينة إب القديمة.

● **الطريق** : هو محور الحركة الذي يربط أجزاء المدينة ببعضها وهي تنقسم إلى شوارع رئيسية وفرعية وثانوية تؤدي إلى التجمعات السكنية.

● **الساحات** : هي منطقة توسع ضمن الحركة ناتجة عن التقاء عدة ممرات أو محاور حركة مع بعضها وتلعب دوراً كبيراً في إقامة الأنشطة الاجتماعية المختلفة ومكاناً آمناً للعب الأطفال.

● **المنشآت الدينية والخدمية** : وهي كثيرة ومتنوعة دينية ودنيوية وتشمل المساجد والمدارس والسماسر بأنواعها والحمام والسبل والإدارة ...الخ.[8، ص4] وتقع في أماكنها المحددة والمناسبة حول السوق وقليل منها موزعة على الحارات حسب احتياجاتها الوظيفية.

● **الأسواق** : هي المباني التجارية الواقعة في قلب المدينة وتحتوي على محلات تجارية متنوعة وصناعات حرفية متعددة، ونجد العلاقة الوظيفية بين جميع هذه العناصر متماسكة ومترابطة وفي نفس الوقت كل له خصوصياته لأن تكوينه كان عضوي مبنياً على تلبية الحاجات المتتالية خلال نمو مدينة إب القديمة.[8، ص4]

من خلال ما سبق يمكن القول إن تخطيط مدينة إب القديمة وحارتها السكنية تعتبر جزء من تكوين متكامل للمدينة مادياً وروحياً، وقد ارتبط بتكوين المدينة الخدمي والتجاري المادي والروحي والذي يتجسد من خلال الطرق والخدمات بأنواعها المختلفة، ويركز البحث على دراسة المبنى السكني التقليدي في مدينة إب القديمة ومفرداته المعمارية بصورة أساسية : لأنه أولاً يحتل النسبة الكبيرة من مساحة المدينة، وثانياً لأنه تعامل مع استخدام الأرض بطريقة راقية وفريدة تخطيطياً وعمرانياً بشكل متوازن ومتجانس، وثالثاً لأنه تجاوب مع ظروف البيئة والمناخ وتوافق مع التكوين الاجتماعي والروحي للسكان وانعكس ذلك على سلوكهم والتزامهم بحقوق جيرانهم سواء أكانوا نزلاً أم ضيوفاً.

4 - المباني السكنية التقليدية في مدينة إب القديمة :

إذا ذكرت مدينة إب القديمة فإن ذلك يرتبط مباشرة بمبانيها السكنية التقليدية ذات الطراز المتميز سواء في عمارتها وأسلوب بنائها أو ما تحفل به من عناصر زخرفيه تزين واجهاتها، وتتميز المباني السكنية بارتفاع طوابقها التي تزيد عن خمسة أو ستة طوابق.[5، ص159] ويبدو أن مثل هذه المباني الكبيرة أو ما يطلق عليها اسم المباني البرجية المربعة كان موجوداً قبل الإسلام، فأول وصف لهذه المباني في الإسلام كان قد

ذكره ابن روسته وهو مفكر ورحاله في عام (290هـ/903م) حيث يقول : (المباني الرائعة ترتفع واحداً بجانب الأخر)، وكذلك الرازي الذي ذكر(أن المباني كانت عالية وذات منظر مهيب وبعضها له أجزاء مرتفعة)، وهكذا فإن هذا النمط من المباني يعتبر قديم الجذور وظل يتوارث إلى أن وصل إلى شكله الحالي (أنظر شكل 2).

4 -1. الخصائص العامة للمباني السكنية التقليدية بمدينة إب القديمة: [9، ص206]

- تتميز المباني السكنية التقليدية في مدينة إب القديمة بتراصها بجوار بعضها البعض وبأسلوبها المتبع في ترتيب واستخدام مواد بنائها المحلية.
- ندرة الفتحات في الأجزاء السفلية من المبنى وذلك يعطي إحساساً بالقاعدة المتينة للمبنى وتزداد فيه الفتحات وتتسع كلما ارتفعنا لأعلى حيث المفرج في القمة والذي يغلب فيه نسبة الفتحات على الحوائط.
- التميز والخصوصية في تنفيذ عناصر الواجهة بحيث يكون من النادر اتصال مبنيين متجاورين في واجهة معمارية واحدة، أو التشابه فيما بينهما رغم التوافق في الطراز الفني العام.
- تمثل المباني السكنية التقليدية في مدينة إب القديمة في مجموعها أشكالاً هندسية أغلبها عبارة عن متوازي المستطيلات والمكعبات وهي في تشكيلاتها ونسبها تعطي الإحساس بالاتجاه الراسي والحس بالارتفاع.
- يبدوا في بعض المباني السكنية التقليدية عدم استقامة حوائطها، بحيث يكون عرض الواجهة من أعلى أقل من عرضها من أسفل، وهذا يرجع إلى طريقة البناء التي كانت سائدة منذ فترة وتقوم على الارتداد للداخل مع كل صف من أحجار البناء هذه ملليمترات مما أعطى هذا الشكل الذي يمكن إدراكه في عدد من المباني التقليدية في مدينة إب القديمة.
- تمثل الغرفة العلوية في قمة بعض منازل الميسورين ظاهرة تكاد تكون عامة وتسمى المفرج وتعتبر من أهم الغرف ومنها يمكن النظر من جميع الاتجاهات تقريباً.

4 -2 .تصميم المبنى السكني التقليدي في مدينة إب القديمة: [5، ص159]

أخذت المباني السكنية التقليدية في مدينة إب طابع المنازل البرجية الحجرية المتعارف بها في المناطق الجبلية وارتكزت هذه المباني على قاعدة من أحجار الجرانيت المقاومة للرطوبة يبلغ سمك جدرانها مابين70– 100 سم، مغطاة بطبقة من القضاض يرتفع على هذه القاعدة الطابق الأرضي (السفلي) الذي يتكون بالعادة من غرفه مربعة أو مستطيلة الشكل خالية من النوافذ، وفي بعض الأحيان يكتفي بفتحات صغيرة مستطيلة الشكل يطلق عليها محلياً (الشواقيص) لغرض التهوية، وتستخدم هذه الغرف في الغالب كحظائر للحيوانات، ومخازن للحبوب والوقود من أعشاب وحطب، وآلة طحن الحبوب الحجرية، وخزانات المياه الفخارية. يتم الدخول إلى هذا الطابق عبر مداخل واسعة نجدها في الغالب تتكون من فتحات معقودة بعقد نصف دائري مفتوح أو مصمت، يعلو المدخل عتبة سميكة من الخشب عليها زخارف كتابية وقد زودت هذه المداخل بأبواب من الخشب من دلفه واحدة أو دلفتي تحلى بإطارات مزخرفة بزخارف مسننة، في المباني السكنية التي تطل على الطرقات الرئيسية والأسواق يتم استغلال الواجهات في

بناء الدكاكين ذات مداخل مرتفعة يتقدمها(دكه)، ومن الطابق الأرضي ينطلق السلم (الدرج) صاعداً إلى الطوابق العليا. يحتوي الطابق الأول عادة ما على الديوان وهو مكان متسع مستطيل يطل غالباً على الشارع ،كما يحتوي هذا الطابق على بعض الغرف الخاصة بالضيوف. أما الطوابق التالية فتأخذ وظائف عدة منها غرفة الجلوس (السمرة) وغرف النوم للنساء والأطفال، والطوابق الأكثر ارتفاعاً خصصت لشئون التدبير المنزلي ويتكون من غرف المعيشة والمطبخ والحمام ومخزن الغذاء. ويعتبر هذا الطابق من أهم طوابق المبنى السكني التقليدي في مدينة إب، والذي يشهد حركة العائلة تقريباً طوال اليوم وفي الطابق الأخير يبني الميسورون غرفةالمنظر (المفرج) ولها مساحة صغيرة وتطل على الأماكن المفتوحة للتمتع بمشاهدة جمال الطبيعة، أما سطح المنزل فيعتبر متنزه للعائلة خصوصاً النساء، كما يستخدم لنشر الملابس وأخذ حمام شمسي وزراعة النباتات العطرية. (أنظر شكل 3) من خلال الدراسة التحليلية السابقة نلاحظ الأتي : -

1 - المبنى السكني التقليدي في مدينة إب القديمة قد أتخذ النظام السكني ألبرجي مما تطلب تقسيم في الاستعمال الوظيفي لفضاءات المبنى السكني وروعي ذلك بعناية وفقاً للاحتياجات الوظيفية والاجتماعية والدفاعية والمناخية.

2 - تميز المبنى السكني التقليدي في مدينة إب القديمة بوجود فصل بين ثلاث وظائف رئيسية وهذا الفصل واضح بشكل عمودي في المبنى حيث تم تخصيص الطابق الأرضي وأحياناً الذي يليه في بعض المباني السكنية الكبيرة كفضاء خاص بالخدمات (حظائر، مخازن، ....الخ) أما الطابق الأول وأحياناً الطابق الثاني في بعض البيوت الكبيرة تستخدم كفضاء خاص باستقبال ونوم الضيوف أما الطوابق العليا فقد خصصت لأهل البيت (معيشة، نوم، ....الخ) وهذا الفصل جاء تلبية للعادات والتقاليد الاجتماعية التي تحتم الفصل بين الرجال والنساء وبين الغرباء وأهل البيت [7، ص20]

3 - لعبت مجموعة من العناصر دوراً كبيراً في عملية تصميم المبنى السكني التقليدي في مدينة إب القديمة منها ما يرتبط بالموقع وطبيعة الأرض المخصصة للبناء عليها ومنها ماله علاقة بالجوانب الاقتصادية (تجارية، زراعية) والعادات والتقاليد الاجتماعية ومنها ارتبط بالجانب البيئي والمناخي إضافة إلى الجانب الأمني، وهذه العناصر قد أثرت وتفاعلت مع بعضها البعض لينتج الشكل المميز للمبنى السكني التقليدي (البرجي) في مدينة إب القديمة.

3-4 . المفردات المعمارية للمبنى السكني التقليدي في مدينة إب القديمة :

● **التوجيه:** التوجيه له أهمية خاصة في تصميم المبنى السكني التقليدي(البرجي) في مدينة إب القديمة وتوزيع فراغاته (ضيوف و معيشة ونوم وخدمات ... الخ) فهناك مقولة شهيرة يتداولها سكان مدينة إب القديمة وبعض مدن اليمن وهي (أن البيت العدني ذا التوجيه الجنوبي بيت كامل، والبيت الغربي نصف بيت، والبيت الشرقي ربع بيت، أما البيت الشمالي - الموجه للشمال باتجاه (القبلة) - فهو ليس بيتاً).[10، ص15] ولهذا فقد حرص سكان المدينة على تحديد موقع الفراغات الرئيسية والمعيشية والنوم في الاتجاهات الرئيسية والتي تحصل على أكبر كمية من الإشعاع الشمسي شتاءً والتهوية المناسبة صيفاً وحددت الفضاءات الثانوية بالاتجاهات الغير مرغوب فيها مما يؤكد مدى وعي السكان لمسألة التوجيه الصحيح للمباني السكنية التقليدية. كما أن معالجة التوجيه ألزم البنّاء (الأسطى) والمالك أيضاً بتحديد الالتزامات الأدبية والاجتماعية نحو الجار من خلال المعالجات اللازمة لها. [8، ص4]

● **غلاف المبنى :** استخدم سكان مدينة إب القديمة المواد البنائية المتوفرة في المنطقة أهمها حجر (الشيصر) بلونيه الرمادي والبني كما استخدم الجص والنورة (الحجر الجيري) والقضاض (خليط من الجير وكسرات حجرية ناعمة

من حجر الحبش والماء)، والطين، والأخشاب الطبيعية إضافة إلى مادة الرماد(مخلفات عملية حرق الحطب). وقد مثل هذا الاستخدام توجهاً مباشراً وكفؤاً لاستغلال الموارد البيئة المحلية التي أصبحت المصدر الوحيد للبناء في مدينة إب القديمة الأمر الذي يعكس أهمية هذه المواد وصمودها في مختلف الظروف وحتى الآن، كما دل هذا الاستخدام على إبداع الإنسان في مدينة إب القديمة وقدرته على الاستفادة من موارد البيئة المحلية على أكمل وجه.[2، ص124]

● **الجدران** : ارتبطت نظم الإنشاء في عمارة المسكن التقليدي في مدينة إب القديمة خلال مراحل تطوره المختلفة بشكل رئيسي بالمواد المحلية المتوفرة في البيئة فقد شيد المبنى السكني التقليدي في مدينة إب القديمة من مادة الحجر الذي تمثل المادة الأساسية المستخدمة في بناء الجدران والتي أثبتت قدرتها على البقاء لسنين طويلة وكفأتها على العزل الحراري وبالتالي فهي الأنسب للعوامل البيئية والمناخية المختلفة في مدينة إب أما المواد المصنعة الجديدة التي بدأت تستخدم في مدينة إب كالإسمنت و البلوك الأسمنتي والجدران الجاهزة

وغيرها فعلى الرغم من رخصها وسرعتها في عملية البناء إلا أنها ضعيفة في خاصية العزل الحراري. [11، ص23] أن اعتماد السمك الكبير للجدار الذي يتراوح من**1,75** م – **0,40** سم يقلل من انتقال الحرارة عبر كتلة الجدار ويزيد من التخلف الزمني، كما أنه يرفع السعةالحرارية لمقطع الجدار بحيث يتأخر وصول الحرارة أو البرودة إلى الفضاءات الداخلية فتحافظ على برودتها في الصيف وتحتفظ بالحرارة المكتسبة نهاراً في الشتاء، وتنعدم بالتالي الحاجة إلى التدفئة في أقصى أيام الشتاء وكذلك التبريد في أسوأ أيام الصيف و بما أن مادة الحجر المستخدمة في جدران المبنى السكني التقليدي في مدينة إب القديمة ذات لون وردي ورمادي(داكن نسبياً) ولأجل تقليل نفوذ وامتصاص الأشعة الساقطة على الواجهات، استخدم سكان مدينة إب القديمة مادة النورة التي هي الجير أو الحجر الكلسي المطروق وهي مادة بيضاء اللون لطلاء الجدران الخارجية للمبنى السكني التقليدي.[5، ص163] كما أن استخدام النورة في طلاء الجدران الخارجية قد حقق فوائد متعددة منها الأتي :

1 . حماية الجدران من المياه خصوصاً ومدينة إب مشهورة بسقوط الأمطار الغزيرة في فصل الصيف.

2 . زيادة الإضاءة في الطرقات والممرات الضيقة حيث يقل أو ينعدم وصول أشعة الشمس إليها نظراً لارتفاع الأبنية نسبة إلى عرض الأزقة والطرقات والساحات الصغيرة.كما استخدم الجص وهو عبارة عن مادة بيضاء ناعمة تنتج من عملية حرق الحجر الجيري في محارق خاصة وتحت ظروف معينة ، كمادة إنهاء للجدران الداخلية في المباني السكنية التقليدية في مدينة إب القديمة ، والجص يعتبر مادة عازلة ذات خاصية عزل حراري مرتفعة وهو بهذا يحافظ على الراحة الحرارية داخل غرف المبنى السكني التقليدي فيمدينة إب القديمة كما يستخدم أيضاً كعنصر زخرفي على الجدران والسقوف والقمريات التي تعلو النوافذ.

● **الفتحات** : [5، ص161] تمثل الفتحات عنصراً هاماً في الواجهات نظراً لتنوعها واختلاف أحجامها ومواصفاتها وتختلف تصميم الفتحات في المباني السكنية التقليدية لمدينة إب القديمة تبعاً لوظيفة كل فتحة (أنظر شكل4)، لذا تعددت أشكال الفتحات وأبعادها ومواضعها بحيث تؤدي كل منها الوظيفة المطلوبة على النحو الآتي :

1 - **النوافذ** : مثلت النوافذ عنصراً هاماً في واجهات المباني السكنية التقليدية في مدينة إب القديمة نظراً لتنوعها واختلاف أحجامها ومواضعها، حيث تزداد عدداً واتساعاً كلما ارتفعنا لأعلى وينعدم وجودها في

الطابق الأرضي. وهذه النوافذ لا تتواجد غالباً في الجانب الشمالي من المبنى السكني تفادياً للبرودة التي تأتي من هذه الجهة. والنوافذ بصفة عامة صغيرة في مساحتها يغلفها ضلفتان من الخشب، كما تتميز نوافذ الطوابق العليا بانخفاض عتباتها السفلى من أرضية الغرفة ليتسنى للجالسين رؤية ما يدور خارج المبنى. وللنوافذ في المباني السكنية ثلاث وظائف هي الإضاءة، والتهوية، والرؤية.

2- القمرية : استخدمت القمرية كأحد العناصر الوظيفية والجمالية في بيوت مدينة إب القديمة على هيئة قرص دائري أو نصف دائري أو دائرتين متماسين مكسية بحجر ألالباستر الشفاف بسمك واحد سم. ونتيجة لارتفاع ثمن ألواح المرمر تضاءل استخدامها حتى اختفت تماماً واستعيض عنها بقمريات من الجص ذات الزجاج الملون المعشق بالجص. والوظيفة الأساسية للقمرية هو إدخال الضوء الطبيعي إلى داخل الغرف وإضفاء مسحة جمالية على المبنى سواء من الداخل أم من الخارج.

3- الشاقوص : هو عبارة عن فتحة طولية في أعلى جدران الغرفة وعلى مستوى القمرية وبأبعاد 30×50 سم تقريباً وقد استخدمت في بيوت مدينة إب القديمة، لتجديد هواء الغرف والسماح بمرور تيار نسيمي فيها دون الأضرار بالجالسين في هذه الغرف، ويمكن أن يطلق على الشاقوص اسم المكيف الطبيعي لأنه يقوم بهذا الدور على أكمل وجه.

4- المشربيات الخشبية : تعتبر المشربيات ميزة من مميزات واجهات المباني السكنية في مدينة إب القديمة حيث استخدمت في تغطية فراغات النوافذ في الواجهات الخارجية من المباني كنوع من الزخرفة ولتبريد أواني الماء الفخارية وكذلك تسمح بالرؤية من خلالها دون تعرض النساء لأعين الغرباء. قد تبرز المشربيات خارج جدران الواجهة أو تساوي معها، ففي الحالة الأولى تحمل على كوابيل (جسور) من الخشب أو الحديد أو أحجار متدرجة. وتصنع المشربيات من خشب الخرط الرقيق المستطيل على هيئة مكعبات صغيرة أفقية ورأسية تتقاطع بحيث تؤلف أشكالاً زخرفيه في شكلها البسيط من مستطيلات ومربعات صغيرة، وبعض المشربيات تتكون من نوافذ على شكل عقود متجاورة لها دلف.

5- تهوية المطابخ : جاء المطبخ في المبنى السكني التقليدي في مدينة إب القديمة ليلبي احتياجات وظيفية وبيئية ومناخية بأساليب محلية ومتميزة. فقد وضعت المطابخ في الجهة الشمالية من المبنى السكني، كما وضعت فتحات على شكل قبو فوق مواضع الطبخ، بالإضافة إلى فتحات أخرى على الجدران الجانبية، ومجموع تلك الفتحات تحقق الغرض منطرد الدخان وأبخره الطبخ وتجديد الهواء. ولم تخل واجهات المباني من إبداعات لمعالجات مواضيع الفتحات على واجهات المطابخ بشكل يحقق الوظيفة والجمال التلقائي. [1، ص2158]

● الأرضيات والسقوف : تنشأ بوضع جذوع أشجار الطنب أو العلب الضخمة والأغصان الكبيرة بعرض الفضاء وبين الجدران على بعد 60 سم إلى 100سم عن بعضها وتوضع عليها طبقة من الطين المبلل

ثم توضع عليها طبقة من التراب المغربل ثم يليه تراب عادي ومن فوقها طبقة من الجص أو تغطي ببلاطات من الحجر أما السقف الأخير المعرض للشمس والأمطار الغزيرة فإن مادة الإنهاء الأخيرة تصبح من القضاض وهو عبارة عن خليط من الجير وكسرات حجرية ناعمة من حجر الحبش مضاف إليها الماء وذلك للوقاية من المياه بدلاً عن الجص.

5 - التوسع العمراني الحديث وعلاقته بالبيئة التخطيطية والمعمارية في مدينة إب :

مثلت مدينة إب القديمة مع بداية الستينات من القرن العشرين منطقة مركزية انطلق منها التوسع العمراني الأفقي خارج سورها، لاستقبال الأعداد المتزايدة من السكان سواء زيادة طبيعية أو هجرة إليها، لذا فقد اتسعت مدينة إب الحديثة خارج سور المدينة القديمة اتساعاً واسعاً في الوديان والربى المحيطة بمدينة إب القديمة ويبدو أن أول توسع عمراني لها كان في منطقة الجبانة من جهة الغرب والتي ينحدر منها الطريق شمالاً إلى السوق المركزي القديم حالياً يسمى (المركزي الأعلى). وبما أن الحيز المكاني الذي تقوم عليه مدينة إب القديمة واتجاهاته حالياً جاء نتيجة للتباين في الارتفاعات فإن نمو المدينة وتوسعها ليس متماثلاً في جميع الاتجاهات، [12، ص99] ففي الجزء الشمالي للمدينة وعلى حافات وادي السحول والمعاين، يرتفع جبل جرافة وجبل الشجاع وجبل ربي على ارتفاعات تتراوح من 1800م وحتى 2040م مشكلاً حاجزاً وعائقاً طبيعياً لتوسع المدينة نحو الشمال، ومع ذلك فإن سفوح هذه الجبال لم تقف مانعاً أمام التوسع العمراني رغم انحدارها الشديد. كان الجزء الشمالي للمدينة والذي يبدأ من مركز المدينة حتى جولة صنعاء ومحصوراً بين شارع العدين والجبال المذكور من أخصب الأراضي الزراعية وأجودها حيث المدرجات الزراعية على سفوح الجبال، إلا أن بعد منتصف السبعينات طال التوسع العمراني هذا الجزء من المدينة لتشييد مباني لسكنية ومنشآت لعامة(حكومية وخدمية). ولم يقتصر الزحف العمراني على الأراضي الزراعية فقط بل امتد إلى سفوح الجبال وخاصة جبل ربي ذا الطبيعة السياحية، ولولا تدخل الدولة لالتهم التوسع العمراني وادي المعاين ايضاً الذي خصص كحديقة عامة لسكان مدينة إب. ولم يقف التوسع العمراني عند هذا الحد بل تجاوز الخط الدائري من جهة الشمال والشمال الغربي باتجاه جبل النعمان، أما القطاع الأوسط الذي يبدأ من المركزي - مابين شارع العدين وشارع تعز فلم يسلم من التوسع العمراني من بداية جامع الحشاش باتجاه صلبة السيدة أروى، حيث تمتاز طبوغرافية هذا الجزء بالانبساط خاصة وأن جزء اًمن هذا القطاع هو عبارة عن مجرى وادي الظهار الذي يلتقي مع سائلة السيدة أروى متجه من الشمال الغربي لتلتقي مع سائلة جبلة. [13، ص15] وقد بدأ التوسع العمراني في هذا القطاع بملء فراغ الحيز الموجود بين شارعين تعز و العدين حيث شكلا محوراً رئيسياً لنمو وتوسع المدينة، فشيدت المباني على جانبيها بمختلف الاستخدامات السكنية والتجارية والصناعية، وشقت الشوارع الثانوية المتفرعة من هذين الشارعين كما نشطت حركة العمران بشكل سريع في هذا القطاع ملتهمة معظم الأراضي الزراعية بما فيها وادي الظهار الغني بمحاصيل الحبوب والفواكه والخضروات [3، ص22] واحتلت جامعة إب ومبنى المحافظة مكاناً في هذا

القطاع، أما القطاع المحصور بين شارع تعز والمنحدرات السفلى لجبل بعدان المتمثل بوادي الذهب، والشعاب، ومنزل الراعي، والحجري والدمنة، فإن التوسع العمراني قد جاء بطيئاً نوعاً ما بسبب وعورة المنطقة لقد مثل عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين وما تلاها ذروته لتتضاعف مساحة مدينة إب بدرجة كبيرة صاحبها زيادة كبيرة في عدد سكان المدينة مما أدى إلى زحف التوسع العمراني للمدينة نحو الشمال الغربي حيث توجد عزلة المعاين التي تضم عدداً من القرى مثل النزهة و عسم و كاحب و الخربة والرازميات. ويمتد التوسع العمراني حتى جبل قلاله وبني تميم الذي يحدها جبل النعمان كما زحف التوسع باتجاه الغرب الذي يعد أفضل الاتجاهات وأقواها بسبب الانحدار التدريجي للأراضي، حيث امتد التوسع العمراني على الأراضي الزراعية في قرية جوبلة، عقيرة السفلى والعليا، وأكمة الصعفاني، ونجد العنصر، ومحادب، و حراثه. أما في الجنوب والجنوب الغربي للمدينة فقد امتد التوسع إلى طريق مفرق جبلة باتجاه شبان من جهة وطريق فرق جبلة وسائلة جبلة من جهة أخرى حيث يضم هذا الجزء أحوال عدن، و هله، و الجباجب وصولاً إلى وادي مفرق ميتم. (أنظر شكل 5) والملاحظ أن التوسع العمراني لمدينة إب خارج سورها كان توسعاً عشوائياً لا تحكمه نظم ولا محددا ت مما انعكس على التركيب الداخلي للمدينة واستعمالات الأراضي الذي جاء تقسيمه عفوياً وغير منتظماً فالتداخل في استعمالات الأراضي السكنية والصناعية والتجارية واضح جداً في تركيب المدينة فلم تحدد قطاعات خاصة لاستعمالات الأرض الصناعية بكل أصنافها بل تداخلت مع الوظيفة السكنية والتجارية مما اثر على أنماط استعمالات الأرض داخل المدينة(أنظر شكل 6). كما سبب التوسع العمراني على حساب الأودية الزراعية إلى وجود تناقض قائم بين مفاهيم وقيم مدينة إب القديمة وتلاؤمها مع البيئة المحيطة وبين التوسعات العمرانية والأشكال الجديدة للأحياء والتجمعات السكنية المستحدثة [14، ص354] كما يظهر المنظر العام لمدينة إب حالة الانفصال بين عمارتها وتخطيطها وأصبح التصميم المعماري لا يحقق تكاملاً في عمارة المدينة وهذا أتى انعكاساً للمشاكل والنقص في النواحيالتخطيطي والانتفاعية مما أدى إلى عجز المدينة عن أداء وظائفها الأساسية.

6 - المباني السكنية الحديثة في مدينة إب وتلاؤمها مع البيئة المحيطة :

مثل قيام الثورة عام 1962م نقطة البداية لدخول العمارة الحديثة مدينة إب، فقد تعددت وتنوعت أنظمة وطرز العمارة السكنية وظهرت أنواع جديدة لم تكن معروفة من قبل كما تم تعميم استخدام الخرسانة المسلحة والبناء بالطوب الأسمنتي والقرميد والتكسية بالحجر. وشهدت المدينة في هذه المرحلة تزايداً كبيراً ومستمراً في عدد سكانها (أنظر جدول1) مما تطلب إيجاد مباني سكنية عاجلة لإيوائهم وتلبية احتياجاتهم المستقبلية، تمثل ببناء مباني سكنية نظامية وعشوائية وبأشكال تقليدية وجديدة وتحولت الأراضي

العام	عـــدد السكان	عـــدد المساكن
1936	000 نسمه	450
1977	1,000 نسمه	—
1986	9,471 نسمه	8,365

1994	03,312 نسمه	15,906
2004	17,160 نسمه	32,633

جدول (1) يوضح الزيادة المطردة لعدد السكان والمساكن في مدينة إب الزراعية والفضاءات المعمارية التي كانت تستخدم لأغراض أخرى إلى مباني سكنية[8، ص8]

وعند تحليل عده نماذج من هذه المباني نلاحظ الأتي : -

● معظم المباني القائمة في مدينة إب سواء التي بنيت على الشوارع الرئيسية أو الفرعية هيعبارة عن مباني تجارية صناعية سكنية ، حيث استخدمت الطوابق الأرضية كمحلات تجارية وورش صناعية ومطاعم وأفران...الخ . أما الطوابق العليا فصممت شققاً سكنية متقابلةلإيواء أسر مختلفة المشارب الثقافية (أنظر شكل 7) وهي عكس المباني السكنية التقليدية في مدينة إب القديمة التي تسكنها أسرة واحدة (رب الأسرة وأولاده وأحفاده).

● تم بناء المباني التجارية الصناعية السكنية مباشرة على الشوارع الرئيسية والفرعية مما تسبب في حدوث الأخطار بالسكان والإزعاج المستمر لهم من حركة السيارات المختلفة، كما استخدمت الشوارع بالمدينة في وظيفتين متعارضتين (مرور السيارات، مداخل المباني السكنية) (أنظر شكل 8).

● عدم ترك مسافة كافية بين المباني السكنية في مدينة إب مما أدى إلى تكون أزقة وممرات ضيقة انعكست سلباً على تهوية وإضاءة بعض الفراغات الداخلية للمباني السكنية بشكل طبيعي (أنظر شكل 9).

● استخدام مواد بناء جديدة مثل الأسمنت، الخرسانة، البلك الأسمنتي، الطوب الأحمر وغيرها والتي ثبت فشلها من حيث عدم ملاءمتها للبيئة والمناخ في مدينة إب عكس مواد البناء التقليدية التي أثبتت قدرة وفاعلية كبيرة مع الظروف البيئية والمناخية (أنظر شكل 10).

● ندرة المساحات الخضراء والمساحات الخاصة بلعب الأطفال والمرافق الاجتماعية الأخرىوالتي تعتبر جزء أساسياً من التكوين السكني وعادة ما تؤدي إلى ترابط اجتماعي وتبعث على روح التعاون بين الجيران.

7 -الاستنتاجات :

● مثلت العمارة التقليدية في مدينة إب القديمة نواحي فنية أكسبتها طابعاً مميزاً وفريداً يتضح ذلك من خلال استثمار العمارة التقليدية في مدينة إب لخصائص ومقومات البيئة الطبيعية بصورة واضحة تمثلت في اختيار موقع مدينة إب القديمة ضمن محددات ذات قيمة استراتيجية اقتصادية ودفاعية وبما يلائم مع البيئة المحيطة وطبوغرافية الأرض، لذا كان اختيار موقع مدينة إب القديمة على ربوة عالية من السفح الغربي لجبل بعدان لإقامة التجمعات السكنية حرصاً وحفاظاً على الأراضي الزراعية، عكس هذا التفاعل الايجابي بين الإنسان والبيئة المحيطة.

● أظهرت العمارة التقليدية في مدينة إب القديمة توافقاً وتلاؤماً مع البيئة المحيطة برزذلك في أسلوب تخطيط مدينة إب القديمة وحاراتها الذي يعتبر جزء من تكوين متكامل للمدينة مادياً وروحياً، واعتماد نظام البناء المتراص المتقارب عالي الكثافة الذي أدى إلى جعل شوارع المدينة أزقة وممرات ضيقة تمتد بين البيوت مما يقلل

من تعرضها لأشعة الشمس أيام الصيف، إضافة إلى اعتماد نظام السكن التقليدي (ألبرجي) ذوي الامتداد الرأسي والطوابق المتعددة (4–6) طوابق، مع العناية بتوجيه المدينة ومعظم مبانيها السكنية التقليدية نحو الجنوب كونه التوجيه المفضل للمدينة من حيت التعرض لأشعة الشمس أيام فصل الشتاء البارد، أما بالنسبة للمباني السكنية التقليدية فالملاحظ اعتماد كل الوسائل التي تتوافق وتتلاءم مع البيئة المحيطة من حيث التوجيه الصحيح وطريقة توزيع الفضاءات الداخلية وتحقيق مبدأ الخصوصية والفصل الراسي بين الضيوف وأهل البيت واستخدام الفتحات والمشربيات المضللة وزيادة التهوية الطبيعية داخل المبنى.

● إن المتغيرات المتسارعة التي مرت بها مدينة إب بعد قيام الثورة عام 1962م والزيادة الكبيرة والمستمرة في عدد سكان مدينة إب قد تطلب توفير الكثير من المساكن مما أدى إلى التوسع العمراني خارج أسوار مدينة إب القديمة وفي جميع الاتجاهات والبناء العاجل الذي افتقد إلى الثوابت التي فرضتها وطورتها خصائص الشخصية المحلية والقيم الإسلامية وا كتفت فقط بالثوابت المادية والتجارية، مع ضياع وغياب المقياس على مستوى المدينة والتجمعات العمرانية خاصة مع عدم مراعاة الخصائص التكوينية للنسيج العمراني التقليدي في مدينة إب القديمة والاعتماد على الامتداد الأفقي في الأراضي الزراعية كوسيلة لاستيعاب الكثافات والأزديادات المطردة والاحتياجات وكنتيجة مباشرة لسيطرة العامل المادي، والسعي الشكلي نحو تحقيق البعد والجمال من خلال التكامل المتفرد مع المبنى أو التكوين العمراني دون النظر إلى استقراء مقومات التأثير المتبادل في البيئة المحيطة، كل هذا قد أثر على طبيعة التكوين العام المادي لمدينة إب وتخطيطها العمراني ونظمها السكنية كما أثر أيضاً على النواحي الروحية والاجتماعية وبالنمو الحضري الطبيعي للمجتمع في مدينة إب.

● إن العمارة التقليدية ونظامها السكني البرجي التقليدي في مدينة إب القديمة قد عبرت عن القيم والمفاهيم والأصول المعمارية النابعة من البيئة لذا فقد تميزت عن العمارة الحديثة ونظمها السكنية، بقدرتها العالية على التوافق والتلائم مع البيئة من جميع نواحيها سواء من ناحية العوامل البيئية أو الطبيعية أو الاجتماعية.

8 - التوصيات :

● الاستفادة من القيم والمفاهيم والأصول المعمارية للعمارة التقليدية وتكاملها السكني (البرجي) في مدينة إب القديمة وتطويرها بما يتفق مع المفاهيم التقليدية وتلبي الاحتياجات الوظيفية الحديثة لتحقيق عمارة معاصرة متميزة متواصلة مع التراث المعماري والحضاري لمدينة إب ومتلائمة في الوقت نفسه مع ضروف البيئة المحيطة.

● ضرورة الاهتمام بمواد البناء التقليدية التي استخدمت في المباني السكنية التقليدية بمدينةإب القديمة والتي أثبت قدرتها العالية على التلاؤم مع البيئة المحيطة وتطوير استخدامها بما يتناسب مع تقنيات البناء الحديث.

● الاهتمام بالطراز المعماري التقليدي الذي تميزت به مدينة إب القديمة.

● دراسة مختلف عناصر المسكن التقليدي في مدينة إب القديمة للاستفادة منها بما يتناسب ومتطلبات الحياة

العصرية.

- إعداد الدراسات المعمارية والتخطيطية اللازمة للارتقاء بالمباني السكنية الحالية والمستقبلية في مدينة إب.
- إيجاد مساحات خضراء ومتنفسات للسكان في التوسعات العمرانية الجديدة.
- توفير خدمات البنية التحتية في أماكن التوسع العمراني في مدينة إب وتحديد مواقعها حسب الاحتياجات الضرورية.

المراجع :

1- الأدهمي، محمد مظفر(2007): تاريخ إب، دراسة لمدينة إب وما حولها، منشورات جامعة إب.

2 - البزار، أنعام(2003):اثر البيئة الطبيعية في تشكيل عمارة وادي حضرموت الطينية مجلة اتحاد الجامعات العربية، المجلد(15)، العدد،.

3 - - الثور، عبدالله(1975): هذه هي اليمن، دار العوده، بيروت، لبنان.

4 - الحدأ، محمد أحمد(2008): الأخطار التي تهدد مدينة إب القديمة وطرق الحفاظ عليها، بحث منشور في وقائع الندوة العلمية حول العمارة اليمنية وتحديات العصر، عدن

5 - - الحداد، عبد الرحمن(1992): صنعاء القديمة المضامين التاريخية والحضارية، إصدار مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، اليمن

6 - - رموضة، سالم عوض(2000): الطين والعمارة الطينية، بحث منشور في وقائع المؤتمرالعلمي الأول، العمارة الطينية على أبواب القرن الحادي والعشرين، جامعة حضرموت، اليمن.

7 - شمسان، جميل(2004): التصميم المعماري والبيئة لمباني صنعاء القديمة، بحث مقدم لمؤتمر العمارة اليمنية، صنعاء عراقة مدينة، صنعاء، اليمن.

8 - العبسي، عبده ثابت(2004): النظام السكني في مدينة صنعاء الماضي والحاضر، بحث مقدم لمؤتمر العمارة اليمنية، صنعاء عراقة مدينة، صنعاء، اليمن.

9 - العلفي، محمد، الخصائص المناخية وأثرها على الخصائص المعمارية والتخطيطية في المدن اليمنية، مجلة كلية الهندسة، جامعة صنعاء، المجلد الأول – العدد (1) يوليو 2003م

10 - الفضان، سامي شادي(2000): العمارة اليمنية والقيم الثابتة لتطويرها المستقبلي، بحث منشور في وقائع المؤتمر العلمي الأول العمارة الطينية على بوابة القرن الحادي والعشرين جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا.

11 - مبارك، صالح محمد(2008): العمارة التقليدية والتنمية العمرانية في مدينة عدن بين الأصالة والمعاصرة بحث مقدم إلى الندوة العلمية حول العمارة اليمنية وتحديات العصر، عدن، اليمن

12 - المعاضدي، دهام ياسين(2000): البيئة الجبلية وعلاقتها بالنمو العمراني لمدينة إب، بحث مقدم إلى الندوة العلمية الثانية للبيئة، جامعة إب، اليمن.

13 - الموسوعة اليمنية(2003): إصدار مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، اليمن

14 - هيكل، نمير(1989): جوانب من القيم التشكيلية لفن العمارة الصنعانية، مجلة دراسات نمير، العدد(35)، صنعاء.

15 - الجهاز المركزي للإحصاء، نتائج التعداد العام للمساكن والسكان لعام 1986، 1994م، صنعاء، اليمن.

شكل (1) يوضح تخطيط مدينة إب القديمة ونسيجها المتماسك

شكل (2) يوضح الاتجاه الراسي للمباني السكنية التقليدية في مدينة إب القديمة

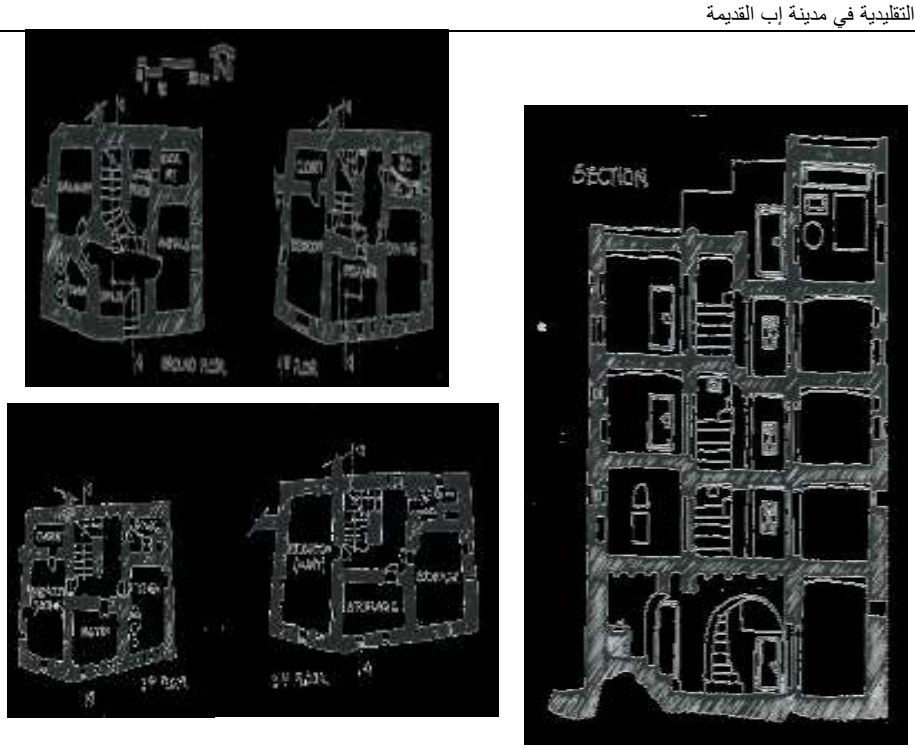

شكل (3) مساقط وقطاع توضح تقسيم الفضاءات الداخلية
في أحد المباني السكنية التقليدية بمدينة إب القديمة

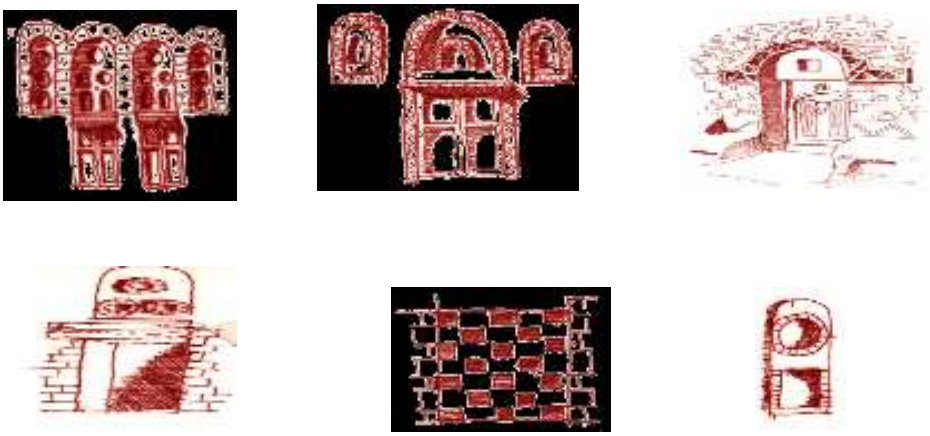

شكل (4) يوضح أنواع الفتحات لمستخدمة في المبنى السكني التقليدي في مدينة إب القديمة

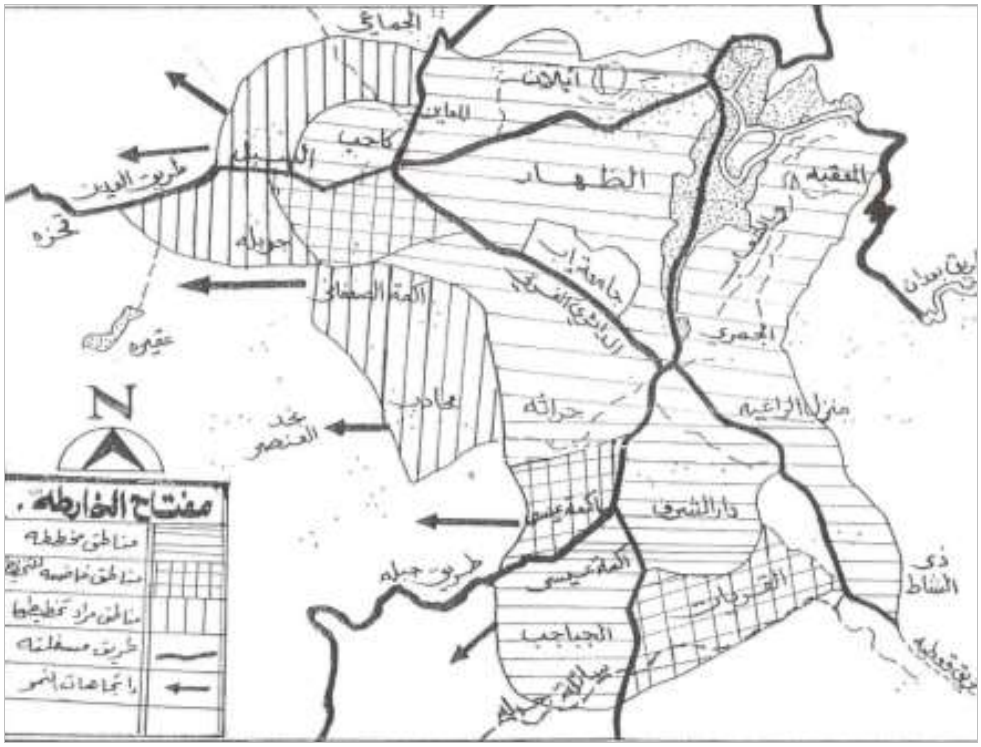

شكل (5) خريطة توضح اتجاهات التوسع العمراني لمدينة إب الحالية

شكل (6) يوضح التوسع العمراني الغير مدروس في مدينة إب

شكل (**7**) يوضح تداخل الجزء السكني مع الصناعي والتجاري في المباني السكنية الحديثة

شكل (**8**) يوضح استخدام الشوارع في وظيفتين متعارضتين

شكل (**9**) يوضح عدم ترك فراغات كافية للتهوية والإضاءة بين المباني السكنية

شكل (**10**) يوضح استخدام مواد بناء حديثه لاتتلائم مع البيئة المحيطة

تأثير أسعار البترول على النمو الاقتصادي في الأردن

د/ إياد عبد الفتاح النسور
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المملكة العربية السعودية

المستخلص :

تهدف الدراسة إلى بيان الكيفية التي تؤثر بها أسعار البترول العالمية على الاقتصاد الأردني، ومحاولة قياس أثر التغيرات السعرية على بعض المتغيرات الاقتصادية الكلية ، إضافة إلى قياس الكيفية التي تمرر بها التغيرات السعرية للبترول على المستهلك النهائي لبعض المشتقات البترولية المستهلكة مثل : البنزين والديزل. ولتحقيق أهداف الدراسة فقد تم تقسيمها إلى أربعة أجزاء أساسية : الجزء الأول تحدث عن الإطار النظري مستعرضاً الأدبيات النظرية التي بحثت في العلاقة بين أسعار النفط والمتغيرات الاقتصادية الكلية ، أما الجزء الثاني فيبحث في المشكلة الاقتصادية في الاقتصاد الأردني وعلاقتها بقطاع الطاقة ، أما الجزء الثالث فقد اختص في بناء وتقدير النماذج القياسية التي تهدف لقياس أثر التغيرات السعرية في البترول على الاقتصاد الأردني ، وتركز الجزء الرابع والأخير في مناقشة نتائج البحث وأهم النتائج والتوصيات . لقد توصلت الدراسة في جانبيها النظري والتطبيقي إلى العديد من النتائج المهمة التي تعد من وجهة نظر الباحث على الأقل إضافة للدراسات القليلة التي بحثت هذا الموضوع في الأردن . كلمات مفتاحية : الأسعار ، البترول ، النمو الاقتصادي ، الأردن .

المقدمة :

لقد زادت أسعار البترول بشكل كبير خلال الفترة القليلة الماضية فقد ارتفعت بالمتوسط من نحو 69.8 دولار عام 2007 إلى ما يقارب 106.9 دولار حتى شهر تشرين الأول من عام 2008 (www.OPEC.Org)، وتشهد الأسعار في كل يوم تسجيل تغيرات جديدة لمعدلاته الاسمية، وتبين المعلومات أن الارتفاع الذي سجلته أسعار البترول حتى شهر تشرين الأول من هذا العام يفوق ما حققته الزيادات السعرية لأكثر من عشرة سنوات ، فقد سجل ارتفاع سعر البرميل بالمتوسط من نحو 16 دولاراً عام 1995 إلى أكثر من 145 دولار في عام 2008 .

إن الارتفاع الكبير في أسعار البترول سيخلف مجموعة من الآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المؤثرة على كافة مناحي الحياة ، وهي الآثار التي يمكن أن تقوض أركان بناء أي دولة مهما كبرت أو صغرت ، ولكن وبما أن الآثار الاقتصادية هي القائد لبقية الآثار فسيكون التركيز عليها بشكل أكبر نسبياً في هذه الورقة . وعملياً فإن هناك العديد من الحجج التي يسوقها الاقتصاديون بأن ارتفاع أسعار البترول سيكون ذا أثر سلبي مباشر على المستوردين ومنتجي السلع والخدمات المحليين ، ولكن قد يكون لهذا الارتفاع أثر إيجابي على النمو الاقتصادي و الرفاه الاجتماعي.

إن القوانين والتشريعات الحكومية المنظمة لأسعار البترول في الأردن خلال الفترة الماضية لم تكن منظمة بشكل مناسب ، ورغم وجود العديد من المنح البترولية الكمية أو السعرية التي تقدم للأردن سنوياً سواء من العراق أم من السعودية ، لكنها لم تراع بالأساس التغيرات السعرية الدولية في البترول خاصة عند احتساب سعر البيع للمستهلك النهائي ، بل يمكن القول أن الأسعار المحلية كانت تُقِوم بمستويات أعلى من أسعارها الحقيقية في السوق الدولية ، وكان المستهلك النهائي يتحمل الجزء الأكبر من التكلفة والباقي يذهب على شكل أرباح صافية لخزينة الدولة .

ويجد المتتبع للواقع الاقتصادي المحلي أن قرار التسعير الذي يصدر في كل شهر لا يراعي الانخفاض في الأسعار الدولية خاصة عند انخفاض أسعار البترول العالمية بشكل تناسبي ، بل أصبح البترول من السلع التي تدر أرباحاً عالية على الحكومة وهي تحاول في كل سعر جديد تعظيم الاستفادة من الفروقات السعرية بين سعر شراء برميل البترول وسعر بيعه للمستهلك النهائي ، فعلى سبيل المثال عندما سجل البترول سعراً وصل بالمتوسط إلى 131 دولار كان سعر لتر البنزين المحلي أوكتان 95 نحو 1.15 دولار ، وعندما انخفض السعر الدولي إلى أقل من 75 دولاراً وصل نحو دولار واحد لكل لتر .

فعلى ما يبدو أن قرار تحرير المشتقات النفطية في الأردن ذو صبغة سياسية أكثر من كونه قرار اقتصادي يهدف إلى حسن تخصيص الموارد الاقتصادية المحلية ، أو حماية الاقتصاد الوطني من حالة عدم الاستقرار ، وتخفيف العبء المالي عن الحكومة في تحمل فرق الدعم حال بقائه دون تحرير ، ولكن يرى الباحث أن القرار هو محصلة لمجموعة من السياسات الاقتصادية العشوائية والخاطئة التي اتخذتها الإدارات الاقتصادية الوطنية على مر السنوات، وهي التي لم تأخذ بعين الاعتبار ما يمكن اعتباره خصوصية لحماية المستهلك النهائي البسيط مقارنة بالحكومة نفسها أو المؤسسات التي تعمل في القطاع الخاص .

ولكن يبقى السؤال هنا عن مدى ملائمة وقت اتخاذ قرار تحرير قطاع المشتقات النفطية في الأردن ، وعن السياسات التكيفية الطارئة التي اتخذتها الحكومة للتخفيف من حدة هذا القرار على النشاط الاقتصادي المحلي وخاصة معدلات النمو الاقتصادي وعلى المستوى المعيشي لمحدودي الدخل ، وكما تشير البيانات الإحصائية المتوفرة فقد سجل معدل التضخم في الأردن خلال التسعة شهور الأولى من عام 2008 ارتفاعاً وصل نحو 14.5% مقارناً بالفترة نفسها من العام السابق (**دائرة الإحصاءات العامة** ، 2008)، وهذا يشير بوضوح إلى الأثر الناجم عن قرار التحرير وكيف سيؤول إليه في المستقبل ، فدخل المستهلك الأردني يتآكل بشكل سريع عند تغير سعر البترول العالمي ، أو عند تحديد أسعار جديدة لبيع المشتقات النفطية المحلية ، من هنا فإن سياسات حماية المستهلك المحلي من التغيرات السعرية المستمرة في البترول تبدو ضرورة وحاجة وطنية ملحة .

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يأتي :

- بيان الكيفية التي تؤثر بها أسعار البترول العالمية على الاقتصاد الأردني .
- قياس أثر التغيرات السعرية في البترول العالمي على بعض المتغيرات الاقتصادية الكلية في الأردن .
- قياس الكيفية التي تمرر بها التغيرات السعرية على المستهلك النهائي لبعض المشتقات البترولية في الأردن مثل البنزين بأنواعه ، والكاز (الديزل) .

أهمية الدراسة :

- تنطلق أهمية هذه الدراسة في الوقت الذي تتسارع فيه التغيرات في الأسعار العالمية للبترول ، لذلك بات من الضروري التعرف على بعض الجوانب الاقتصادية التي قد تؤثر بها هذه التغيرات على الاقتصاد الأردني .
- قد تشكل نتائج هذه الدراسة دليلاً إرشادياً أو توجيهياً للحكومة لمعرفة أثر التغيرات السعرية الدولية في البترول على الاقتصاد الأردني خاصة عند تسعير المشتقات النفطية .
- من الممكن أن تكون هذه الدراسة بمثابة نواة تنطلق منها دراسات أخرى تبحث في الآثار التي تخلفها التغيرات السعرية في البترول .

الإطار النظري للدراسة :

لقد بينت الدراسات أن هناك علاقة سلبية بين ارتفاع أسعار البترول وبين الأداء الاقتصادي في الدولة ، فقد بين (Hamilton, 1983) أن هناك علاقة ارتباط سالبة بين التغيرات في سعر البترول ونمو الناتج الحقيقي للاقتصاد الأمريكي خلال فترة ما بعد الحرب. كما لاحظ (Huntington,2005) أن هناك تسعة من السنوات الأخيرة التي تراجع فيها الاقتصاد الأمريكي كانت بسبب زيادة أسعار البترول الخام . ولكن رغم الاتفاق بينهم على الأثر السلبي الذي يخلفه الارتفاع في أسعار النفط على الأداء الاقتصادي ، لكن اختلفت تلك الدراسات في الجوانب التي يمكن أن يؤثر بها زيادة أسعار البترول .

لقد بينت بعض الدراسات أنه الارتفاع المتوقع في أسعار البترول سيترك آثاراً كبيرة على تكاليف الإنتاج خاصة النقل ، والطاقة ، ومدخلات الإنتاج ، وتعتبر الأخيرة الأكثر تأثيراً بسبب إحداثها لما يسمى بصدمة العرض Supply Shock ، كما ستؤثر أسعار البترول بشكل سلبي على المتغيرات الاقتصادية الكلية مثل معدل التضخم ، وميزان المدفوعات ، وزيادة درجة عدم التأكد . ورغم الآثار السلبية التي يتركها ارتفاع أسعار البترول على الاقتصادات المختلفة ، لكن ترى النظرة المتفائلة بالدور الإيجابي الذي يتركه الارتفاع على تقليل استهلاك البترول ، وارتباط ذلك بالتغيرات المناخية والتأثيرات البيئية ، ومن الناحية الاقتصادية فإن التكلفة الحقيقية لاستهلاك البترول سوف تكون عاملاً مساعداً في ترشيد الاستهلاك وحسن استخدامه بشكل أكثر كفاءة .

لقد وجد كلاً من (Gately and Huntington, 2001 and Dargay,2001) وكذلك (Gately, and Huntington, 2007) أن الطلب على الطاقة في الدول المصدرة للبترول OCED أكثر مرونة عند التغير في السعر ، ولكن بينت الدراسات أن الآثار سوف تكون متفاوتة بين الدول الأخرى خاصة تلك غير المصدرة للبترول Non Oil Countries ، ومن الحجج التي يسوقها أصحاب هذا الاتجاه أن المرونة القليلة لأسعار النفط الخام في الدول غير النفطية ، سوف تؤثر على آلية تصميم السياسات الحكومية المتعلقة بحماية المستهلك النهائي وتجنيبه وصول هذه الارتفاعات السعرية .

وتبين النظرية الاقتصادية أن الارتفاع في أسعار البترول هو سبب كافٍ لتقليل الكمية المطلوبة منه بافتراض أن النفط هو سلعة عادية Normal Good . ولقد حاول كل من (Gately and Huntington,) 2001 و (Dargay, Gately, and Huntington, 2007) بيان ما إذا كانت الاقتصادات ستستخدم البترول بصورة أكثر كفاءة في حال زيادة الأسعار ، وهو ما يعني اقتصادياً أن الدول سوف تستمر بالإنتاج ولكن بكمية من السابق ، ويعتبر هذا الخيار البديل الأكثر كفاءة لتخفيض الكمية المطلوبة من البترول ، والذي قد يكون عاملاً أساسياً لتقليل الأداء الاقتصادي وبالتالي انعكاسه على معدل النمو الاقتصادي .

ولقد حاول (Lopez & Alaimo, 2008) توقع بعض النتائج الفعلية المترتبة على ارتفاع أسعار البترول على الميول الاستهلاكية لدول أميركا اللاتينية ، وقد وجدوا أن صادرات تلك الدول غير البترولية لن تتأثر بارتفاع تلك الأسعار . وبطبيعة الحال فإن هذه النتيجة تخالف ما تم التوصل إليه في حالة الدول المصدرة للبترول ، وهي التي بينت أن التغيرات الموجبة في أسعار البترول سوف تؤثر باتجاه تقليل الطلب عليه ، ولكن وجد في بعض الدول متوسطة الدخل (باستثناء الدول المصدرة للبترول) عدم وجود ارتباط بين السعر والكمية المطلوبة من البترول.

كما يؤكد كلاً من (Lopez & Alaimo, 2008) ظهور نوعاً من الكفاءة في استخدام البترول في الدول المصدرة له ، بينما وجد أن دول أميركا الجنوبية والدول متوسطة الدخل لم تقم بتكييف استهلاكها البترولي (تخفيضه) وفقاً لأسعار بيعه ، وقد تكون هذه النتيجة بمثابة حجة اقتصادية تدعم الفرضية التي ترى بأنه ليس بالضرورة أن كل ارتفاع في أسعار البترول يجب أن يرافقه بعض القرارات الحكومية التي تعكس هذا الارتفاع على المستهلك النهائي للسلعة .

ولكن يبدو أن هناك توافق مهم في طريقة تأثير التغيرات السعرية على الكمية المطلوبة من مصادر الطاقة عموماً والبترول خاصةً في الدول المصدرة له ، فعلى سبيل المثال وجد أن ارتفاع أسعار البترول يؤدي إلى تحقيق مستويات عالية من الكفاءة في استخدامه و تخصيصه بشكل أفضل بين الأغراض والأهداف الاقتصادية .

ووفقاً لنتائج (Lopez & Alaimo, 2008) التي أجريت على عينة من الدول بلغت

108 دول عالمية شملت : الدول مرتفعة الدخل المصدرة للبترول ، والدول متوسطة الدخل، والدول منخفضة الدخل . فقد وجد في حالة الدول المصدرة للبترول أن هناك علاقة سببية بين أسعار البترول والطلب عليه ، ولكن كانت النتائج مختلفة في حالة الدول متوسطة الدخل وفي دول أميركا الجنوبية وبقية العالم ، حيث وجد أن التغيرات السعرية في البترول لم تكن معنوية في التأثير على حجم الطلب منه. وبشكل أكثر وضوح تبين أن هناك آثار متسقة ترافق الزيادة والانخفاض في السعر، وأكثر من ذلك فقد تبين أن الانخفاض في السعر قد لا يترك أي أثر في الطلب على الطاقة .

كيف يحصل التكيف في استهلاك الطاقة :

تبين الدراسات التطبيقية أن دول أميركا الجنوبية المصدرة للبترول تسمح بانتقال محدود من سعر البترول الخام نحو سعر البنزين ، بينما تسمح الدول المستوردة له بنقل مستويات أكثر عند الارتفاع في سعر البترول باتجاه المستهلك النهائي . فعلى سبيل المثال قام (Bacon & Kojima , 2006) بحساب نسبة التغير في الأسعار المحلية لمادتي البنزين والديزل عند التغير في أسعار البترول لنحو 8 من أميركا اللاتينية خلال الفترة 2004 – 2006 . وقد وجدوا أن بعض الدول مثل فنزويلا ، والأرجنتين ، والمكسيك لم تقم بنقل التغيرات السعرية في البترول على المشتقات منه (البنزين والديزل) ، ولكنهم وجدوا أن بوليفيا وهندوراس تقومان بنقل ما نسبته 60% إلى البنزين و80% إلى الديزل ، بينما وجدوا في غواتيمالا ، ونيكاراغوا ، وتشيلي أعلى نسبة للانتقال تراوحت ما بين 95٪ و 115٪ .

وتنسجم النتائج السابقة التي توصل إليها (Bacon & Kojima , 2006) إلى حد بعيد مع ما توصلت إليه نتائج (World Bank , 2006) ، فقد وجد البنك الدولي أن دولاً كالأرجنتين ، والمكسيك ، والإكوادور، وفنزويلا لم تقم بنقل أي تغيرات سعرية من البترول الخام نحو المشتق منه ، بينما وجد عكس ذلك في البرازيل ، وكولومبيا ، والدومنيكان، والسلفادور ، وغينيا فالانتقال السعري كان فيها بشكل كامل على المشتقات البترولية .

لقد قام (Artana et al , 2007) بوضع نموذج توصلوا من خلاله إلى تقدير الأساس الضريبي Tax Wedge الذي يمكن أن تستند عليه أسعار البترول في دول أميركا الوسطى المستوردة للبترول خاصة عند نقل التغير السعري إلى المستهلك النهائي . ويشير هذا الأساس إلى أن الحكومات تعتمد على المستهلك النهائي لتقليل الارتفاع في سعر البترول ، بمعنى أنها تقوم بتحميل أسعار المستهلك النهائية مجمل (جزء) من التغيرات السعرية في البترول ، وقد وجدوا أن هناك أساس قوي لتلك الفرضية في دولاً مثل : كوستاريكا، وغواتيمالا في الديزل ، بينما وجدوا أساساً محايداً في السلفادور ،ونيكاراغوا على مادة البنزين ، وهو الذي لم يوجد له أي أثر في غواتيمالا وهندوراس .

إجمالي القول ، أن الغاية من هذه الدراسات هو بيان التداخل بين بعض الدول التي تقوم بنقل التقلبات السعرية للبترول على المستهلك النهائي ، وغالباً ما يكون ذلك في الدول المستوردة للبترول ، ولكن

قد يحدث عكس ذلك في حالة الدول المصدرة للبترول بأن لا تقوم بنقل هذا العبء ، وهو ما يعني عدم وجود ارتباط بين التغيرات في الأسعار المحلية والأسعار الدولية .

المشكلة الاقتصادية في الاقتصاد الأردني :

يعاني الاقتصاد الأردني كغيره من الاقتصاديات النامية قلةً في الموارد الطبيعية والاقتصادية المتاحة أمامه ، فهو يعتمد على الاستيراد بنسبة تصل إلى 95% لسد احتياجاته من الطاقة عموماً (**وزارة الطاقة والثروة المعدنية** ، 2008) ، كما أنه يقوم باستيراد جزء ليس باليسير من احتياجاته الأخرى من المواد الخام والسلع الوسيطة والنهائية التي يحتاجها ، فالاقتصاد الأردني سوق صغير يفتقر إلى الكثير من الموارد التي تجعله قادراً على تحمل الظروف والأزمات الاقتصادية التي تحدث في بيئته الخارجية .

وإضافة لما سبق ، فإن الاقتصاد الأردني ُقدر له أن يكون مصمماً بطريقة قائمة على التنافس الحر وفقاً لآلية السوق ، وهو ما جعله مفتوحاً بدرجة كبيرة على الاقتصاد العالمي وهذا ما جعله عرضة للتغيرات الدولية المستمرة في حالتي السلم والحرب ورهناً للعلاقات الدولية والإقليمية المتغيرة ، وذلك إضافة إلى المشكلات الاقتصادية التقليدية الأخرى التي يعاني منها الاقتصاد الأردني ، والتي أصبحت جزءاً من شكله العام ومن تكوينه الاقتصادي كالبطالة ، والمديونية ، وعجز ميزان المدفوعات .

ولكن رغم ما سبق يجد المتتبع الاقتصادي أن تلك المشاكل كبرت أم صغرت لم تكن مؤشراً لقياس قدرة الاقتصاد الأردني على التقدم و الاستمرار والنمو ، فحتى في ظل وجودها استطاع الاقتصاد الأردني في السنوات القليلة الماضية وقياساً لحجمه الاقتصادي تحقيق مؤشرات تنموية لافتة للنظر ، بل يمكن القول أنه تقدم بذلك على بعض الدول المحيطة الأكبر حجماً والأكثر قدرة من الناحية الاقتصادية . ولكن ما يزيد الأمر سوءاً في الأردن هو أن معظم السياسات الاقتصادية التي تتخذها الحكومات المحلية كانت تتم بمعزل عن الظروف المميزة للاقتصاد الأردني والتي ينفرد بها عن بقية اقتصاديات المنطقة ، وهي التي انعكست لاحقاً في فشل تطبيق هذه السياسات وتحقيق الأهداف المرجوة منها .

لذلك تبزر صياغة حديثة للمشكلة الاقتصادية في الأردن أنها تنبع من مشكلة سياسية وعسكرية أصلاً ، فالأردن حالها كبقية الدول العالمية الصغيرة التي لا تأثير لها على الخارطة السياسية العالمية . فمنذ الحرب العالمية وهذه الدول تابعة لسياسات القوى العظمى ، وعملاتها المحلية ليست أكثر من عملة وطنية تتداول في السوق المحلي ، ولذلك فإن القرار الاقتصادي أشبه ما يكون مرهون بعوامل كثيرة منها الصراعات الدولية والإقليمية ، كما أن هذه المشكلة تزداد بتوسع المصالح الاقتصادية للدول العظمى .

ونضيف لما سبق أن المشكلة الاقتصادية في الأردن هي حصيلة نتاج الإدارة العامة الحكومية ، فإن الحلول المتبعة للمشاكل الاقتصادية كانت تتم بشكل عشوائي دون النظر إلى الاعتبارات الإدارية والاقتصادية والسياسية المُسببة لتلك المشكلات . وبالمقابل فإن نمط إدارة المؤسسات العامة في الأردن غالباً ما

يسوده نمط القائد المطلق " الأوتوقراطي " الذي لا يقبل جدالاً أو نقاشاً لقراراته " Who Brooks No Argument " (**العتوم** ، 2001)، وبالتالي يبدو طابع القائد المُسيطر Dominant Leader الذي يرى بان الإدارة والستراتيج هو نتاج جهده الشخصي ، فيشخصن Personifies نجاح المؤسسة لنفسه . (G. Johnson and K. Scholes:, 1999).

ولقد كان لعدم استقرار الإدارة الاقتصادية وعدم تبني الاستراتيجيات التنفيذية الواضحة لتطبيق الخطط والتوجهات الاقتصادية ، وأحياناً العجز عن الفهم الشامل لمتطلبات السياسة الاقتصادية ، الأثر الكبير في فشل جانب كبير من الخطط الاقتصادية وعدم تحقيقها للأهداف المرغوبة ، وهو الذي انعكس فيما بعد على تباطؤ الانجازات الاقتصادية ، وفي أحيانٍ كثيرة تدهور الأوضاع الإدارية والاقتصادية والمالية على حدٍ سواء .

إن الاقتصاد الأردني تُديره مجالس إدارات ، وهيئات مفوضين ، وهيئات مديرين ممثلة للقطاعين العام والخاص ، وتلعب هذه الجهات دوراً أساسياً في رسم السياسات الاقتصادية ، والتخطيط الاستراتيجي ، وتوجيه الإدارة التنفيذية ، والرقابة عليها، ومتابعة إنجازاتها، وتقييمها . ولذلك يبدو جلياً حجم المهام الموكلة إلى تلك الهيئات ومدى خطورتها وأهميتها في السير قُدماً نحو تحقيق أهداف المؤسسة بكفاءة وبفعالية.

كما لا بد من إلى الإشارة هنا إلى دور منظومة التشريعات والقوانين الناظمة للجانب الاقتصادي في الأردن ودرها في تحسين الأداء الاقتصادي ، فهي تتسم بقصور في الخبرات الفنية و الإدارية التي تقوم على صياغتها وتنفيذها كما بينا سابقاً ، ولذلك فقد تراجع دور الإدارة العامة لصالح القطاع الخاص الذي يعتمد في عمله على عناصر الربحية في تنفيذ برامجه الاقتصادية .

قطاع الطاقة في الأردن :

بدايةً يبلغ متوسط حجم الطاقة المستوردة في الأردن نحو 95% ، وهي تتفاوت بشكل واضح بين القطاعات المختلفة وهي تصل إلى 100% في النفط الخام ، و 89.8% في الغاز الطبيعي ، ونحو 88.3% في الكهرباء من مجملها (**وزارة الطاقة والثروة المعدنية** ، 2006) . واعتماداً على البيانات السابقة فإن المتتبع لواقع قطاع الطاقة في الأردن يدرك معها حجم التحديات التي واجهته وما زالت تواجهه ، وتبدو تلك التحديات أكثر وضوحاً خلال السنوات القادمة في ضوء تنامي الطلب على الطاقة ، وانحسار المساعدات الحيوية العراقية المجانية أو التفضيلية، وكان لهذا الواقع الدور الأبرز في تباطؤ معدلات النمو الاقتصادي ، رغم أن المؤشرات الاقتصادية تظهر تحسناً في أرقام النمو الاقتصادي لكن دون انعكاس واضح على مستوى الرفاهية الاقتصادية للفرد .

يشكل التزود بالطاقة أبرز التحديات التي تواجه الأردن خلال السنوات المقبلة في ظل تنامي الطلب المحلي على مصادر الطاقة والافتقار إلى المصادر المحلية للطاقة التجارية ، وبالتالي الاعتماد على الاستيراد من

الخارج ، ويقدر نمو الطلب المتوسط على الطاقة الأولية خلال الفترة 2008 – 2020 بمعدلات عالية تصل إلى حوالي 5.5% سنوياً بشكل عام ، فيما يصل النمو في استهلاك الطاقة الكهربائية حوالي 7.4% سنوياً خلال الفترة نفسها (وزارة الطاقة والثروة المعدنية ، 2008)، ويبين الشكل التالي التطور التاريخي لحجم الطاقة المستهلكة في الأردن خلال الفترة 1992 – 2007 .

Figure 1 : Energy In Jordan

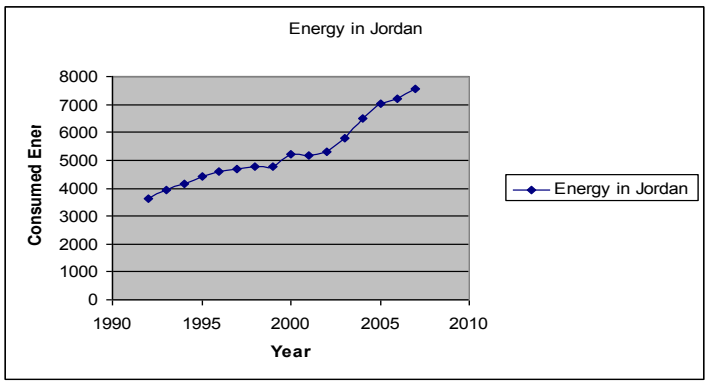

المصدر : وزارة الطاقة والثروة المعدنية ،عمان ، سنوات مختلفة .

من ناحية أخرى ، بلغت كلفة الطاقة المستوردة خلال السنوات الخمس الماضية نحو 5 مليار دولار وهي التي ارتفعت من 8.5% عام 2000 نحو 19% عام 2006 كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي ، قبل أن تنخفض عام 2007 إلى نحو 14.2% . وقد ارتفعت كلفة الطاقة عام 2007 إلى ما يقارب 1.4 مليار دولار مقارنة بنحو 1.07 مليار دولار عام 2003 و0.85 مليار دولار عام 2002 ، وتشير البيانات أن المستوردات من الطاقة في عامي 2001 و2000 كانت بنحو 0.792 و 0.795 مليار دولار وذلك على التوالي .

و يبين الشكل التالي رقم 2 توزيع الطلب على الطاقة المستهلكة في الأردن لعام 2006 ، وهو ما يبين أن النفط حاز على أعلى نسبة من الطاقة في الأردن بلغت 94% وهو ما يعني انخفاض مرونة الطلب المحلي على النفط ، وبالتالي نظرياً فإن أي تغير في السعر نحو الارتفاع فهو سيؤثر بشكل كبير على الاقتصاد الأردني . فيما الشكل ذاته أن النسبة الباقية البالغة 6% توزعت بين المصادر الثلاثة الأخرى بالتساوي وهي : الطاقة المتجددة ، والغاز ، والكهرباء .

Figure 2 : Consumed Energy In Jordan During 2006 .

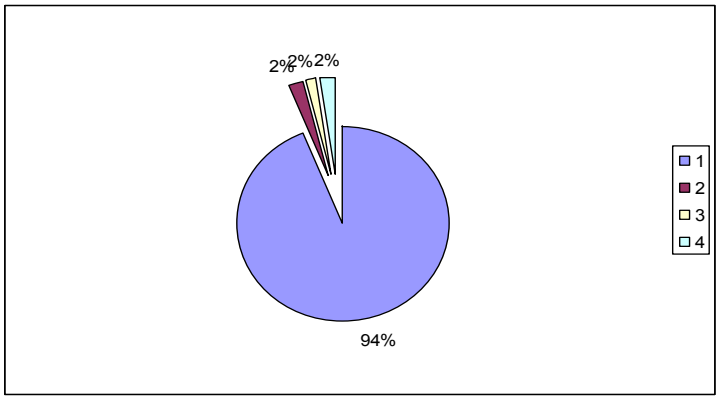

المصدر : وزارة الطاقة والثروة المعدنية ،عمان ، سنوات مختلفة .

من جانب آخر ، يبين الشكل التالي رقم 3 التوزيع القطاعي لاستهلاك الطاقة في الأردن لعام 2006 ، وهو ما يبين أن القطاع المنزلي استهلك نحو 35% من الطاقة في الأردن ، فيما كانت حصة القطاع الصناعي نحو 29% ، مقارنة بنحو 16% كانت للقطاع التجاري . فيما توزعت النسبة الباقية بن القطاعات الأخرى : ضخ المياه ، و إنارة الشوارع ، واستخدامات أخرى بنسب 15% ، و 2% ، و 3% وذلك على التوالي .

Figure 3 : Uses of Energy In Jordan In 2006

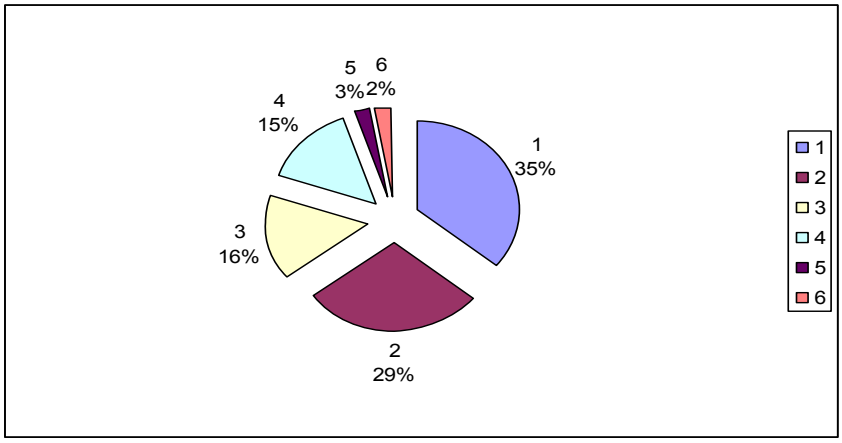

المصدر : وزارة الطاقة والثروة المعدنية ،عمان ، سنوات مختلفة .

لقد قامت الحكومة الأردنية بمحاولة للتكيف مع الارتفاع في أسعار البترول العالمية ، وكان ذلك من خلال البحث عن المصادر المحلية البديلة التي من شأنها تقليل الاعتماد على الخارج وتخفيف العبء المالي عن الموازنة المحلية ، ولقد كان في مقدمة المصادر البديلة ما يعرف بخام الصخر الزيتي الذي يعتبر من أفضل

أنواع الخام على مستوى العالم ، ومن المتوقع أن يصل إنتاج الطن منه إلى نحو 180 لتراً من الزيت ، فيما تبين المعايير الدولية أن إنتاج 40 لتراً من الزيت يعتبر مجدٍ من الناحية الاقتصادية ، وتقدر الاحتياطيات المتوفرة في الأردن بحوالي 40 مليار طن تحتوي على ما يزيد على 4 مليار طن من البترول موزعة على 24 موقعا في الأردن . من جانب آخر تشير البيانات نمو نصيب الفرد من الطاقة الكهربائية بنسبة 41% خلال الفترة 2000 – 2006 ، وهو ما يعني المزيد من الاعتماد على الكهرباء كمصدر للطاقة مقابل التخلي النسبي عن المصادر الأخرى (http://middle-east-online.com/economy/?id=56336) ، وهذا ما يعني محاولة التخفيف من الاستيراد من الخارج وزيادة الاعتماد على الذات في مجال الطاقة ، إضافة إلى ترشيد الاستهلاك ، ويبين الشكل التالي تطور مصادر الطاقة المستهلكة خلال الفترة بين عامي 2015 و 2020 كما يلي :

Figure 4 : The Evolution of Energy Resources Between 2015 , 2020.

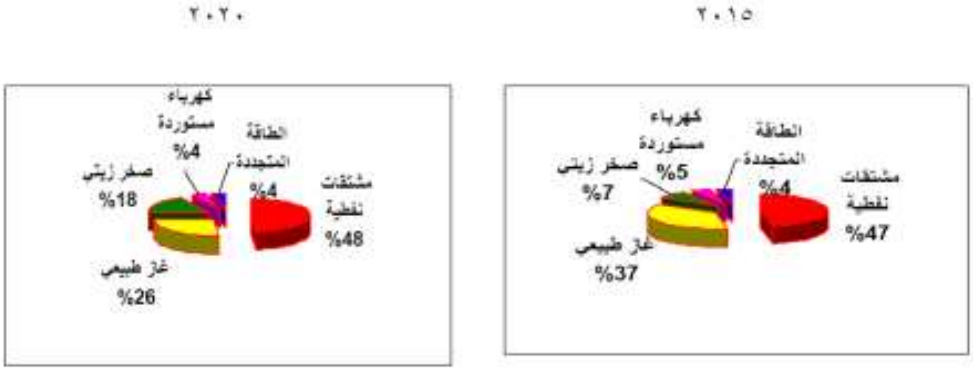

المصدر: وزارة الطاقة والثروة المعدنية ، الاستراتيجية الشاملة لقطاع الطاقة في الأردن المحدثة للفترة 2007 – 2020، **ص**8.

النموذج القياسي :

تفترض المناقشات السابقة أن الدول المصدرة للبترول هي دول تميل للتكيف مع ارتفاع أسعار البترول في السبعينات و أوائل الثمانينات ، ولكن هذه القاعدة لا يمكن تعميمها على الدول الأخرى مثل دول أميركا الجنوبية ، وبشكل عام على الدول غير المصدرة للبترول ، وتميل هذه الورقة لاختبار أي رابط سببي من أسعار البترول نحو الطلب على البترول أو الطاقة باستخدام الصيغة التالية :

$$\ln (E)_{it} = v_i + \alpha_1 t + \alpha_2 \ln (E)_{I,t-1} + \alpha_3 \ln (y)_{I,t-1} + \beta \ln P_{i,t-1} + \varepsilon_{i,t} \quad (1)$$

حيث : E : استهلاك البترول كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي (إنتاجية البترول من النمو الاقتصادي). y : هو الناتج المحلي الإجمالي في الأردن GDP بالدولار . P : أسعار البترول العالمية

دولار/ برميل . v_i : الأثر الثابت المحدد للدولة . $\varepsilon_{i,t}$: الخطأ العشوائي . ويأتي الهدف من الصيغة السابقة هو تقدير β ، فإذا كانت $\beta < 0$ فإن أسعار البترول ستؤثر على استهلاك البترول في الدولة ، أما إذا كانت $\beta = 0$ فإن الأسعار لا تؤثر على استهلاك الطاقة .

ولكن يرى (Lopez & Alaimo, 2008) أن النموذج السابق هو مقيد بشكل كبير، وفي نفس الإطار هناك مجموعة من الدراسات (Mork, 1989) و (Mork , Olsen & Mysen , 1994) التي ترى أن هناك علاقة بين أسعار البترول وبعض المتغيرات الاقتصادية (غالباً النشاط الاقتصادي) وهذه العلاقة هي متناسقة Asymmetric ؛ وتكون النتيجة أن هناك أثر اقتصادي واضح للارتفاع السعري ، بينما يكون هناك أثر مختلف في حالة الانخفاض .

ويكمن الغرض الأساسي من تقدير معلمات الصيغة السابقة هو معرفة ما إذا كانت الأسعار المرتفعة للطاقة ستدفع باتجاه وجود تحسن في مستوى الكفاءة ، وهو ما يعني الحاجة إلى وجود استثمارات في أدوات معينة تستخدم الطاقة بشكل أكثر كفاءة و / أو من خلال صيانة المعدات والأدوات الرأسمالية القائمة ، أما الانخفاض في الأسعار فيمكن أن يقود إلى استخدام مكثف لرأس المال ، ولاختبار تلك الاحتمالية من خلال معرفة أن :

$$\mathbf{P<0}\begin{cases}\Delta \ln P^{+} = \begin{cases}\Delta \ln P \text{ if } \Delta \ln P > 0\\ 0 \text{ if } \Delta \ln P \le 0\end{cases} \text{ And } \Delta \ln P^{-} = \begin{cases}\Delta \ln P \text{ if } \Delta \ln\\ \text{ \& Then}\\ 0 \text{ if } \Delta \ln P \ge 0\end{cases}\end{cases}$$

وبإعادة كتابة الصيغة رقم 1 نحصل باستخدام شرط الاحتمال السابق على ما يلي :

$$\ln(E)_{it} = v_i + \alpha_1 t + \alpha_2 \ln(E)_{I,t-1} + \alpha_3 \ln(y)_{I,t-1} + \beta_1 \ln P^{+}_{i,t-1} + \beta_2 \ln P^{-}_{i,t-1} + \varepsilon_{i,t} \quad (2)$$

وتشترط الصيغة رقم 2 أن $\beta_1 < 0$ و $\beta_2 > 0$ ، **وهي** التي تدفع بمزيد من المرونة كما يبينها (Gately & Huntington, 2002) و (Gately & Huntington, 2007) ، وهم الذين افترضوا أن تلك الصيغة تقوم على التناغم وأن اتجاه العلاقة العكسية مع السعر غير تام . لذلك فهم يروا باحتمالية مفادها أن جميع الزيادات السعرية ليس هي نفسها وليس لديها نفس الأثر ، ويتوسع النموذج في القول أن الزيادة المفاجئة في السعر لا تمتلك نفس الأثر الذي تحدثه الزيادة السعرية التي تقع ضمن المدى الطبيعي .

وبشكل أكثر دقة فإن (Gately & Huntington, 2002) يصنف المستويات السعرية إلى عدة أنواع كما يلي :

$$\ln P = \ln P_0 + \ln p_{Max} + \ln P_{Cut} + \ln P_{Rec} \qquad (3)$$

حيث P_0 : السعر في بداية السنة . p_{Max} : الزيادة التراكمية الأقصى . P_{Cut} : الانخفاض التراكمي في السعر . P_{Rec} : الزيادة التراكمية غير العادية الأقصى ، وجميع القيم باستخدام اللوغاريتم الطبيعي .

Figure 5 : Oil Prices , Evolution 1970- 2008 .

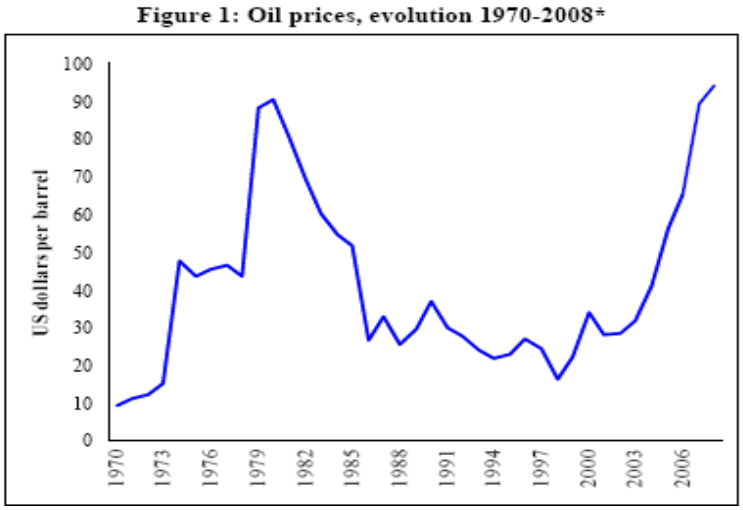

Source : Oil Intensities and Oil Prices , Alaimo& Lopez , 2008.

Figure 6 : Yearly Average price

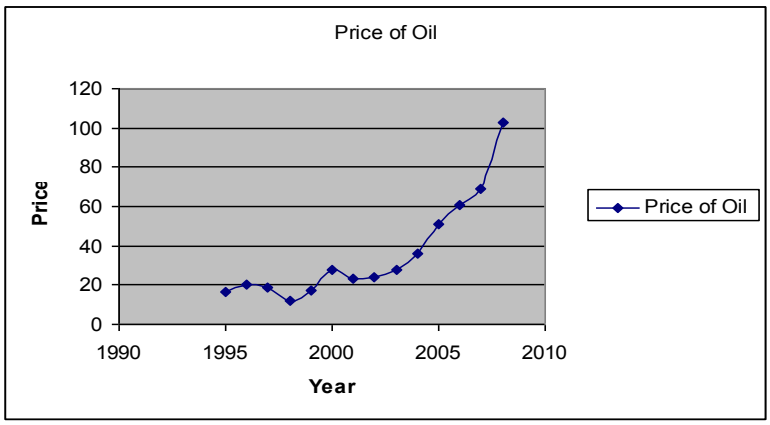

Source : OPEC . ORG , 2008.

Figure 7 : Decomposition of Oil Price .

Figure 3. Decomposition of oil price

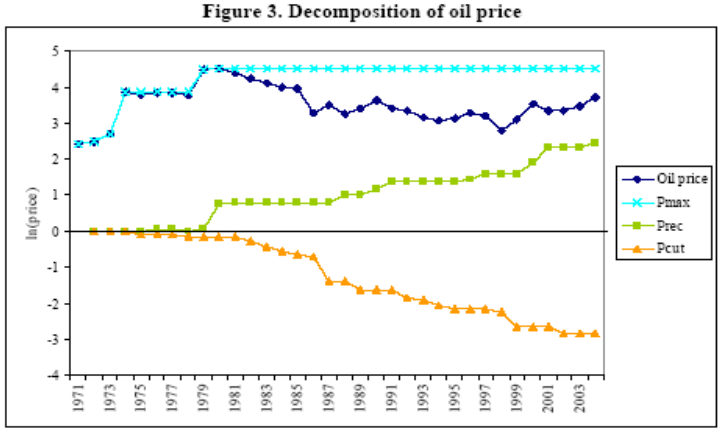

Source : Oil Intensities and Oil Prices , Alaimo& Lopez , 2008.

تبين الأشكال السابقة التحليل التاريخي لأسعار البترول خلال الفترة 1970 – 2008 ، ويبين الشكل رقم 7 مستويات الأسعار التي بينتها الصيغة رقم 3 ومنها يمكن تقسيم تلك الفترة إلى ثلاثة فترات فرعية : الأولى فترة السبعينات وتبين أن P_{Max} و P كانت تسير معاً بشكل واضح خلال الفترة ونجد منها أن سعر البترول كان دائماً في حده الأقصى . أما الفترة الثانية فكانت خلال الثمانينات وأول التسعينات وبينت أن التغيرات في سعر البترول P كانت بسبب الانخفاض التراكمي في السعر ، أما الفترة الثالثة فتحددت في العشر سنوات الماضية وبينت أن هناك زيادة تراكمية فرعية في السعر كانت تسيطر على الاتجاه العام للأسعار ، ورغم ذلك زادت الأسعار لكن دون أن تصل إلى حدها الأقصى (Alaimo& Lopez , 2008) .

بالعودة إلى الصيغة رقم 3 ، يمكن تعويض سعر البترول في الصيغة رقم 1 ، وينتج لدينا صيغة غير مقيدة تتسم بالمرونة ومنها يمكن قياس التغيرات في كفاءة استخدام البترول :

$$\ln (E)_{it} = v_i + \alpha_1 t + \alpha_2 \ln (E)_{I,t-1} + \alpha_3 \ln (y)_{I,t-1} + \beta^1 \ln P_{Max,t-1} + \beta^2 \ln P_{Cut\ ,\ t-1} + \beta^3 \ln P_{rec\ ,\ t-1} + \varepsilon_{i,t} \quad (4)$$

تبين المعادلة رقم 4 أن الشرط أصبح الآن $\beta_1 < 0$ و $\beta_2 < 0$ و $\beta_3 < 0$. ونجد من ذلك أن الزيادات السعرية سوف تخلف آثاراً مختلفة ، وهنا تبين المعادلة أن التباطؤ الزمني للزيادة السعرية أو القيمة القصوى لها تختلف عن الزيادة السعرية في فترة ما قد تكون أكثر أو أقل من الانحرافات الطبيعية . وفي هذه الحالة فإن (Gately & Huntington, 2002) وجدوا أن $\beta_1 > \beta_2 > \beta_3$ (Alaimo& Lopez , 2008). من ناحية أخرى ، سنقوم في هذه الدراسة بتحديد الدرجة التي تنتقل بها التغيرات السعرية إلى المستهلك النهائي ، وذلك باستخدام المعادلة التالية :

$$\ln (PG)_{it} = v_i + \alpha_2 \ln (PG)_{I,t-1} + \alpha_3 \ln (PO)_{I\ ,\ t} + \beta\ \ln (PO)_{I\ ,t-1} + \varepsilon_{i,t} \quad (5)$$

حيث : PG هو المتغير الذي نهتم به (سواء السعر الإضافي على المستهلك النهائي، أو الوقود الديزل). PO : سعر برميل البترول بالدولار . v_i : الأثر المحدد على الدولة . $\varepsilon_{i,t}$: المتغير العشوائي، وسوف نستخدم لتقدير هذا النموذج البيانات الشهرية المتاحة خلال الفترة من شهر كانون الثاني – حزيران من العام الحالي 2008 .

النتائج والمناقشة :

تبين نتائج تقدير الصيغة رقم **1** ما يلي :

$$\ln (E)_{it} = 1{,}344 + 0.011\ \mathbf{t} + 0.832 \ln (E)_{I,t-1} + 0.129 \ln (y)_{I,t-1} - 0.068 \ln P_{i,t-1}$$

-يبين خط الاتجاه العام للسلسة من خلال معامل الزمن t أن استهلاك البترول كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي ينمو سنوياً بمعدل ثابت يصل إلى 1.1% وهذه النسبة قليلة جداً ولا تتوافق مع مستلزمات واحتياجات التطور الاقتصادي في الأردن ، وينظر الباحث إلى أن تلك النسبة تعتمد بشكل كبير على حجم الناتج المحلي الإجمالي وحجم الاستهلاك ، فكلما زاد الناتج بنسبة أكبر من الاستهلاك قلت هذه النسبة والعكس صحيح .

-يبين معامل الإنتاجية في السنة السابقة t-1 (استهلاك البترول كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي) أن هناك علاقة إيجابية قوية وذات معنوية إحصائية عالية بين إنتاجية البترول من الناتج في السنة السابقة مع معدل إنتاجيته في السنة الحالية ، ويفسر الباحث تلك النتيجة أن زيادة الفاتورة النفطية وكلف الاستيراد التي يتحملها الاقتصاد تمثل حالة استنزاف للموارد الاقتصادية من جهة ، ولكنها تعتبر من الجانب الآخر عامل أساسي لتحقيق النمو الاقتصادي واستمرار عجلة التنمية الاقتصادية ، فالبترول عصب الاقتصاد ولا يمكن أن يستمر دونه.

-من خلال تأثير قيمة β (معامل السعر) على استهلاك البترول كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي (إنتاجية البترول من الناتج القومي) ، تبين أن قيمة β أكبر من صفر($0 > \beta$) ، وهو ما يعني تحقق شرط النموذج الأصلي من أن سعر البترول يؤثر على المتغير التابع الذي يمثل إنتاجية البترول في النمو الاقتصادي وبمعنوية إحصائية قوية وفقاً لاختبار t. و تبين تلك النتيجة أن انخفاض أسعار البترول في السنة السابقة سوف يدفع باتجاه زيادة مساهمة الكمية المستهلكة من البترول في تعزيز معدل النمو الاقتصادي وذلك بمقدار 6.8% ، والعكس صحيح أيضاً لو ارتفعت تلك الأسعار . ويفيد ذلك من الناحية الاقتصادية أن معدل النمو الاقتصادي القائم على استهلاك البترول مبني على التغيرات التي تسجلها أسعار البترول في الفترة الزمنية السابقة ، وترى القاعدة العامة أن زيادة أسعار البترول يدفع باتجاه تقليل معدل الاستهلاك وبالتالي انخفاض معدل النمو الاقتصادي أو الاستمرار في الإنتاج عند مستويات أقل من السابق ، وهذا لا يعني إنتاج الحجم الأمثل في الاقتصاد أو وجود كفاءة أو في استخدام البترول وهذا مطابق لما توصلت إليه دراسة (Dargay,

. Gately, and Huntington, 2007)

الجدول رقم **1** : معاملات النموذج Coefficients(a)

Sig.	t	Standardized Coefficients	Unstandardized Coefficients			Model
		Beta	Std. Error	B		
0.292	1.113		1.208	1.344	(Constant)	1
0.266	1.179	0.159	0.009	0.011	T	
0.000	5.778	0.807	0.146	0.842	E2	
0.044	2.310	0.168	0.056	0.129	Y2	
0.035	-2.965	-0.099	0.071	-0.068	P2	

(a) Dependent Variable: E1 .

-تبين أن معظم المتغيرات التي تضمنها النموذج باستثناء الزمن t ، مؤثرة على متغير مساهمة البترول في النمو الاقتصادي في الأردن (استهلاك البترول كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي) وهذا من خلال قيمة اختبار t لتلك المتغيرات أو Siq .

-تبين النتائج في الجدول التالي رقم 2 أن المتغيرات المستقلة في النموذج تفسر ما نسبته 99.6% من التغيرات التي تحصل في مساهمة البترول في النمو الاقتصادي (استهلاك البترول كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي) ، ووجد أن هناك علاقة ارتباط قوية بين تلك المتغيرات تصل إلى 99% .

-وجد أن البيانات لا تعاني من مشكلة الارتباط الذاتي التسلسلي Auto Correlation وهو ما يستدل عليه من قيمة اختبار Durbin Watson (2.183) ، و تبين أيضاً أن اختبار التباين F يفيد بأن نموذج الدراسة مناسب للمتغيرات وبذلك فإن هناك درجة مقبولة لتوفيق النموذج المستخدم في الدراسة Fitness of Model .

النموذج رقم 2 : ملخص النموذج Model Summary(b)

Durbin-Watson	Std. Error of the Estimate	Adjusted R Square	R Square	R	Model
2.183	0.01952	0.996	0.997	0.999(a)	1

a Predictors: (Constant), P2 , T , E2 , Y2 . b Dependent Variable: E1 .

الجدول رقم 3 : تحليل التباين ANOVA(c)

Sig.	F	Mean Square	df	Sum of Squares		Model
0.000(a)	874.761	0.333	4	1.333	Regression	1
		0.000	10	0.004	Residual	
			14	1.337	Total	

(a) Predictors: (Constant), P2 , T , E2 , Y2 . (b) Dependent Variable: E1.

تبين نتائج تقدير الصيغة المعدلة رقم 4 بعد تعويض ثلاثة أنواع من الأسعار مكان سعر البترول P ،

والهدف من ذلك هو إعطاء صورة واضحة عن مصادر التغيرات التي تحدث في المتغير التابع ما يلي :

$$\ln (E)_{it} = 2.124 + 0.018\ t + 0.757 \ln (E)_{I,t-1} + 0.142 \ln (y)_{I,t-1} - 0.088 \ln P_{Max,t-1} + 0.42 \ln P_{Cut\ ,\ t-1} + 0.03 \ln P_{rec\ ,\ t-1}$$

- وجد أن جميع الأسعار التي تضمنها النموذج مؤثرة على حصة البترول من النمو الاقتصادي في الأردن بنسب متفاوتة ، وكان أكثر ما يؤثر على تلك المساهمة هو القيمة القصوى للسعر P Max ، حيث وجد أن وصول سعر البترول إلى قيمته القصوى يؤثر سلباً على مساهمة البترول في النمو الاقتصادي ، وتكون المحصلة انخفاض استهلاك البترول بنسبة أكبر من الانخفاض في الناتج القومي ، وقد كانت قيمة معامل التغير أكبر من صفر ($\beta > 0$) أي ما يعني أنه ذو أثر معنوي قوي على المتغير التابع .

الجدول رقم **4** : معاملات النموذج Coefficients(a)

Sig.	t	Standardized Coefficients	Unstandardized Coefficients			Model
		Beta	Std. Error	B		
0.206	1.376		1.544	2.124	(Constant)	1
0.183	1.457	0.268	0.013	0.018	T	
0.004	4.066	0.726	0.186	0.757	E2	
0.004	3.900	0.185	0.075	0.142	Y2	
0.466	0.766	0.052	0.055	0.042	P Cut	
0.621	0.514	0.037	0.059	0.030	P Rec	
0.035	-2.025	-0.127	0.086	-0.088	**P Max**	

(a) Dependent Variable: E1 .

-أما التغيرات السعرية الأخرى مثل P Cut التي تمثل الانخفاض التراكمي في السعر، وP Rec الذي يمثل التغير المسترد في السعر ، فكانت غير معنوية من الناحية الإحصائية وبالتالي لا يمكن اعتبارها مؤثرة من الناحية الإحصائية على حصة البترول من النمو الاقتصادي ، وكانت تلك النتيجة من خلال قيمة اختبار t ، إضافة إلى .

-أن الاتجاه العام لحصة البترول من النمو الاقتصادي في الأردن يتزايد بمعدل 1.8% سنوياً ، كما وجد أن المتغيرات في الصيغة المعدلة تفسر نحو 99.7% من التباين في حصة البترول المستهلكة في النمو الاقتصادي ، كما أن النموذج المستخدم ملائم من الناحية الإحصائية لمتغيرات الدراسة وفقاً لاختبار F (527.19).

-وجد أن نتائج المقدرات تحقق شرط النموذج وهو : $\beta_1 > 0$ و $\beta_2 > 0$ و $\beta_3 > 0$ ، حيث وجد أن جميع معاملات التغير السعري أكبر من صفر ، ولكن كما بينا فإن P Rec و P Cut ذات معنوية إحصائية قليلة وبالتالي فهي لا تؤثر إنتاجية البترول من النمو الاقتصادي.

النموذج رقم 5 : **ملخص النموذج** Model Summary(b)

Durbin-Watson	Std. Error of the Estimate	Adjusted R Square	R Square	R	Model
2.254	0.02053	0.996	0.997	0.999(a)	1

(a) Predictors: (Constant), P Rec , E2 , P Cut , Y2 , t . (b) Dependent Variable: E1

الجدول رقم 6 : تحليل التباين ANOVA(c)

Sig.	F	Mean Square	Df	Sum of Squares		Model
0.000(a)	527.190	0.222	6	1.333	Regression	1
		0.000	8	0.003	Residual	
			14	1.337	Total	

(a) Predictors: (Constant), P Rec , E2 , P Cut , Y2 , t. (b) Dependent Variable: E1.

أما نتائج تقدير الصيغة رقم 6 فهي تبين ما يلي :

-يزداد سعر مادة (البنزين) الأوكتان 95 بمعدل 12.1% في كل مرة تسعر بها المشتقات النفطية ، وتعتمد عملية التسعير الحالية على متوسط سعر البترول المسجل في الشهر السابق t-1 الذي سجل معنوية إحصائية مقبولة في التأثير على المتغير التابع . وتبين أن سعر البترول العالمي المسجل في الشهر الحالي ذو معنوية إحصائية في التأثير على سعر البنزين وهو يؤثر على المستهلك النهائي بالمتوسط بنسبة 2.2% شهرياً ، أما السعر المسجل لمادة البنزين 95 في الشهر السابق فهو غير معنوي من الناحية الإحصائية ولذلك فهو لا يؤثر على سعر المادة في الشهر الحالي .

-النتيجة أن الحكومة الأردنية تقوم بتمرير ما نسبته 14.3% من التغيرات في سعر البترول الدولي على المستهلك النهائي لمادة البنزين 95 فقط .

-أما سعر مادة البنزين 90 فقد وجد أن يتأثر بمتغيرين فقط هما : سعر المادة المشتقة نفسها (البنزين 90) المسجل في الشهر السابق t-1 وذلك بنسبة 2.8% وكانت العلاقة بينهما سالبة ، أما المتغير الأهم الذي يؤثر على تسعير البنزين 90 فهو سعر البترول المسجل في الشهر السابق ، ومن خلاله تقوم الحكومة بتمرير Pass - Through ما نسبته 1.8% على سعر البنزين 90 عند تسعيره .

-النتيجة أن الحكومة الأردنية تقوم بتمرير ما نسبته 4.6% من التغيرات في سعر البترول الدولي وسعر المادة نفسها على المستهلك النهائي لمادة البنزين 90 .

-يتأثر سعر مادة الكاز أو الديزل بنحو 11.8% على سعر البترول المسجل في الشهر السابق، كما يتأثر سعر تلك المواد النفطية بالسعر الموضوع لها في الشهر السابق وهي تتأثر به بنسبة 7% \بينما نرى أن أسعار البترول الحالية تفرض الانخفاض في سعر تلك المادتين بنسبة 7% والعلاقة بينهما عكسية .

-النتيجة أن الحكومة تقوم بتمرير ما نسبته 11.8% من التغيرات التي تحصل في سعر البترول على المستهلك النهائي للكاز أو الديزل (سعرها موحد).

-تبين النتائج عموماً أن المشتقات النفطية : البنزين 95 ، البنزين 90 ، والكاز والديزل تتأثر جميعها بشكل واضح بسعر البترول المسجل في الشهر السابق للشهر الذي يتم تسعير المشتقات النفطية فيه ، وهو ما يعني أن الأثر الفعلي للشهر الحالي يظهر في الشهر القادم ، لذلك اعتبر هذا المتغير أنه الأكثر معنوية إحصائية في التأثير على المستهلك النهائي للمشتقات النفطية .

الجدول رقم 7 : معاملات النموذج رقم 6 Coefficients(a)

المادة	المتغير الأول P(G)t-1	المتغير الثاني P(0)	المتغير الثالث P(0)t-1	R^{-2}	F
البنزين 95	0.16 (1.498)	0.022 (2.578)	0.121 (3.697)	0.726	6.179
البنزين 90	-0.028 (-2.304)	0.168 (1.996)	0.018 (2.053)	0.365	3.343
الكاز أو الديزل	-.070 (-3.455)	0.214 (1.449)	0.118 (3.343)	0.242	4.744

a Dependent Variable: PG : Price of Item .

مناقشة النتائج :

-وجد أن تأثير السعر على إنتاجية البترول من الناتج المحلي الإجمالي أكبر من صفر ($\beta < 0$) ، وهو ما يعني أن سعر البترول يؤثر على المتغير التابع الذي يمثل إنتاجية البترول في النمو الاقتصادي . فانخفاض أسعار البترول في السنة السابقة سوف يدفع باتجاه زيادة إنتاجية البترول المستهلك في تعزيز معدل النمو الاقتصادي وذلك بمقدار 6.8% ، والعكس صحيح أيضاً لو ارتفعت تلك الأسعار .

-تبين أن القيمة القصوى لسعر البترول P Max أكثر ما يؤثر على مساهمة البترول في النمو الاقتصادي وأن شكل العلاقة يؤثر سلباً على تلك المساهمة ، والمحصلة هي انخفاض استهلاك البترول بنسبة أكبر من الانخفاض في الناتج القومي كلما وصل السعر إلى القيمة القوى .

-أما التغيرات السعرية الأخرى مثل P Cut التي تمثل الانخفاض التراكمي في السعر ، وP Rec الذي يمثل التغير المسترد في السعر ، فكانت غير معنوية من الناحية الإحصائية وبالتالي لا يمكن اعتبارها مؤثرة من الناحية الإحصائية على حصة البترول من النمو الاقتصادي ، وكانت تلك النتيجة من خلال قيمة اختبار t ، إضافة إلى .

-تقوم الحكومة بتمرير Pass – Through ما نسبته 14.3% من التغيرات في سعر البترول الدولي على المستهلك النهائي لمادة البنزين 95 .

-تقوم الحكومة بتمرير ما نسبته 4.6% من التغيرات في سعر البترول الدولي وسعر المادة نفسها على المستهلك النهائي لمادة البنزين 90 .

-تقوم الحكومة بتمرير ما نسبته 11.8% من التغيرات التي تحصل في سعر البترول على المستهلك النهائي للكاز أو الديزل (سعرها موحد).

التوصيات :

-إعادة النظر بالطريقة الحالية التي تسعر بها المشتقات النفطية في الأردن فق يكون التسعير القطاعي أكثر فعالية أو جدوى من الطريقة المتبعة حالياً . فلا يجوز أن يتم فرض السعر نفسه على المستهلك النهائي في القطاع العائلي أو القطاع الصناعي أو الحكومة ، ويجب مراعاة حجم الكمية المستهلكة من قبل كل قطاع والقوة الشرائية له، والغرض من الشراء .

-التركيز على جعل قطاع النفط في الأردن قائم على قوى السوق والمنافسة التامة ، ويتم ذلك من خلال فتح المجال أمام الاستثمارات المحلية الموجهة لاستيراد النفط وعدم حصر تلك المهمة بالقطاع الحكومي .

-قيام الحكومة الأردنية باستخدام الأدوات المالية الحديثة كالمشتقات باستخدام العقود الآجلة Forwards والمستقبليات Futures لشراء عقود النفط ، والهدف من ذلك هو المساهمة في تخفيف حدة التقلبات والمخاطر في أسعار النفط العالمية على الاقتصاد المحلي .

-من الضروري أن تعكس الحكومة عند تسعير المشتقات النفطية ما تحصل عليه من كميات نفطية مجانية أو بأسعار تفضيلية وذلك بهدف التخفيف من حدة الارتفاع المستمر في أسعار النفط على الاقتصاد المحلي . فكما نعلم بأن الحكومة الأردنية تحصل على مزايا سعرية من النفط العراقي يقل بنحو 18 دولار عن السعر العالمي .

-قيام جمعية حماية المستهلك بالعمل على إصدار نشرة تأشيرية لأسعار النفط مثل بقية السلع التي تباع في السوق المحلي .

-من المعروف أن سعر البترول في الأردن مرن في الارتفاع للأعلى ولكنه غير مرن للانخفاض نحو الأسفل ، وعليه فيجب مراعاة هذه النقطة عند تسعير المشتقات النفطية كل شهر والأخذ بالانخفاض في السعر العالمي كما الارتفاع تماماً .

المراجع الأجنبية :

- Alaimo .V & Lopez .H (June 2008) , Oil Intensities and Oil Prices: Evidence for Latin America , The World Bank , Latin America and the Caribbean Region Office of the Chief Economist , WPS4640 .
- Artana, D., M. Catena, and F. Navajas (2007). "El Shock de los Precios del Petróleo en América Central: Implicancias Fiscales y Energéticas," *mimeo,* FIEL, Buenos Aires.
- Bacon, R., and M. Kojima (2006). *Coping with Higher Oil Prices*. Energy Sector Management Assistance Program, Report No. 323/06, The World Bank, Washington, DC.
- Dargay, J.M., D. Gately, and H. G. Huntington (2007). "Price and Income Responsiveness of World Oil Demand, by Product," mimeo, NYU.
- Gately, D. and H.G. Huntington (2002). "The Asymmetric Effects of Changes in Price and Income on Energy and Oil Demand," *The Energy Journal,* 23(1): 19-55.
- Hamilton J. D. (1983). Oil and the Macroeconomy since World War II. *Journal of Political Economy*, 91: 228–248.
- Heston, A. R. Summers, and B. Aten (2006) Penn World Table Version 6.2, Center for International Comparisons of Production, Income and Prices at the University of Pennsylvania.
- Huntington, H.G. (2005). "US carbon emissions, technological progress and economic growth since 1870," *Int. J. Global Energy Issues*, 23(4): 292-306.

- Mork K. A. (1989). "Oil Shocks and the Macroeconomy when Prices Go Up and Down: an Extension of Hamilton's Results," *Journal of Political Economy*, 97(3): 740–744.
- Mork K. A., O. Olsen, and H.T. Mysen (1994). "Macroeconomic Responses to Oil Price Increases and Decreases in Seven OECD Countries," *Energy Journal,* 15(4): 19–35.
- Johnson, G. & Scholes, K : Exploring Corporate Strategy, 5th. ed, Prentice Hall, U.K., 1999.
- World Bank (2006). "Assessing the Impact of Higher Oil Prices in Latin America". Joint Report prepared by the Latin America and the Caribbean Region, the Office of the Chief Economist and Economic Policy Sector. Washington DC, April 2006.
- World Bank (2007), World Development Indicators, 2007

المراجع العربية :

- دائرة الإحصاءات العامة ، الأردن بالأرقام ، أعداد مختلفة ، عمان .
- دائرة الإحصاءات العامة ، المسح الاقتصادي ، 1992 – 2007 ، عمان .
- العتوم ، راضي وآخرون (2002)، التنبؤ بالأزمات الاقتصادية : حالة الأردن ، بحث مقدم إلى المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا ، عمان .
- وزارة الطاقة والثروة المعدنية ، بيانات منشورة ، 2008 ، عمان .

المراجع الإلكترونية :

- http://middle-east-online.com/economy/?id=56336.
- www.OPEC.ORG (2008) , Published Data .
- **www.alghad.jo .(Monday , 23. June, 2008) .**

The Effect of Oil Prices on Economic Growth in Jordan

Dr.Iyad Abdell Fattah Al-Nsour
Al-imam Mohammed Ibn Saud University
Al-Kharj - KSA

Abstract : This study aims at showing the effects of oil prices on economy of Jordan , measuring the effect of price changes on such macroeconomic variables in Jordan , and measuring the price changes that pass through to final consumer of Gasoline (90 and 95) and Kerosene .

To achieve the goals of this study , it is divided into four parts : the first part shows the review of literature that explains the relation between oil prices and macroeconomic variables. The second part indicates the relation between economic problem and energy sector in Jordan. The third part is considered with building and estimating the econometric models. The fourth part concludes the results and recommendations .

Finally , The study explains the most important results that seem an evidence that support the results of other related studies .

Key Words : The Prices , Oil , Economic Growth , Jordan .

LARGE SIGNAL AVERAGE SWITCH MODELING FOR PWM AND ZCS – QR CONVERTERS

Dr. Mustafa M. Ibrahim
University of IBB -College of Engineering
And Architecture_Electronic Department

Abstract:

The average switch modeling presented in this paper is a simple and new modeling approach. Such approach can be used to study the transient and steady-state behavior of (ZCS-QR) and PWM converters. Simulation results show that this new approach has less computation time and consists in its results with other modeling approaches.

1- Introduction:

Much attention has been paid to the analysis of periodically switched networks in recent years since their wide application in a number of practical circuits such as switching DC-DC converters. Zero-current switched (ZCS) quasi-resonant converters (QRC's) have been kinds of popular topologies for DC-DC power conversion due to their inherent soft-switching characteristics and circuits simplicity(Jianping Xu, and C. Q. Lee(1998)). However, the design of regulated switch-mode power supplies based on ZCS-QRC's are difficult to realize without a good model of the open-loop converter. Still, due to its nonlinearities and complicated operating characteristics, ZCS-QRC's are hard to model.

Steady-state analyses of QRC's were carried out, and relationships between their static voltage conversion ratios and the switching frequencies were reported. This information is useful in getting and understanding of the operation of the QRC in steady-state, but cannot be used to predict the transient behavior.

In this paper, a modeling approach for ZCS-QRC's is proposed. The model is constructed by replacing the active and passive switches in the converter by an equivalent three-terminals network known as average switch. Such a model is used to simulate the transient and steady-state response of the ZCS-QR and PWM DC-DC converters.

Simulation results have proved that the model is accurate and a very short time is required to execute the simulation programs using a common pc computer.

An interesting feature is the possibility that the method presented can be used generally to ZCS-QRC's and PWM DC-DC converters.

2-The Proposed Model

It is known that the switch average parameters in PWM converter is the duty cycle (D)(Arthur F. Witulski, and Robert W. Erickson (1990)) and in ZCS-QRC's it is the normalized switching frequency (μ) (Kwang-Hwa Liu, Ramersh Oruganti, and Fred C. Y. Lee(1987)) therefore; the normalized switching frequency in ZCS-QRC's play the same rule as the duty cycle in PWM converters: buck, boost, buck-boost, and cuk converter. These converters have one active switch and one passive switch performing the switching action in the converter. The active switch is directly controlled by an external control signal. It is usually implemented with a bipolar transistor or a MOSFET.The passive switch is directly controlled by the state of the active switch and the circuit condition. It is usually implemented by a diode. As shown in Fig. 1, these two switches can be combined into one network with three terminals a, p, and c which stands for active, passive, and common respectively. The three terminals network is called the average-switch and since all other elements of the converters are supposed to be linear, the average switch is the only nonlinear element and therefore responsible for the nonlinear behavior of the converters.

Fig. 2 shows the presentation of the average switch operation in the continuos conduction mode with the terminal currents and voltages. During the time interval (μT_S) the passive switch is off and the active switch is on, and the active terminal is connected to the common terminal. During the time interval ($\bar{\mu} T_S$) the active switch is off and the passive switch is on, and the passive terminal is connected to the common terminal, where (T_S) is the switching period of the active switch, (μ) is the switch average parameter as the ratio of the on-time of the active switch to the switching period and ($\bar{\mu} = 1 - \mu$) for the continuos conduction mode. The relations between the instantaneous terminal currents are found as:

$$i_a(t) = \begin{cases} i_c(t) & \text{during } \mu T_S \\ 0 & \text{during } \bar{\mu} T_S \end{cases} \qquad (1)$$

$$i_b(t) = \begin{cases} 0 & \text{during } \mu T_s \\ i_c(t) & \text{during } \bar{\mu} T_s \end{cases} \qquad (2)$$

The same applies for the instantaneous terminal voltages:

$$V_{cp}(t) = \begin{cases} V_{ap}(t) & \text{during } \mu T_s \\ 0 & \text{during } \bar{\mu} T_s \end{cases} \qquad (3)$$

$$V_{ac}(t) = \begin{cases} 0 & \text{during } \mu T_s \\ V_{ap}(t) & \text{during } \bar{\mu} T_s \end{cases} \qquad (4)$$

It is sufficient to inspect the averaged behavior of the average-switch to analyze the averaged behavior of a converter. So the instantinuos terminal waveform are time-averaged over one cycle T_s.

Thus, the averaged terminal currents are found using eqns. (1) and (2) as:

$$\langle i_a \rangle = \mu \langle i_c \rangle \qquad (5)$$

$$\langle i_p \rangle = \bar{\mu} \langle i_c \rangle \qquad (6)$$

Also, the average terminal voltages are found from eqns. (3) and (4):

$$\langle V_{cp} \rangle = \mu \langle V_{ap} \rangle \qquad (7)$$

$$\langle V_{ac} \rangle = \bar{\mu} \langle V_{ap} \rangle \qquad (8)$$

Fig. (4.3) shows a model applying a controlled voltage source and a controlled current source using eqns. (5) and (7). It is clear that eqns. (6) and (8) are also satisfied. The model for the average-switch always satisfies either eqn. (5) or eqn. (6) and eqn. (7) or Eqn. (8).

3-Application of the Average-Switch Model

As an application for average-switch model, we shall take a boost converter as shown in Fig. 4 while Fig. 5 presents the boost converter, where the average-switch is replaced by the model shown in Fig. 3. We can easily recognize from Fig. 4 that:

$$i_C = -i_L$$
$$V_{CP} = -V_C \qquad (9)$$

For boost converter we can easily recover the state equations from Fig. 5:

$$L\frac{di_L}{dt} = -(1-\mu)v_{co} + V_i \qquad (10)$$

$$C\frac{dv_{co}}{dt} = (1-\mu)i_L - \frac{v_{co}}{R_o} \qquad (11)$$

When f_S =300 kHz then

$\mu = 0.6 = f_s / f_r$ (for both buck and boost converters)

$$=(300\times10^3) / (1/2\pi\sqrt{L_r C_r})$$

The same steps are used for buck converter as in Figs. 6 and 7. The differential equations describing the buck converter model are

$$L\frac{di_L}{dt} = \mu V_i + Vco \qquad (12)$$

$$C\frac{dv_{co}}{dt} = i_L - \frac{v_{co}}{R_o} \qquad (13)$$

By solving the four differential equations (10-13) with the component values as shown in table-1 , we can get the response v_o (t) for the ZCS-QR boost and buck converters as shown in Figs. 8 and 9, respectively.

4-CONCLUSION

The average-switch modeling method is a simple method to model ZCS and PWM DC-DC converters operating in the continuous mode. This model gives the same results (shown in Fig.

10) as the method given by L. K. Wong, Frank H. Leung, and peter K.S. Tam (1997) and circuit simulator method. It is simple and fast method to obtain the model.

Another advantage of this model is that the model directly corresponds to the original converter circuit, only the switches are replaced by their model. All branch currents and node voltages of the converter are directly available from the model as averaged quantities.

	ZCS Buck	ZCS Boost
V_i	15V	15V
L_r	1.6μH	0.16μH
C_r	0.064μF	0. 64μF
L	100μH	100μH
C	1μF	10μF
R_o	10Ω	20Ω

Table –1: Component Values of Test Circuit.

5-REFERENCES:-

Arthur F. Witulski, and Robert W. Erickson 1990, "Extension of state-space Average to Resonant Switches and Beyond," IEEE Trans. Power Elecronic. Vol. 5, No. 1,PP.98-109.

Jianping Xu, and C.Q Lee (1998), "A unified Averaging Techniques for Quasi-Resonant Converters," IEEE Trans. Power Electronic, Vol. 13, No. 3, PP. 556-563.

Kwang-Hwa Liu, Ramersh Oruganti, and Fred C.Y. Lee (1987),"Quasi-Resonant Converters-Topologies and Characteristics," IEEE Trans. Power elecronic. Vol. PE-2, No. 1, PP.62-71.

L.K. wong, Frank H.Leung, and Peter K.S. Tam , "Asimple Large Signal nonlinear(1997) modelling Approach for Fast Simulation of Zero-Current-Switch Quasi-Resonant Converter's," IEEE Trans. Power Elecronic. Vol. 12, No. 3.

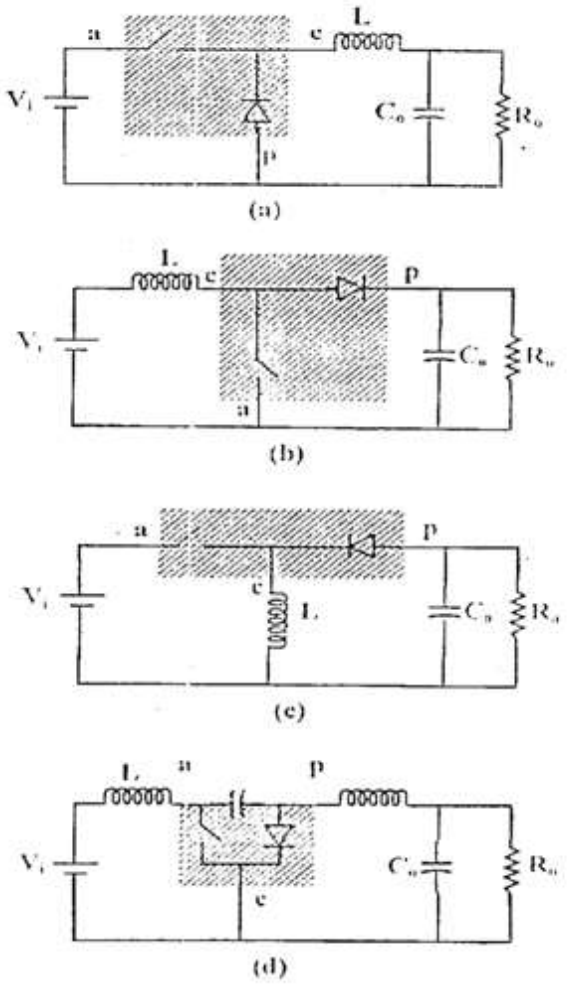

Fig. 1 Four basic DC-DC converters.
(a) Buck (b) Boost (c) Buck-Boost (d) Cuk

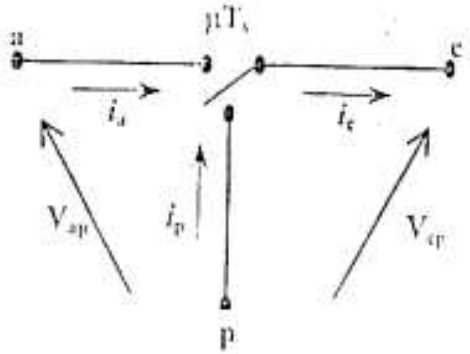

Fig. 2 Average Switch

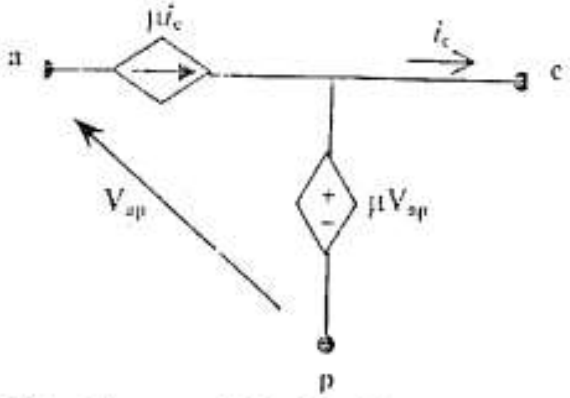

Fig. 3 Averaged Model of the Average Switch

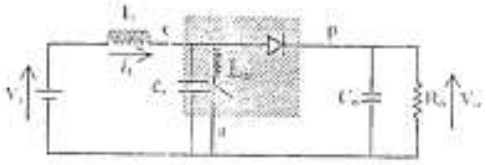

Fig. 4 The ZCS-QR boost converter

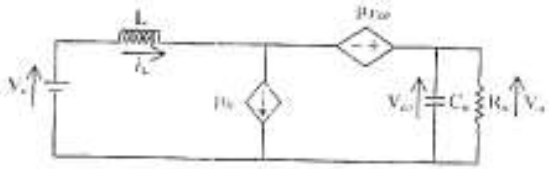

Fig. 5 The ZCS-QR boost converter with Average Switch replaced by the model shown in Fig. 3

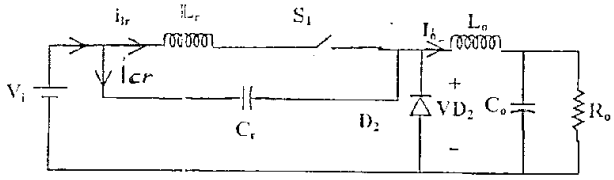

Fig. 6 The ZCS-QR Buck converter

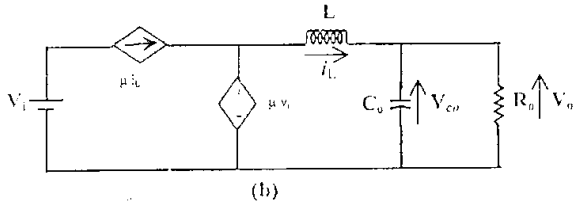

(b)

Fig. 7 The ZCS-QR Buck converter with Average Switch replaced by the model shown in Fig. 3

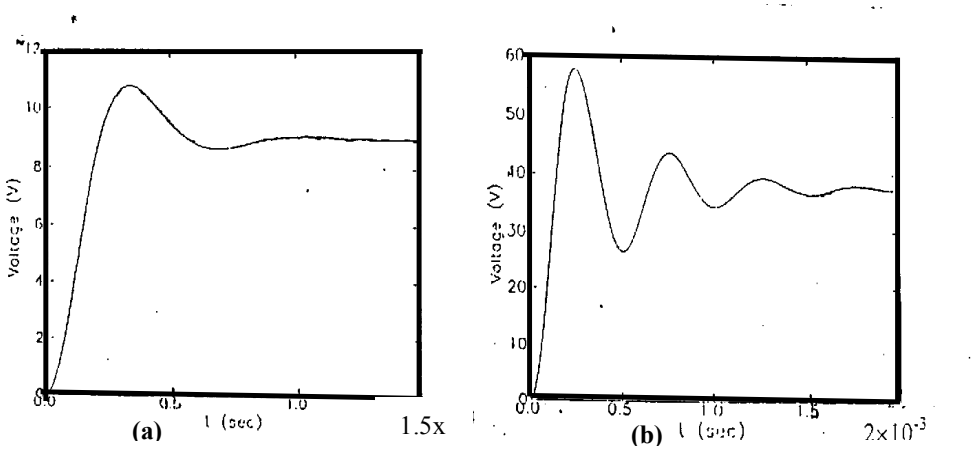

Fig.8 The transient reponse obtained on the proposed moduling approach
(a) buck converter (b) boost converter

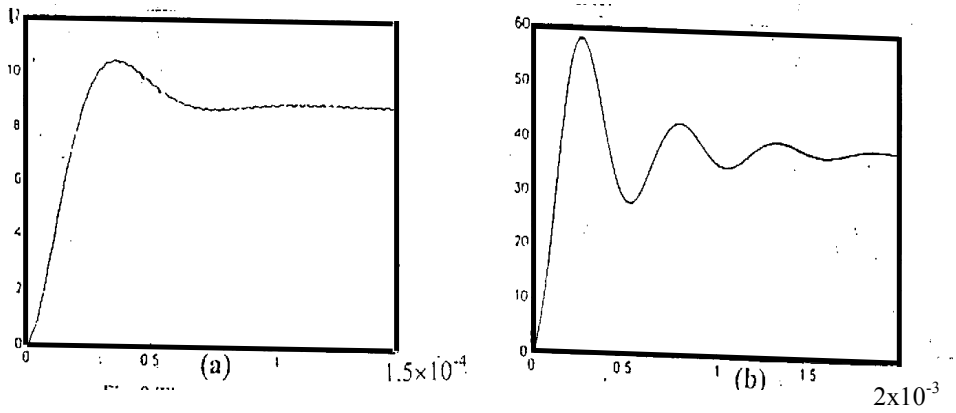

Fig.9 The transient response obtained based on the circuit simulator method.
(a) buck converter (b) boost converter

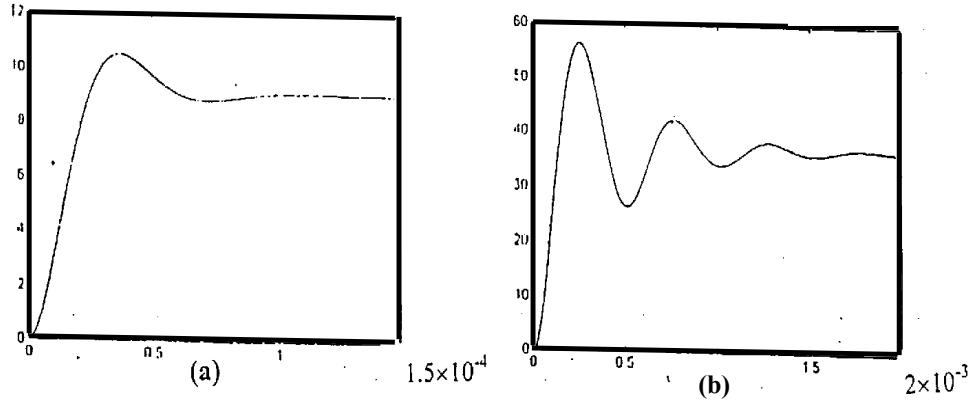

Fig.10 The transient response obtained based on the method proposed in [4]
(a) buck converter (b) boost converter

YEMEN BEE PROPOLIS AS A NATURAL PRESERVATIVE FOR LABNEH

M. A. M. Al-Hakimi A. M. and S. A. Hussein
Department of Food Science and Technology,
Faculty of Agriculture and Veterinary Medicine, Ibb University , Ibb, Yemen

Abstract

The effect of adding aqueous extract of propolis (bee glue) on the microbiological, chemical and organoleptic properties attributes of Labneh were studied.

Propolis aqueous extract 10% (5, 10, 15 and 20ml/Kg of curd) was added before packaging, and then storing it in a refrigerator at 5 ± 1°C for 30 days with a periodical testing every 5 days. The lactic acid bacteria (LAB) counts increased up to the 15 days of a storage period then decreased up to the end of the storage period. Moreover, (LAB) and Lipolytic bacteria counts were affected by the added propolis aqueous extract, while molds and yeasts were not detected in the fresh and stored Labneh in all treatments except the control and Labneh containing 5 and 10 ml/kg of curd. Also, coliforms and proteolytic bacteria were not detected in the fresh and stored Labneh in all treatments.

No remarkable differences were recorded in organoleptic properties for both control and treated samples. However, development in acidity of the control samples was more progressive than the other treated samples; the higher propolis concentration, the lower acid development. Moisture percentage content was slightly higher in Labneh with higher concentrations. Total solids, fat, soluble nitrogen, total nitrogen of Labneh gradually increased with storage to the maximum at the end of storage.

It is recommended to add Propolis aqueous solution 10% to curd of Labneh in a ratio of 15 ml/kg of curd to prolong the shelf life and improve the safety of Labneh.

Key words : propolis , Labneh , preservative , microbial groups , shelf life.

Introduction

Labneh is a concentrated Yoghurt, which originated in the Middle East area. it is usually made of using milk inoculated with lactic acid bacteria then concentrated the curd in cloth bags (Hamad and Al-sheikh, 1989). It is a white to creamy paste that has a smooth texture with a taste crossing between sour cream and cottage cheese and a characteristic sharp flavor that is largely modulated by diacetyl produced during fermentation (Tamime *et al*., 1999). The traditional method of producing Labneh consists of straining the whole milk yoghurt in a cheese cloth bag to the desired total solid level. Industrially, an excess liquid is removed from the traditional yoghurt by mechanical separators. The product is usually packaged in airtight translucent plastic containers, and displayed under refrigeration (~ 5 to 7 °C) in retail outlets.

The shelf life of traditional Labneh is short even if it is stored under refrigeration, this may be due to the sanitary problems usually associated with cloth bags used and uncontrolled hygienic handling, which increase microbial contamination (El-Samargy, 1997). The cloth bag could be the main source for *staphylococci*, yeasts, and moulds, while the presence of coliform bacteria may mainly due to un-sufficient heat treatment of Labneh during processing (Abou-Donia *et al*., 1992). The high microbial load of Labneh coupled with packaging, storaging conditions would result in the formation of off-flavors and an undesirable physico-chemical change that eventually lead to product failure (Muir and Banks, 2000). The stated shelf life of Labneh, in Egypt ranges between 14 and 21 days and is largely based on commercial experience. Therefore, there is a need to develop ways to improve keeping quality and shelf life of Labneh. This would improve the market ability of the product.

Propolis (bee glue) is a resinous hive product, collected by bees. It is used in medicine of different nations as early as 3000 BC. It has antimicrobial, antifungal, antiviral, immunostimulant and antioxidant activities (Bratter *et al*., 1999 and Koo *et al*., 2000).

The strong antimicrobial activity of Propolis is due to flavonoids (Grange and Davey, 1990). At least 38 flavonoids have been found in Propolis (Greenaway *et al*., 1990). A large number of studies have shown an inhibitory effect of Propolis on a variety of microorganisms (Kujumgiev *et al*., 1999). Moreover, Propolis is also used in the nutrition due to its content of amino acids and vitamins (A, B1, B2, B6, C and E) as reported by Ghisalberti, (1979).

Propolis is stable product which maintains its antibiotic activity, even when it is stored for a year or longer. It used as a preservative in food products due to their antioxidant and antimicrobial activities and thus may actually prolong the shelf life of some food products.

In Egypt (El-deib *et al*., 1997) used Propolis for the surface of Ras cheese and found that propolis layer was completely protective against mould and bacterial growth. It has also been used as an antioxidant in meat products in addition to its protective action against different microbial populations (Dessouki *et al*., 1980).

The present study describes the use of the natural preservative (i.e., Propolis) to prolong shelf life of Labneh making in consideration not altering its organoleptic properties.

Materials and Methods

The fresh milk of cow was obtained from the herd of the college of Agriculture, Minufiya University, Egypt.

The yoghurt starter containing: *streptococcus salivarus subsp thermophillus* EMCC1143 and *Lactobacillus delbreckii subsp. Bulgaricus* EMCC1102 were obtained from Cairo Mircen (Ain shams University, Egypt).

Propolis samples were collected from the hybrid honey bee colonies at Ibb governorate, Yemen.

Preparation of Propolis: A stoke solution of 10% Propolis aqueous solution was prepared from Propolis which was previously ground, soaked in distilled water with shaking for 7 days. The extract was filtered through Ziess filter to obtain the sterile aqueous propolis solution 10% (Moawad *et al*., 2001).

Preparation of Labneh

Labneh was made of the standardized cow milk by the traditional method as described by (El-Samargy *et al*., 1988). Labneh curd was divided into five batches. The first was served as a control and to the other four batches Propolis aqueous solution 10% was added at the rate of (5, 10, 15 and 20 ml/kg) of curd and mixed with each part re-divided into equal portions ~ 100 gm, packed in a plastic container, and stored at 5 ^{o}C ± 2 for 30 days.

Labneh samples were analyzed microbiologically and chemically every 5 days. All the treatments were carried out in triplicates.

Microbiological analysis

Lactic acid bacterial count (LAB), yeast, mould and coliform count were determined according to the American Public Health Association 1978.

Chemical analysis

Labneh samples were analyzed for total solids, fat, total and soluble nitrogen, titratable acidity values according to (Ling 1963), and total volatile fatty acids (TVFA), (Kisikowski 1982).

Sensory evaluation

Labneh samples were evaluated for (flavor, appearance body, texture) by 15 panelists of the staff members of Dairy Science and Technology Department Minufiya University. Samples were presented to judges in plastic cups in random order and judges were provided with rinse water, plastic spoons (Ismail *et al*., 2006).

Statistical analysis

Randomized block design and 2*3 factorial design were used to analyze the data. Duncan's test was used to make the multiple comparisons (Steel and torrie 1980). Significant differences were determined at ($P \leq 0.05$).

Results and Discussion

Microbial analysis

The data listed in Table (1) revealed that, LAB counts increased with an advanced storage period in all treatments. The count was reduced in all Labneh treated samples with propolis extract added. This is due to the destructive effect on some bacterial population and the inhibitory effect on the other bacteria (Smith *et al*., 1986 and Meresta and Meresta., 1985).

One of the most important parameter to determine the quality and shelf life of Labneh is the count of yeast and mould. In addition to quality deterioration, the microbiological counts have been used as indices for the end of shelf life of dairy products (Muir *et al*., 2000). Moulds and yeasts were not detected in the fresh Labneh for all treatments. However, moulds and yeasts appeared in the samples of the control Labneh, Labneh with 5 ml/kg propolis after 15 days and in Labneh with 10 ml/kg after 20 days. These results substantiated the use propolis as antifungal agent protecting Labneh along its storage period. Propolis is used as protective agent in Ras cheese (El-deib *et al*., 1997). Propolis is not only protecting against fungi but also against its toxin production (Pepdljnfak *et al*., 1982).

Table (1): The effect of different ratios of the aqueous propolis extract 10% upon different microbial of Labneh during storage.

Labneh samples	Lactic acid bacterial count CFU 10^6/gm							Yeast and Moulds count CFU 10^6/gm						
	Storage period (days)							Storage period (days)						
	0	5	10	15	20	25	30	0	5	10	15	20	25	30
C*	143	166	178	Spo.	Spo.	Spo.	Spo.	ND	ND	2	Spo.	Spo.	Spo.	Spo.
T_1	139	146	163	169	Spo.	Spo.	Spo.	ND	ND	ND	4	Spo.	Spo.	Spo.
T_2	135	139	148	156	169	Spo.	Spo.	ND	ND	ND	ND	8	Spo.	Spo.
T_3	135	139	144	151	162	177	182	ND	ND	ND	ND	ND	ND	10
T_4	131	136	138	143	152	163	175	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND

Each value in the Table is the mean of three replicates

Spo. : Spoiled

C* : Control Labneh made from cow milk containing 4% fat.

T_1, T_2, T_3 and T_4 Labneh made of cow milk containing 4% fat with 10% propolis added at rate of 5, 10, 15, and 20 ml/kg of curd.

ND : Not detected.

Coliforms not detected in fresh Labneh and during storage period in all resultant Labneh, which indicate the good hygienic condition followed in its production.

Chemical Composition:

The data presented in Tables (2) and (3) showed that no great differences were observed with the different concentration of Propolis treatments and control when fresh.

The second important quality criterion that determines the acceptability and shelf life of Labneh is the titratable acidity (TA). The present data clearly indicated that TA values increased significantly ($p \leq 0.05$) in all treatments during the storage period. This increase and difference in acid production may be due to the effect of Propolis on the acid producing microorganisms. In addition, TA values of Labneh were affected with different amount of Propolis extract added.

Table (2) showed the changes in the total solids (TS) and fat/dry matter of Labneh during the storage period. It was clear that, no significant differences ($p \leq 0.05$) were observed in the TS and the fat/dry matter of Labneh between the five treatments of propolis and the control either when fresh or during the storage period. TS and fat were increased during storage due to the moisture loss.

The SN/TN ratio, of Labneh from different treatments Table (3) showed a significant increase through the storage period. However, the SN/TN ratio was affected with the amount of propolis used. This may be due to the effect of propolis extract on undesirable organisms especially in T_3 and T_4. Concerning the total volatile fatty acids (TVFA), the results indicated that the TVFA were affected by the concentration of Propolis. The lowest value was recorded when 20 ml/kg of curd was added. In general, during the storage period TVFA value were gradually increased in all the treatments in the variable rates, and they had no significant

effects ($p \leq 0.05$) in the fresh Labneh but had significant effect ($p \leq 0.05$) during the storage period.

Table (2): The effect of using Propolis extract on some chemical properties of Labneh during the storage period (average of 3 replicates)

Properties	The storage period/days	Treatments				
		C	T_1	T_2	T3	T_4
Total Solids %	0	23.56^{a}	23.49^{a}	23.31^{a}	23.26^{a}	23.15^{a}
	5	23.73^{a}	23.64^{a}	23.42^{a}	23.39^{a}	23.27^{a}
	10	23.91^{a}	23.72^{a}	23.56^{a}	23.44^{a}	23.38^{a}
	15	Spo.	23.86^{a}	23.69^{a}	23.56^{a}	23.45^{a}
	20	Spo.	Spo.	23.76^{a}	23.71^{a}	23.53^{a}
	25	Spo.	Spo.	Spo.	23.83^{a}	23.66^{a}
	30	Spo.	Spo.	Spo.	23.91^{a}	23.76^{a}
Fat/Dry Matter %	0	29.53^{a}	29.42^{a}	29.40^{a}	29.37^{a}	29.31^{a}
	5	29.61^{a}	29.48^{a}	29.45^{a}	29.41^{a}	29.36^{a}
	10	29.65^{a}	29.52^{a}	29.50^{a}	29.46^{a}	29.42^{a}
	15	Spo.	29.55^{a}	29.53^{a}	29.51^{a}	29.45^{a}
	20	Spo.	Spo.	29.58^{a}	29.53^{a}	29.46^{a}
	25	Spo.	Spo.	Spo.	29.56^{a}	29.51^{a}
	30	Spo.	Spo.	Spo.	29.61^{a}	29.55^{a}
SN/TN %	0	13.36	13.31	13.29	13.30	13.28
	5	13.50	13.39	13.35	13.32	13.30
	10	13.76^{a}	13.53^{b}	13.42^{bc}	13.38^{bc}	13.33^{c}
	15	Spo.	13.68^{a}	13.56^{b}	13.43^{c}	13.39^{c}
	20	Spo.	Spo.	13.62^{a}	13.51^{b}	13.42^{c}
	25	Spo.	Spo.	Spo.	13.56^{a}	13.47^{b}
	30	Spo.	Spo.	Spo.	13.67^{a}	13.56^{b}

Each different letters (in the same row) means that the multiple comparisons are different from each other. Letter (a) is the highest mean followed by b, c……etc.
0 : See Table (1).

Organoleptic Properties:

Table (4) gives the average scores for organoleptic properties of Labneh as affected by the amount of Propolis added. The results suggest that the addition of propolis extract improved the organoleptic quality of Labneh. The quality of Labneh slightly decreased during storage, but retained acceptable properties.

After 10, 15, 20 days the samples C, T_1, T_2 deteriorated during storage, respectively. This result was in line with the finding of (Khadragy 1988) who found that the fresh Labneh made from buffalo's milk gained more score points than 10 days old of Labneh. Labneh made with propolis extract (10%) with (15 and 20 ml/kg) got higher scores and more acceptable as compared with control. T_1 and T_2 used during the storage period. It was observed an increase in the shelf life for 30 days at 5 ^{o}C ± 2 with an accepted and clean acid flavor with out signs of yeast spoilage. Also, the concentration of Propolis extract had no significant effect ($p \leq 0.05$) Table (4) on fresh and after 5 days of storage and had significant effect on the rest of the storage period.

It could be concluded that Propolis extract seems to be a perfect antibacterial and antifungal agent, with no toxic effects and it can be successfully

used to increase the shelf life of Labneh for 30 days at 5 ± 1°C and in the mean time improves the safety of the product.

Table (3): Change in Titratable acidity and Total volatile fatty acids during storage of Labneh for control and treated samples with different amount of propolis extract (average of 3 replicates).

Properties	The storage period/days	Treatments				
		C**	T_1	T_2	T_3	T_4
TA%	0	1.18^a	1.18^a	1.18^a	1.18^a	1.18^a
	5	1.29^a	1.25^b	1.22^c	1.22^c	1.20^c
	10	1.37^a	1.32^b	1.25^c	1.23^d	1.23^d
	15	Spo.	1.38^a	1.29^b	1.25^c	1.25^c
	20	Spo.	Spo.	1.32^a	1.28^b	1.28^b
	25	Spo.	Spo.	Spo.	1.36^a	1.31^b
	30	Spo.	Spo.	Spo.	1.39^a	1.33^b
TVFA ml NaOH 0.1N/100gm Labneh	0	6.63^a	6.65^a	6.70^a	6.67^a	6.65^a
	5	6.75^a	6.71^b	6.69^a	6.69^a	6.67^a
	10	7.53^a	7.42^b	7.18^c	7.01^d	6.88^e
	15	Spo.	7.49^a	7.31^b	7.18^c	7.02^d
	20	Spo.	Spo.	7.39^a	7.24^b	7.14^c
	25	Spo.	Spo.	Spo.	7.31^a	7.21^b
	30	Spo.	Spo.	Spo.	7.38^a	7.27^b

0: See Table (1).

Each different letters (in the same row) means that the multiple comparisons are different from each other. Letter (a) is the highest mean followed by b, c……etc.

Table (4): Sensory evaluation of Labneh during the storage period, for control and the treated samples with different propolis amount of Propolis extract (average of 3 replicates).

The storage period/days	Properties	Treatments				
		C**	T_1	T_2	T3	T_4
0	Flavor (50)	45	45	45	45	45
	Body & Texture (35)	31	30	30	30	30
	Appearance (15)	14	14	14	14	14
	Total (100)	90^a	89^a	89^a	89^a	89^a
5	Flavor (50)	42	43	43	43	42
	Body & Texture (35)	30	30	30	30	30
	Appearance (15)	14	14	14	14	14
	Total (100)	86^a	87^a	87^a	87^a	86^a
10	Flavor (50)	40	42	42	40	40
	Body & Texture (35)	30	29	29	30	30
	Appearance (15)	13	13	13	14	13
	Total (100)	83^a	84^a	84^a	84^a	83^a
15		Spo	40	40	40	40
			28	29	29	29
			13	13	13	13

	Total (100)		81^{b}	82^{ab}	82^{ab}	84^{a}
20		Spo.	Spo.	40	40	40
				29	29	29
				13	13	13
	Total (100)	Spo.	Spo.	82^{a}	82^{a}	82^{a}
25		Spo.	Spo.	Spo.	40	40
					28	29
					13	12
	Total (100)	Spo.	Spo.	Spo.	81^{a}	81^{a}
30		Spo.	Spo.	Spo.	40	40
					28	28
					13	12
	Total (100)				81^{a}	80^{a}

0: See Table (1).
Each different letters (in the same row) means that the multiple comparisons are different from each other. Letter (a) is the highest mean followed by b, c……etc.

استخدام صمغ النحل اليمني
كمادة حافظة طبيعية في صناعة اللبنة

د. مختار عبده محمد، د. سامي عبد الرحمن حسين

قسم علوم وتكنولوجيا الأغذية - كلية الزراعة والطب البيطري - جامعة إب

الملخص

تعتبر اللبنة من المنتجات اللبنية سريعة الفساد لذا اهتمت هذه الدراسة بإطالة مدة حفظها حيث تم دراسة تأثير إضافة أربعة أحجام (5، 10، 15 و 20 مل) لكل كيلو جرام خثرة من المستخلص المائي لصمغ النحل والذي تركيزه 10٪ على الخواص الميكروبية ، الكيميائية والحسية للبنة المصنعة بالطريقة التقليدية، وقد تم حفظ اللبنة على 5 ^{0}م لمدة 30 يوم وأخذت عينات عند صفر ، 5 ، 10 ، 15 ، 20 ،25 و 30 يوم وذلك لتحليلها ميكروبيا ، كيميائيا وحسيا، وقد أوضحت النتائج المتحصل عليها تأثر عدد بكتيريا حامض اللاكتيك بزيادة معدل إضافة المستخلص المائي لصمغ النحل. أما الخمائر والفطريات فلم تظهر في العينات الطازجة وخلال التخزين ظهرت في المقارنة (CK) بعد 10 أيام وفي حالة إضافة 5 مل من المستخلص المائي لصمغ النحل ظهرت بعد 15 يوم و وفي حالة إضافة 10 مل من المستخلص المائي لصمغ النحل ظهرت بعد 20 يوم بينما في حالة التركيزات الأعلى لم تظهر الخمائر والفطريات وحتى نهاية فترة التخزين. الحموضة وكذلك الأحماض الدهنية الطيارة زادت بتقدم فترة التخزين وكذلك نسبة النتروجين الذائب إلى النتروجين الكلي. بينما لم تتأثر نسبة الدهن إلى المادة الجافة أثناء التخزين. تأثرت الحموضة وكذلك نسبة الأحماض الدهنية الطيارة بإضافة المستخلص المائي لصمغ النحل حيث انخفضت بزيادة معدل الإضافة. حصلت اللبنة المصنعة بإضافة المستخلص المائي لصمغ النحل وكذلك المقارنة على نفس درجات التحكيم الحسي.

أظهرت النتائج إمكان استخدام المستخلص المائي لصمغ النحل كمادة حافظة طبيعية حيث أمكن بنجاح زيادة مدة حفظ اللبنة المخزنة على 5 ^{0}م لمدة 30 يوم بينما المقارنة تلف بعد 10 أيام. لذا نوصي بإضافة المستخلص المائي لصمغ النحل والذي تركيزه 10٪ بمعدل 15 مل لكل كيلوجرام خثرة وذلك لإطالة مدة حفظ اللبنة.

References:

Abou-Donia, S. A.; Khattab, A. A.; Attia, I. A. and El-khadragy, S. M. (1992). Effect of modified manufacturing process of Labneh on it's chemical composition and microbiological quality. Egyptian J. Food Sci., 29, 1: 13.

American Public Health Association (1978). Standard Method for the examination of Dairy products. 14th Ed. Washington, USA.

Bratter, C.; Tregel., M.; Liebenthal, C. and Volk, H. D. (1999). Prophylactic effectiveness of propolis for immunostimulation: A clinical pilot study. Forsch Komplementarmed., 6: 256-260.

Brdock, G. A. (1998). Review of the biological properties and toxicity of bee propolis. Food Chem. Toxicol., 36: 347-363.

Dessouki, T. M.; El-Dashlouty, A. A.; El-Ebzary, M. M. and Heikal, H. A. (1980). Propolis and some other natural antioxidants for fats of frozen meat. Agr. Res. Rev., (3): 311-320.

EL-Khadragy M. M. S. (1988). Microbiological and Technological Studies on milk. Microbiological and Biochemical Studies on Labneh. M.SC. Thesis, Fac. Of Agri. Alex. Univ., Egypt.

El-Samargy, Y.A. (1997). Labneh or youghurt cheese: A review. Egyptian J. Dairy Sci., 25: 156.

El-Samargy, Y.A.; Khorshid, M. A.; Abd-Rabou, N.S. and Mahran G.A. (1988). The utilization of butter milk in the production of yoghurt cheese (Labneh). Dairy and Food sanitation 8:20.

Ghisalberti, E. L. (1979). Porpolis: A review, in Bee world, 60 (2): 59-84.

Grange, J. M.; Davey, R. W. (1990). Antibacterial properties of propolis (bee glue), Journal of the Royal Society of Medicine, 83 (3):139-160.

Greenaway, W.; Scaysbrook, T. and whatley, F. R. (1990). The composition and plant origins of propolis, A report of work at Oxford Bee World, 71 (3): 107-118.

Hamad, A. M. and Al-Sheikh, S. S. (1989). Effect of milk solids concentration and draining temperature on the yield and quality of Labneh (concentrated yoghurt). Cultured Dairy Products J., 20: 25.

Ismail, A. M., Herby, S. and Aida S. Salem, (2006). Production of flavored Labneh with extend shelf life. Egyptian J. Dairy Sci., 34. 59-68.

Koo, H.; Gomes, B. P.; Rosalen, P. L.; Ambrosano, G. M.; Park, Y. K. and Cury, J. A. (2000). In vitro antimicrobial activity of propolis and Araica Montana against oral pathogens. Arch. Oral Biol., 45: 141-148.

Kosikowski, F.V. (1982). Cheese and Fermented Milk Foods. 2nd printing with revision pp.: 573. Brooktondale, Ithace, New York, USA.

Kujumgiev, A.; Tsventkova, I.; Serkedjieva, Y.; Bankova, V.; Christov, R. and Popov, S. (1999). Antibacterial, antifungal and antiviral activity of propolis of different geographic origin. J. Ethmopharmacol., 64: 235-240.

Ling E. R. (1963). A Text Book of Dairy chemistry. Vol. 2, 3rd Ed. Chapman and Hall, London, PP. 66-75.

Meresta, L. and Meresta, T. (1985). An attempt use propolis extract in the treatment of mastitis of cows, in medycyna. Weterynar yjna 41(8):489-492.

Moawad, A. A.; Galal, E. A and Metry, W. A. (2001). Egyptian bee propolis as a natural preservative for ultrafiltered soft cheese. Proc. 8th Conf. Dairy Sci. and Tech. 243-255.

Muir, D. D. and Banks, J. M. (2000). Milk and Milk products. Pp. 197-219 In The Stability and Shelf life of Food. D. Kiacast and P. Subamanian Ed. CRC Press, Boca Raton, FL.

Pepeljnjak, S.; Jalsenfak, I and Maysinger, D. (1982). Inhibition of growth and biosynthesis of ochratoxin A in *Aspergillus sulphurreus* NRRL4077 by propolis extract. Pharmazie, 37(6): 439-440.

Steel, R. G. D. and J. H. Torrie (1980). Principles and procedures of statistics: A Biometrical Approach, 2nd Ed. McGraw-Hill, New York.

Tamime, A. Y. and Robinson, R. K. (1999). Yoghurt Science and Technology, 2nd Ed. CRC Press. Bocca Raton, L.

STATISTICAL STUDY ON CONGENITAL MALFORMATIONS IN TAIZ

Fuad Kasem Humran
Department of Biology Faculty of Science, Taiz University, Republic of Yemen

Abstract:

Congenital malformations are structural abnormalities that are present at birth. The present study aims to identify the numbers and the types of congenital malformations in Taiz, in relation to sex, age, sequence and weight of fetus as well as geographical distribution. The sample included 136 cases of congenital malformations from 14908 normal babies during 1.1.2004 to 30.4.2006. The results of this study show that most of congenital malformations were in 2004 (52%), among them 52% were females and 48% were males. Mothers aged 20-34 years give malformed babies(48.5%). (92%) of malformed babies was single while (8%) was twins. (46.3%) of cases was from Taiz City while (29.4%) of them was from rural areas. (52.2%) of cases weighed less than 2500 gram. The most abnormalities that had been got are hydrocephaly, anencephaly, defects of limbs, cleft lips, crania defects, and heart defects.

INTRODUCTION

A congenital malformation (CM) is the term that describes deforms and structural abnormalities of any type that is present at birth. And congenital malformations constitute a public health problem[1]. The congenital malformations make an important contribution to infant mortality. They remain a leading cause of death among infants in many countries in the world[2]. In 1997, congenital malformations accounted for an estimated 495000 deaths worldwide[3]. There were lots of causes for congenital malformations, for example, environmental agents such as agricultural work, the children of mothers who worked in the acute risk period had a greater risk of anencephaly[4], and chromosomal agents. An Italian study[5], found that deaths in downs syndrome babies were mainly due to cardiac and respiratory causes, and in Taiwan chromosomal anomalies rated 94% [6]. The use of valporic acid during the pregnancy period leads to neural tube defects[7]. Severe limb anomalies and other developmental disruptions that were caused by thalidomide during early pregnancy[8]. It is estimated that 7% to 10% of human birth defects results from the disruptive actions of drugs, viruses, and other environmental factors[9]. For 50 to 60% of congenital anomalies, the causes are unknown. Congenital anomalies may be single or multiple and of major or minor clinical significance. Single minor anomalies are present in about 14% of newborns, 90% of infants with three or more minor anomalies also has major defects[10]. The CM rates are different from country to another (Mexico)[4], (Saudi Arabia)[11], (Canada)[12], (France)[13], (Denmark)[14], (USA)[15], (Iran)[16], and (Aden) [17]. This study aims to identify the

numbers and the types of congenital malformations in Taiz and in relation to the sex, age, sequence and weight of fetus as well as geographical distribution.

Materials and Methods

This is a retrospective study which involves all neonatal admitted in different hospitals and clinics (Al-Gomhori Hospital, Al-Hekma Hospital, Al-Hiat Hospital, Al-Kindi Hospital, Al-Refa'ai Hospital, Al-Shifa'a Hospital , Al-Ta'won Hospital, Al-Thaora Hospital, Radha Hospital , Shaher Clinic, Swidi Hospital and Taiz Hospital) using a statistic included visits to these hospitals and clinics. In addition, few information have been collected from some families. Whereas many information could not be collected because of some barriers such as, some hospitals and nurses were irresponsive to provide information. The statistic included the defects during the period from (01.01.2004) to (30.04.2006) in Taiz, using cameras to take photos of those deformed babies . A list of questions was put in one table as shown in (Table 1). We must not forget that the most photos of limbs defects were collected from Taiz Hospital and others from families.

Table (1): An application table for congenital malformations in Taiz

Note	Date of delivery	The cause of this disorder e.g (sign drugs during pregnancy)or others	Residence place	Mother 's education	Type of accouchement			Recently disorder				Number of last disorders	Number of abortions	Number of died kids	Number of children	Embryo's Weight	Embryo's age	Mother's age
					Caesarean	Induction	Natural	Type of the disorder	number		Fetus' sex							
									twins	single								

For the detailed data analysis newborns were ultimately considered. The data were therefore analyzed to highlight the pattern and the relative importance of the different types of congenital malformations.

Results and Discussion

A total of 136 newborns with congenital malformations (CM), was registered during the study period. It indicates horrible percentage of malformations especially in 2006 which rated 10% a long 4 months only. In 2004, the highest percentage was recorded (babies 52%), whereas in 2005 it was 38%. The number of malformations during these three years reached 136 cases of 14908 normal babies and this is a high number although many of them couldn't be collected and the most deformation occurrence was in central nervous system (CNS) which included 66 case (48.5%), anencephaly 46 case (33.8%), plate (1,A&B) and hydrocephaly 20 case (14.7%),plate (1,C).The Musculoskeletal came second in frequency, involving 28 case (20.5%) of the newborns, plate (1,D). In the cardiovascular system, this involved 12 case (8.8%), plate (1,E). In the Genitourinary system 10 case (7.4%). The most common anomaly was ambiguous genitalia. The Alimentary tract and Respiratory tract have the similar number, being 8 cases (5.9%). The last ones of CM were in Craniofacial (plate1,F) and Ophthalmic3,1, (2.2% and 0.7%) Tables (2,3).

Table 2. Number of newborns admitted per year and those with CM in the years 2004 to 2006.

year	Number admitted	Number with CM(%total)
2004	6219	71 (1.14)
2005	7147	51 (0.71)
2006	1542	14 (0.90)
Total	14908	*136 (0.91)*

Table 3. Number of cases and different CM prevalent in 136 newborn.

Location of CM	Number of cases	Percentage of cases
Central Nervous System (Anencephaly, Hydrocephaly)	46 20	33.8 14.7
Musculoskeletal	28	20.5
Cardiovascular	12	8.8
Genitourinary	10	7.4
Alimentary tract	08	5.9
Respiratory tract	08	5.9
Craniofacial	03	2.2
Ophthalmic	01	*0.7*

The CNS malformations were the highest compared with other malformations, because CNS system is first developed in fetus, and this result agrees with another studies by Lee, *et al.* who found that congenital malformations of CNS was the highest of all other malformations during 1970-1997 in America. Also, Asindi *et al.* (1997) and Alkaaky and Bafadel (2008) found that the CM of CNS represented by 43.1% and alimentary and genitourinary tract represented by 36.9 % tract. In the musculoskeletal system, which involved 28 (20.5%) of cases, alimentary and genitourinary tract is higher than Asindis, *et al.* study 2.5% of cases in Saudi Aribia[11]. In this study, the prevalence rate of cardiovascular malformations was 8.8% of all cases, which is lower than other studies by Khoshnood, *et al.* (2005) in France (47.3%) during 1983 – 2000, in Southern Nevada (USA) during 2003 – 2006 with 36% [15], in Japan 53% during 1990 – 1994[20], and in Saudi Arabia 23.5%[11]. In genitourinary system, which involved 10 (7.4%) of all cases, it is less than the other two studies in Aden (Yemen) 36.9%[17] and Saudi Arabia 9.1%[11]. In the respiratory system, the number of cases is 8 (5.9%), which is lower than other three studies in USA during 1970 – 1997[19] where more than 60% with CNS and cardiovascular malformations, in England[2] 74% during 1980 – 1997 and in Saudi Arabia 4.9% during 1992 – 1995[11]. In this study, the craniofacial malformations were three cases 2.2%, which is less than 2.8%[11] by Ali *et al.*(2008) in Aden (Yemen). The lowest percentage of congenital malformations in this study is in Ophthalmic, one case, and this result is lower than other studies in the world. That may refer to environmental factors, which increase with the passage of time, especially due to radiation & chemical factors, wars and industrial activity. These factors may affect genetic chromosomes for along period of time. When you see malformations in 2004, it has higher percentage than in 2005 because the bad situation of people life leads them to buy cheap drugs without consulting doctors. The CNS, Musculoskeletal, and Cardiovascular systems are the most commonly affected parts in descending order of frequency. This is at par with the experience of Saudi Arabia ([11]; [21]; [22]). Surveys in another Gulf country, like UAE[23] , and in Hungary[24] have revealed a similar picture. In contrast, surveys in USA[25], and in UK[26] identified the CNS as leading among these top three. And this study contradicts with[18] who collected 184 samples during 3 years in cleft lip and palate center Aden, where ophthalmic was due to rubella[9].

A

Anencephaly
(Al-Gomhori H. – 2005)

B

C- Hydrocephaly
(ShaherC.2006)

D- Limbs defects (Club foot) Taiz - H.2006

E-Vasculolymphatic enlargement
(Al-Gomhori H. – 2006)

F- cleft lips
(The source: family-2005)

G

Twins disorder (conjoined twins)
(Al-Hikma H. – 2004)

H

Plate1: Samples of congenital malformations

Malformations and fetus sex

Figure (1) shows the relationship between malformations and fetus sex, including high percentage of 52% in female (71 cases), whereas males have 48% of malformations (65 cases). That may refer to high sensitivity in female, weak body and immunity.

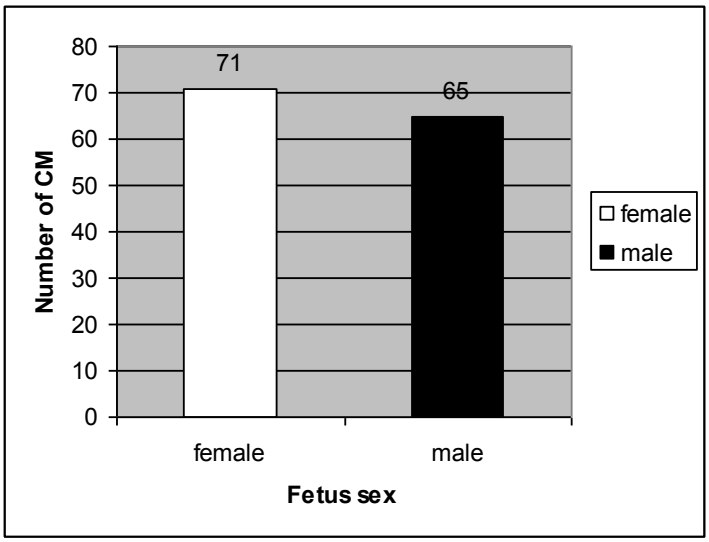

Figure 1: Number of malformations in males & females

Malformations and fetus' sequence

The relationship between the fetus sequence and malformations has taken a place in this research including deformed fetus ranging between 2-5 which rated 52.2%. This may refer to environmental factors or bad social habits such as smoking [30] and chewing Qat. Besides, culture reasons of using unsuitable drugs. Whereas fetus less than 2 represents 32.3% as a result of early marriage and this habit decreases slowly in our society during the last years. Fetus more than 6 represents 15.4%. This may result in decreasing giving birth after poly deliveries or mother diasostic case, and that's all what causes some effects on placenta that causes deformation. In additional generation planning, it is what decreases having more babies (Figure 2).

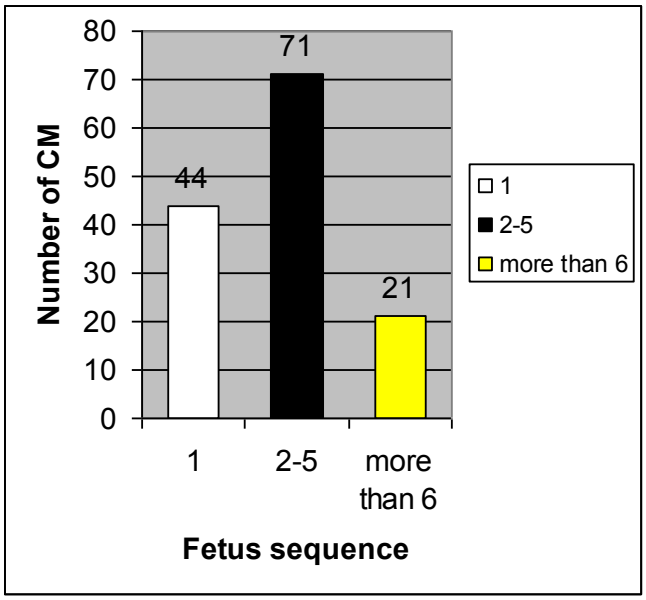

Figure 2: Number of malformations and fetus sequence

Malformation and fetus age

This one shows high percentage of malformations is for fetus which are 7-9 months of age (63.2%) while the low percentage of malformations is for fetus aged 0-3 months (7.3%). This may occur as a result of using drugs(Choramphenicol and Methylergometrine) during the last months of pregnancy or it may relate to the diasostic case of the mother such as high temperature infectious factors, like *Toxoplasma gondii* and rubella virus (Figure 3).

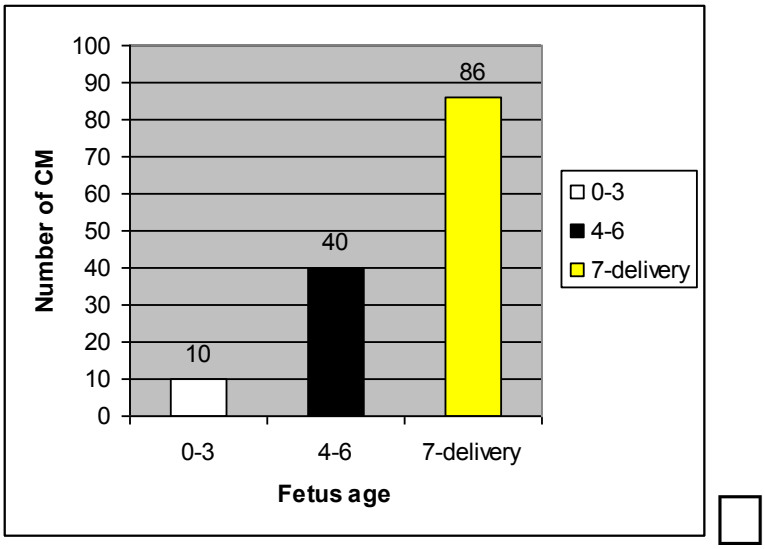

Figure 3: Relationship between no. of malformations and fetus age

Malformations and residence place

A relationship between malformation and residence place has a place in this research and shows a percentage of 46.3% of malformations in the city compared with 29.4% in villages. This is as a result of environmental pollution in cities and industrial activity, whereas in the countryside it refers to nullity of consciousness

diasostic and drugs bad using. This is at par with the experience in Poland (Elizabeth *et al.* 2007). The children of mothers who worked in agriculture in the acute risk period had a greater risk of anencephaly in Mexico[4] (Figure 4)

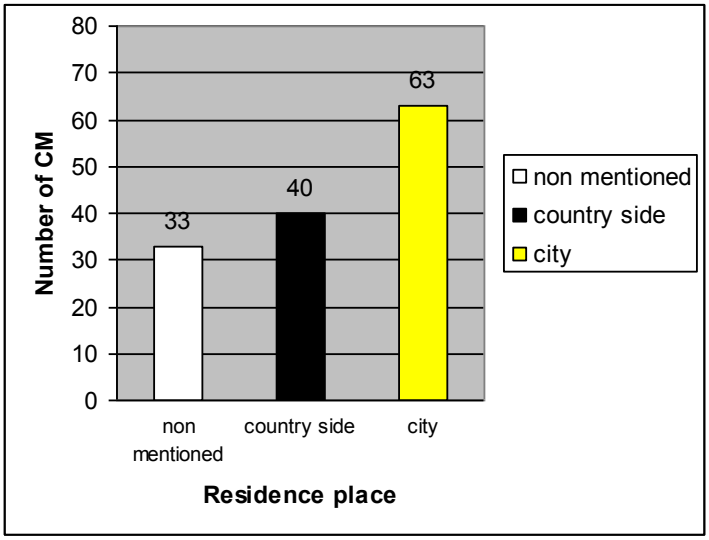

Figure 4: Relationship between no. of malformations and residence place

Malformations and mother's age

Mother's age has also a role in causing malformations. Figure (5) shows that the high percentage reaching (48.5%) of malformations was recorded at mother's age between 20-34 years. This may relate to poly delivery, having drugs as well as high percentage of marriage at this age, if compared with other mothers' ages (Figure 5). This result agrees with[27] the reporter of these cases due to most period of marriage.

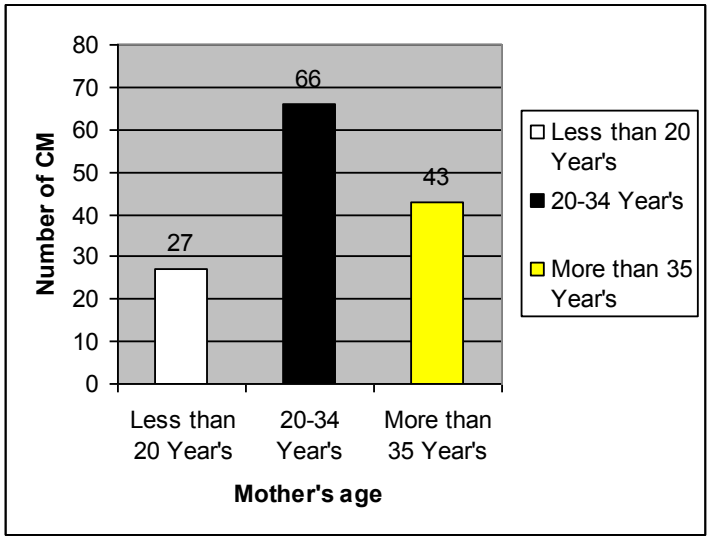

Figure 5: Relationship between no. of malformations and mother's age

Malformations and fetus' weight

The fetus weighing less than 2500gm compared with that fetus weighing more than 2500gm and the data are represented in figure (6). It is noticed that deformed fetus weighing less than 2500gm has a percentage of 52.2% and this value is a little pit higher than that of the fetus weighing more than 2500gm. The fetus weighing less than 2500 gm has usually an organ or a part missing such as left forelimbs digits absence, forelimbs absence, cardio valves and anencephaly. This is due to many factors such as drugs, placenta dysfunction, malnutrition, smoking, chewing Qat, and diasostic cases of mother like a mother with blood pressure, asthma or poly delivery. These results agree with the results of [3] who reported these malformations due to malnutrition and infectious diseases. The low birth weight (< 2500g) is the result of complex and poorly understood interactions between the biological determinants of the mother and fetus[28]. This study agrees with the foundations of [12]who reported about a large decrease in infant deaths due to congenital malformations that was associated with the most recent decline in infant mortality in Canada. Whereas fetus weighing more than 2500gm has often enlargement in organs or parts of body such as hydrocephaly, and this may be as a result of placenta dysfunction or diabetic mothers and other unknown causes.

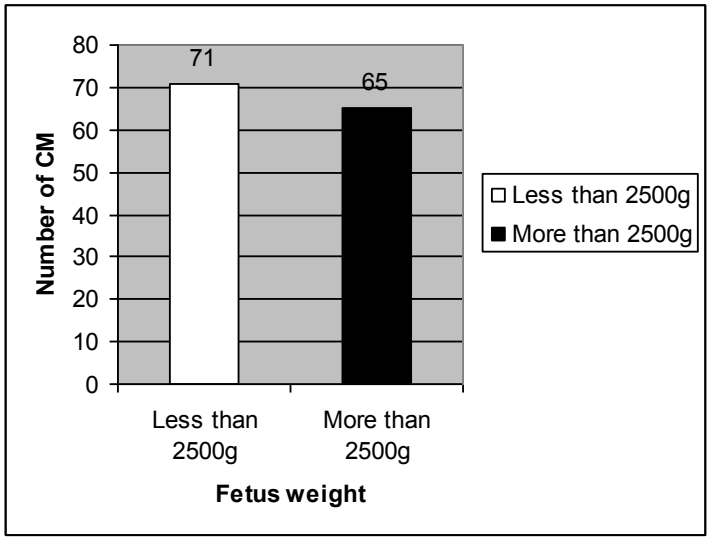

Figure 6: Relationship between no. of malformations and fetus weight

Malformation and number of fetus

Figure (7) shows that the highest percentage is for single fetus, and it is represented by 92% of malformations, whereas only 8% is for twins, plate (1, G&H). This may be due some genetic factors.

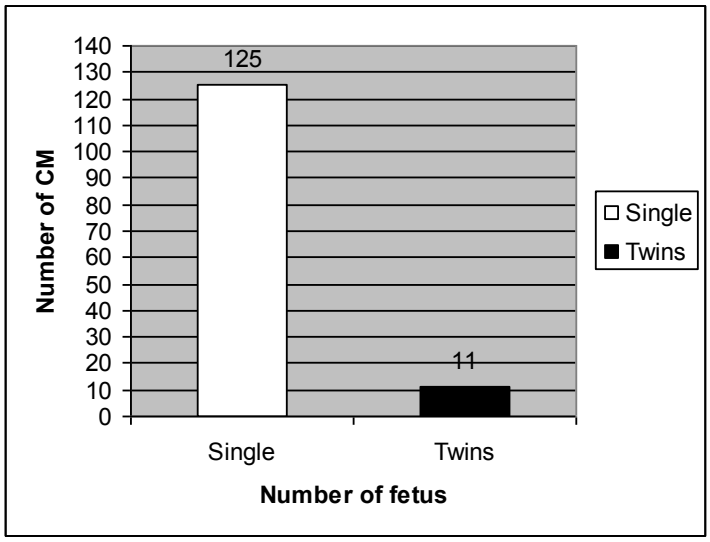

Figure 7: Relationship between no. of malformations and number of fetus

Conclusion

In this study, the central nervous system malformations were mostly of congenital malformations, although it shows decreased number of admitted congenital malformations in comparison with other studies in many countries. We think that the real number of congenital malformations is more than that, because deliveries often occur at homes, and those deliveries taking place in hospitals were not completely counted.

References

1- Moore, K. L. and Persaud, T. V. N. (2007). The developing Human, Clinically oriented Embryology. 8th ed., Sanunders : 536 p.

2- Dastgiri,s. ; Gilmour, W H; and Stone,DH.(2003). Survival of children born with congenital anomalies.Arch.Dis.Child,May 1,88(55) ;391-394

3- Rosana,A.;Botto,L.D.;Botting.B and Mastroiacovo,P.(2000). Infant mortality and congenital anomalies from 1950 to 1994: an international perspective.J. Epidemiol. Community Health , 54: 660-666.

4- Lacasana, M.; Vazquez-Grameix, H.; Borja-Aburta, V H.; Blance-Munoz, J.; Romieu, I.; Aguilar-Garduno, C. and Garcia, A M. (2006). Maternal and paternal occupational exposure to agricultural work and the risk of anencephaly. Occup. Environ. Med.; 63:649-656.

5- Mastroiacovo P, Bertollini R and Corchia C. (1992). Survival of children with Down syndrome in Italy. AM J Med Genet., 42:208-12.

6- Hou JW and Wang TR. (1989). Mortality and survival in Down syndrome in Taiwan. [English abstract]. Zhonghua Min Guo Xiao Er Ke Yi Xue Hui Za Zhi, 30:172-9.

7- Humran, F. K. (2002). The Effects of some drugs on the neurulation and cause congenital malformation in the mouse (Mus musculus) Embryos. Ph.D. a thesis, Baghdad University, Iraq.

8- Brent, R. L. and Holmes, L. B. (1988). Clinical and basic science from the thalido traged: what have we learned about the causes of limb defect?. Teratology, 38:24p.
9- Cutts, F.T.; Robertson, SE; Diaz-Ortega and Samuel, R. (1997). Control of rubella and congenital rubella syndrome (CRS) in developing countries, Part 1: burden of disease from CRS. Bulletin of the world Health Organization, 75 (1): 55-68.
10- Conner, J.M., and Ferguson-Smith, M. A. (1984). Essential medical Genetics. Oxford, Blackwell Scientific Publications.
11- Asindi A. Asindi; Ibrahim Al Hifzi and Wagih A. Bassuni (1997). Major congenital malformations among Saudi Infants admitted to Asir Central Hospital. Annals of Saudi Medicine, 17 (2): 250-253.
12- Liu, S.; Joseph, K. S.; Krammer, M. S.; Allen, A. C. and Wen, S. W. (2002). Relationship of prenatal diagnosis and pregnancy termination to overall infant mortality in Canada. JAMA, 287 (12): 1561-1567.
13- Khoshnood, B.; De Vigan, C. and Goffinet, F. (2005). Trends in prenatal diagnosis, pregnancy termination, and perinatal mortality of newborns with congenital heart disease in France, 1983-2000: A population-based evaluation. PEDIATRICS, 115 (1): 95-101.
14- Garne E ; Rasmussen L. and Husby S (2002). Gastrointestinal malformations in Funen country, Denmark-epidemiology, associated malformation, surgery and mortality. Eur J Pe diatr Surg 12: 101-106.
15- Acherman, R. J.; Evans, W. N. and Sacks, A. J. (2007). Prenatal detection of congenital heart disease in Southern Nevada. J Ultrasound Med, 26: 1715-1719.
16- Golalipour, M. J. and Mobasheri, E. (2007). Gastrointestinal malformations in Gorgan, North of Iran: epidemiology and associated malformations. Pediatr Surg Int, 23: 75-79.
17- Alkaaky, F. S. and Bafadel, J. H. (2008). Major congenital surgical malformations among Yemeni children admitted to pediatric surgery unit in Algomhoria teaching Hospital, Aden (In press).
18- Ali, A.H.; Abdo, M.A.A.; Suarez, N.S., and Albatani, S.A. (2008). Center-based statistics for cleft lip and palate patients in Aden, (In press).
19- Lee, K.; Khoshnood, B.; Li Chen, M. and Mittendorf, R. (2001). Infant mortality from congenital malformations in the united states, 1970-1997. Obstetrics & Gynecology, 98: 620- 627.
20- World Health Organization (1997). World Health Statistics Annual. Geneva: WHO
21- Cherian, M.; Zaidi, M. and Al Swaliem AM (1984). Congenital malformations in Riyadh. Proceedings of Joint Board for Postgraduate Medical Education Symposium. King Saud University College of Medicine:131-5.
22- Hegazy IS, Al Beyari TH, Al Amri AH, Qureshi NA and Abdelgadir MH. (1995). Congenital malformations in the primary health care in Qassim region. Ann Saudi Med, 15: 48-53.
23- Topley JM and Dawodu AH. (1995). The pattern of congenital anomalies among UAE nationals. Saudi Med J, 16: 425-8.

24- Czeizel A. (1988). The activities of the Hungarian Center for Congenital Anomaly Control. Wld Hlth Statist Quart, 4: 219-27.
25- Hislam RHA. (1992). The nervous system In: Nelson WE; Behrman RE and Kliegman RM. Nelson (eds.). Textbook of Pediatrics. 14th ed. Philadelphia: WB Saunders: 1473-1538.
26- Brown JK. (1992). Disorders of the central nervous system. In: Compbell AGM and McIntosh I, (eds.). Forfar and Amiel Textbook of Pediatrics. 4th ed. London: Churchill Livingstone: 713-8.
27- Sadler, T. W. (1984). Medical Embryology 7th ed. Mass Publishing Co. Gisa, Egypt.
28- Thompson, M. W. (1986). Genetics in Medicine. 4th ed. Philadelphia, W. B. Saunders Co.
29- Elizabeth T Masters, Wieslaw Jedrychowski, Rosemary L Schleicher, Wei-Yann Tasi, and Frederica P Perera (2007). Relation between prenatal lipid-soluble micronutrient status, environmental pollutant exposure and birth outcomes. AJCN, 86 (4): 1139 – 1145.
30- Cristina,I .and José,F.(2002). Chemical exposure during pregnancy and oral clefts in newborns. Cad. Saúde Pública, Rio de Janeiro, 18(1):17-31

THE EVALUATION OF GROUNDWATER QUALITY AT AL-SAYYADAH AREA, IBB CITY, YEMEN

Esmail Al Sabahi1, Abdul Rahim S1,
Zuhairi WY1, Fadhl Al Nozaily & Fares Alshaebi1
1Geology Program, School of Environment and Natural Resource Sciences, Faculty of Science and Technology, Universiti Kebangsaan Malaysia, 43600 Bangi Selangor, Malaysia.
2Water and Environment Center, Sana'a University, Republic of Yemen.

ABSTRACT

Groundwater samples were collected from Al-Sayyadah area in three different seasons to study the suitability of groundwater for drinking water. The objective of the study is to determine the physiochemical and microbiological parameters at Al-Sayyadah area, Ibb city, the Republic of Yemen. The concentrations of various physiochemical parameters include pH, temperature, electrical conductivity (EC), total dissolved solids (TDS), and dissolved oxygen (DO), heavy metals (Pb, Zn, Ni, Cr, Cd, Cu), anions and nutrients (F-, Cl-, SO4-2, NO-2, NO3-, NH3-N), major cations (Fe, Na, K, Ca, Mg), and coliform group bacteria were measured from the groundwater samples. Seven boreholes were selected for this study. The results show that, all boreholes are suitable for drinking water compared to the standard acceptable levels which are required for drinking water adapted by Yemen's Ministry of Water and Environment (YMWE, 1999) and WHO (2004). The variations in concentrations of the physiochemical parameters can be attributed to the nature of the geological and chemical structure of the soil and rocks, the depth of the boreholes, and the dilution of the boreholes spatially in main wet season.

Key words: groundwater, pollution, bacteria, heavy metals.

INTRODUCTION

Pollution occurs when a product added to our natural environment adversely affects nature's ability to dispose it off. A pollutant is something which adversely interferes with health, comfort, property or environment of the people. Generally, most pollutants are introduced in the environment as sewage, waste, accidental discharge and as compounds used to protect plants and animals. There are many types of pollution such as air pollution, soil pollution, water pollution, nuclear pollution and oil pollution (Misra & Main, 1991).

Groundwater is that portion of subsurface water which occupies the part of the ground that is fully saturated and flows into a hole under pressure greater than atmospheric pressure. Groundwater occurs in geological formations known as

aquifer. An aquifer (gravel/ sand) may be defined as a geologic formation that contains sufficient permeable materials to yield significant quantities of water to wells and springs; this implies an ability to store and transmit water (Chae, 2000). Groundwater is an important source of drinking water for humankind. It contains over 90% of the fresh water resources and is an important reserve of good quality water. Groundwater, like any other water resource, is not just of public health and economic value; it also has an important ecological function (Armon & Kott, 1994).

The objective of the study is to determine the physiochemical and microbiological parameters at Al-Sayyadah area, Ibb city, the Republic of Yemen.

MATERIAL AND METHODS

Ibb city (Figure 1) is located between Sana'a, the capital of Yemen, and Taiz governorates. Ibb city is located at latitude 13°58′48″ and longitude 44°10′48″. Ibb is situated in a fault controlled valley close to the main watershed of the Wadi Zabid at an elevation of about 2000 above sea level.

Groundwater samples are collected from seven boreholes from un agricultural area Al-Sayyadah area. The boreholes are distributed in different locations around the city Figure 2. Glass and polyethylene bottles are used to collect groundwater samples. A few drops of concentrated nitric acid are added to all the water samples collected for heavy metals analysis to preserve the samples. The samples were then transported in a cool box and to be stored under suitable temperature until analysis.

Figure 1 Location of Ibb city

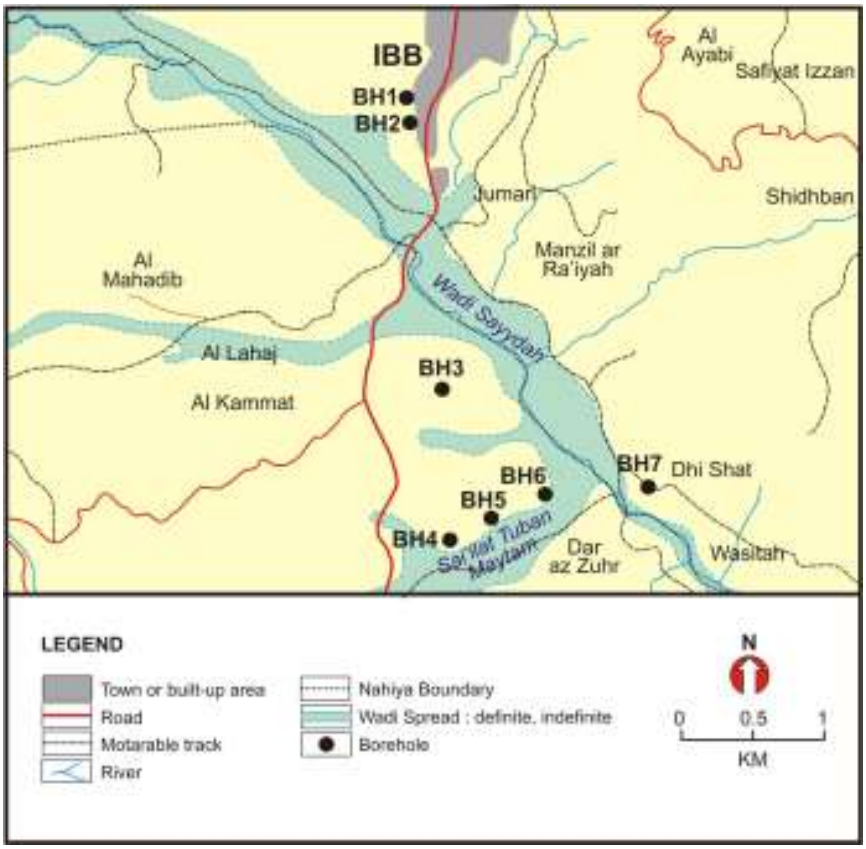

Figure 2 Location of the boreholes

The laboratory of Ibb Water and Sanitation Local Corporation (IWSLC) is used for analyzing of water samples. Spectrophotometer HACH (DR 4000 models 48000 and 48100) is used for measuring of PO_4, SO_4, NO_3, NO_2, F, and NH_3. Flame photometer (PFP 7) was used to determine Sodium (Na) and Potassium (K). The analyzing of heavy metals was by Inductively Coupled Plasma of Optical Emission Spectrometry (ICP-OES) model Vista MPX.

Chloride was measured by the Mercuric Nitrate Titrimetric Method. 25ml of water samples was placed in Erlenmeyer flask, and then Diphenylcarbazone regent was added to the sample. The solution was blue-green, when Mercuric Nitrate was added as a titrant, the solution was turned from blue-green to purple, making the end point of the titrant.

Calcium was measured by the EDTA titrimetric methods which involves the use of solutions of ethylene diaminetetra acetic acid. 25ml of water sample was placed in a conical flask, and then 2ml of buffer solution was added to the sample. Man Ver 2 Calcium indicator was also added to the sample. The solution was wine red, when EDTA was added as a titrant, the solution was turned from wine red to blue, making the end point of the titrant.

The hardness was measured by the EDTA titrimetric methods which involves the use of solutions of ethylene diaminetetra acetic acid. 25ml of water sample was placed in a conical flask, and then 2ml of buffer solution was added to the sample. Man Ver 2 Hardness indicator was also added to the sample. The solution was wine red, when EDTA was added as a titrant, the solution was turned from wine red to blue, making the end point of the titrant.

Magnesium was measured by calculation as the difference between total hardness and calcium hardness as follows:

Total hardness (as $CaCO_3$) = 2.497 [Ca^{2+}, mg/L] + 4.118 [Mg^{2+}, mg/L].

Then

4.118 [Mg^{2+}, mg/L] = Total hardness (as $CaCO_3$) - 2.497 [Ca^{2+}, mg/L]

Where

Ca hardness = Ca ion × 2.5

Mg hardness = Mg ion× 4.11

MICROBIOLOGICAL ANALYSIS

Nine tubes of lactose broth (Figure 3) were prepared according to the size of the water sample i.e.0.1ml, 1ml, and 10ml respectively for all water samples. The test tubes are placed in incubator at 35ºC for 24 hours for gas production. Table 3.17 shows the most probable number (MPN) of coliforms. Production of gas confirms the presence of coliform in the sample. To confirm the presence of coliform, Eosin Methylen Blue agar (EMB) was used in which contains methylene blue that inhibits coliforms. The plates of Eosin Methylen Blue agar (EMB) is placed in incubator after streaking at 35ºC for 24 hours. E.coli colonies on this medium are small with metallic sheen. A single colony from EMB agar plate was picked up and inoculated it into lactose broth. The lactose broth was showed a cid and gas production confirms the presence of coliform bacteria.

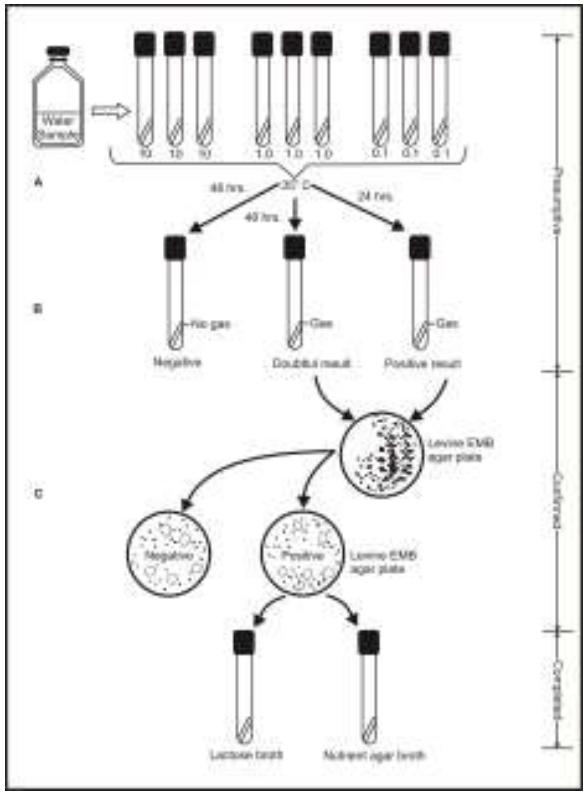

Figure 3 Bacteriological analysis of water for coliform bacteria

RESULTS AND DISCUSIONS

INSITU PARAMETERS

The results of the measured insitu parameters including pH, temperature (T), electrical conductivity (EC), total dissolved solids (TDS), and dissolved oxygen (DO) are shown in Table 1.

The pH values of all boreholes are shown in Table 1. The highest value of 8.22 is measured in BH2 at dry season, whereas the lowest value of 7.14 is measured in BH3 at wet season. The highest pH value is higher than the results 8.11 obtained by Matloub et al. (2001) and lower than the results 8.81 obtained by Kamal & Mohammed (2001). On the other hand the lowest pH value is also lower than the results 7.73 obtained by Matloub et al. (2001) and lower than the results 7.56 obtained by Kamal & Mohammed, 2001. These results are in agreement with the range values set by Yemen's Ministry of Water and Environment (YMWE, 1999) and WHO (2004). If the pH is above 7, this will indicate that water is probably hard and contains calcium and magnesium (David, 2004). Zajic (1971) stated that, natural waters generally range from pH 5.5 to 8.6. Water with lower pH tends to cause corrosion, and in many cases an upward adjustment to the neutral range (pH = 7.0)

is necessary. Drinking water with pH range from 6.5 to 8.3 is necessary. At high pH values the effectiveness of chlorination decrease, i.e. the rate of kill of microbes decreases.

The temperature measurements between boreholes are very close. The highest value is measured in BH3 (24.9° C) at wet season, whereas, the lowest values in BH 7 (21.8° C) at dry season. These results are in agreement with the range values set by Yemen's Ministry of Water and Environment (YMWE, 1999).

Electrical conductivity (EC) values show different results between the boreholes. The highest value is recorded in BH3 (770 µS/cm), whereas the lowest value is recorded in BH4 (570 µS/cm). These results are lower than the results 1160 µS/cm obtained by Kamal & Mohammed, 2001. Conductivity was used to give an idea of the amount of dissolved chemicals in water, and presence of Na, K, and Cl. Conductivity is not a problem in itself and just because it is above certain level does not mean that the water will cause illness (David, 2004). These results are in agreement with the range values set by Yemen's Ministry of Water and Environment (YMWE, 1999).

Dissolved oxygen (DO) measurements are varied in three different seasons. The highest concentration of 7.5mg/l is measured in BH4, whereas the lowest concentration of 1.1mg/l is measured in BH1. At high pH values the effectiveness of chlorination decrease, i.e. the rate of kill of microbes decreases Zajic (1971).

The concentrations of total dissolved solids (TDS) are different between boreholes. The highest value of 5005.5 mg/l is measured in BH3 at main wet season, whereas, the lowest value of 388.7 mg/l is measured in BH6 at dry season. These results are lower than the results 754 mg/l obtained by Kamal & Mohammed, 2001. On the contrary, these results are higher than the results 430mg/l obtained by Matloub et al. (2001). On the other hand, the concentrations of total dissolved solids (TDS) in all boreholes did not pose any water quality problems because these results are in agreement with the range values set by Yemen's Ministry of Water and Environment (YMWE, 1999) and WHO (2004) which required for drinking water. The variations in concentrations of the above insitu parameters can be attributed to the nature of the geological and chemical structure of the soil and rocks, the depth of the boreholes, the dilution of the boreholes spatially in main wet season.

Table 1 Insitu parameters at Al-Sayyadah area

	Wet season					Main wet season					Dry season				
Parameters	pH	T	EC (µS/cm)	TDS (mg/l)	DO (mg/l)	pH	T	EC (µS/cm)	TDS (mg/l)	DO (mg/l)	pH	T	EC (µS/cm)	TDS (mg/l)	DO (mg/l)
BH1	7.40	23.1	731	475.15	3.3	7.25	23.8	728	473.2	3.8	8.12	23.4	731	475.15	1.1
BH2	7.25	24.0	671	436.15	3.4	7.38	23.8	688	447.2	5.2	8.22	23.9	688	447.2	1.6
BH3	7.14	24.9	664	417.1	4.3	7.56	25.1	770	500.5	4.4	8.09	24.1	769	500	1.3
BH4	7.61	23.2	607.5	394.88	4.1	7.52	22.8	570	370.5	3.8	7.81	22.7	696	452.4	7.5
BH5	7.30	23.5	674	438.10	3.3	7.60	24.0	682	443.3	3.8	7.74	22.8	704	457.6	6.1
BH6	7.58	23.0	736	478.4	3.1	7.56	23.9	598	388.7	3.9	7.77	23.8	598	388.7	5.7
BH7	7.65	24.0	639	415.35	3.2	7.30	24.5	720	468	4.2	7.74	21.8	720	468	6.1
YMWE 1999	6.5-9	25	450-1000	1500	-	6.5-9	25	450-1000	1500	-	6.5-9	25	450-1000	1500	-
WHO 2004	6.5-9.5	-	-	1200	-	6.5-9.5	-	-	1200	-	6.5-9.5	-	-	1200	-

MAJOR ANIONS AND NITROGENOUS COMPOUNDS

These include fluoride (F^-), chloride (Cl^-), sulfate (SO_4^{-2}), nitrites (NO_2^-) , nitrates (NO_3^-), and ammonia-N (NH_3-N). The results are shown in Table 2.

The highest concentration of F^- is measured in BH1at dry season with the value of 0.943mg/l, whereas the lowest concentration is measured in BH6 at main season with the value of 0.24mg/l. These results are lower than the results 1.21 mg/l obtained by Kamal & Mohammed, 2001. On the contrary, the lowest concentration in BH6 is closed to the result 0.25 mg/l obtained by Matloub et al. (2001). The absence of fluorides in drinking water encourages dental caries or tooth decay; excessive concentrations of the chemical produce mottling of the teeth or dental fluorosis. Thus, managers and operators of water treatment plants must be careful that the exact concentrations of the fluorides are administered to the drinking water. Optimum concentrations of 0.7 to 1.2 mg/l are normally recommended, although the actual amount in specific circumstances depends upon the air temperature, since air temperature influences the amount of water that people drink (Arcadio & Gregoria, 2003). In general, the values of F^- in all boreholes are in agreement with the standard acceptable levels of drinking water set by YMWE (1999) and WHO (2004).

The concentrations of Cl^- are different between boreholes at three different seasons. The highest Cl^- concentration is found in BH3 at dry season with the value of 146 mg/l, whereas the lowest Cl^- concentration is found in BH4 at main season with the value of 85.2 mg/l. These results are high compared to the results 28.5 mg/l obtained by Matloub et al. (2001). On the contrary, these results are in agreement with range results 26.8 to 180.1 mg/l obtained by Kamal & Mohammed, 2001. In general, the values of Cl^- in all boreholes did not pose any water quality problems because they are in agreement with the standard acceptable levels of drinking water set by YMWE (1999) and WHO (2004).

The concentrations of SO_4 are different between boreholes at three different seasons. The highest SO_4 concentration is found in BH7 at wet season with the value of 42.4 mg/l, whereas the lowest SO_4 concentration is found in BH6 at main season with the value of 19.68 mg/l. These results are low in compared to the results 34.0 mg/l obtained by Matloub et al. (2001). On the contrary, these results are low in compared to the results 665 mg/l obtained by Kamal & Mohammed, 2001. In general, the values of Cl^- in all boreholes did not pose any water quality problems because they are in agreement with the standard acceptable levels of drinking water set by YMWE (1999) and WHO (2004).

The NO_2 and NO_3 levels in the boreholes are very low and did not pose any significant water quality problem. Nitrate is reduced to nitrite in the stomach of infants, and nitrite is able to oxidize haemoglobin (Hb) to methaemoglobin (metHb), which is unable to transport oxygen around the body. Guideline value for combined nitrate plus nitrite should not exceed 1 (WHO, 2004). In this study the combined of nitrate plus nitrite did not exceed 1.

The concentration of ammonia NH_3-N for all boreholes gave different values at three different seasons. The highest concentration of ammonia is recorded in BH4 at

wet season with the value of 0.071 mg/l, whereas the lowest concentration of ammonia is recorded in BH3 at main wet season with the value of 0.008 mg/l. On the other hand, the ammonia concentrations in BH1 (dry season), BH7 (main and dry seasons) are not detected.

According to Atxotegi et al. (2003), ammonium ion NH_4 is transformed into ammonia NH_3 based on pH through the following reaction:

$NH_4 \longrightarrow NH_3 + H^+$ or

$NH_4OH \longrightarrow NH_3 + H_2O$

	Wet season						Main wet season						Dry season					
Parameters	F-	Cl-	SO4-2	NO2-	NO3-	NH3-N	F-	Cl-	SO4-2	NO2-	NO3-	NH3-N	F-	Cl-	SO4-2	NO2-	NO3-	NH3-N
BH1	0.63	124.25	33.7	0.024	22.0	0.032	0.56	100.11	34.1	0.02	19.33	0.043	0.943	138.45	33.48	0.021	13.0	ND
BH2	0.43	89.46	23.0	0.0085	11.3	0.035	0.505	93.01	33.4	0.043	16.5	0.058	0.098	125.1	37.4	0.11	9.0	0.03
BH3	0.623	110.76	34.05	0.061	17.0	0.021	0.627	127.8	42.3	0.025	29.67	0.008	0.695	146.3	39.3	0.02	30.25	0.063
BH4	0.645	102.0	27.65	0.017	13.0	0.071	0.477	85.2	23.92	0.001	13.83	0.009	0.493	115.02	34.47	0.022	15.0	0.056
BH5	0.505	105.16	33.35	0.023	16.0	0.033	0.66	110.1	33.2	0.007	20.5	0.083	0.523	115.02	35.83	0.014	16.0	0.04
BH6	0.442	110.0	19.68	0.029	14.17	0.031	0.24	88.04	24.8	0.064	13.0	0.052	0.46	125.67	35.6	0.001	12.0	0.041
BH7	0.487	114.7	42.4	0.012	11.67	0.051	0.678	123.54	40.2	0.005	6.67	ND	0.32	117.15	39.9	0.012	17.25	ND
YMWE 1999	1.5	250	250	0.1	50	0.5	1.5	250	250	0.1	50	0.5	1.5	250	250	0.1	50	0.5
WHO 2004	1.5	250	250	0.1	50	0.2	1.5	250	250	0.1	50	0.2	1.5	250	250	0.1	50	0.2

Table 2 Major anions and nitrogenous compounds at Al-Sayyadah area

MAJOR CATIONS

The major cations include Fe, Na, K, Ca, and Mg. The concentrations of cations are given in Table 3. The highest concentration of Fe is measured at main season in BH5 with the value of 0.124 mg/l, whereas the lowest concentration is measured at dry season in BH2 with the value of 0.01 mg/l. On the other hand, the highest concentration of Na is recorded at wet season in BH3 with the value of 68.0 mg/l, whereas the lowest concentration is recorded at main season in BH1 with the value of 22.17 mg/l. With regards to, the highest concentration of K is reported at wet season in BH1 with the value of 2.25 mg/l, whereas the lowest concentration is reported at also wet season in BH3 with the value of 0.6 mg/l. On the other hand, the highest concentrations of Ca and Mg are found in BH1 and BH5at dry season respectively, whereas the lowest concentrations of Ca and Mg are found BH4 at main wet season.

The presence of sodium in drinking water can affect persons suffering from heart, kidney, or circulatory ailments. It may elevate blood pressures of susceptible individuals. Sodium is plentiful in the common table salt that people use to flavor food to their taste (Arcadio & Gregoria, 2003). The distribution of Fe, Na, K and Mg in all boreholes did not pose any significant water quality problem, because these cations are within the standard acceptable levels of drinking water determined by YMWE (1999) and WHO (2004).

Among all the cations analysed, Ca showed high concentrations level in most boreholes at wet season, main wet season and dry season. These concentrations are higher than the results 72.0 mg/l obtained by Matloub et al. (2001) and also by Kamal & Mohammed, 2001. These results are not within the standard acceptable levels of drinking water determined by YMWE (1999) and WHO (2004).

Calcium is naturally present in water. It may dissolve from rocks such as limestone, marble, calcite, dolomite, gypsum, fluorite and apatite. Calcium is a determinant of water hardness, because it can be found in water as Ca^{2+} ions. Calcium is largely responsible for water hardness, and may negatively influence toxicity of other compounds.

On the contrary, among all the cations analysed, Fe showed low concentration level with the value of 0.01 mg/l at dry season in BH2. These results in all seasons did not pose any water quality problems because these results are within the standard acceptable levels of drinking water determined by YMWE (1999) and WHO (2004).

The variations in concentrations of the above cations parameters can be attributed to the nature of the geological and chemical structure of the soil and rocks, the depth of the boreholes, the dilution of the boreholes spatially in main wet season.

HEAVY METALS

Heavy metals include lead (Pb), zinc (Zn), nickel (Ni), chromium (Cr), cadmium (Cd), and copper (Cu). The concentrations of heavy metals are given in table 4. Pb concentration is the highest concentrations of heavy metals which are measured in wet season. Although, Pb concentrations are high in BH1 and BH2 at wet season in compared to the standard acceptable levels of drinking water determined by YMWE (1999) and WHO (2004) so that, they still under permissible limit. Ni, Cr, and Cd concentrations are not detected in most boreholes at different seasons.

BACTERIA

The results of microbiological analysis for three different seasons are shown in Table 5. The results show that all boreholes did not show any microorganism bacteria during three seasons. This means that all boreholes are suitable for drinking water in compared to APHA, 1998 standard.

Table 5 Microbiological analysis for all seasons

Parameter	3 of 10m each	3 of 1m each	3 of 0.1m each	MPN Index per 100m
BH1	ND	ND	ND	0
BH2	ND	ND	ND	0
BH3	ND	ND	ND	0
BH4	ND	ND	ND	0
BH5	ND	ND	ND	0
BH6	ND	ND	ND	0
BH7	ND	ND	ND	0
APHA, 1998	3	3	3	2400

ND: Not detected

Table 3 Major cations at Al-Sayyadah area

		Wet season					Main wet season					Dry season				
Parameters	BH1	Fe (mg/l)	Na (mg/l)	K (mg/l)	Ca (mg/l)	Mg (mg/l)	Fe (mg/l)	Na (mg/l)	K (mg/l)	Ca (mg/l)	Mg (mg/l)	Fe (mg/l)	Na (mg/l)	K (mg/l)	Ca (mg/l)	Mg (mg/l)
0.072	BH2	0.031	39.0	1.7	82.4	18.9	0.06	31.67	0.917	83.2	22.63	0.01	41.25	0.93	85.6	9.12
0.023	BH3	0.023	68.0	0.6	71.2	15.6	0.019	45.83	0.9	80.8	22.56	0.012	63.0	0.8	87.6	15.84
0.036	BH4	0.036	41.0	1.3	78.0	16.56	0.093	51.0	1.15	55.2	8.18	0.025	34.5	1.25	84.0	25.21
0.025	BH5	0.025	35.0	1.3	86.8	25.68	0.124	32.0	1.5	83.2	23.04	0.023	37.0	1.23	88.8	28.8
0.061	BH6	0.061	52.67	1.15	68.0	10.56	0.043	44.0	0.9	73.6	21.6	0.034	39.0	0.9	99.6	24.74
0.039	BH7	0.039	54.0	0.733	86.4	23.76	0.082	46.0	0.817	83.6	22.32	0.03	39.25	1.1	96.0	24.24
0.3	YMWE 1999	0.3	200	-	75	300	0.3	200	-	75	300	0.3	200	-	75	30
0.3	WHO 2004	0.3	200	-	75	300	0.3	200	-	75	300	0.3	200	-	75	30

Table 4 Heavy metals at Al-Sayyadah area

		Wet season						Main wet season						Dry season								
Parameters	YM WE 1999	BH7	BH6	BH5	BH4	BH3	BH2	BH1	Pb (mg/l)	Zn (mg/l)	Ni (mg/l)	Cr (mg/l)	Cd (mg/l)	Cu (mg/l)	Pb (mg/l)	Zn (mg/l)	Ni (mg/l)	Cr (mg/l)	Cd (mg/l)	Cu (mg/l)	Pb (mg/l)	Zn (mg/l)	Ni (mg/l)	Cr (mg/l)	Cd (mg/l)	Cu (mg/l)	WHO 2004
Pb (mg/l)	0.01	0.003	0.003	0.01	0.01	0.01	0.04	0.06	0.01	0.001	0.01	0.01	ND	0.33	ND	0.001	0.01	0.01	ND	0.049	0.112	0.164	0.81	0.234	0.125	0.236	0.01
Zn (mg/l)	3.0	0.824	0.157	0.704	0.401	0.226	0.22	0.926	0.147	0.574	0.082	0.945	0.55	0.167	0.543	0.678	0.124	0.092	0.475	0.345	0.128	0.675	0.199	0.163	0.186	0.155	3.0
Ni (mg/l)	0.02	0.01	0.01	ND	ND	ND	0.01	0.01	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	0.02
Cr (mg/l)	0.05	ND	ND	ND	ND	ND	0.01	0.01	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	0.05
Cd (mg/l)	0.003	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	ND	0.003
Cu (mg/l)	1.0	0.199	0.163	0.164	0.81	0.112	0.049	0.33	0.187	0.259	0.120	0.234	0.172	0.125	0.236	0.201	0.130	0.010	0.136	0.185	0.186	0.155	1.0

CONCLUSIONS

The results show that, all boreholes did not pose any water quality problems because the concentrations of all physiochemical and microbiological parameters are within the standard acceptable levels of drinking water determined by YMWE (1999) and WHO (2004). The aquifer in this area is considered alluvial deposits and Igneous rocks. The variations in concentrations of all parameters can be attributed to the nature of the geological and chemical structure of the soil and rocks, the depth of the boreholes, the dilution of the boreholes spatially in main wet season. These boreholes are suitable for drinking water.

ACKNOWLEDGEMENTS

All thanks are due to the Local Water Supply and Sanitation in Ibb city, and the Department of Microbiology, IBB University for providing the research facilities throughout the study.

REFERENCES

APHA. 1998. Standard Methods for the Examination of Water and Wastewater. American Public Health Association. 20th Edition.

Arcadio, P & Gregoria, A. (2003). Physical and Chemical Treatment of Water and Wastewater. A. P. Sincero and G. A. Sincero. Uk.

Armon. R & Kott.Y. (1994). The Health Dimesion of Groundwater Contamination. In Zoller (ed). Groundwater Contamination and Control. Marcl Dekker, INC. New York.

Chae, Y.S. (2000). Groundwater and aquifer. In In Liu.D.H and Liptak.B.G. (ed). Groundwater and surface water pollution. Boca Raton, Florida, America.

Kamal, A.A & Mohammed, F. (2001) Groundwater exploitation and its Relation to the Water Quality Determination Conditions of Sana'a Drinking water Supply. Ibb University Researcher, 3(3): (131-158).

Matloub, M.H, Al-Ghawfe, A. M and Hassan, M. A. (2001).Water quality for drinking water in Ibb city. Ibb University Researcher, 3(3): (107-129).

Misra, S.G & Mani.D. (1991). Soil Pollution. Efficient offset Printer.ABC. New Delhi. India. 6- 42.

WHO. (2004). World Health Organisation. Guidelines for drinking water quality. Geneva

YMWE. (1999). Yemen's Ministry of Water and Environment. Guidelines for drinking water quality. Sana'a, Republic of Yemen.

Zajic, J.E. 1971. Water Pollution, Disposal and reuse. Volume 1. Marcel Dekker, INC. New York.

THE LINGUISTIC BEHAVIOUR OF STREET CHILDREN IN YEMEN: THEIR REQUESTS AND APOLOGIES

Nada Qanbar (Ph.D.)
Assistant Professor of English, Department of English
Faculty of Arts, Taiz University

Abstract

The present paper focuses on the linguistic behaviour of street children in Taiz regarding two speech acts: requests and apologies. The researcher interviewed 39 children to investigate the extent to which the social background of the street children influences their linguistic behaviour. The researcher gave the children 10 situations and asked them to produce the speech acts in question. For both requests and apologies, the children showed sensitivity to the features of the situations, and chose the appropriate strategy accordingly. Among main request strategies, the researcher found that street children preferred the most direct strategy type. They also made their requests without modifications. The study revealed that the children used socially unacceptable swear words. In apologizing, street children preferred a simple straightforward apology and they also showed a high sense of responsibility in committing an offence. The study gives suggestions for future research.

1. Introduction

One of the primary objectives of sociolinguistic research is to investigate linguistic variation as it relates to social variation. It is concerned with finding out the relationship between language variation and biosocial factors such as age, sex, race, socioeconomic class, educational attainment, regional origin, ethnic identity *and so on.*

Sociolinguistic studies show that the varieties of languages that speakers use reflect these factors. These studies also show that particular ways of speaking, choosing of words, and even rules for conversing are determined by certain social requirements. The thrust of argument is that the members of a given category share material conditions of existence, and thus to a large extent will produce similar 'worlds views'.

In this study, the researcher tries to investigate the extent to which the social background of the street children, as underprivileged category and as deprived of care and most needs, affect their linguistic behaviour regarding two speech acts, i.e., requests and apologies. The assumption is that children follow the linguistic models they encounter in their environment as part of their 'socialization'. The first model is that of the parents, then peers, then adults (Chambers 1995). Here

the children, in most of cases, lack the parent model and are influenced more by their peers in the street who also come from the same social background and go through hard times. Since Social structure may either influence or determine linguistic structure and behaviour (Hudson 1996 and Wardhaugh 1996), the researcher hypothesizes that their linguistic behaviour is negatively affected and it either lacks or has certain distinct features.

The main reason for choosing these two speech acts among a wide range of speech acts is that these speech acts are methodologically rich and have been examined as means of maintaining the social order and as markers of distance and dominance in relationships. They have also been used to reveal the role that pragmatic competence plays in the use of a language.

The importance of this study comes from the fact that it is the first study of its kind which studies the linguistic behaviour of street children in Yemen and elsewhere in the world-to the best of my knowledge. The studies that focus on these children are mainly socially/psychologically centered but they are never linguistic. Furthermore, subsequent studies can take this study as a basis to study other manifestations of the linguistic behaviour of street children.

1.1 Who Are Street Children?

Many scholars (Boyden 1986, Groza 2002, Marklusk et al 1989, Tacon 1991 among others) and organizations (WHO 1985,1993, UN 1986, UNICEF 1985) have attempted to define who a street child is. The most comprehensive definition is given by Abu- Annasr (2004:49), which reads as follows:

"A street child is a child (male or female) whose age is below 18, and he/she lives, eats and plays in the street as homeless, and receives no care or attention from elders. His/her family is socially wrecked, and his/her relationship with it is irregular. He/she is begging or doing marginal/illegal works."

2. Aims of the study

1- To investigate from a socio-pragmatic perspective the ways in which street children manifest the speech acts of requests and apologies.

2- To investigate the frequency and the type of the strategies and sub-strategies of these two speech acts and whether the fact of being a street child influences his/her linguistic behaviour or not.

3. Methodology

3.1 Subjects

The subjects are 39 in number (38 male, I female)[1]. 32 of the subjects are interviewed in Taiz streets (Zeid Al-Moushky street, 26th Sept. Street, Al-Markizy, Osaifra, and Attahreer street); and 7 in the Safe Childhood Center-Taiz[2]. The age range of the children is between 7 and 13.

1 It is more common for male children to stay around in the streets rather than girls. Even the little girls the researcher found were scared and refused to talk.

2 In the center, the researcher interviewed 12 children. 7 children are either irregular or they have just joined the center, so the researcher considered them as street children, while the rest have been there for more than six months, which made the researcher exclude them from the study because they have been institutionalized and hence no longer street children.

3.2 Instrument

The instrument used in collecting the data is a modified version of a DCT (discourse completion test/task). DCT is a test in the form of a questionnaire. The test consists of scripted dialogues and the informants are asked to complete the dialogue. Since the target population is assumed to be illiterate, the researcher conducted the test on them orally in the form of an interview. The test consisted of a description of 10 socially differentiated situations, specifying the setting, and the social distance and social power between the people involved in the situation. All the situations are presented in colloquial Taizi Yemeni Arabic. Half of the situations are to elicit requests, and the other half apologies. The informant is asked to pose his/her request or give his/her apology, as he would normally do in everyday life. The utterances of requests and apologies given by the informants are the subject of the analysis. (For full description of the situations, see the Appendix)

The researcher sometimes used the role-play method, in which the informants were asked to act out the roles of the situations. This method can get the informants closer to natural interaction (cf. McDonough 1981), and it also gives them the opportunity to negotiate and comment on the responses of each other. To keep up with the informants, the researcher tape-recorded them, then the researcher transcribed their speech.

3.3 Data Analysis

In the analysis of the data, the researcher adopted the coding scheme of the CCSARP project (Cross-Cultural Study of Speech Act Realization Pattern)[3]. I also used descriptive statistical analysis such as frequency and mean distribution whenever necessary.

4. Requests

4.1 Preliminaries

'Requests usually involve asking for something 'outside' the hearer's daily routine and entail doing activities that require some time or effort on the part of the hearer' (Qanbar 2006). A Request consists of two parts: the core request or the *head act* and peripheral elements (modifications). The head act is the obligatory element which has the function of request and thus can stand by itself to convey the request, while the latter, which may precede or follow the head act such as reasons for the request are optional and their function is either to soften the head act or upgrade it. The example below exemplifies these categories: the elements in bold represent the head act of a request and can be perfectly used alone as a request; the other utterances represent the modifications.

3 The CCSARP project is a world project which is mainly interested in analyzing the various speech acts across languages and cultures.

Ahmad, the kitchen is in a mess. **Clean it up**, you lazy-bones.

The head act can be varied along three levels of directness (Blum-Kulka *et al* 1989 b):

1- The most direct level (Impositives), e.g.: 'Close the window';
2- Intermediate level of directness (conventionally indirect), e.g. 'Can you close the window?' This strategy can take two forms in Yemeni Arabic: *mumken* + finite clause (Could you do x?), and *lei ma* + finite clause ('Why don't you?'); and
3- The least direct level (hints), e.g. 'It's cold in here', as a request to close the window.

It is worth noting that these strategies are in complementary distribution, i.e, only one of them can be used by the requester in a requestive utterance.

Let us take a look at the distribution of these strategies in the speech of the street children as they figured in the data collected:

4.2 Levels of '(In)directness' in Requests of Street Children

Table 1 shows how street children made use of the three 'strategy types' of requests[4]:

Situation	Impositives	Conventional Indirectness	Hints
S1 (Traffic Warden)	38 97.4%	1 2.6%	---
S2 (Walkman)	35 89.7%	1 2.6%	---
S3 (Neighbour)	38 97.4%	----	---
S4 (Biscuits)	39 100%	----	---
S5 (Street)	21 53.8%	---	10 25.6%

Table 1: The Distribution[5] of the Three Main Request Strategy Types in five Situations of Street Children

4 The total distribution in S2, S3, and S5 is not 100% because some of the respondents chose to answer non-verbally. That is to say, they said that they would not say anything and would resort to violence like beating the hearer up.

5 The raw numbers on the table correspond to the number of the respondents who opted for a certain strategy type in each situation.

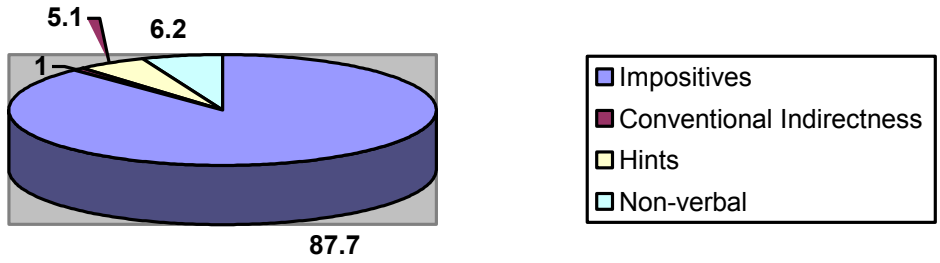

Figure 1**: The Mean Distribution of the Request Main Strategies in the Street Children Data**

From table 1 and figure 1, three things can be noticed: first, it is obvious that the most direct strategy (impositives) is the most dominant strategy used. It accounted for 87.7% of the data. The highest incidence of this strategy featured in S4 (Biscuit) (100%), and the least incidence in S5 (Street) (53.8%). Second, the use of Hints comes in the second place with a mean distribution of (5.12). It was only used in one situation (S5 Street situation)[6]. Third, the use of Conventionally Indirect is the least strategy used (1%). It was only used in two situations (S1 (Traffic Warden) and S2 (Walkman)) with very little frequency (2.6 % in each situation).

Here there is a big gap between the frequency of the most direct strategy type and the conventionally indirect, one which demands an explanation.

The notion of "indirectness" is instrumental in the theoretical conceptualization of politeness theories (Brown and Levinson 1987, Leech 1983). In the literature, politeness and indirectness have been conceptualized as equivalent entities, and, therefore, parallel and scalable (cf. Blum-Kulka 1987). It is assumed that the chief motivation for using indirectness is politeness (Searle 1975). It can be said that linguistic politeness has been almost reduced to the simple formula, "the more indirect, the more polite" (cf. Kasper 1994). Leech (1983) suggests that the propositional content of an utterance being constant, one can increase the degree of politeness by increasing the indirectness of illocutions.

On the basis of this assumption and from the distribution of the strategies in the speech of the street children which showed high use of direct strategies and very little use of indirectness (in the form of *mumken* + finite clause), one can assume that street children are impolite and their speech is too forward and 'rough', which is a natural result for their being in the street. But this can be a misleading reading. The high use of direct strategies may not only result from the fact that these children are street children, but it may also be an indicator that these children conform to the underlying socio-cultural norms of the Yemeni society. Based on a study of the linguistic behaviour of Yemeni Arabic speakers (adults) with regard to requests, it was shown that 70.6% of Yemeni speakers use the most direct strategy type (Impositives) (Qanbar 2006). This was a high frequency compared to other languages and cultures, but Yemeni culture is categorized as a "solidarity-oriented

6 This is a universal fact about the use of hints as a requestive strategy. It is, thus, expected to be used in little frequencies (Blum-Kulka 1989 b).

cultures" (cf. Az-zomor 2003:55). Unlike individualistic cultures or distance-oriented societies, represented by occidental cultures, where individualism is of paramount concern and the territory of individualism is considered basic to human relations, the Yemeni culture is a culture where the collective image rather than the individualistic or atomistic one is of highest regard. The (traditional) Yemeni society gives great importance to the principles of brotherhood and sociability. The community structure in the Yemeni culture defines the individual's life to such an extent that any member of that community is viewed as a brother - one of the same kind. This public-spiritedness and sense of belonging and cordiality are reflected in the strategies of linguistic action and thus requests are not perceived as imposing. They are signs of solidarity. Thus, the preference of a specific category to the other forms an integral part of the culture's distinctive "way of speaking" (Hymes 1974), and constitutes its interactional style.

However, the little use of **indirectness** is striking. Although we said that using direct strategies forms an integral part of Yemeni speakers' pragmatic competence, Yemenis use it in their daily life with a mean of (16.2%), and they also consider indirectness as a polite way of posing a request (Qanbar 2006:214). This suggests that street children may not have the pragmatic ability to use this 'sophisticated' strategy which is usually used by educated people who are supposed to come from 'good' families.

The use of **hints** as a strategy in the speech of street children turns out to be situation-specific. That's to say, S5 is culturally-loaded. In this situation, the hearer has committed an extremely prohibited act in pestering a woman in the street. In fact, the high frequency in the use of *hints* is quite satisfactory in this situation. Subjects are evoked to give standardized reactions. The most used response in the form of *hints* found in the data was *ma ma?k ?ar* (lit. "Don't you have a *shame*?"[7]). This response is *contextually conventionalized*, and they also used swear words (38.5%). To tease a woman in the street constitutes a very despicable act, which may entail social punishment. It is quite satisfactory then to find that up to 25.7% of the subjects thought that they would also respond nonverbally and will not even hesitate to use their hands or some other means to stop the harassment. The other situations, on the other hand, did not call the need to use hints as a request strategy.

After examining the obligatory component of the requestive speech act of the street children, let us take a look at the ways they modify it.

4.3 The Use of Modification

As we said earlier, modifications are those optional elements in the requestive sequence and they are of two types: Mitigators (to mitigate or soften the head act), and Aggravators (to upgrade or intensify the head act).

4.3.1 Mitigators

I identified three kinds of mitigating modifiers in the data. They are: the use of the **Politeness Marker** *law samaHt* (lit 'if you allow'), the use of **Grounders** (reasons for the request), and the **Promise of Reward**. There are other types of

7 The word *ʕ□ar* 'shame' is the word commonly used in the Yemeni culture to refer to the female members of one's family. This reference to the female members of one's family as *?ar* is not offending.

mitigating categories like *getting precommitment*, *preparatory questions*, *humour*, *minimizing imposition*, *religious pleas*, and *pacifier* (Qanbar 2006), but the researcher did not come across any of them in the data. Therefore, the use of mitigation in the requests of street children is little and is confined to these three categories. And when mitigating categories are used, their frequencies are remarkably little as shown in Table 2 and Figure 2 below. This indicates that street children may not be aware of the importance of mitigating categories in facilitating their requests. These categories help minimize the intrinsic seriousness of the imposition. By using them the requester believes that what he/she is asking for will not cost the addressee much. They help encouraging the requestee to comply with the request. These categories, therefore, need social and personal skills on the part of the requester, which street children obviously lack.

Let us have a look at the distribution of the categories used by the street children:

Situation	Politeness Marker	Grounders	Promise of Reward
S1 (Traffic Warden)	11 28.2%	3 7.7%	--------
S2 (Walkman)	9 23.1%	2 5.1%	----
S3 (Neighbour)	15 38.5%	19 48.7%	----
S4 (Biscuits)	8 20.5%	6 15.4%	5 12.8%
S5 (Street)	2 5.1%	1 2.6%	----

Table 2: *The Distribution of the Mitigating Categories across the Situations*

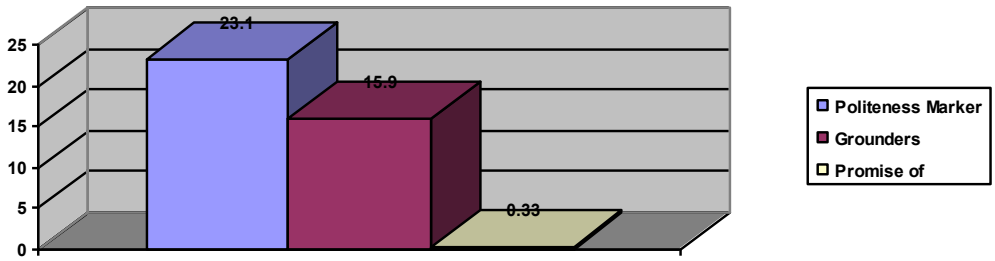

F

igure 2:**The Mean Distribution of Mitigating Categories of Street Children**

Table 2 and Figure 2 show the use of the politeness marker *law samaHt* (please) is the most frequent mitigator, and it peaks in S3 (Neighbour). Since this situation involved a request to a neighbour and it is a part of the Yemeni underlying socio-cultural system that neighbours are to be respected and nothing should come between one and one's neighbour, the requesters showed sensitivity to this fact. And

in this situation, it seems that some of the context external factors[8] (type of request) plays a vital role in making the request. Here the requestive goal involves a personal favour, the requester in this case has to mitigate the coercive nature of his request by resorting to the politeness marker *law samaHt*. The same can be said about the relatively high use of *grounders* in this situation.

Promise of Reward crops up only in S4 (Biscuits). Here 12.8% of the informants promised the requestee some of the biscuits the requestee would buy for the requester.

The informants used mitigating categories the least in S5 (street) for obvious reasons. The requestee is eve-teasing a lady in the street, so there is no need to use mitigating categories in this situation. It actually demands a much more 'aggressive' way of requesting.

Now let us move on to the use of aggravating categories in the requests of street children:

4.3.2 Aggravators

In the use of aggravators, the most intensified aggravators are used by the street children in the data (Qanbar 2006), though their frequencies are not high. These categories are: **Insults**, **Threats**, and **Moralizing** (the speaker invokes general moral maxims to provoke the hearer into complying with the request).

Look at Table 3 to see the distribution of aggravating categories across the situations investigated and Figure 3 for their mean distribution.

Situation	**Insults**	**Threats**	**Moralizing**
S1 (Traffic Warden)	4 10.3%	17 43.6%	----
S2 (Walkman)	6 15.4%	10 25.6%	3 7.7%
S3 (Neighbour)	5 12.5%	3 7.7%	3 7.7%
S4 (Biscuits)	1 2.5%	3 7.7%	4 10.3%
S5 (Street)	15 38.5%	5 12.8%	6 15.4%

Table 3: *The Distribution of Aggravators across Five Situations*

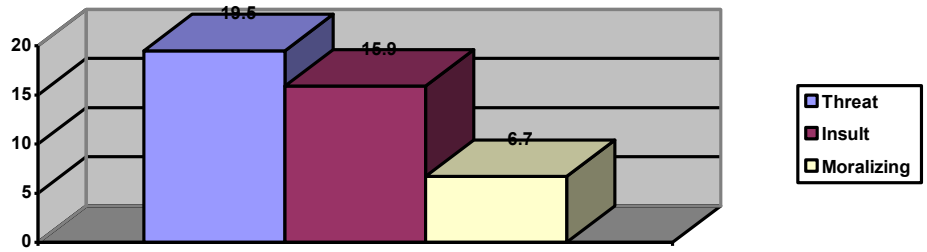

Figure 3: **The Mean Distribution of Aggravators across Five Situations**

8 Requests can be defined in three terms: a) linguistic form), b) external context (setting, participants, and topic); and c) internal context (meaning, function in context, and phonological environment).

As shown from Figure 3, **threats** are the most frequently used category compared to the other categories. Here the highest frequency is found in S1, and least used in both S3 and S4. Here the informants showed some sensitivity to the internal factors of the request. That is to say, 43.6% of the informants thought that the traffic warden in S1 would use threats in his request due to his institutionalized power in the society, so he threatened drivers of taking their cars from them and take them to jail. 2.5% of the informants thought that the traffic warden would ask for money. Here the children at this age are able to see through the corruption in the Yemeni system! In S2, 25.6% varied their threats between complaining to the parents of the requestee, and beating the requestee up.

Insults are the second most used aggravating category. The highest frequency occurred in S5 (Street) (12.8%). Again, here the reason for the relatively high frequency of the use of insults is obvious. Here, there is an interesting observation. In my study of the request among Yemeni speakers, the frequency of the insult was 18.3% of the data. This suggests that adults in Yemen used more of insults, but the 'type' of insults has the word. In the adult data, all the insults were of the 'average' types like: *Himaar* (donkey), *ghabi* (stupid), *kasel* (lazy) and the kind, but in the street children data, the insults involve swear words that are considered taboos in the Yemeni society. Most of the children used words related to sexual activities and sexual organs (95%), and 5% used curse words. The use of such kind of insults is, undoubtedly, attributed to the lack of parenting, and mixing with bad friends in the street.

Moralizing is found the highest in S5 (Street) (15.4%). The children thought that to use traditional sayings like *eib ?laik* (lit. 'Shame on you.') is suitable to turn away the pestering man.

4.3.3 Non-verbal Responses

This category was used when the informants thought that in certain situations they would prefer also to take an action. The mean distribution is 20%. The distribution of the frequency of this category is as follows:

Situation	**Non-verbal responses**
S1 (Traffic Warden)	4 10.3%
S2 (Walkman)	7 18%
S3 (Neighbour)	10 25.6%
S4 (Biscuits)	8 20.5%
S5 (Street)	10 25.6%

Table 4: *The Distribution of Moralizing across Five Situations*

In S1 and S5 the children thought that they would take an action right away without even posing a request. In S1 they thought that the traffic warden has

the right to give a ticket to the driver. In S5 the children thought that beating the pestering man up, or bringing a gangster to do that is the best option, and some went to the extreme that they would kill or stab the pestering man to death without hesitation, and when I had a further discussion with them as for the reason for not putting a request first, they showed their anger and thought that to request first in this situation is a sign of weakness.

In S2, S3, and S4 the children thought that they would resort to violence in case of the non-compliance of the requestee. Some of the children gave the researcher surprising responses. For example, in S2 (Walkman), they said that in case the requestee did not return the Walkman, they would wait for sometime and steal an object from the requestee in compensation. In S3 (Neighbour) some said that they would cut the power of the neighbour from the source outside, or they would bring a gang to throw stones at the requestee's house.

This sense of aggression and the culture of gangs and thievery are some of the outputs of being in the street. The children can kill, steal, and get involved in gangs which reflects a frailty in morality and the inability to distinguish between right and wrong (Dawkam 2005:111).

After examining requests, let us move on to examine the second speech act in this study, viz. apology.

5. Apologies

5.1 preliminaries

A broad definition of apology is given by Holmes (1990:159) as follows:

> *An apology is a speech act addressed to B's face-needs and intended to remedy an offence for which A takes responsibility and thus to restore equilibrium between A and B (where A is the apologizer, and B is the person offended).*

Olshtain and Cohen (1983:22) provide the most comprehensive taxonomy for the apology strategies. They maintain that apologies can be carried out by a finite set of "conventions of means", or strategies, all of which are related to the offensive act and serve as the speaker's attempt to make it go away.

5.2 Strategies of Apologizing

1. an expression of an apology (or an Illocutionary Force Indicating Device (IFID)). e.g., I'm sorry';
2. an explanation or account of the situation. e.g., 'there was a traffic jam'
3. an acknowledgement of responsibility. e.g., 'It's my fault';
4. an offer of repair. e.g., ' I'll repair it for you'; and
5. a promise of forbearance. The promise not to do the offensive act again. e.g., ' this is the last time I do this.'

Any one of the above-mentioned strategy types or a combination of them may count as a realization of an apology.

Table 5 below presents the distributional occurrence of these categories in the situations under study in the street children data:[9]

Situation	IFID	Taking on Responsibility	Explanation	Offer of Repair	Promise of Forbearance
S1 (Tape-recorder)	6 15.4%	23 59%	2 5.1%	29 74.4%	---
S2 (Eggs)	25 64.1%	14 35.9%	---	22 56.4%	---
S3 (Bicycle)	33 84.6%	17 43.6%	----	16 41%	----
S4 (Money)	8 20.5%	32 82.1%	1 2.6%	17 43.6%	----
S5 (Play)	19 48.7%	29 74.4%	4 10.3%	1 2.6%	2 5.1%

Table 5: *The Distribution of Apology Strategies of Street Children*

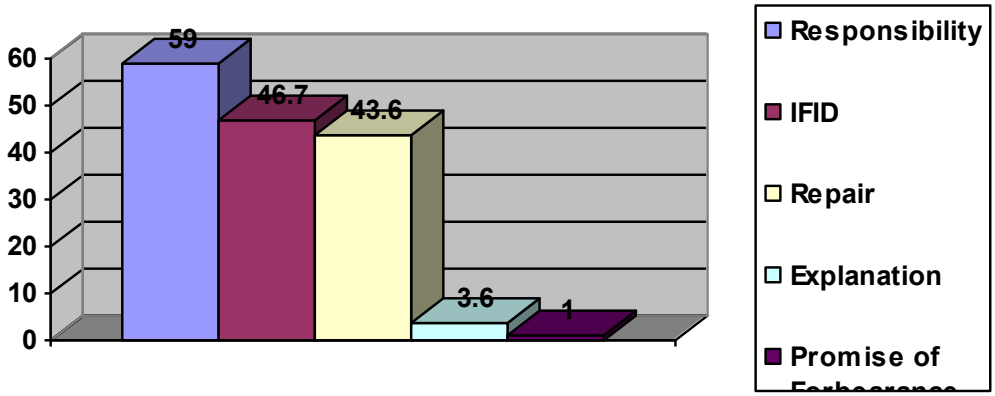

Figure 4: **The Distribution of Apology Strategies Of Street Children**

From Table 5 and Figure 4 it is clear that three strategies (**taking on responsibility**, **IFID**, and **offer of repair**) have got the highest frequencies respectively, and with little difference among them. The most dominant apology strategy used is *Taking on Responsibility* (59%). By taking on responsibility, the speaker admits his role in the violation. It is the most successful strategy (Deutschmann 2003). More than 90% of those who selected this strategy expressed their lack of intent (glossed as 'I didn't mean to do that.') The speaker explicitly states that s/he had not intended to hurt the hearer through the committed offence.

IFID is a formulaic expression of apology found in every language and culture. In Yemeni culture, it is materialized as *asef* (sorry), *alafw* (pardon me), *samiHna* (forgive me). These are explicit expressions of apology. Only 46.7% of street children used this strategy. In fact, the researcher expected less use of *asef* than the researcher actually found. The children in the Safe Childhood Centre used this more

9 Unlike request strategies, the apology strategies are not in complementary distribution. Therefore, the apologizer can, in principal, use all of them in one utterance.

than children the researcher interviewed in the street. This may be attributed to the constant attention these children receive about their speech. Their supervisor was sitting with the researcher during the interview, and now and then he drew the children's attention to their speech. Some of the children even started to look at him first then responded to the researcher. It may also be attributed to what is called in Sociolinguistics 'the observer's paradox' (Labov 1972). That's to say, the children might try to speak politer and be conscious of what they said because of the presence of the researcher and the tape- recorder.

Offer of Repair accounted for 43.6% of the data. In fact, this is a high frequency compared to what Yemeni people use (24.8%) (Qanbar 2006). My explanation is that the children, as a result of being in the street, and almost all of them are working to support themselves or their families, develop a high sense of responsibility. They learn to pay the cost for everything they get/do. For example, in S1 (Tape-recorder) 74.4% offered repair for the damaged tape-recorder. Even in S2 (Eggs), more than half of the children said that they would pay for the broken eggs. Whenever the children said that they would offer a repair, the researcher asked them from where they would get the money. They told me that they would work for it as to pick up materials from garbage and sell it, or carry shopping stuff for people for money and so on. This tells us about the unfair circumstances that push these children into streets. Perhaps, this may not be found in ordinary children. This sense of responsibility may be the only good value the street children get from the street.

Giving Explanation as an apology strategy is rarely used by street children (the mean distribution is 3.6%). This strategy again needs lots of language skills as giving explanation is about giving objective reasons only. Street children obviously lack such ability.

Promise of Forbearance is the least strategy used (1%), and it is only a situation-dependent strategy. That is, it only appears in those situations in which the offensive act is likely to re-occur as in S5 (Play).

5.3 Refusal to Apologize

It is important to note that up to 8.3% of the children evaded an apology. This can be a strategy adopted by the offender just to save his 'face', and not to appear socially inefficient. Therefore, they tried to relieve themselves from personal involvement by minimizing the offence (glossed as 'nothing happened'). The main reasons for not choosing to apologize are because either the children did not want to pay for the damage as in S2 (Eggs), or they thought that the offence was not serious and it happened between intimate friends as in S5 (Play).

Table 6 below shows the distribution of this strategy in the five situations under investigation:

Situation	Refusal to Apologize
S1 (Tape-recorder)	4 10.2%
S2 (Eggs)	3 7.7%
S3 (Bicycle)	3 7.7%
S4 (Money)	I 2.6%
S5 (Play)	6 15.4%

5.4 Intensification of Apology

Sometimes simple apology (without intensification) is not enough. The speaker needs to show true interest in restoring the good relationship. Here comes the role of intensification. IFID can be intensified ('*very* sorry'), or double use of IFID ('*sorry, forgive me*'), or emotional expression ('*oh*'), and so on.

In the data, only 1.6% of the children did intensify their apologies (double use of IFID). This indicates that whenever street children commit a kind of offence, they prefer a simple apology to showing genuine regret. Even the way they said it was 'expressionless. That is to say, they did not show emotions through body expressions or changing of voice tone. It was like a routine expression of apology.

The last remark with regard to an apology, which the researcher encountered during the interview with the children, is that 2.6% of them recoursed to non-verbal responses besides using the apology form. For example, in S3 (Bicycle), 7.7% said that they would kiss their brothers.

6. Summary and Conclusion

In conclusion, this study is the first attempt ever to investigate from a socio-pragmatic point of view the linguistic behaviour of street children with regard to the ways they request and apologize. These are some of the common linguistic features found in the speech of street children. It indicates the extent to which social factors can affect the language use.

The following is a summary of the findings in the study:

Requests

1. When requesting, street children preferred the most direct strategy type. Not a single child used the form *mumken + finite clause,* the form that represents the CI which is supposedly the most polite way of requesting.
2. The children preferred to make their requests without much modification. They did not use the politeness marker *law samaHt* or other mitigating categories much to facilitate their requests.
3. When using aggravators, the children used socially unacceptable swear words.
4. The threats of killing and bringing gangs to beat the requestee up reveal psychological disturbance in the personalities of these children.

Apologies

1. Street children mostly preferred to take on responsibility and the use of IFID *(asef)* was almost exclusive to children who have been receiving language attention (those in 'The Safe Childhood Centre').
2. The children have a strong sense of responsibility which is reflected in their high use of 'offer of Repair'.
3. Street Children did not intensify their apologies as to show genuine regret, but preferred a simple straightforward apology.

For both requests and apologies, the children showed sensitivity to the features of the situations, and chose the appropriate strategy accordingly.

7. Suggestions for Future Research

As mentioned earlier this study is the first, and can be explored more from different perspectives. Future studies can:

1- study the linguistic behaviour of street children in other areas of Yemen.

2- compare between the linguistic behaviour of the children who are brought up in normal circumstances and street children.

3- study the role of some centers like 'the Safe Childhood Center' can play in affecting the linguistic behaviour of children by comparing the present data with the speech of the same children after one year.

4- investigate other speech acts like compliments, greetings, refusal etc.

Bibliography

Abu-Annasr, M. (2004) *Social retarding: the concept, types, and care programmes*. The Arabic Nile group: Cairo, Egypt.

Az-zomor, A. (2003) 'A Pragmatic Analysis of Speech Acts as Produced by Native Speakers of Arabic in English.' Ph.D. Thesis, Aligarh Muslim University: Aligarh, India.

Blum-Kulka, S. (1987) 'Indirectness and Politeness in Requests: Same or Different?' *Journal of Pragmatics*, 11 (2): 131 - 146.

Blum-Kulka, S. *et al*. (1989b) 'Investigating Cross-cultural Pragmatics: an Introductory

Overview'. In Blum-Kulka, S. *et al* (eds.). *Cross-cultural Pragmatics*: 1 - 34.

Norwood, NJ: Ablex.

Boyden, J. (1999) 'Working Children in Lima Peru', in Myers (eds.). *Protecting working children.* in Abu-Annasr, M. (2004) *Social retarding: the concept, types, and care programmes*. *The Arabic Nile group:* Cairo, Egypt

Brown, P. and C. Levinson. (1987) *Politeness: Some Universals in Language Use.* Cambridge: Cambridge University Press.

Chambers, J. (1995) *Sociolinguistic Theory: linguistic Variation and its Social Significance*. Oxford: Blackwell.

Dawkam, A. (2005) 'Street Children: the phenomenon- reasons- signs- suggestions to cure'. Pp. 95-156. The first national conference of childhood – Taiz University.

Gorza, V. (2002) Street Children: problem in Romania. In Abu-Annasr, M. (2004) *Social retarding: the concept, types, and care programmes*.The Arabic Nile group: Cairo, Egypt

Holmes, J. (1990) 'Apologies in New Zealand English'. *Language in Society*, 19 (2): 155 - 199.

Hudson, R. (1996) *Sociolinguistics*. Cambridge: Cambridge University Press.

Hymes, D. (1974) 'Ways of Speaking'. In Bauman, R. and J. Sherzer (eds.). *Explorations*
in the Ethnography of Speaking. Cambridge: Cambridge University Press.

Kasper, G. (1994) 'Politeness'. In Asher, R. and J. Simpson. (eds.) *Encyclopedia of Language and Linguistics*, Vol. **6**: 3206 – 32011. Oxford: Pergamon Press.

Labov, W. (1972) *Sociolinguistic Patterns*. Oxford, England: Basil Blackwell.

Leech, G. (1983) *Principles of Pragmatics.* London: Longman.

McDonough, S. (1981) *Psychology in Foreign Language Teaching.* London: George Allen and Unwin.

MarkLusk et al. (1989) 'Street Children of Jurez', In: Abu-Annasr, M. (2004) *Social retarding: the concept, types, and care programmes*.The Arabic Nile group: Cairo, Egypt

Olshtain, E. and A. Cohen. (1983) 'Apology: a Speech Act Set'. In Wolfson, N. and E.
Judd (eds.). *Sociolinguistics and Language Acquisition*: 18 – 35. Rowley, MA:
Newbury House.

Qanbar, N. (2006) 'Request and Apologies in Yemeni Arabic: A Socio-Pragmatic Study. Unpublished Ph.D. thesis. C.I.E.F.L: Hyderabad, India.

Searle, J. (1975) 'Indirect Speech Acts'. In Cole, P. and J. Morgan (eds.). *Syntax and Semantics*: *Speech Acts*, **3**: 59 - 82. New York: Academic Press.

Tacon, P. (1991) 'Survey on Street Children in Three Urban Centers of Namibia'. In: Abu-Annasr, M. (2004) *Social retarding: the concept, types, and care programmes*. The Arabic Nile group: Cairo, Egypt.

UN (1986) 'Building for the Homeless'. In: Abu-Annasr, M. (2004) *Social retarding: the concept, types, and care programmes*. The Arabic Nile group: Cairo, Egypt.

UNICEF. (1985) 'Alternative Programs for Street Children'. In: Abu-Annasr, M. (2004) *Social retarding: the concept, types, and care programmes*. The Arabic Nile group: Cairo, Egypt.

Wardhaugh, R. (1996) An Introduction to Sociolinguistics . *Oxford: Blackwell.*

WHO (1993) 'A One Way Street? A Report on Phase 1 of the Street Children Project'. In: Abu-Annasr, M. (2004) *Social retarding: the concept, types, and care programmes*. The Arabic Nile group: Cairo, Egypt.

Appendix

Request:

Traffic Warden

1- A driver has blocked the road with his car. A policeman asks him to move his car.

The Policeman:

Walkman

2- You lend your Walkman to one of your friends. Now you want it back.

You:_____

Neighbour

3- One of your neighbours has a wedding party and he has been playing music very loudly. Your mother is ill. Now you go to your neighbour to ask him to lower the volume.

You:_____

Biscuits

4- You need biscuits from a near-by shop and you want your younger brother to go and buy some for you

You_____

Street

5- A man is pestering your sister on the street and you want him to stop teasing her.

You:_____

Apology:

Tape-recorder

1- You borrow a tape-recorder from one of your friends. You unintentionally broke it. Your friend wants back now.

Friend: I want my tape-recorder.

You:_____ _____

Eggs

2- You are running and accidentally you pump over an old lady who was carrying a basket of eggs. All eggs get broken.

Lady: ah. You broke all my eggs.

You:_____

Bicycle

3- You beat your younger brother for breaking your bicycle, but later you found out that he didn't.

You:_____

Money

4- Your mother gave you 1000 YR to buy something from the market but you lost it. What are you going to tell your mother?

You_____

Play

5- You had agreed with your friend to go play, but you forget the appointment and your friend kept waiting for you. What are you going to tell him?

You:_____

THE NULL *PRO* SUBJECT IN EARLY MODERN ENGLISH AND STANDARD ARABIC*

Abdul Hafeed A. Fakih (Ph.D.)
Department of English, Ibb University, Yemen
a.hafeed1@gmail.com

Abstract: This paper seeks to explore the syntax of the null *pro* subject in Early Modern English, Standard Arabic and Modern Standard English and point out how the pro-drop parameter works in these three languages. The objective is to show how in languages with rich agreement inflection like Early Modern English and Standard Arabic, the null *pro* is allowed in the structural subject position of finite clauses, whereas in languages with poor agreement morphology like Modern Standard English it is not permitted. It further illustrates that the rich AGR inflections in Early Modern English and Standard Arabic serve to identify the null *pro* subject, since the feature-content of the latter (i.e. the *pro*) can be recovered from the AGR morpheme on the verb morphology. However, the AGR morpheme on the verb in Modern Standard English is too weak to pick up the subject features.

Following Chomsky's (1995) minimalist analysis, we show how the nominative Case and agreement features of the (*pro*) subject are licensed and how the tense features of the verb are checked in Early Modern English and Standard Arabic. Furthermore, we present an alternative analysis which accounts for the occurrence of the null *pro* in finite clauses of Standard Arabic. We assume that the D-feature of I(NFL) is strong in the VSO and SVO structures with null *pro* subjects in Standard Arabic. Given this, I argue that the subject *pro* moves from the VP-internal position to the thematic and structural subject position of the sentence occupying [Spec, IP] for feature licensing purposes.

Key words: null *pro* subject, AGR morpheme, Case, minimalist, D-feature, agreement inflection, VP-internal.

1. Introduction

This paper attempts to show that Early Modern English and Standard Arabic are pro-drop languages, whereas Modern Standard English is not. The objective is to illustrate that the parametric variation between Early Modern English and Standard Arabic, on the one hand, and Modern Standard English, on the other, can be attributed to the relative strength of agreement inflections on the verb. It demonstrates that in Early Modern English and Standard Arabic, with rich verb morphology, strong inflection is responsible for licensing features of the subject *pro* and the verb.

This study is organized as follows. Section 2. provides a theoretical background of the previous studies on the null *pro* subject. Section 3. discusses the rich agreement inflections marked on the verb morphology in Early Modern English and explores the morpho-syntactic occurrence of the null *pro* subject in finite

* I would like to thank Dr. Rafiq Shamiry and Dr. Abed Sameai for their suggestions and comments on the earlier draft of this paper.

clauses. It illustrates that Early Modern English carries strong agreement features which consequently force overt movement of the verb from the head V position of VP to the functional head I(NFL). It also examines how the strong features of the subject (i.e. nominative Case and agreement features) and the tense features of the verb are checked in a Spec-head agreement configuration. Section 4. investigates the null *pro* in Modern Standard English and explains why the latter is not a pro-drop language. Section 5. reviews the previous accounts of the traditional Arab grammarians and linguists on the null *pro* subject in Standard Arabic. In this section, we investigate the morpho-syntactic properties of the null *pro* and point out how the subject pronouns can be dropped in Standard Arabic. We also provide an analysis based on the minimalist framework of Chomsky (1995), where we show how the null *pro* subject moves from [Spec, VP] to [Spec, IP] in order to license its morphological features (nominative Case and agreement features) in a Spec-head agreement relation. Following Chomsky's (1995) minimalist analysis of English, we assume that the D-feature of I(NFL) is strong in the VSO and SVO structures with null *pro* subjects in Standard Arabic. We also assume that the V- feature of I(NFL) is invariably strong in Standard Arabic, given that strong agreement inflection forces movement of the subject and the verb for feature licensing considerations. We also present an alternative minimalist analysis which accounts for the *pro* subject in Standard Arabic, how it originates in [Spec, VP] and why it moves to [Spec, IP] for feature licensing. Section 6. summarizes the findings of the study.

2. Theoretical Overview

The phenomenon of the *pro*-drop property, found in languages with rich agreement inflections, has received considerable attention in the syntactic analyses of transformational-generative grammar. It has been the subject of extensive discussion during the past decades. We shall review the most important issues that are relevant to the *pro*-drop phenomenon. We shall address two issues: the nature of the *pro*-drop subject and the morpho-syntactic properties that a language must have in order to allow the null category *pro*.

The term "pro-drop" stems from Chomsky's (1981) *Lectures on Government and Binding* as a cluster of properties of which the null *pro* subject was one. Chomsky (1981) discussed the null subject in Spanish, and other similar languages having the pronominal anaphor PRO, and pointed out that the subject position is ungoverned even in finite clauses in *pro*-drop languages. Given this, Chomsky suggested that the attachment of inflectional affixes to the verb is effected by a rule of affix movement ("Rule R"), which lowers inflectional features from INFL to the verb. This rule could illustrate whether or not a language displays the *pro*-drop subject. However, the claim that the *pro*-subject is a pronominal anaphor was abandoned in Chomsky (1982) and in subsequent accounts (1986), (1991) and (1995), on the account that the verb is generally agreed to raise to INFL in the syntax. So, the preceding identification of the *pro*-drop subject as PRO was totally rejected due to differences in referential properties: the former does not share the latter's lack of independent reference (Harbert 1995:221).

It has been observed that the *pro*-drop subject has a specific reference, when it is not pleonastic. Besides, the null category *pro* has the function of a pure

pronominal. Chomsky (1982) points out that *pro* is not [+anaphor, + pronominal] (i.e. the feature of PRO) but [- anaphor, + pronominal]. Hence, *pro* is taken to be the null counterpart of overt pronouns. Harbert (1995:222) illustrates that since the *pro*-subject is not a pronominal anaphor, its occurrence is not linked to the special property of subject positions which is relevant for PRO.

Furthermore, in Chomsky's (1982) theory, *pro* is inserted in the structure to receive a theta role and discharge the Case and AGR, which it carries in pro-drop languages. Chomsky (1982) views the pro-drop parameter in terms of Case. That is, AGR is assumed to have Case in pro-drop languages (as in Italian) and to lack Case in non-pro drop languages (as in English). In this connection, Harbert (1995) observes that the *pro*-drop is associated with agreement morphology in two respects. First, *pro*-drop occurs in languages with rich subject-agreement morphology, such as Italian and Spanish, but not in languages with relatively impoverished agreement morphology, such as French and English. Second, pronouns can have a null realization even in non-subject positions in some languages, where those non-subject positions are associated with agreement morphology. Given this, Huang (1989) stresses that, in perfect tense examples in Pashto, where there is object agreement morphology marked on the verb, object pronouns may be null. On the basis of the richness of subject-agreement considerations, many linguists were let to conclude that the licensing of the null *pro* subject is associated with the rich AGR morphology. However, Perlmutter (1971) argues that the mere ability to recover the feature-content of the subject from the agreement inflection is not enough, since more is involved. It has been noted in Chomsky (1982) that the association between the null subject *pro* and rich AGR morphology was not direct. The licensing of *pro* in subject positions is achieved when INFL determines its content features through nominative Case assignment under strict feature matching. Given this, Harbert (1995) states that this usually happens in languages where INFL is generated with nominative Case features in the base. On the other hand, there are other languages where nominative Case assignment is not done via feature matching, but rather, under structural government, which is not enough for feature-content recovery. Harbert (1995:223) stresses that most subsequent analyses on the null *pro* subject "have implemented the connection more directly; empty elements must be identified- i.e. their phi-feature content (categories such as person, number, gender) must be recoverable from their syntactic surroundings." As far as the identification of *pro* is concerned, Rizzi (1986a) and Borer (1986a) suggest that this is achieved via coindexation with rich AGR morphology.

Before attempting to translate the general association between rich AGR morphology and null *pro* category into an exhaustive theory of *pro*, Safir (1985b), Harbert (1995) and Rizzi (1986a) distinguish between the degrees of the null *pro* subject and classify the languages on the basis of the following typological difference. There are languages like English which do not permit the overt subject pronoun to be "dropped" (whether it is a thematic or pleonastic pronoun). There are languages like Spanish which permit the "dropping" of both the thematic and pleonastic pronouns. There are, however, other languages like German which allow the pleonastic pronoun to be omitted but not the referential pronoun.

Having observed the preceding attempts at arriving at a comprehensive theory of *pro*, let us now briefly point out the major accounts that let to the construction of such a theory. It should be pointed out that Rizzi's (1986a) analysis is regarded to be the most fundamental adequate account on the null *pro* subject on the basis of which the subsequent research and morpho-syntactic analyses have developed. In attempting to provide a unified account Rizzi (1986a) proposes two distinct conditions on *pro* – a *Licensing* condition, applying to all instances of *pro*, and an *Identification* requirement, applying to referential/argumental *pros*. Rizzi (ibid.) illustrates that *pro* is licensed if Case is governed by a licensing head, which can vary from language to language. In languages, like Italian and Spanish, where the null *pro* occurs in the subject position, INFL is a licensing head. In a language like English, where there is no head counted as a licensing head, the null *pro* subject is not permitted to occur in any position at all. Besides, the null *pro* has to be identified, thus satisfying the identification requirement. It must be coindexed with the features of person/number on its Case-governing head.

On the other hand, there are other linguists who have provided some accounts in the attempt to develop theories on the *pro*-drop which can offer an adequate analysis of the phenomenon in both language types. The objective is to capture the generalization that the pro-drop subject appears to occur in languages which have rich agreement paradigms (as in Italian, Spanish) or do not have agreement inflection at all (as in Chinese), but not in languages with partial agreement morphology (as in English and French). In this connection, Jaeggli and Safir (1989) point out that it is the morphological uniformity, but not the rich agreement paradigm, which has an essential role to play in the theory of *pro*. Jaeggli and Safir propose the morphological uniformity on the basis which they argue that Spanish and Japanese are morphologically uniform: the former has inflectional endings throughout the paradigm whereas the latter does not have at all. They state that English is not, since some forms have endings (such as *she leave-s*) while others do not (*I leave*). They conclude that *pro* is licensed only in those languages which do have morphologically uniform paradigms.

Furthermore, Adams (1987) and Gilligan (1987) explore the syntax of the null *pro* subject in German and observe that in German *pro* can be licensed by morphological uniformity but it can not be identified. Other attempts to study the null *pro* is also seen in Bennis and Haegeman (1984) in Flemish and Huang (1989) in Chinese.

3. The Null *pro* Subject in Early Modern English (EME)[1]

3.1. Agreement Inflections in Early Modern English

As there are universal principles shared by all human languages in the Universal Grammar (UG) which govern the world languages, there are also cross-

[1] By Early Modern English (EME) it is meant the type of English that was found in the early seventeenth century, i.e., at about the time when Shakespeare wrote most of his plays (between 1590 and 1600). However, Berk (1999:5) mentions that the EME period spans from (1500-1800). The example sentences of Early Modern English illustrated in this study are cited from Shakespeare's plays.

linguistic variations among languages; such variations (i.e. parameters) are language-specific. One of these language variations is the null *pro* subject parameter. In this section we examine the null *pro* subject in Early Modern English with a view to pointing out the relatively rich system of agreement inflections marked on the verb morphology and show to what extent Early Modern English differs from Modern Standard English in this regard. We focus on finite non-auxiliary verbs and show their morphological features which force overt syntactic movement. Let us illustrate this point in the following examples in (1), data is cited from Radford (1997:119).

1a. Thou say***st*** true. (Petruchio, *Taming of the Shrew*, IV. iii)
b. She take***th*** most delight in music, instruments and poetry.
(Baptista, *Taming of the Shrew*, I. i)
c. Winter tame***s*** man, woman and beas. (Grumio, *Taming of the Shrew*, IV. i)
d. It look***s*** ill, it eats drily. (Perolles, *All's Well That Ends Well*, I .i)

Sentences in (1) demonstrate that Early Modern English has a rich system of agreement inflections. The agreement affixes marked on the verb morphology in (1) illustrate that the inflectional ending suffixed to each finite verb does agree with its respective subject in each sentence. In this connection, Radford (1997:119) stresses that in Shakespearean English three present-tense inflections are found: second person singular *+st*, third person singular *+th* and *+s*. It can be noted that the three present tense inflections are suffixes which mark the agreement features between the verb and the subject of the sentence. This is shown in (1a) where the second person singular suffix *+st*, marked on the finite non-auxiliary verb *sayst*, triggers agreement with the nominative second person singular subject *Thou* 'You'. In (1b) the third person singular marker *+th* suffixed to the finite verb *taketh* is in agreement with the nominative third person singular subject 'She'. It can be noted in (1c) and (1d) that the verb ending is the third person singular *–s* which agrees with a non-human third person singular subject. A closer look at finite non-auxiliary verbs and their respective subject NPs reveals that Early Modern English finite verbs exhibit a strong agreement paradigm due to the fact that it has a relatively rich system of verb-agreement inflections.[2]

3.2. *pro* in Early Modern English

pro is a pure pronominal which lacks phonetic content, the empty counterpart of lexically realized pronouns such as 'she', 'he', 'it', 'they' … etc. By *pro*, it is meant the null (non-overt) *pro* subject which has different Case properties from the PRO subject of infinitives; PRO has null Case. *pro* is conventionally designated as little/small *pro* in generative grammar, whereas its big counterpart is known as big PRO. A null subject is a subject which has grammatical/ semantic properties but no overt phonetic form. The term 'null subject' usually denotes the null *pro* subject,

[2] See Rohrbacher (1994) and Vikner (1995) for more details on the correlation between the strength of agreement features and the relatively rich system of agreement inflections in different languages.

found in finite affirmative or interrogative sentences in languages like Standard Arabic, Italian and Early Modern English, and not the covert subject, found in imperative sentences like *open the window!*, or the covert PRO subject, found in control structures like *The criminal tried to kill the man*.

The preceding section has demonstrated that finite non-auxiliary verbs in Early Modern English carry strong agreement features (i.e. strong person/number specifier features). Given this, the question is: was Early Modern English a null *pro* subject language? The answer to this question can be illustrated in the following examples of Early Modern English in (2) along with their explanation below.

2a. Hast any more of this? (Trinculo, *The Tempest*, II. ii)
b. Sufficeth, I am come to keep my word. (Petruchio, *Taming of the Shrew*, III. ii)
c. Would you would bear your fortunes like a man. (Iago, *Othello*, IV. i)
d. Lives, sir. (Iago, *Othello*, IV. I, in reply to 'How does Lieutenant Cassio?')

Before we proceed to explain the Early Modern English sentences in (2), it is important to provide their present-day counterparts in (3) which require obligatorily the presence of overt subject pronouns, the latter are italicized for convenience.

3a. Have ***you*** any more of this?
b. ***It*** is enough that I have come to keep my word.
c. ***I*** wish you would bear your fortunes like a man.
d. ***He*** is alive, sir.

A careful look at the difference in the data demonstrated in (2) and (3) shows that in the Early Modern English sentences in (2) the null *pro* subject occurs in nominative positions because it is the subject of a finite clause. It can be observed in (2) that the finite non-auxiliary verbs can have a null *pro* subject and such verbs carry strong agreement features. The difference between (2) and (3) illustrates that Early Modern English has a relatively rich system of agreement inflections marked on the verb. These agreement inflections serve to identify the morph-syntactic properties of the null *pro* argument. For example, in (2a) the agreement marker *+st* on the verb *hast* is a second person singular inflection and serves to identify the *pro* subject as a second person singular subject which has the same morpho-syntactic properties as *Thou*; thus satisfying the identification requirement proposed by Rizzi (1986a) that applies to argumental *pros*. This shows that in Early Modern English the feature content of the subject can be recovered from the verbal agreement inflections on the verb morphology, because finite verbs carry strong agreement features and consequently allow a null *pro* in finite clauses.

3.3. Checking Theory: Chomsky (1995)

The checking theory of Chomsky (1995) is an alternative to the derivational approach to inflectional morphology. It is assumed in this minimalist theory that lexical items are inserted in the structure with their inflectional morphology. For example, verbs are inserted fully inflected under V position of VP. The functional elements like T and Agr do not dominate inflectional morphemes; rather they

dominate bundles of abstract features. Since these features are symbols in the syntactic representation, they have to contribute to interpretation. Functional features have to be checked in the course of derivation in order for them to be interpretable, because unchecked features are not interpretable. This means that any syntactic representation which does have uninterpretable features violates the Principle of Full Interpretation; this principle states that each symbol of the syntactic representation of a sentence must be mapped onto the interpretation.

Moreover, feature licensing is accomplished by a matching of the abstract features on a functional head (e.g. T) and a feature in another constituent which acts as the checker or licenser. The checking theory distinguishes two kinds of features: specifier features and head features. In Chomsky (1995), it is proposed that the head T or Agr contains a strong nominal specifier that has to be checked by a constituent with a matching feature, which is here the subject NP/DP. The head features must be checked by a matching head. That is, the head features of T or Agr are licensed by a verb, which has a matching verbal agreement inflection. This suggests that head-feature licensing is achieved when a lexical head is adjoined to the relevant functional head.

Functional heads like T and Agr contain abstract grammatical features (such as, person, number, gender, tense) which may be strong or weak and which have to be licensed by a matching lexical element (which can be a head or a phrase). All movement is aimed at the licensing of abstract head features or specifier features of functional heads. The checking theory states that a head feature has to be licensed by head-movement; a specifier feature must be licensed by a maximal projection in a Spec-head agreement relation. This means that strong features must be licensed by overt movement (i.e. at the level of the Phonetic Form (PF)/S-structure) while weak features have to be checked by covert movement (at the level of the Logical Form (LF)). When a feature has been licensed/checked, it is erased if it is uninterpretable (if it is a purely formal feature with no semantic content). Any uninterpretable features left unchecked (which have not been erased) at LF will cause the derivation to crash (i.e. the derived structure will be ungrammatical).

The preceding section has shown that finite verbs in Early Modern English carry strong agreement features. The question is: Can these verbs move from the head V position of VP into the head I(NFL) position (or the head T position)? The answer to this question can be provided by the checking theory. Let us now consider sentence (1a) above, which is reproduced as (4) below for convenience. The objective is to examine the verb movement and show how strong features are checked in Early Modern English syntax.

4a. Thou sayst true.

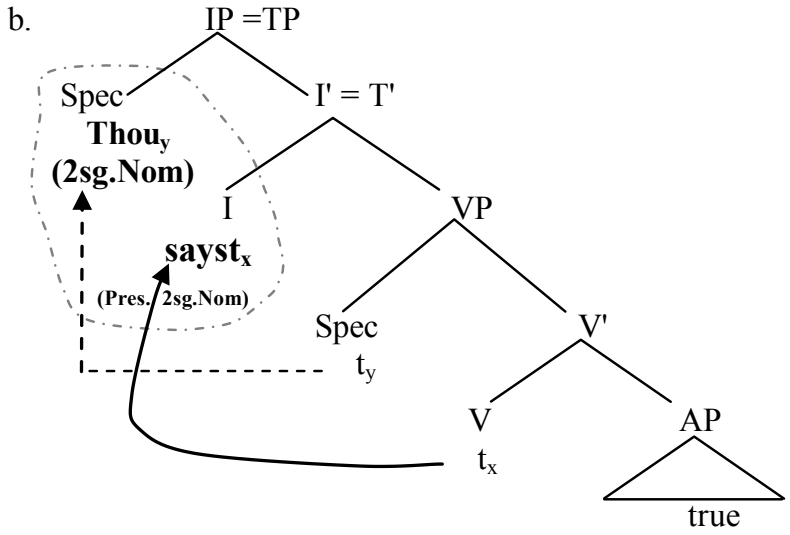

Given the assumptions of the checking theory, strong morphological features force syntactic movement; strong features must be checked in the derivation, since any features left unchecked will cause the derivation to crash. It can be observed that the verb *sayst* in (4), which originates in the head V position of VP, carries strong agreement features. It is the strength of these features that motivates the verb to move overtly to I(NFL) for feature licensing. The [2sg.Nom] features of the subject *Thou* 'You' mark the second person singular nominative head- features of *Thou*; this illustrates that both the features of *Thou* match. Besides, the [Pres.] feature of the verb *sayst* marks its present-tense head feature and the [2sg.Nom] features of *sayst* are specifier-features which require a second person singular nominative subject as its specifier in order for the derivation to show convergence.

Furthermore, the subject NP *Thou* in (4), which originates in the specifer position of VP, has to move overtly to the specifier position of IP. What motivates *Thou* to move higher up is the fact that it has got strong features which have to be checked via a Spec-head agreement configuration. Since there is a subject-verb agreement, due to feature matching, this involves a local checking relation between I(NFL), which has head-features, and its specifier, which has specifier features. The first motivation of the verb movement from V to I(NFL) in (4b) is to enable the specifier features of *sayst* to be licensed against the corresponding head-features of *Thou*. As a consequence of this movement, the two sets of features match and that the specifier features of *sayst* and the nominative Case-feature of *Thou* are erased, for such features are uninterpretable, thus ensuring that the derivation shows convergence. The other motivation of the verb movement from V to I(NFL) in (4b) is to show that INFL carries a tense feature (i. e. the present-tense head-features of *sayst*) which has to be licensed in the course of derivation, ensuring that INFL features are interpretable at the logical form, given the assumption that INFL must carry a tense-feature in order to be interpretable at LF.

The syntactic representation of the clause structure in (4b) has revealed that the morpho-syntactic agreement properties are checked by raising the verb to INFL and the subject to [Spec, IP]. This syntactic movement operation allows the verb to be in a local Spec-head relation with its subject; hence its person/number/Case specifier-features can be licensed in the syntax. The preceding line of analysis is in agreement

with Radford (1997) that this kind of V-movement operation of a finite non-auxiliary verb from the head V position of VP into the head I(NFL) position of IP was productive in the Early Modern English period at the time Shakespeare was writing his plays, around 1600. But this V-movement operation is no longer productive in present-day English.

4. The Null *pro* Subject in Modern Standard English (MSE)

4.1. Overview

English has undergone major historical developments and linguistic changes in its syntax, morphology, semantics, lexicon, phonology …etc. while passing from the old period to the middle period and then finally to the modern period (Bynon, (1977:75-176), Lehman (1992:219-254) and Trask (1996:17-159)). During these historical periods, Jesperson (1938:168-198) points out that, English has lost its relatively rich system of agreement inflection. Jesperson stresses that Modern Standard English can be characterized by (i) the complete disappearance of inflectional details, (ii) the number of distinct vowels has been reduced and (iii) the constant change found in many verbs has been abolished altogether except in the single case of *was, were*.

It can be observed now that the differences between the older stages of English and Modern Standard English can be realized in the sense that in the earlier stage of the language, Case morphology was more prominent. Case was visible on nouns and determiners, as well as on pronouns. In present-day English, Case is visibly on pronouns (Haegeman and Gueron, 1999 and Berk, 1999).

4.2. Movement and Feature Checking in Modern Standard English

In this section we discuss how movement and feature licensing work in Modern Standard English and to what extent it differs from those of Early Modern English with regard to the *pro*-subject property. Let us consider (5) and (5') to illustrate the point.

5a. He/She likes English.	5'a. He/she liked English.
b. I like English.	b. I liked English.
c. We like English.	c. We liked English.
d. They/You like English.	d. They/You liked English.

f.

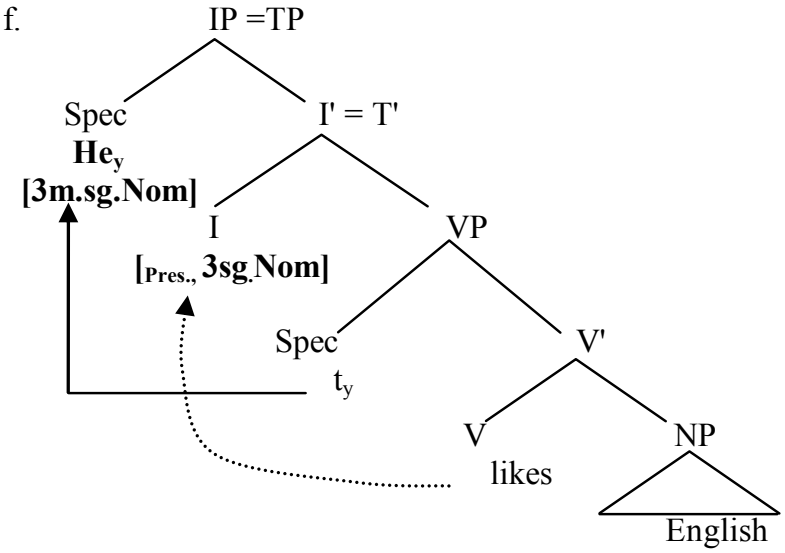

It can be noted that the example sentence in (5a), for instance, is an IP which is headed by the functional head I(NFL). The verb *likes* occupies the head V position of VP and the subject NP *He* occupies the specifier position of VP. The subject NP in Modern Standard English has to move overly to [Spec, IP] for feature licensing. What motivates the subject to move is the need to check its morphological features in a Spec-head relation. However, the verb in Modern Standard English cannot move overtly from the head V position into the head I(NFL) position of IP, because of its poor system of verbal agreement inflection. The verb can move covertly to INFL to check its features; this movement operation has to take place only at LF.

Given this account, the question arises: why do finite (non-auxiliary) verbs not move to INFL in Modern Standard English, while they do in Early Modern English? A possible explanation to this question can be provided if we adopt Chomsky's (1995) minimalist analysis as our framework. Given feature licensing of the checking theory, it can be argued that finite verbs in Modern Standard English carry weak agreement features (i.e. weak person/number specifier features), while their counterparts in Early Modern English carried strong agreement features. It can then be assumed that verbs which have strong agreement features move overtly to INFL whereas verbs carrying weak agreement features cannot do so; the latter can only move at LF. Given this line of analysis, the question is: what decides whether finite verbs carry strong/weak agreement features? This question can be accounted for in terms of the correlation of the richness of the agreement inflections marked on finite verbs. That is, finite verbs have weak agreement features in languages which have poor (abstract) AGR paradigm (as in Modern Standard English) and strong agreement features in languages which have rich AGR paradigm (as in Early Modern English).

Interestingly enough, it can be observed in (5) that whereas third person singular *+s* is the only regular agreement inflection found on present-tense verbs in present-day English, it can be realized that in Shakespearean English (at around 1600) three present tense inflections are found, i.e. second person singular *+st,* third person singular *+th* and *+s*. On the basis of this line of argument, it can be argued

that finite verbs in present-day English have weak agreement features by virtue of their poor system of inflectional morphology.

4.3. *pro* in Modern Standard English

The preceding analysis has shown that the difference in the strength/weakness of the agreement features carried by finite verbs in Early Modern English and Modern Standard English has resulted in a morpho-syntactic difference; Early Modern English was a null subject language whereas Modern Standard English is not. This can be illustrated below, where (5) is reproduced as (6) for convenience.

6a. *[$_{IP}$ *pro* I[$_{VP}$ likes English.]]
 b. *[$_{IP}$ *pro* I[$_{VP}$ like English.]]
 c. *[$_{IP}$ *pro* I[$_{IP}$ like English.]]

All the sentences in (6) are ungrammatical in Modern Standard English because each sentence requires obligatorily the presence of an overt subject. This means that the subject must not be missing in (6). Let us illustrate this further in Chomsky's (1995: 3) own example in (7).

7 * e arrived yesterday. ('he arrived yesterday')

Chomsky (1995) points out that the empty category in (7) is a pronominal element, which he calls *pro*. Chomsky (1995:3) states that in (7) "the empty category *pro* is not permitted in this position in English; the counterpart would be grammatical in Italian, a null subject language."

It can be obvious that finite verbs cannot have a null *pro* subject in a language like Modern Standard English where they carry weak agreement inflections. The question posed in this account is: why should this happen in Modern Standard English? The answer can be attributed to the fact that the poor system of agreement inflection in Modern Standard English does not allow us to identify the null subject. That is, the feature content of the subject cannot be recovered from the morpheme on the verb morphology. In this connection, Radford (1997:120) states that since Modern Standard English has a weak system of agreement, its agreement morphology is too impoverished to allow identification of a null *pro* subject. (8) illustrates the point.

8a. *[$_{IP}$ *pro* I[$_{VP}$ can go.]]
 b. *[$_{IP}$ *pro* I[$_{IP}$ may come.]]

If we ask questions like (8a and b), we will not be able to tell from the agreementless form *can/may* whether the subject NP is *she, they, we, he, I, it, you,* or whatever. In other words, the agreementless form *can/may* does not serve to identify the null subject, because it is unable to recover its feature content. Hence, the poor AGR morpheme on the verb is too weak to pick up the subject identity. The reason why this happens in Modern Standard English supports the fact that Modern Standard English has lost its verbal inflections. As a consequence of this, present-day English

has lost certain morpho-syntactic properties such as, the null *pro* subject, overt V-movement, overt Case-marking, among other things.

5. The null *pro* subject in Standard Arabic

5.1. Previous accounts

5.1.1. Traditional Arab Grammarians

The traditional Arab grammarians developed in their syntactic analysis a notion which seems to be identical to the null *pro* which they referred to as *al-dhamir al-mustatir* 'the hidden or concealed pronominal' in their own grammar.

Let us have a closer look at their syntactic treatment of what they call 'the hidden subject' in the following examples in (9) and (10).

9a. katab – at **hind – un** risaalat – an
wrote-(AGR) f.sg. **Hind-nom.** letter-acc. indef.
'Hind wrote a letter'

b. katab – at risaalat – an
wrote-(AGR) f.sg. letter-acc. indef.

10a. **hind – un** katab – at risaalat – an
Hind-nom. wrote-(AGR) f.sg. letter-acc. indef.
'Hind wrote a letter'

b. katab – at risaalat – an
wrote-(AGR) f.sg. letter-acc. indef.

The traditional Arab grammarians differentiated between the verbal and nominal sentence in their syntactic treatment. For them (9) is a verbal sentence (because it begins with a verb), while (10) is a nominal sentence (because it begins with an NP). The traditional Arab grammarians viewed the subject in (9b) and (10b) as 'hidden' or 'concealed' (to use their term). They identified the morpho-syntactic identity of 'the hidden' subject through the gender agreement manifested on the verb inflection. Furthermore, they argued that (10a) has two subjects; they viewed the first subject 'Hind' (which occurs sentence-initially and precedes the verb) as the topic while they treated the second (which immediately follows the verb) as the 'hidden' or 'concealed' subject (the latter has been analyzed as the null *pro* in the syntactic analysis of generative grammar). It should also be pointed out that the traditional Arab grammarians stressed that there is only one subject position (and not two) in (10b).

However, their structurally approach to the syntactic analysis of the empty category *pro* could not provide an adequate account of the subject for it could not address and point out the morpho-syntactic as well as the semantic properties of *pro* in the same way the transformational-generative approach has done. Hence, our analysis on the subject will be based on the minimalist framework of Chomsky (1995).

5.1.2. Ouhalla's (1991) account

Ouhallah (1991) assumes that preverbal subjects in Standard Arabic are topics base-generated in the specifier position of TNSP (= IP) and are coindexed with a

resumptive *pro*, which occupies the specifier position of AGRP, and acts as the subject of the sentence at the surface structure. In this position, Ouhalla points out that the null *pro* is identified and assigned Case. This can be illustrated in (11), the tree-representation is cited from Ouhalla (1991).

11.

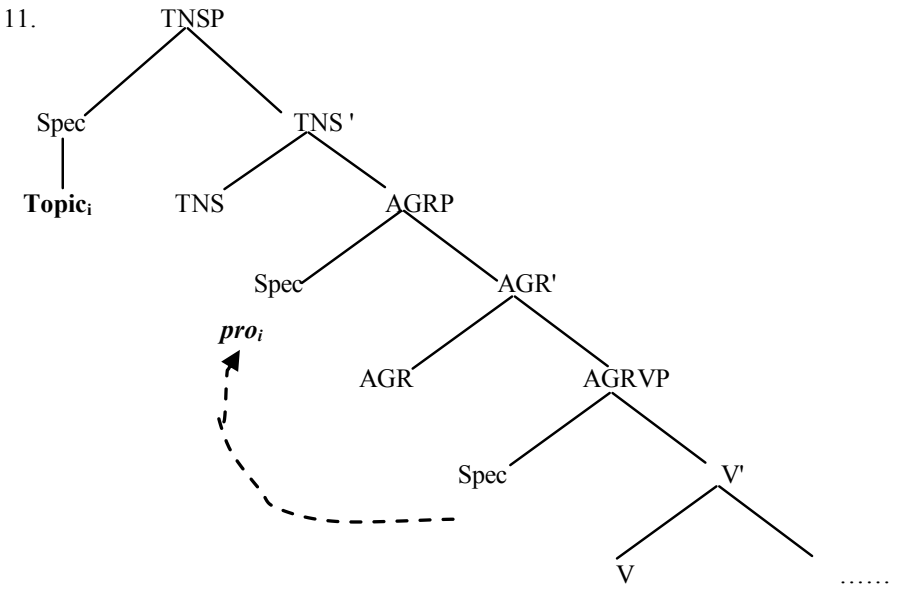

Ouhalla (1991) stresses that the analysis above outlined for constructions with preverbal subjects/topics amounts to the claim that the agreement relation they display is of the same kind as the agreement relation found in the following postverbal sentences with a null *pro* subject, as shown in (12).

12a. ?ishtar – uu daar – an
bought-3m.pl. house- acc.
'They bought a house.'

b. qara? – uu kitaab – an
read-3m.pl. book-acc.
'They read a book.'

Ouhalla emphasizes that these constructions in (12) are like their counterparts with preverbal subjects/topics in that they contain a *pro* argument. However, we shall present a different argument from Ouhalla's (1991) and that our analysis will be based on the minimalist framework of Chomsky (1995).

5.1.3. Fassi-Fehri's (1993) treatment

Fassi-Fehri (1993) discusses pronominal bound forms on verbs in Standard Arabic which can be analyzed as inflectional agreement markers under AGR or I. Fassi-Fehri stresses that these bound forms serve to identify empty (*pro*) arguments. Let us see how Fass Fehri treats the occurrence of *pro* in his analysis of bound forms on verbs. This can be illustrated in (13).

13a. waSal - uu
arrived-3.pl.m.
'They (m.) arrived.'

b. waSal – na
arrived- 3.pl.f.
'They (f.) arrived.'

Fassi-Fehri states that if the bound form marked on the verb in (13) were treated as an AGR marker, agreeing with a null *pro*, (as shown in Chomsky, 1982 and Rizzi, 1982, 1986), then it can be predicted that, on the basis that the subject argument is overtly present, the same AGR marker must be found. The expected result is not correct, as illustrated by the ungrammatical sentences in (14).

14a. *waSal – uu al -?awlaad - u
arrived-3.pl.m. the- boys-nom.
Literally: They arrived the boys.

b. *waSal– na al- banaat - u
arrived-3.pl.f. the- girls- nom.
Literally: They arrived the girls.

Given this, Fassi-Fehri observes that only a poor AGR marker is compatible when a syntactic subject is phonetically present. This can be shown by (15).

15a. waSal – a al -?awlaad - u
arrived-3.m. the- boys-nom.

b. waSal – at al- banaat - u
arrived-3.f. the- girls- nom.

Although Fassi-Fehri's analysis provides a good account of pronominal bound forms on the verb morphology in Standard Arabic that can be used as either as a pronoun or an inflection, it does not offer a satisfactory treatment of the null *pro* subject and how it is identified and licensed in the syntax.

5.1.4. Mohammed's (1990) analysis

In his analysis of the problem of subject-verb agreement in Standard Arabic, Mohammed (1990: 95-125) discusses briefly the null *pro* subject and views it as an expletive pronominal in Arabic. Mohammed also presents some contexts in which an expletive pronoun can be found in Arabic. He assumes that Arabic is underlyingly an SVO language. He examines agreement within an extended SVO analysis and points out that the verb agrees with its subject only if the subject precedes the verb and that the subject and the expletive pronoun can co-occur. He argues that in VS sentences the agreement features marked on the verb morphology are the result of the presence of the expletive subject. He suggests "a configuration that can create two subject positions: one position for the real subject and another for

the expletive subject", (p. 115). He proposes that "VS sentences in Arabic have the structure in (16) (irrelevant detailed omitted):

16. $_{S}[$ [NP *pro*] [V NP]

where NP is the subject", (p.115).

Having seen Mohammed's (1990) proposal of agreement within an extended SVO analysis, let us look at how Mohammed's double subject proposal works in the configuration in (17), which he takes to be the structure underlying a simple sentence in Standard Arabic.

17.

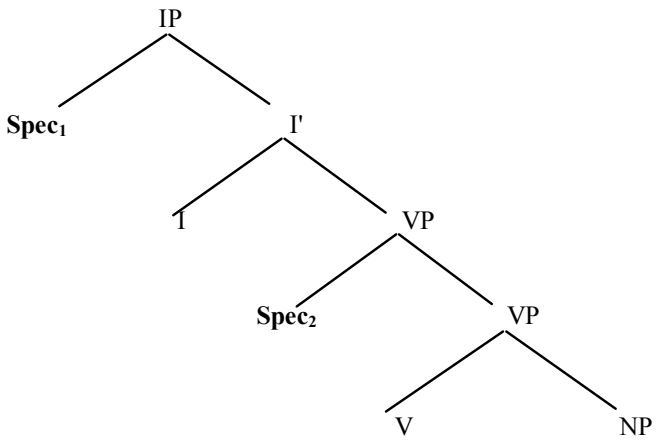

Mohammed states that (17) gives us two subject positions: $Spec_1$ of IP is for the first subject and $Spec_2$ of VP for the second subject. Mohammed argues that syntactic raising/movement must be barred. He illustrates that "This is because Spec of IP seems to have properties identical to those that were attributed to the subject position of raising verbs; both positions are A-positions and θ- positions. For the sake of consistency, we will assume that there is no Spec-of-VP to Spec-of-IP movement" (p. 118). He concludes that the appearance of *pro* in Spec of IP is optional. "If it appears, it has to be in the domain of INFL. If it does not appear, then I(NFL) moves and adjoins to V in order to have its agreement features dictated by a c-commanding subject", (p. 118).

Although Mohammed's (1990) analysis provides some useful insight into the analysis of subject-verb agreement in Standard Arabic, it does not offer a satisfactory account of the null *pro* subject. Let us summarize his argument in the following two points: (i) Mohammed assumes a configuration which can create two subject positions in one finite root clause in Standard Arabic: one position for the real subject occupying [Spec, IP] and another position for the expletive subject at [Spec, VP], and (ii) Mohammed assumes that there is no syntactic raising/movement of the subject from [Spec, VP] to [Spec, IP] and that such raising/movement is barred.

Given this, we will adopt a different position from Mohammed's (1991). We shall provide an alternative analysis based on the minimalist framework. We shall show that these two arguments of Mohammed are not satisfactorily adequate and that the shortcomings in these two arguments can best be overcome by the checking

theory of Chomsky (1995). We shall argue that in a VSO/SVO finite clause in Standard Arabic only one subject position is essentially required and that the syntactic movement of the subject from [Spec, VP] to [Spec, IP] (or potentially Spec of TP) is an essential operation to license the strong morphological features of the subject. In other words, we shall show how the morphological features of the subject and verb are checked while raising/moving them higher up to their relevant positions in the clause structure of Standard Arabic. We shall also argue that the null *pro* subject moves from the specifier position of VP to [Spec, IP] for feature checking considerations, in order for the derivation to show convergence. More detailed analysis on this issue will be provided later on in the section of Standard Arabic.

5.2. *pro* in Standard Arabic

5.2.1. The Dropping of Subject Pronouns in Finite Clauses

In this section we attempt to show the occurrence of the null *pro* subject in finite sentences and examine whether or not Standard Arabic allows the pronominal subject to 'drop'. This can be demonstrated in (18)and (19).

18a. **huwa** ya – ktubu kitaab – an
he 3m.(AGR) write-pres. book-acc-indef.
'He writes a book.'

b. [$_{IP}$ **huwa** I[$_{VP}$ ya-ktubu kitaab-an]]

19a. ***pro*** ya – ktubu kitaab – an
3m.(AGR) write-pres. book-acc-indef

b. [$_{IP}$ ***pro*** I[$_{VP}$ ya-ktubu kitaab-an]]

The missing subject in the pro-drop example in (19) clearly has the interpretation of a pure pronominal, on a par with its overt counterpart with an overt pronominal subject in (18). In (19) the null subject *pro* has an antecedent in the discourse much like overt pronouns in the same context.

From sentences in (18a-b) and (19a-b) it can be noted that pronominal subjects are not compulsory (i.e. optional) in finite clauses in Standard Arabic. That is, such pronominal subjects can either be present, as in (18), or absent, as in (19). Unlike Modern Standard English, Standard Arabic permits the subject of a finite clause to remain non-overt. In the syntactic representation in (19a-b), the subject of *ya-ktubu* 'writes' is the null *pro*, which is a non-overt variant of the overt pronoun *huwa* 'he' in (18), which could not also occupy the subject position (19b). The non-overt pronominal subject of a finite clause in Standard Arabic is represented as a non-overt pronoun, *pro*. This shows that since Standard Arabic allows subject pronouns to 'drop', it is a pro-drop language. Moreover, it can be noted that the null *pro* subject in (19) realizes the external argument of *ya-ktubu* 'writes', since it is associated with the AGENT thematic role.

In this connection, the question that arises in this context is: why does Standard Arabic allow subject pronouns to 'drop' in finite clauses while Modern Standard English does not? The answer to this question can be attributed to the fact that Standard Arabic has a rich inflectional system of agreement morphology. That is, Standard Arabic permits pronominal subjects to 'drop' because their morpho-syntactic content can be recovered from the subject AGR morpheme marked on the verb morphology. In the next section we discuss how the content features of the subject *pro* and the rich agreement inflections on the verb can be identified in Standard Arabic.

5.2.2. The Identification of the *pro* and Rich AGR(ement) Inflection

Let us examine the rich agreement inflections manifested in the Standard Arabic AGR paradigm below in order to show how the *pro* can be recovered from the verb morphology. This can be demonstrated in (20), (21) and (22).

Singular

20a.	(1s.m/f.)	(?anaa)	?a – ktubu	'I write'
b.	(2s.m)	(?anta)	ta – ktubu	'You write'
c.	(2s.f.)	(?anti)	ta – ktubi	'You write'
d.	(3m.s.)	(huwa)	ya – ktubu	'He writes'
e.	(3s.f.)	(hiya)	ta – ktubu	'She writes'

Dual

21.	(dual f/m)	?antumaa	ta – ktubaani	'You (both) write'

Plural

22a.	(1pl.m/f.)	(nahnu)	na – ktubu	'We write'
b.	(2pl.m.)	(?antum)	ta – ktubuuna	'You write'
c.	(2pl.f.)	(?antunna)	ta – ktubna	'You write'
d.	(3pl.m.)	(hum)	ya – ktubuuna	'They write'
e.	(3pl.f.)	(hunna)	ya – ktubna	'They write'

As shown in (20), (21) and (22), the inflectional paradigm in Standard Arabic is largely rich; there are eleven distinct forms where every number/person/gender combination has a different affixal form. The inflectional agreement paradigm in Standard Arabic distinguishes eleven persons uniquely whereas the present tense paradigm in present-day English distinguishes only two forms, since they are the only two left, the inflectional form *'–s'* (used for the third person singular present tense) and the bare system of the verb (used for all other persons).

A closer look at (20), (21) and (22) reveals that the agreement features overtly encoded in the AGR category make the presence of subject pronouns with identical agreement features redundant. From (20), (21) and (22), it can be realized that the AGR paradigm in Standard Arabic is rich enough to be identified; the feature-content of a dropped subject pronoun can easily be recovered from it, whereas the AGR in English is largely poor in the sense that the feature content of a dropped subject pronoun cannot be recovered form it. This further explains why

Standard Arabic is a pro-drop language whereas English is not. It can be pointed out that the pro-drop phenomenon is permitted only in languages where the feature-content of the dropped pronoun can be recovered from AGR.

Moreover, what decides the availability of the null *pro* subject is the inflectional paradigm of the language, given that the rich agreement inflection marked on the verb is realized as the basis of the setting of the phenomenon of the pro-drop parameter.

Furthermore, the missing subject of the pro-drop sentences in Standard Arabic illustrated above has the interpretation of a pure pronominal, especially when compared with its overt counterpart in the examples with an overt subject pronoun. In this connection, Rizzi (1982, 1986) views a pure pronominal null category as the one which functions as the subject in pro-drop sentences. Since the null *pro* subject is a symbol in the language structure, it has to be interpreted in order to be interpretable. The *pro* element is subject to the Empty Category Principle, as an identification requirement. It can be argued that what identifies the null *pro* subject is the rich verbal agreement inflections on finite verbs, which render the empty *pro* interpretable. Hence, the rich AGR-morphology identifies the null *pro* subject in Standard Arabic. In addition to being licensed, argumental *pro* must be identified through binding by grammatical features on the licensing head. In order to be coreferential, an NP hast to be specified for person/number on its Case-governing head. Hence, the presence of rich agreement morphology is a necessary condition for this mode of identification.

Furthermore, it can be pointed out that overt realization of the pronominal subject in Standard Arabic has some semantic content, since it signals focus on the subject. This can be illustrated in (23a).

23a. [$_{IP}$ **hiya** I[$_{VP}$ ta – ktubu risaalat – an]]
she 3f.sg.(AGR) write-pres. letter-acc.- indef.
'She writes a letter.'

b. [$_{IP}$ ***pro*** I[$_{VP}$ ta – ktubu risaalat – an]]
3f.sg.(AGR) write-pres. letter-acc.- indef.

But if focus on the subject is not needed, then the subject pronoun remains non-overt (i.e. null), as in (23b). The reason why this happens can be explained in terms of the economy principle.[3] Given this principle, the overt presence of the subject pronoun is less economical than leaving it null (i.e. phonetically empty). This means that the overt expression of the subject pronoun demands some phonetic material (or sound) whereas this is not required when it is non-overt or null.

5.2.3. Conditions on the Licensing of *pro*

After exploring the identification nature of the null category *pro* in null subject structures, we now need determine the occurrence of *pro* and how it is licensed. This

[3] Economy Principle is a principle which requires that (all other things being equal) syntactic representation should contain as few constituents and syntactic derivations and involves as few grammatical operations as possible (Radford, 1997:259).

will help explain the difference between Standard Arabic and Modern Standard English. This can be illustrated in (24) and (25).

24a. *pro* ta – ktubu qiSSat – an
3f.sg.(AGR) write-pres. story-acc.-indef

b. [$_{IP}$ *pro* I[$_{VP}$ ta – ktubu qiSSat – an]]

25a. *has written a story.
b. *[$_{IP}$ *pro* I[$_{VP}$ has written a story]]

Unlike Standard Arabic, which allows the null *pro* to occur in the subject position in (24), the argument *pro* cannot show up in the subject position of finite clauses in Modern Standard English in (25). The difference between both languages supports our argument that what allows the presence of the *pro* in finite clauses in Standard Arabic relies heavily on the presence of the overtly rich AGR inflection responsible for the identification of the feature-content of the null *pro* subject. Hence, the null *pro* is licensed by an overt (rich) AGR morpheme which is coindexed with it. This line of argumentation is in agreement with Ouhalla's (1999:313) licensing condition on the appearance of *pro*, stated in (26), where he examines the morpho-syntactic occurrence of *pro* in Italian and English.

26. Condition on the licensing of *pro*
pro is licensed by an overt (rich) Agr category coindexed with it.

Given the preceding analysis supported by Ouhalla's licensing condition on *pro*, it can be concluded that the rich verbal (AGR)eement inflection licenses the null subject *pro* in Standard Arabic. It can also explain the reason why English does not permit the null *pro* element in finite clauses; the poor system of agreement morphology cannot license the empty category *pro* in Modern Standard English.

5.3. Alternative Analysis

In this section, we provide the alternative analysis based on the minimalist framework of Chomsky (1995). The position we adopt in this study differs from the arguments posited in Mohammed (1990), Ouhalla (1991) and Fassi-Fehri (1993); the first two argue in favor of assuming a configuration which can create two subject positions in a single finite clause of Standard Arabic: the first position is for the real subject occupying [Spec, IP], while the second is for the expletive *pro* occupying [Spec, VP]. We argue that in a single finite clause of Standard Arabic one subject position is essentially needed in the VSO and SVO sentences to account for the syntactic occurrence of the null *pro* subject. We also offer an argument where the null *pro* element can have the same morpho-syntactic agreement properties and treatment both in the VSO and SVO structures in Standard Arabic. The argument that we posit here has found support from the Checking Theory of Chomsky (1995) in the sense that the feature licensing and movement of the subject *pro* and the verb are neatly accounted for; the checking theory has made easier the task of accounting

for the agreement properties of the *pro* element in finite clauses of Standard Arabic. Let us consider the following examples in (27), (28), (29), and (30) to illustrate the point.

VSO

27a. jaa? – a al-walad – u
came-3m.sg. the-boy-nom.
'The boy came'

b. jaa? – a al-walad – aani
came-3m.sg. the-boys-dual-m.nom.
'The (two) boys came'

c. jaa? – a al-?awlaad – u
came-3m.sg. the-boys-m.pl.nom.
'The boys came'

28a. jaa? – at al-bint – u
came-3f.sg. the-girl-nom.
'The girl came'

b. jaa? – at al-bint – aani
came-3f.sg. the-girls-dual-f.nom.
'The (two) girls came'

c. jaa? – at al-banaat – u
came-3f.sg. the-girls-pl.f.nom.
'The girls came'

SVO

29a. al-walad – u jaa? – a
the-boy-nom. came-3m.sg.
'The boy came'

b. al-walad-aani jaa?-aa
the-boys-dual-m.nom. came-dual.m.
'The (two) boys came'

c. al-?awlaad – u jaa? – uu
the-boys-m.pl.nom. came-m.pl.
'The boys came'

30a. al-bint – u jaa? – at
the-girl-nom. came-3f.sg.
'The girl came'

b. al-bint – aani jaa? – at – aa
the-girls-dual.f.nom. came-dual.f.
'The (two) girls came'

c. al-banaat – u ji? – na
the-girls-f.pl.nom. came-f.pl.
'The girls came'

A closer look at the VSO and SVO examples in (27) and (28) reveals that the verb inflection agrees only with the subject in gender, and not in person and number. The verb in (27) and (28) remains in the singular form in spite of the fact that the number of the subject in each sentence changes from singular to dual to plural, respectively. It can be pointed out that the VSO word order in Standard Arabic allows only partial agreement between the AGR-morpheme on the verb and the subject of the sentence. This partial agreement is in gender features, as shown in (27) and (28).

However, the SVO sentences in (29) and (30) illustrate that the verb and the subject of the sentence agree fully in the phi-features (i.e. gender, person and number features). This shows that the SVO word order displays complete agreement between the AGR-morpheme on the verb and the subject in gender, person and number features.

Let us now examine the pro-drop of the subject in the VSO and SVO sentences in Standard Arabic and show the morpho-syntactic properties of the *pro*. The sentences in (27), (28), (29) and (30) will be produced in (31), (32) , (33) and (34) but with null *pro* subjects.

VSO

31a. jaa? – a
came-(AGR)3m.sg.

b. jaa? – aa
came-(AGR)dual.m.

c. jaa? – uu
came-(AGR)3m.pl.

32a. jaa? – at
came--(AGR)3f.sg.

b. jaa? – at – aa
came-(AGR)dual.f.

c. ji? – na
came--(AGR)3f.pl.

31'b. *jaa? – a
came-(AGR)3m.sg.

c. *jaa? – a
came-(AGR)3m.sg.

32'b. *jaa? – at
came--(AGR)3f.sg.

c. *jaa? – at
came--(AGR)3f.sg.

SVO

33a. jaa? – a
came-(AGR)3m.sg.

b. jaa? – aa
came-(AGR)dual.m.

c. jaa? – uu
came-(AGR)3m.pl.

34a. jaa? – at
came--(AGR)3f.sg.

b. jaa? – at – aa
came-(AGR)dual.f.

c. ji? – na
came--(AGR)3f.pl.

It can be observed in the sentences with overt lexical subjects in (27), (28), (29) and (30) that the verb *jaa?* 'came' assigns its external theta role to the subject NP/DP in each sentence. By analogy, we assume that the same is true of the occurrence of *jaa?* 'came' in the sentences with null *pro* subjects in (31), (32), (33) and (34). On the basis of the Extended Projection Principle (EPP),[4] we postulate that there is a subject position, [Spec, IP], in all the examples in (27-30) and (31-34) above. The projected subject positions of the verb *jaa?* 'came' in (31), (32), (33) and (34) are NP-positions which are not phonetically realized and in which the external theta roles of the verbs are realized. We postulate that the specifier position of IP is occupied by an empty/zero element. The question is: what are the properties of this empty/zero NP?

The empty/zero element in (31), (32), (33) and (34) has definite reference: its interpretation is like that of an overt pronoun. Like a pronoun it may refer to an entity in the non-linguistic context (31-34), or it may be coindexed with an element in the linguistic context. In other words, the non-overt subject in (31-34) is the missing non-overt NP: it is a non-overt pronoun. The null element has the feature

[4] EPP is a principle of Universal Grammar (UG) which states that not only lexical properties of words be projected in the syntax, but in addition, regardless of their argument structure, sentences must have subjects.

combination [-Anaphor, +Pronominal]. This non-overt NP is represented by *pro*, 'small *pro*'.

Surprisingly enough, the data in (31), (32), (33) and (34) provide an interesting observation. It was expected that when the overt lexical subjects of the sentences are dropped the agreement inflections on the verbs in the VSO sentences in (31) and (32) would remain unchanged, but this does not happen. If they remain unchanged, then ungrammatical derivations will be produced, as shown in (31') and (32'). The reason why (31') and (32') are ungrammatical can be attributed to the fact that they are an example of a feature mismatch demonstrated in a Spec-head agreement relation, where the agreement features of the dual masculine subject (encoded in the *pro* subject) cannot match the third person singular features marked on the verb inflection. The same is true of (32'); the plural masculine subject (which is the *pro* subject) cannot match the singular features on the AGR-morpheme marked on the verb. Hence, the ungrammaticality of (31') and (32') can be attributed to a violation of the identification requirement on the licensing of the *pro* thematic subject. The AGR-features instantiated on the verbs in (31') and (32') are singular and therefore cannot license a *pro* argument with dual or plural features. It can be noticed that the *pro* in (31') and (32') has features, reflected by the overt subjects, which are different from those of the AGR-features.

If we compare between the VSO sentences with lexical lexical subjects in (27-30) and those with null subjects in (31-34), then we can find that when the lexical subject is overtly present, the AGR-morpheme on the verb shows partial agreement between the verb and the subject (as in (27-30)), and when the subject is phonetically null (as in (31-34)), the AGR-morpheme on the verb illustrates complete agreement between the verb and the subject, the latter is here the null *pro* subject. This illustrates that in the VSO sentences the verb morphology behaves differently depending on whether the subject is phonetically absent or present. When the overt lexical subject is dropped in the VSO sentences, the verb agreement inflection appears morphologically identical to that of the SVO sentences. For example, the VSO verb inflection in (31) is the same as the SVO verb inflection in (33); the same is true of (32) and (34). When the subject is phonetically null, the AGR-morpheme on the verb in the VSO sentences takes the same morphological shape as the AGR-morpheme marked on the verb in the SVO sentences. Hence, the AGR-morpheme on the verb, in each VSO and SVO sentence, agrees fully with the *pro* argument occupying the subject position of [Spec, IP] in gender, person and number features. This further stresses that there is complete agreement between the null subject *pro* and the AGR-morpheme on the verb in these VSO and SVO structures.

The reason why this happens in the VSO and SVO sentences can be attributed to the fact that Standard Arabic resorts to this technique in order to satisfy the identification requirement, ensuring that the recoverability of the subject identity is satisfied. What allows Standard Arabic to do this is due to the richness of its verb morphology.

In the next section, we discuss the feature licensing of the *pro*, how it originates in [Spec, VP] and why it subsequently moves to the thematic and structural subject position of the sentence, occupying [Spec, IP].

5.4. *pro* and Feature Licensing

Given that the tense head has both verbal and nominal features, Chomsky (1995:350,364), (and in subsequent works (1998, 1999, 2000)) proposes that tense in English is specified for two categorical features: the D-feature and V-feature. The V-feature illustrates the interaction between the tense and the verb while the D-feature decides the interaction with the subject. Given feature checking, the V-feature must be licensed by a verbal head, while the D-feature can be checked by a nominal head, namely the subject.

Chomsky (1995) suggests that the D-feature of I(NFL) is strong in English. The strength of the D-feature forces the subject to move overtly from [Spec, VP] to the specifier position of IP for feature checking purposes. The V-feature of I(NFL) is, however, weak in English and does not motivate main verbs to move overtly to the head I(NFL) position in overt syntax; the verb can only move at LF to check its features.

Chomsky (1995:199) points out in his minimalist analysis that "Arabic allows weak and strong inflection, hence weak and strong NP-features;[5] Arabic is a suggestive case, with SVO versus VSO correlating to the richness of its visible verb inflection." Given the VSO and SVO sentences in (31-34) with null *pro* subjects, where the argumental *pro* and the AGR-morpheme display the same morphological features, we assume that the D-feature of I(NFL) is strong in Standard Arabic and that the *pro* is necessary in these structures to check this D-feature. However, if we assume that the D-feature of I(NFL) is weak in these VSO and SVO sentences, we would expect the subject to remain inside [Spec, VP] at LF. But this does not happen. The reason why this does not happen can be attributed to the strength of the D-feature that motivates the movement of the *pro* subject for feature licensing on the assumption that morphological features have to be checked in order for the derivation to show convergence.[6]

Let us illustrate this below by choosing two examples from the VSO and SVO sentences with null subjects illustrated in (31-34) above and reproducing them as (35) and (36) for convenience.

35a. jaa? – aa
came-dual.m
'They (both) came'

b. [$_{IP}$ *pro* I[$_{VP}$ jaa? – aa]]

---

[5] The term 'NP-features' is also referred to as 'D-feature' in Chomsky (1995, 1998, 1999, 2000), given that the NP has been broadly analyzed as a DP in the recent analysis of the minimalist framework.

[6] Platzack (1994) assumes that the D-feature of I(NFL) is weak in a pro-drop language like Italian. Due to the weakness of the D-feature of I, Platzack takes *pro* to be in the VP-internal position before Spell-Out. However, as quoted in Manzini, R. M. and Savoia, L. M. (1997), Cardinalewtti (1994) and Donati and Tomaselli (1997) provide an argument against this analysis that *pro* cannot be in the position of the postverbal subject in the overt syntax.

36a. jaa? – uu
came-m.pl.
'They came'

b. [$_{IP}$ *pro* I[$_{VP}$ jaa? – uu]]

(35) and (36) are null *pro* subject sentences (sentences whose subjects are dropped or missing). In (35) and (36) the subject position is occupied by a *pro* argument which is the thematic and structural subject of the sentence. The question is how to account for the null *pro* subject and how its nominative Case and agreement features are licensed as well as why it moves from the VP-internal position to [Spec, IP] for feature checking in the course of derivation.

It can be observed that the minimalist EPP is perfectly consistent with the derivations in (35) and (36) which takes the D-feature of I(NFL) to be strong. *pro* is essential in (35) and (36) to check the D-feature. Since the D-feature of I(NFL) is strong in (35) and (36), *pro* is expected to originate in the VP-internal position and then moves for feature licensing. If we assume that subjects arise inside VPs, then they have to move overtly or covertly to the specifier position of IP for feature licensing requirements. Given this, we argue that in the VSO and SVO structures with null *pro* arguments in Standard Arabic, the subject *pro* originates in [Spec, VP], and then it moves to the thematic and structural subject position occupying [Spec, IP]. The movement of the *pro* is motivated morphologically by the fact that the D-feature of I(NFL) is strong; the strength of inflection forces the null subject *pro* to move for licensing its nominative Case and agreement features via a Spec-head agreement relationship.

Furthermore, strong inflection can be manifested in overt agreement morphology on the verbs in (35) and (36) where the AGR-morpheme on each verb agrees with the *pro* subject in gender, person and number features. For instance, the AGR-morpheme on the verb (-aa) in (35) is a dual masculine and agrees with a dual masculine nominative subject, which is here the null *pro* subject. Similarly, the AGR-morpheme on the verb (-uu) in (36) is a third person plural masculine which agrees fully with a third person plural masculine nominative subject, i.e. the *pro*. This further demonstrates that the phi-features marked on each verb in (35) and (36) are distinguishable because of the richness of the visible verb inflection in Standard Arabic.

Since the features of the subject match the nominal features of I(NFL) in (35) and (36), the features of the subject (i.e. nominative Case and agreement features) will be checked in the course of derivation. Hence, feature checking takes place between a head and its specifier via a Spec-head agreement relationship (the latter is between the head I(NFL) position and the specifier position of IP). In the Spec-head configuration, agreement relations are highly local, where there has to be a feature match between the morphological features encoded in the functional head I(NFL) and those features of the subject encoded in the specifier of IP so that the derivation can show convergence. If not, the derivation will crash. In other words, the Spec-head agreement relationship involves checking the nominative Case features and the

agreement features of the *pro* subject as well as the tense feature of the verb. This can be illustrated on the tree-representation of the Arabic clause structure in (37).

37a.

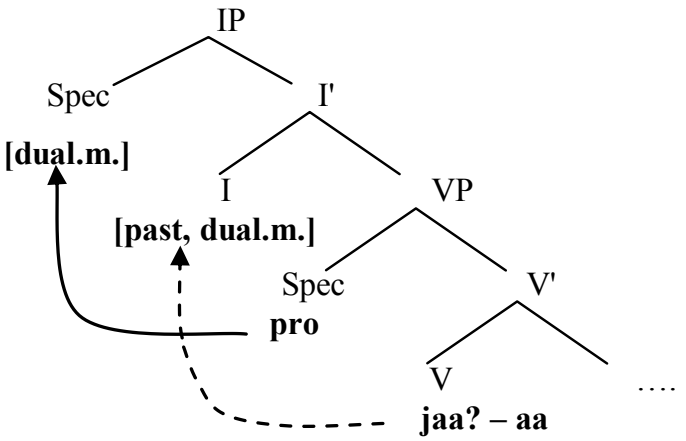

37b.

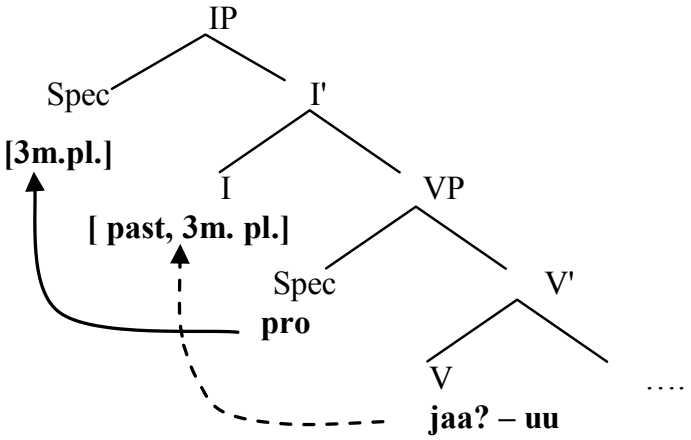

Following Fakih's (2003, 2006, 2007a and b) minimalist analysis[7] of the verb feature licensing in Standard Arabic, we argue that the V-feature of I(NFL) is invariably strong in Standard Arabic. The strong features of the tense motivate the verb to move overtly to check off its morphological features against those features encoded in the head I(NFL) position of IP. If the verb features match the morphological features of the functional head (i.e. the head I(NFL) position) it adjoins to, the features of the verb will be licensed, as shown in the grammatical representations in (37a and b), thus ensuring that feature checking takes place between adjoined elements in a head. In (37a and b) the verb undergoes overt raising/movement to check its tense features against those abstract morphological features encoded in the functional head I(NFL) position. Once features are checked, they get erased in the syntax.

[7] In Fakih (2003, 2006, 2007a and b) we assumed that the V-feature of I(NFL) is strong in Standard Arabic on the assumption that the richness of the visible verb inflection forces strong inflections to move overtly for feature checking considerations.

6. Conclusion

This paper has explored the syntax of the null *pro* subject in Early Modern English, Standard Arabic and Modern Standard English and has shown that the grammar of Early Modern English and Standard Arabic differs from that of the latter (i.e. Modern Standard English). In finite clauses of Early Modern English and Standard Arabic the subject position can be occupied by an empty category, *pro*. However, this property is not found in Modern Standard English because the latter is not a pro-drop language. That is, there is a parametric variation between Early Modern English and Standard Arabic, on the one hand, and Modern Standard English, on the other, in respect of the null subject parameter in that Early Modern English and Standard Arabic allow the null category *pro* in the subject position of finite clauses, with *pro* having the interpretation of a subject pronoun. It can be pointed out that the availability of the null *pro* subject in Early Modern English and Standard Arabic and its absence in Modern Standard English is related directly to the idea that verbal agreement inflection in Early Modern English and Standard Arabic is richer than in Modern Standard English.

This study has shown that finite verbs in Early Modern English and Standard Arabic have strong agreement features (because of the rich agreement inflections they carry) and consequently allow the null subject *pro* to occur in the structural subject position, whereas their counterparts in Modern Standard English have weak agreement features (due to their poor agreement morphology) and so do not allow the occurrence of the null subject *pro* at all. It has been illustrated that the strong agreement features of finite verbs in Early Modern English and Standard Arabic are licensed by overt movement of the verb from the head V position of VP to the functional head I(NFL), whereas the weak agreement features of finite verbs in Modern Standard English are checked at LF. It should be mentioned that this kind of V-movement operation of finite verbs from the head V position of VP to INFL is productive in Early Modern English and Standard Arabic. Moreover, the fact that Early Modern English and Standard Arabic allow the null argument *pro* is so much due to the presence of overt (subject) agreement inflection. This can be attributed to their rich agreement inflection which can license the null *pro* as a lexical property; it is this lexical property which can account for the parametric difference between Early Modern English and Standard Arabic, on the one hand, and Modern Standard English, on the other. The rich agreement inflection on the verb morphology in Early Modern English and Standard Arabic serve to identify the morpho-syntactic properties of the null *pro* subject, since the feature-content of the latter can be recovered from the AGR-morpheme on the verb.

Given checking theory, it has been pointed out that the V-feature of I(NFL) is strong in Early Modern English and Standard Arabic due to strong inflection which forces overt movement of the verb in finite clauses. However, the V-feature of I(NFL) is weak in Modern Standard English and as a result the verb can only move at LF to check its features.

Furthermore, since Early Modern English and Standard Arabic allow the *pro* element in finite clauses, it undergoes syntactic movement from [Spec, VP] to [Spec, IP] in order to license its nominative Case and agreement features. Hence, the

null *pro* subject in Early Modern English and Standard Arabic receives nominative Case and is licensed by rich agreement inflection on the verb.

Moreover, the analysis of the null *pro* subject in Standard Arabic has shown an interesting observation. It has pointed out that the subject *pro* appears to have the same morpo-syntactic agreement properties both in the VSO and SVO structures with null *pro* subjects. Given feature licensing, we have assumed that the D-feature of I(INFL) is strong in the VSO and SVO structures in Standard Arabic. Based on this, we have argued that the null *pro* subject moves from [Spec, VP] to [Spec, IP] to check its nominative Case and agreement features in a Spec-head agreement relation. We have also assumed that the V-feature of I(NFL) is invariably strong in Standard Arabic. As a consequence, the verb moves overtly from the head V position of VP to the head INFL position. The movement of the *pro* subject and the verb is driven by the necessity to check the morphological features via a Spec-head agreement relation, where the nominative Case and the agreement features of the subject as well as the tense feature of the verb are licensed, thus ensuing that all features are interpretable in the syntax.

References

Adams, M.1987. "From Old French to the theory of pro-drop," *Natural Language and Linguistic Theory* 5, 1-32.

Bennis, H. and Haegeman, L. 1984. "On the status of agreement and relative clauses in West Flemish," in W. de Geest and Y. Putseys (eds.), *Sentenial Complementation: Proceedings* of *the International Conference at UFSAL, Brussels, June, 1983,* Dordrecht: Foris, 33-53.

Berk, L. M. 1999. *English Syntax: From Word to Discourse.* Oxford: Oxford University Press.

Borer, H. 1986a. "I-subjects," *Linguistic Inquiry* 17, 375-416.

Cardinaletti, A. 1994. Subjects positions. *GengenP* 2.1: 64-78.

Chomsky, N. 1981. *Lectures on Government and Binding*. Dordrecht: Foris.

Chomsky, N. 1982. *Some Consequences of the Theory of Government and Binding*, Cambridge, MA.: MIT Press.

Chomsky, N. 1986a. *Barriers*, Cambridge, MA.: MIT Press.

Chomsky, N. 1991. "The theory of principles and parameters ", in Chomsky, N. 1995. (ed.) *The Minimalist Program*. 13-129. Cambridge, MA.: The MIT Press.

Chomsky, N.1995. *The Minimalist Program*. Cambridge, MA.: The MIT Press.

Chomsky, N. 1998, 2000. "Minimalist inquiries: The framework", Preliminary version in *MIT Working Papers in Linguistics* 15, published in Martin, R., Michaels, D. and Uriagereka, J. (eds.), *Step by Step: Essays on Minimalist Syntax in Honor of Howard Lasnik* Cambridge, MA.: MIT Press.

Chomsky, N.1999."Derivation by phases", Ms. Cambridge, MA.: MIT.

Donati, C. and Tomaselli, A. 1997. La sintassi del soggatto nel quadro minimalista. Riflessioni su EPP *e pro-drop. Lingua e Stile* 32: 261-283.

Fakih, A. 2003. *The Syntax of Questions in Modern Standard Arabic and Minimalism.* Unpublished Ph.D. thesis, University of Delhi.

Fakih, A. 2006. "Case, agreement and *wh*-movement in Verbal constructions in Standard Arabic: a minimalist perspective" published in *The University Researcher Journal,* University of Ibb, Yemen, Issue No. 13, pp.1-16.

Fakih, A. 2007a. "*Wh*- and multiple *wh*- questions in Standard Arabic, English, and the Slavic languages and LF-representation" published in *The University Researcher Journal,* University of Ibb, Yemen. Issue No. 13, pp. 1-28

Fakih, A. 2007b. "Licensing: movement and feature checking in Standard Arabic and minimalism", published in the *Journal of King Saud University*, Saudi Arabia, Volume 19, pp. 37-54.

Fassi-Fehri, A. 1993. *Issues in the Structure of Arabic Causes and Words*. Dordrecht: Kluwer academic publishers.

Gilligan, G. M. 1987. *A Cross Linguistic Approach to the pro-drop Parameter,* Ph.D. dissertation, University of Southern California.

Haegeman, L. 1994. *Introduction to Government and Binding Theory*. Oxford: Blackwell.

Haegeman, L. and Guéron, J. 1999. *English Grammar: A Generative Perspective*. Oxford: Blackwell.

Harbert, W. 1995. "Binding theory, control and *pro*" in Webelhuth, G. (ed.) *Government and Binding Theory and the Minimalist Program,* 178-240. Oxford: Basil Blackwell.

Huang, C.T.J. 1982. *Logical Relations in Chinese and the Theory of Grammar*. Ph.D dissertation, MIT.

Huang, C.T.J. 1995. "Logical form", in Webelhuth, G. (ed.) *Government and Binding Theory and the Minimalist Program,* 125-173. Oxford: Basil Blackwell.

Huang, C.T.J. 1989. "pro-drop in Chinese: a generalized control theory," in Jaeggli and Safir (eds.) 185-214.

Jaeggli, O. and Safir, K. 1989.*The Null Subject Parameter*. Dordrecht: Kluwer.

Jespersen, O. 1938. *A Modern English Grammar on Historical Principles, III,2.* London: Allen and Unwin.

Lehmann, W.P. 1992. *Historical Linguistic: An Introduction*. London: Routledge.

Manzini, R.M. and Savoia, L.M. 1997. "Null subjects without *pro*," in *UCL Working Papers in Linguistics* 9,1-12.

Mohammad, M.A. 1990. "The problem of subject-verb agreement in Arabic: Towards a solution", in Eid, M. (ed.), *Perspectives on Arabic Linguistics I,* 95-127. Amsterdam: John Benjamins

Ouhalla, J. 1991. *Functional Categories and Parametric Variations*. London: Routledge.

Ouhalla, J. 1999. *Introducing Transformational Grammar: From Principles and Parameters to Minimalism, 1st and 2nd edition, Oxford: Oxford University Press.*

Platzack, C. 1995. "Null subjects, weak Agr and syntactic differences in Scandinavian" in *Working papers in Scandinavian Syntax* 53: 85-106.

Perlmutter, D. M. 1971. *Deep and Surface Structure Constraints in Syntax*. New York: Holt, Rinehart and Winston.

Radford, A. 1997. *Syntax: A Minimalist Introduction*. Cambridge: Cambridge University Press.

Rizzi, L. 1982. *Issues in Italian Syntax*. Dordrecht: Foris.

Rizzi, L. 1986a. "Null objects in Italian and the theory of *pro,*" *Linguistic Inquiry* 17, 501-57.

Rohrbacher,B. 1994. *The Germanic VO Languages and the Full Paradigm: A Theory of V to I Raising.* Amherst: GLSA publications.

Safir, K. 1985b. *Syntactic Chains*. Cambridge: Cambridge University Press.

Trask, R.L. 1996. *Historical Linguistics*. London: Arnold.

Vikner, S. 1995. *Verb Movement and Expletive Subjects in Germanic Languages*. Oxford: Oxford University Press.

The University Researcher Journal of Ibb University

About the Journal

The University Researcher is a quarterly publication for all those who are professionally involved in the academic research and teaching at the university. Its purpose is to provide an opportunity for contributors who write in both Arabic and English to publish their original research. The editorial board welcomes papers which deal with the issues implicit in arts, humanities and science.

Guidelines for Publication

1. Subject Matter

The contributors are asked to take into account the following important factors when writing their papers:

- Papers should be original and of value and interest to the readers of the Journal.
- They should be clearly and coherently written so that the contents are accessible to the readership.
- They should demonstrate an appropriate balance between theory and practice.

2. Format of Paper

Please follow these instructions exactly or we will be unable to process your submission.

- Please give your paper a clear and informative title of approximately 60 characters. Below the title, write your name(s) and full institutional address, including e-mail. All these should appear at the top of the first page.
- Begin your paper with an abstract of no more 150 words, in 9 pt. font summarizing your main points.
- Papers should be printed on A4 paper (17 cm x 24 cm and $2^1/_2$ cm on all sides), single spaced in Times New Roman 11 pt. font, and should not exceed 20 pages in science and 30 pages in arts and humanities, including footnotes, references and appendices. All pages should be numbered consecutively.
- Headings and subheadings should appear on a separate line, ranged left and written in bold type. Please use a numbering system for headings and subheadings, e.g. (1., 1.1, etc.).
- Notes and references in the text (citations) to other publications should appear as footnotes on individual pages. Please number your footnotes consecutively.
- Indented (longer) citations and texts in charts and tables, and footnotes should be in 9 pt. font.
- Citations and references should follow the APA style.

3. Submission

Two hard copies of the paper should be submitted, along with a copy on CD ROM in MS Word. Contributions should be addressed to the Journal Editor-in-Chief (see Correspondence).

4. Terms of Acceptance

a. The *Journal* is not responsible to return the hard copies of the manuscript received, whether it is accepted or not.
b. The manuscript received is blind reviewed by specialized referees, and acceptance is dependent on their recommendation for publication. Within three months of receiving it, the Editor will let you know whether, and if possible when, your contribution will be published.
c. The Editorial board reserves the right to ask for re-formatting of, or to make editorial changes in, any manuscript accepted for publication.
d. Papers submitted to the *Journal* contain the author's conclusions and opinions and, if published, do not constitute a conclusion or opinion of the Editorial Board.
e. Authors, who are not members of the University teaching staff and are willing to publish their papers in the *Journal*, are requested to pay YR 10,000 (= US 50 dollars) for postal charges.
f. The editorial board will assume that a paper submitted has not been previously published, and, if accepted for publication in the Journal, will not be published elsewhere without the prior written permission of the Editor-in-Chief.

Correspondence

Editor-in-Chief
Journal of The University Researcher
The University of Ibb
P.O. Box: 70362
Ibb
The Republic of Yemen

THE UNIVERSITY RESEARCHER
A Quarterly Refereed Journal

Science and Humanities

Issue No. 19

December
2008

The University of Ibb
The Republic of Yemen

© The University of Ibb Yemen 2008

All rights reserved; no part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of the Publisher.

Editorial Board

Prof. Ahmed Shuga'a Al-Deen	*Editor-in-Chief*
Prof. Ahmed Yahea Aljawfi	*Assistant Editor-in-Chief*
Prof. Abdul-Shafi Siddiq	*Member*
Prof. Mohammed Saqr	*Member*
Prof. Mahdi Hagras	*Member*
Dr.Abdul Hafeed Fakih	*Consultant*

Division Editorial Board

Fawzi Ali Sowaileh	*Secretary*
Esa M. Al-Shi'ari	*Typist*

Annual Subscription

Local: YR 800 for individuals and 1200 for institutions.
External: $ US 10 dollars for individuals and $ US 20 dollars for institutions.

Subscription

Editor-in-Chief
Journal of The University Researcher
The University of Ibb
P.O. Box: 70362
Ibb
The Republic of Yemen

(English Section)

Contents

- **Humanities: Language and Literature**

The Null pro Subject in Early Modern English and Standard Arabic
Abdul Hafeed A. Fakih (Ph.D.) ……..……..……(1-28)

The Linguistic Behaviour of Street Children in Yemen: their Requests and Apologies
Nada Qanbar (Ph.D.)……..……(29-44)

- **Science**

The Evaluation of Groundwater Quality at Al-Sayyadah area, IBB city, Yemen
Esmail Al Sabahi1, Abdul Rahim S1,Zuhairi WY1, Fadhl Al Nozaily & Fares Alshaebi1 …..……..……..……(45-58)

Statistical Study On Congenital Malformations In Taiz
Fuad Kasem Humran……..……(59-70)

Yemen Bee Propolis as a Natural Preservative for Labneh
M. A. M. Al-Hakimi A. M. and S. A. Hussein……..……(71-80)

LARGE SIGNAL AVERAGE SWITCH MODELING FOR PWM AND ZCS – QR CONVERTERS
Dr. Mustafa M. Ibrahim……..……(81-88)